مذكرات
الشيخ محمد خير الدين

ومشاركته في جمعية العلماء
وجبهة التحرير الوطنية
ومجلس الثورة الجزائرية

الجزء الأول

مذكرات

الشيخ محمد خير الدين

ومشاركته في جمعية العلماء
وجبهة التحرير الوطنية
ومجلس الثورة الجزائرية

الجزء الأول

بين يدي المذكـــــرات

لقد كتب الله لي أن أواكب قوافل الكفاح الوطني ، فى بلادنا عهودا متلاحقة من الصراع الطويل المرير مع الاحتلال والاستعمار بكل أنواعه ، وأشهد فى ذلك مواقف بطولية رائعة أرى من الواجب تسجيلها لتقرأها الأجيال الحاضرة والقادمة لما تلقى من أضواء تنير صورا من جهاد الشعب الجزائري الصامد
كان لها أثر بالغ فى تمهيد الطريق لكتائب « ثورة التحرير الوطني الكبرى » التى جاهدت العد وبكل الأسلحة المتاحة ، وفى طليعتها سلاح الايمان بالله والايمان بحقنا فى الحرية والاستقلال مصداقا لقوله تعالى : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين ».

انى سعيد ، حقا ، أن أقدم هذه « المذكـــرات » فى هذه المرحلة الزاهرة من تاريخنا الوطني ، حيث تأكدت الارادة السياسية والشعبية معا على استرجاع كل مقومات شخصيتنا العربية الاسلامية بجميع أبعادها ، والعمل الدائب لدعم كل ماهو ايجابي ، والتخلص من كل ماهو سلبي ، من تجارب مسيرتنا نحو بناء أمة عزيزة قوية مزدهرة وفية لأمجاد الماضي ، آخذة بكل جديد صالح من حضارة العصر ، حتى غدت بلادنا ، والحمد لله ، محل غبطة وتقدير من قبل الشعوب العربية والاسلامية بصفة عامة ، ومن قبل الأوساط العلمية والدينية بصفة خاصـــة .

فالله تعالى نسأل أن يولي الأخ الرئيس الشاذلى بن جديد رئيس الجمهورية مزيدا من العون والتوفيق ليواصل قيادته الرشيدة الأمينة لمسيرة الثورة المظفرة ، التى تستعد بلادنا للاحتفال بذكراها الثلاثين ، نحو مزيد من الانتصارات فى كنف الكرامة والعدل والأخوة ، وأن ينزل شهداءنا الأبرار فى جنات النعيم ، آمنين مطمئنين .

محمـــد خيـــر الديـــن



الشيخ محمد خير الدين

المقدمـــة

بســـم الله الرحمـــن الرحيـــم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين.

دعوة طالما نادى بها المخلصون الأوفياء لدينهم وعروبتهم ووطنهم، من اخواننا وأبنائنا الشّبان ، أن نكتب مانعرفه من حقائق ونروى ماعندنا من أخبار وندلى بشهادتنا فيما دار من قضايا حول تاريخنا وحوادث كفاح أمتنا خلال حقبة عامرة بالحوادث المتشابكة مايزال يكتنفها الغموض لأسباب كثيرة لعل من أهمها :

1) أن معظم الذين كتبوا عنها أخذوا معلوماتهم من مصادر غير أصيلة ، ويمثل هذا الفريق اخواننا فى المشرق العربي الذين كتبوا عن تاريخ المغرب بصورة عامة وعن الجزائر بصفة خاصة وعلى الأخص المرحلة التى عشت كفاحها ، و قد كانوا بعيدين عن الموقع واعتمدوا فيما كتبوه على ما روّجته مصادر فرنسية بالخصوص ، وصحافة سياسية متحيزة بعضها لم تذكر الحقيقة كاملة وبعضها لم تذكرها واضحة.

2) ان الكتاب الجزائريين الذين توفرت لهم سمة الجد والصدق والقدرة ، كان معظمهم من الرجال الشبان الذين لم يعاصروا غير مرحلة قريبة من يومنا هذا ، وبعضهم كان يتابع دراسته بعيدا عن الجزائر فلم تتوفر لهم فرصة مشاهدة الأحداث عن قرب.

3) بدا لبعض من سولت لهم أنفسهم أمرا من الكتاب الكبار الذين عاصروا كثيرا من أحداث هذه المرحلة التارخية التى تناولتها هذه المذكرات أن ينسبوا لأنفسهم كل فضل ظنّا منهم بأن أحدا من المعاصرين لا يعرف أو لا يستطيع أن يدلي بشهادته فيما زعموه.

4) ان معظم العلماء الذين شاركوا فى حركة الاصلاح وعاشوا حوادثها لم يكونوا صحفيين أو كتّابا ، و انما كانوا دعاة مصلحين يعتمدون الكلمة المنطوقة لا الحديث المكتوب ، ويهتمون بالحركة الدائمة والسعي المتّصل والجولان فى كل مكان فلم يتوفر لهم الوقت ولا الحظّ ولا الاستعداد لتدوين الأحداث فى حينها أو التعليق عليها فى أوقاتها ، ولو كانوا فعلوا ذلك لتيسّرلنا من تاريخنا حظ وفير.

5) وربما توفرت لديّ وثائق هامة وتعليقات مفيدة ، لكن تطاول أيدى المستعمرين وأعوانهم كانت تقضى على الكثير من الحقائق المدوّنة فى بطون هذه الوثائق تارة بأيديهم وتارة أخرى بأيدينا مرغمين.

ولم أشرع فى عملى هذا الا منذ سنوات قلائل عندما يسّر الله لي ذلك ، واننى من الذين يؤمنون بأن حركة الاصلاح لم تنته عند قيام حرب التحرير ولا غداة الاستقلال ، وانما ينبغى أن تستمرّ حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا.

وعلى الرغم من كل الظروف حاولت خلال ثلاث سنوات متواصلة أن أجمع مالدي من وثائق مكتوبة ومخطوطة وصور ورسائل وغيرها ، وأستجمع الذاكرة فى تمحيص بعض الوقائع التى شاهدتها.

وسألتزم أمام الله تعالى وأمام ضميرى بالصدق فى القول والحياد التام والموضوعية المطلقة فى عرض ما شاهدته من أحداث أو شاركت فيه بجهد متواضع ، فلا أذكر منها الاّ ما تاكّد ثبوته فى الذاكرة ، أو دوّنته فى مذكرات شخصية مخطوطة ، أو مانشرته من مقالات ومحاضرات فى بعض الصحف والمجلات وما ألقيته فى الندوات والمؤتمرات العربية ، وتجمع لدي من ذلك قدر وفير ، فرأيت أن أقسّمه على جزأين أقف مع نهاية الجزء الأول عند قيام حرب التحرير ، والثانى الى أيامنا هذه.

وقد نظّمت وحرّرت وراجعت وتحرّيت الدقة قدر جهدى ، وأرجو لعملى هذا أن يكون خالصا لوجهه تعالى ، وأن يضع لبنة فى بناء تاريخ أمتنا العظيمة ، وأن يوضح بعض معالم الطريق أمام شبيبتنا المتطلعة الى معرفة جذورها ، وحركة نضال آبائها وأجدادها، وعلى الله قصد السّبيل.

وسيجد القارئ فى هذه المذكرات إيضاحا لسلسلة نسبنا العربي ، كما يجد خلاصة موجزة لتاريخ حياتهم والأحداث التى عاشوها منذ دخولهم افريقيا تحت قيادة أميرهم مؤنس بن يحى وحلفائه الى الاحتلال الفرنسي للجزائر.

وليس الغرض من ذلك ارضاء نعرة عرقية أو استجابة لنزعة عنصرية ولكننى أرمى من وراء ذلك الى غايتين:

الغاية الاولى :

اننى أنا مصدر هذه المذكرات والمسئول عما جاء فيها من حقائق وأحداث ، والتعريف بالمصدر أمر مطلوب للتحقق من الثقة به والاعتماد عليه ، وقد أخذت مصادر هذا النسب من ينبوعين:

أولهما: مجموعة من الوثائق التى توارثها أسلافنا جيلا بعد جيل منذ خمسة قرون ، وتحت يدي منها بعض الوثائق التى يرجع تاريخها الى عام 907 للهجرة ، يوجد بينها: أسلحة أثرية ، وعقود ، وعقارات أوقفها أجدادنا على ابنائهم وعلى ابناء السبيل. وقد بقي منها حتى الآن: بستان يعرف (بحوز السبيل) ببلدة فرفار (1).

---

(1) فرفار بلدة من قرى الزاب الغربي بينها وبين بسكرة ثلاثون ميلا ، وهي مشتى لاسلافنا من قبيلة الذواودة ، وحولها بساتين نخيلهم ، وقريبا منها توجد مراعيهم بالضفة الجنوبية لوادى جدي ، وقد بقيت املاكنا بفرفار ماثلة للعيان الى يومنا هذا ، تعرف بالمروج ورؤوس العيون ، ونخيل بازر ، والحوزات يعرفها سكان القرية ، كما يعرفون نسبتها الى أبناء جدنا سليمان بن علي بن أحمد ، ويدعون السليمانية . والى ابناء يعقوب بن علي بن أحمد ، ويدعون السخارة أبناء السخرى بن محمد بن يعقوب بن علي.

وثانى الينبوعين : ماذكره امام المؤرخين عبد الرحمن بن خلدون فى الجزء 6 من كتاب العبر ، عن نسب بنى هلال الذين يرجع اليهم نسبنا ، موضحا ذلك برسم شجرة النسب التى تنتهى الى هؤلاء القوم الذين كانت مساكنهم بالحجاز بجوار مدينة الطائف على مقربة من مكة المكرمة.

الغاية الثانية :

توضيح حقيقة تاريخية طالما اضطربت فيها آراء المؤرخين ، وهي طبيعة الشخصية العربية ودورها فى حياتها البدوية ، فكثيرا ماسمعنا وقرأنا تحامل المغرضين من أعداء الأمة العربية الذين يصفونها بصفات لاتليق بأمة اختارها الله تعالى لتكون خير أمة أخرجت للناس، وأتمنها على تحمل وحيه ، وتبليغ رسالته الى الناس كافة «الله أعلم حيث يجعل رسالاته» (1) فأرسل رسوله محمد بن عبد الله العربي الى قومه العرب أولا «وأنذر عشيرتك الاقربين» (2) فآمنوا به صلى الله عليه وسلم ، ثم حملهم أعباء نشر الدعوة والايمان برسالته ، فانطلقت الدعوة بانطلاقتهم من جزيرة العرب ، وانتشرت بانتشارهم فى شمال افريقيا والاندلس وغير ذلك من أقطار المعمورة شرقا وغربا .

---

(1) الآية (٢٤) من سورة الانعام.

(2) الآية (٢١٤) من سورة الشعراء.

النســـب والنشـــأة

النســـب

تعرفت على هذه السلسلة من نسبنا وما يتصل به من أحداث من مصدرين :

أولهما : وثائق عائلية تنتهي الى جدنا الثاني عشر أبي دينار سليمان بن علي(1).

ثانيهما : ماكتبه بن خلدون(2) في كتابه العبر على شكل شجرة نسب أثبته هنا ، وتبتدئ شجرة النسب من جدنا الثاني عشر أبي دينار سليمان بن علي بن أحمد وتنتهي الى هلال بن عامر بن قيس عيلان بن مضر بن عدنان.

سلسلة نسبي كاملة هي كما يلي

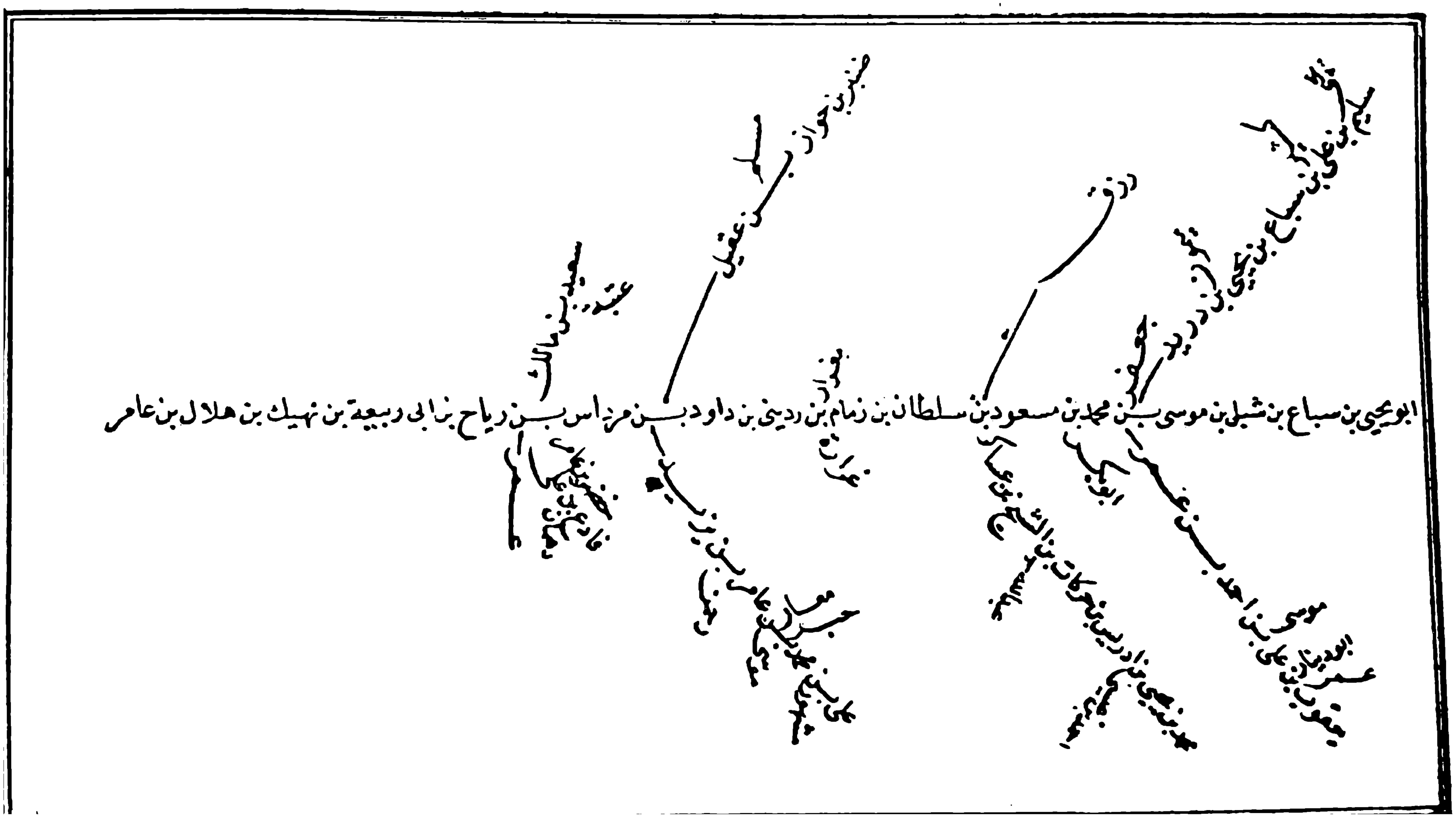
محمد بن خير الدين بن محمد أبي جملين بن خير الدين بن الحاج محمد بن محمد بن سليمان بن مخّان بن سليمان بن الصغير بن معتوق بن أبي دينار سليمان ابن علي بن أحمد بن عمر بن محمد بن أبي سرحان مسعود بن سلطان بن زمام بن الرّديني بن ذوّاد بن مرداس بن رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن قيس عيلان بن مضر بن عدنان(3).

---

(1) انظر بعض هذه الوثائق في الملحقات بآخر الكتاب .

(2) العبر الجزء السادس.

(3) انظر وثيقة شجرة النسب


ابو يحيى بن سباع بن شبل بن موسى بن محمد بن مسعود بن سلطان بن زمام بن رديني بن داود بن مرداس بن رياح بن ابي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر
رزق
جعفر
ابو بكر
عمارة
عقيل
زيد
موسى

الحمد لله تعالى وصلى الله [illegible]

يقول [illegible] عفى الله عنه [illegible]
وكرمه [illegible] وفقت [illegible]
المكرم [illegible] في الأوراد [illegible]
[illegible] الجياع [illegible]
[illegible] بعد [illegible]
[illegible]
[illegible] وقريبا [illegible] الجسم
[illegible] وكتابته و [illegible]
[illegible] وكان [illegible]
[illegible]
[illegible]
الأوراد [illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

اشترى علي بن رشد الله تعالى محمد بن سليمان
بن محمد ثلاث ساعات مرماه مرساه
فيه في نوبة العشر الاول من بشنا من بني جبر واخيه
علي بن جبر بثمن مبلغه سبعة ريالة ونصف
كجبار عتيقين ايضا بثلث الثمر والمشترى النبيع
وحلف بتصرف فيه تصرف الاملاك والعقد بحالة
الصحة والطوع والرضى

واشترى ايضا المذكور اعلاه نصف علي الا
ساعة في الجنان المسمى ببيل المعروف ببيل
اولاد يحيى من علي بن جبر وورثة ببشار وهم
بنا ثم ببيت وشرا ايضا من اهل الا نون
بعد الاولى في جماعة بريال بثمن قدره
ستة وعشرين ريال تسار ايضا البايعين
جميع الثمر والبروة بنراه قبض وحلوه محل
في املاكه وامواله في صحيح الاملاك
بعد اعلانا الذكر قبله رقعة الكميل وعشروا
وبلدا اولاد العرب وجرى حد السد روطه
فيه بتصريف محمد مسعود نصيبه وشراء
ببيل رفاع وطابعة ايضا نصيب بي في
حوز ماله من اجل تنفعة ساعة للمشتري
وحده سوى الثلاثة الاولى اعلاه بطول
نوبة وحده بحيث لايدع عامي ذالك جهلا
ولا غلطا ولا اكراها بل كل عارف قدر
ملايع ولا دنترى ولذالك في انتهم ربيع الاول
عام ثلاث وسبعين والمعا وا
مركانبه احمد بن علي

ولقيس عيلان بن مضر بن عدنان بطون كثيرة منتشرة فى جزيرة العرب ، فمنهم : بنو هلال بن عامر ، وبنو هوازن ، وبنو سعد قوم حليمة السعدية مرضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبنو باهلة قوم أبي أمامة الباهلي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبنو مازن ، وبنو غطفان ، وبنو عبس قوم عنترة بن شدّاد الفارس المشهور.

ريـــاح الهلاليـــون (1)

أولهم رياح بن ابى ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر .

كان هذا الشعب من اعز قبائل بنى هلال نفرا وأوفرهم جمعا عند دخولهم الى بلاد المغرب ، وكانت رئاستهم على عهد الزحف لمؤنس بن يحى الضنبرى الذى اصهر اليه المعز بن باديس ببنته .

قبائل رياح كثيرة ارتقت كل واحدة منها الى مرتبة شعب ونعرض فيما يلى اهمها

أ – **الخضر** : اولاد الخضر بن رياح وقيل عامر بن زيد بن مرداس بن رياح وقيل غير ذلك ، كانت رئاستهم فى اولاد ثامر بن على بن تمام بن عمار بن خضر بن عامر بن رياح وكان بنو مرين مختصين بحلف هذا القبيل .

ب – **مرداس** : بنو مرداس بن رياح اكبر بطون رياح على الاطلاق وأكثرهم ذكرا اثناء الزحف الكبير ، وهم قوم مؤنس بن يحى صاحب المعز بن باديس وصهره ، ومن اشهر بطونهم قبيلة (الذواودة) العظيمة وفروعها الكثيرة بالمغرب الاوسط (واولاد ضنبر) قوم مؤنس بن يحى المتقدم ، و (اولاد مسلم واولاد عامر) بن يذيد الذين منهم (بنو موسى ، وبنو جابر – وسودان ، ومشهور) (المشاهرة) و(معاوية) مواطنهم مجاورة لتوزر بشط الجريد .

---

(1) العبر الجزء السادس .

جـ - **اولاد سعيد :** بنو مالك بن رياح ، كانت رئاستهم فى اولاد يوسف ومن بطونهم اولاد عيسى ومع هذا القبيل لفائف من العرب من غيرهم مثل المخادمة - الفجور - ونفاث .

د - **اولاد مسلم :** بنو مسلم بن عقيل بن مرداس بن رياح ، المهايا أحد بطون عياش من عرب الاثبج ، ورئاسة هذا الفريق فى اولاد جماعة تارة تكون فى اولاد شكر وتارة فى اولاد زرارة والى هذا البطن ينتمى سعادة القائم بالسنة فى رياح فى بداية القرن الثامن الهجرى .

قال الاستاذ محمد بن تاويت الطنجى فى تعليقاته على رحلة بن خلدون شرقاً وغرباً : رياح من أكثر القبائل الهلالية جمعا وأوفرهم عددا ، وأبوهم : رياح بن أبى ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر ، والرئاسة على رياح فى عهد بن خلدون لأبناء ذوّاد بن مرداس بن رياح ، وإلى ذوّاد هذا تنسب قبيلة الذواودة ، وقد أفاض الحديث عن هذه القبائل ، وما كان لها من آثار فى المغرب وعن منازلها ورؤسائها.

قال المعتمد ابن عباد يمدح قومه العرب :

شيم الألى أنا منهم ... والأصل تتبعه الفروع

فمن لم يعرف النسب لم يعرف الناس ومن لم يعرف الناس لا يعد من الناس . قال صلى الله عليه وسلم : «تعلموا من النسب ماتعرفون به أحسابكم وتصلون به أرحامكم» وقال تعالى : «يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ...الآية»

عليه وسلم وهو عندها فغضب ورجع ، فقالت يارسول الله هذا بن أختي (غرة بنت الحارث) فدخل اليها ثم خرج ، حتى أتى المسجد ومعه زياد هذا فصلى الظهر ثم أدنى زيادا ، فدعاله ووضع يده على رأسه ثم حدّرها على طرف أنفه ، فكانت بنو هلال تقول مازلنا نتعرف البركة فى وجه زياد.

ـ قال الشاعر يمدح ابنه علي بن زياد :

ياابن الذى مسح النبي برأسه	ودعا له بالخير عند المسجد
أعنى زيادا لاأريد سواءَهُ	من غائر أو متهم أو منجد
مازال ذاك النور فى عرنينه	حتى تبوّأ بيته فى الملحد

وقد اخترت ألا أطيل بذكر أسمائهم رضي الله عنهم فى هذا المكان ، وذكر أسماء قبائلهم ، واكتفى باحالة القارئ الكريم الى بعض المراجع والمصادر التى عنيت بإحصائهم ففى الرجوع الى اخبارهم اقتداء وذكرى وهدى ورحمة.

وقد أثر عنه صلى الله عليه وسلم (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) (1) كما نوّه القرآن الكريم بفضل التابعين فى قوله تعالى : (والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) (2) .

الصحابيـــات

ولايفوتنى ذكر أمهات المؤمنين الهلاليات فمنهن :

ـ أم المؤمنين زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف الهلالية رضي الله عنها وتسمى (أم المساكين) ، توفيت بالمدينة بعد مضي واحد وثلاثين شهرا للهجرة ، وصلى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنها بالبقيع بالمدينة رضي الله عنها.

---

(1) الراوي علي بن محمد القرشي كما فى طبقات ابن سعد.

(2) سورة التوبة الاية (٩).

ـ أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير الهلالية رضي الله عنها. توفيت عام : 61 للهجرة وعمرها ثمانون سنة ، وصلى عليها ابن أختها عبد الله بن عباس ودفنت بمكة.

وهي آخر من بقي من أمهات المؤمنين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.

ـ ومن الصحابيات أم الفضل الهلالية زوجة سيدنا العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي أم عبد الله بن عباس رضي الله عنهم أبي الخلفاء العباسيين.

وسوف نلمس من خلال الحديث عن بعض الرجال البارزين من أسرتنا أنهم قاموا بدور هام فى تاريخ منطقة المغرب العربي بالشمال الافريقي مما يكذب ما يرويه المغرضون من الاستعماريين وأذنابهم الذين لا يرون الا الجوانب السيئة فى العرب وفى بنى هلال بالخصوص بدافع العصبية والحقد ، فالطبيعة البشرية عامرة بالجوانب الخيّرة والجوانب السيئة.

وكان للعرب كغيرهم من البشر نصيب من الجانبين ، ونصيبهم من الخير أهم وأعظم ، ولكن أعين المتعصبين والحاقدين فى غطاء عن ذكر هذا النصيب والنظر اليه ، وقلوبهم فى غفلة بما ران عليها من الحقد والحنق.

«ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة».(1)

قدوم الهلاليين الى شمال افرقيــــا

وفدت قبائل الهلاليين من المشرق تحت رئاسة أميرهم مؤنس بن يحى ، واستوطنت شمال افريقيا ، وأثرت فى هذه البلاد وتأثرت بها، شأن الهجرات الجماعية الكبيرة من وطن الى وطن آخــر.

---

(1) الآية 7 من سورة البقــرة.

ويفسر الأستاذ مبارك الميلي رحمه الله أسباب قدوم الهلاليين الى شمال افريقيا وآثار ذلك فى تصور أحداثه التاريخية بقوله :

«أرسل الفاطميون الهلاليين على المغرب انتقاما من المعز بن باديس ودولة صنهاجة الشرقية ، فنزحوا اليه لا حبّا فى نصرة الفاطميين ولا بغضا فى صنهاجة ، ولكن لطلب الرزق بالتقلب فى بواديه بين الصحراء والتل .

ولما دخلت رياح افريقيا لم تبدأ بالشر حتى كان ما كان من قبض المعز على أسرة أميرهم مؤنس بن يحى ، فحمل بسوء سياسته العرب على تنفيذ مارسم لهم الفاطميون من تملك المواطن المعيّنة لهم» (1) .

فقد ملّكُوا زغبة : طرابلس وقابس ، وملّكُوا رياحا : القيروان وباجة ، وملّكُوا دريدا : قسنطينـــة.

«وقد حصرت الحرب العرب فى افريقيا ، ولم يزل اخوانهم يتوافدون عليهم من المشرق ، فضاق بهم ما احتلوه من الأوطان ، ونجم عن ذلك خراب الأوطان وسوء حياة السكان» (2).

والمسؤول عما لحق المغرب من أضرار الحرب هو صنهاجة التى لم تحسن سياسة هؤلاء العرب وجرّأتهم عليها بما كان بين دولها من تنافس ، وحروب مخربة للمدن والقرى ، مشردة للسكان ، كالحرب التى وقعت بين الأمير تميم بن المعز بن باديس ومعه حشود من قومه صنهاجة الشرقية ، ومن حلفائه قبائل رياح من بنى هلال ، وبين ابن عمه الأمير الصنهاجى محمد الناصر بن علناس الذى كان يناصره قومه من صنهاجة الغربية وحلفاؤه من قبائل الإثبج الهلاليين فانهزم فى هذه الحرب الناصر وحلفاؤه ، وخربت عاصمة بنى حماد والمدن التابعة لها.

وكانت الحروب مستمرة بين شعوب افريقيا ، خصوصا بين صنهاجة وزناتة قبل دخول الهلاليين لافريقيا وبعد دخولهم اليها للعداوة المتمكنة بينهم.

---

(1) تاريخ الجزائر للميلي ج 2 ص 152.

(2) نفس المصـــدر.

«وقد بالغ كتاب العربية فى تقدير تلك الأضرار ، ثم حملوا الهلاليين مسؤوليتها ، ذلك لأنهم كتبوا لدول بربرية ولم يكن للهلاليين حكومة تُطمِعُهم فى إنعامها . ولبداوتهم لم يهتموا بدعاية سياسية تنشر لهم أو عليهم . واتخذ كتاب الفرنسية مبالغات كتاب العربية سلّما لثلب العرب وذمهم ، وصاروا يطرون البربر بعد ما كانوا يقذفونهم بأشنع القذف فى الدّورين الروماني والبيزنطي» (1).

لقد ألصق بعض المؤرخين العرب – عن غفلة منهم أو عن عمد – تُهمًا كاذبة فقالوا إن العرب دخلوا افريقيا لزرع بذور الفوضى وتخريب الأوطان وتشريد السكان.

ثم انسابوا على ربوعها كالجراد المنتشر ، فدمروا البيوت ليجعلوا من حجارتها أثافي لقدورهم ، واقتلعوا أبواب المنازل ليجعلوها وَقُودًا لِطَهْيِ طعامهم.

وقال آخرون من كتاب العرب : «ان العرب دخلوا افريقيا جياعا حفاة عراة على حالة مزرية يضحك منها الناظرون» ، وذكرابن خلدون في كتاب العبر قال : «ان الهلاليين خربوا المسيلة وطبنة ومقرة وهي المدن الكبرى فى المنطقة».

ولكن الادريسي الذى مرّ بعد بن خلدون فى طريقه إلى الحجاز على هذه المدن الثلاث قد أثنى على حضارتها وعمرانها ووصفها بأوصاف رائعة جليلة ، والادريسي من الذين تتبعوا الحملة الهلالية فى رحلته بعناية فائقة.

ومن الكتاب الفرنسيين الذين اتخذوا من مبالغات العرب سلّما الى عد نقائصهم:كاريت (2) الذى يقول : «كان هجوم العرب الفاتحين كالاعصار يقلع الأشجار ويهدم المنازل . وهجوم الهلاليين كالحريق الهائل الذى يذر الأشجار والمساكن رمادا تذروه الرياح ، فما أبقاه الاعصار قضى عليه الحريق ، ومابقي من السياسة العربية قائما بالمغرب ذهب به الطبع العربي الهدام ، فتمّمَ الهلاليون أعمال التخريب التى ابتدأها الخلفاء الأولون» ولكن (كاريت) هذا والعرب الذين

(1) تاريخ الجزائر للميلي الجزء الثاني ص 153 .

(2) كاريت : كاتب عسكري استعماري متعصب .

جروا مجراه فى هذا التحامل الشديد على الهلاليين ماذا يقولون فى حق الأوربيين المتمدّنين الذين قاموا بأعمال التخريب والدمار فى الحربين العالميتين عام : 1914 م – 1939 م وما بعدهما الى اليوم وما أحدثوا من هدم وتحطيم للحضارة الحديثة فى المدن العظمى من العالم ، يخربون البيوت وينزلون صواعقهم من السماء فيقتلون الرجال والنساء والصبيان على السواء ، هذا فى بلادهم ومع أقوامهم واما فى غير أوطانهم وغير شعوبهم فحدث ولا حرج عن فيتنام واليابان وغيرهما من الشعوب غير الأوروبية التى أرادوا ابادتها.

الا فليتأمل العاقل وليوازن بين مافعله هؤلاء ومازالوا يفعلونه الى اليوم،وبين ما فعله العرب الفاتحون من نشر العلوم وأسباب الثقافة الانسانية والأخذ بأسباب العمران ونشر الحضارة الاسلامية الصالحة لكل زمان ومكان.

ويكفي فى الرد على هؤلاء جميعا ماكتبه المؤرخ الأستاذ عبد الوهاب بن منصور فى كتابه (قبائل المغرب – طبعة الرباط).

قال : «وعلى الجملة فان الزحف العربي الثانى الكبير لبنى هلال على المغرب لم يكن يضارعه فى قوة فعاليته وسرعة تأثيره الا الزحف الأول الصغير الذى قام به العرب الفاتحون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كلاهما أعطى شمال افريقيا شيئا كثيرا كيّف حياة أهلها تكييفا حاسما فالزحف الأول أعطاهم العقيدة الاسلامية والثانى أعطاهم اللغة والقومية العربيــــة».

دخول الهلاليين الى الجزائــــر

تقدم العرب الهلاليون وأحلافهم نحو الجزائر ودخلوها من ثلاث جهات عام : 442 هـ – 1051 م .

الاولى: جهة السواحل حيث انتشروا على ضواحى القالة وعنابة وقسنطينة والقل الى جبال البابور.

الثانيــــة: جهة الهضاب الواقعة بين الأطلس التلي والأطلس الصحراوي.

الثالثـــة: جهة الصحراء ، و انتشروا جنوب الأوراس على قرى الزاب وانتهوا أيام الموحدين الى مزاب وجبل راشد.

«ولما ضعفت الدولة الموحدية المؤمنية ، ونشأت دولتا: بنى زيان وبنى مرين احتاجت الدولتان الى العرب لتعزيز سيادتهما ، فدخل الهلاليون وأحلافهم شمال المغرب الأوسط من عمالة وهران.

وهكذا تم للعرب استيطان الجزائر بالرهبة من سيوفهم أولا وبالرغبة فيها أخيرا.

فأقطع لهم الملوك الاقطاعات ، وأجزلوا لأمرائهم الصلات ، وتقربوا اليهم بالمصاهرات ، وأضيفت افريقيا الشمالية الى جزيرة العرب جنسيا بعد ما تبعتها دينيا وسياسيا» (1).

يقول ابن خلدون: «كانت قبيلة رياح أقوى قبائل بنى هلال وأكثرها عددا ، وكانت قيادتها بيد الذواودة أبناء ذوّاد بن رياح ، وقد تولى قيادتها أيام الموحدين رجل قوي لعب دورا هاما فى تاريخ دولة الموحدين ، ذلك هو أبو سرحان مسعود ابن سلطان بن زمام بن رُدَيْنى بن ذوّاد بن مرداس بن رياح .

وقد انتشرت بطون رياح من الجريد الى القيروان الى الزاب الى المسيلة الى ورقلة ، وَلهم إقطاعات بالحضنة ونواحى قسنطينة وبجاية .

ولقبيلة مرداس بطون كثيرة منها الذواودة أولاد ذوّاد وأولاد ضنبر بن عقيل بن مرداس ومسلم بن عقيل ورحمان وعامر بن يزيد بن مرداس ، ومن الذواودة اولاد عساكر بن سلطان وأولاد محمد بن مسعود بن سلطان وأولاد سباع يحى بن سلطان» (2).

---

(1) تاريخ الجزائر للميلي الجزء الثاني ص 150 وما بعدها.
(2) ابن خلدون: العبر الجزء السابع.

قال الميلي : «ولا يعني استيطان هذه القبائل في تلك البلاد انها عاشت في هدوء واستقرار بل بالعكس من ذلك ، كانت دائمة التنازع والتصادم في المجالين الداخلي والخارجي.

فني المجال الداخلي كثيرا ماتقع الحروب بين الهلاليين سواء بين قبيلتين متجاورتين أو أكثر لأسباب أهمها التنازع على أسباب الحياة وخاصة في المناطق الصحراوية ، أو بين أفراد القبيلة الواحدة بسبب التنازع على الرئاسة ، وينتج عن هذه الحروب ضعف قبيلة واستعلاء أخرى ، فتضطر القبيلة الضعيفة اما للجلاء الى ناحية أخرى ، واما للاحتماء بقبيلة أقوى ، فتضع القبيلة الحامية على القبيلة المحمية ضريبة معلومة سواء أكانت هذه القبيلة المحمية عربية أم بربرية ويسمون هذه الضريبة غفارة وهي غاية الشرف الحربي».

«أما في المجال الخارجي فان أحداث المنطقة التي استوطنوها بالاضافة الى طبيعتهم جعلت منهم عاملا ومؤثرا في الحروب والمعارك العديدة ، فعندما احتاجت الحكومات البربرية الى القبائل العربية ، قربت رؤساءها بالمصاهرات والمجالسات ، وأقطعتهم الأراضي ، واعتمدت عليهم في جباية الخراج وتجنيد الجند، ، وقد عرف العرب أن نعمتهم لاتدوم الا باضعاف الحكومة ، فكانوا يحدثون لها المشاكل ويدبرون عليها الثورات نابذين ما بينهم من ترات،وينقسمون على الحكومات متى تعدّدت.

وقد أصبحت الحكومات : الحفصية والمرينية كل منها تعتمد على قبائل عربية سلما .وحربا.

ولم تكن مشاغبة الهلاليين للحكومات البربرية طمعا في الملك أو طلبا للفوضى وانما كانت لحفظ حياتهم البدوية» (1).

وقد أطنب ابن خلدون في حديثه عن الذواودة لمعاصرته لهم وصلته الوثيقة بهم لفترة طويلة حيث أقام ست سنوات فيها مع عائلته وأبنائه بمدينة بسكرة تحت

(1) تاريخ الجزائر للميلي الجزء الثاني ، ص 157 .

رعايتهم ، قام خلالها بالعديد من السفارات محاولا اصلاح ذات البين بين ملك الحفصيين بتونس ، وبين الذواودة تارة ، وبينهم وبين ملوك تلمسان الزيانيين تارة أخـــرى .

وكان فى بعض الأحيان يتّصل بصديقه يعقوب بن علي الذوادى أمير قبيلة رياح لاقامة حلف بين هذه الدولة أوتلك ، وكان للذواودة نفوذ على أوطانهم يزداد قوة بضعف دولة صنهاجـــة .

الهلاليـون وعبد المؤمن بن علـــي

لماقام عبد المؤمن بن علي بفتح بجاية ، خشي العرب بقيادة رياح الهلاليين من تسلّطه عليهم والقضاء على حريتهم فحاربوه مع صنهاجة وقتلوا صهره ابن وانودين ، ثم تجمعوا بظاهر باجة ودعتهم المصلحة المشتركة الى نبذ مابينهم من خلافات والاتحاد على اخراج عبد المؤمن من البلاد قبل أن ترسخ قدمه فيها .

وحين بلغ الى (ريجار) المسيحي ملك صقلية ما بين العرب وعبد المؤمن من خلاف وعزمهم على محاربته ، بادر فأرسل يعرض عليهم انجادهم بخمسة آلاف جندي مجهزين بالخيل والعتاد الحربي ، فأجابوه شاكرين قائلين له : إنهم فى غنى عن نجدته ، إذ لا يستعان على مسلم بكافر (1) ، فهذا موقف من المواقف المجيدة التى سجلها التاريخ للهلاليين .

ومن تلك المواقف موقفهم البطولي ضد الصليبيين فى غزوة (الأراك) الكبرى عام 591 هـ – 1194 م ، بالأندلس التى كان قائد العرب فيها (جرمون بن رياح) الرياحي يتمشى بين صفوف المسلمين قبل ابتداء المعركة يحرض المؤمنين على القتال رافعا صوته بالآية الكريمة «يأأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون» (2) وبقوله تعالى : «يأأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم

---

(1) الميلي (تاريخ الجزائر) ج 2 ، ص 257 .
(2) سورة آل عمران آية 200 .

ويثبت اقدامكم» (1) ، ثم نشب القتال وكانت معركة حاسمة انتصر فيها المسلمون انتصاراً مبينا بقي حديث الكتاب والمؤرخين الى اليوم ، شارك فى هذه المعركة من جنود الأعداء ثلاثمئة ألف قتل جُلُّهم وانهزم من بقي منهم ناجيا بنفسه مخلفين وراءهم من الغنائم أكواما مثل الجبال (2) وكانت هذه المعركة فى خلافة يعقوب المنصور.

وعاد عبد المؤمن مرة أخرى عام 554 هـ من المغرب الى تونس حين فتح المهدية أحضر أمراء العرب وبالغ فى اكرامهم والرضا عنهم ثم حثهم على السمع والطاعة والسير معه للجهاد بأرض الأندلس عام 558 هـ (3).

وعند الخروج ندب عبد المؤمن العرب الهلاليين الى الجهاد معه برسالة ضمنها شعرا من نظمه يدعوهم فيها الى اللحاق به يقول فيها :

أقيموا الى العلياء هوج الرواحل	وقودوا الى الهيجاء جرد الصواهل
وقوموا لنصر الدين قومة ثائر	وشدوا على الأعداء شدة صائل
فما العز الاظهر أجرد سابح	يفوت الصّبا فى شدّه المتواصل
وأبيض مأثور كأن فرنده	على الماء منسوج وليس بسائل
بنى العمّ من عليا (هلال بن عامر)	وماجمعت من باسل وابن باسل
تعالوا فقد شدّت الى الغزو نية	عواقبها موصولة بالأوائل
هي الغزوة الغراء والموعد الذى	تنجز من بعد المدى المتطاول
بها نفتح الدّنيا ، بها نبلغ المنى	بها ينصف التحقيق من كل باطل
أهبنا بكم للخير والله حسبنا	وحسبكم والله أعدل عادل
فما همّنا إلاّ صلاح جميعكم	وتسريحكم فى ظلّ أخضر هاطل
وتسويغكم نعمى ترفّ ظلالها	عليكم بخير عاجل غير آجل
فلا تتوانوا فالبدار غنيمة	وللمدلج السّارى صفاء المناهل

---

(1) سورة محمد آية 7 .

(2) الاستقصاء فى تاريخ المغرب الاقصى وتاريخ الميلي ج 2.

(3) تاريخ الاستقصاء فى أخبار المغرب الأقصى .

وله رسالة أخرى تتضمن قصيدة من شعر أبي بكر بن الطفيل منها :

ألا فابعثوهـا همّـة عربيّـة	تحف بـأطراف القنـا والقـواضب
أفرسان (قيس) من (هلال بن عامر)	ومـا جمعت من طـاعن ومضـارب
لكم نية للمجـد شـدّوا عمادهـا	بطاعـة أمر الله من كـل جـانب
بكم نصـر الاسلام بـدءا فنصـره	عليكمْ ، عـوده جـدّ واجـب
فقوموا بمـا قـامت أوائلكم بـه	ولا تغفلـوا احيـاء تلك المنـاقب
وقـد جعـل الله النّبّي وآلـه	ومهديه منكم بلا عيـب عـائب .

قال صاحب المعجب من تاريخ المغرب «فاستجاب له جمع ضخم من بنى : هلال بن عامر» (1) .

وليس من غرضنا أن نستوعب تاريخ ومواقف بنى هلال بن عامر وأحلافهم ، فذلك ما يجده كل من يريد الاطلاع على التفاصيل بالجزء الثانى والثالث من تاريخ الجـزائـر للميلي ، وغيره من كتب التاريخ العربية والفرنسية وكتب الرحـلات.

«والحق أن القبائل العربية قد أغنت فى جهاد نصارى الأندلس غناءا لامثيل له وخففت العبء على أهل المغرب والأندلس الذين اضطلعوا به قرونا ، واننا لنجد فى المراسلات الحكومية والنصوص الأدبية الراجعة الى هذا العهد مايشهد لهؤلاء العرب الدّاخلين الى أقصى المغرب والأندلس بحسن النية وخلوص السّريرة» (2)

---

(1) تاريخ الاستقصاء فى أخبار المغرب الأقصى.

(2) قبائل العرب للأستاذ عبد الوهاب بن منصور ، الجزء 1.

شخصيات من أسلافنا إلى عهد الاحتلال

رأيت أن أعرّف ببعض الشخصيات من أسلافنا من قبيلة الذواودة الرياحيين من بني هلال بن عامر ، وأذكر بعض ما كتبه المؤرخون عن حياتهم فى شمال افريقيا كأخبار تروى وأنساب تحفظ ، وحفظ الأنساب والتعريف بها سنّة الأولين والآخرين من العرب فمنهم :

1) أبوسرحان مسعود بن سلطان :

أبو سرحان مسعود بن سلطان بن زمام(1) الذى كانت له مواقف مع ملوك الموحدين سلما وحربا تحدث عنها كثير من المؤرخين .

يقول الأستاذ الميلى : ان أبا سرحان مسعود بن سلطان وفد على السلطان يوسف بن عبد المؤمن بن علي بمراكش فى جيش عظيم من وجوه قومه لاعادة العلاقات الطبيعية بين دولة الموحدين وقبيلة الذواودة الهلاليين ، عام 577 هـ – 117 م .

ونقل الشيخ أبو العباس الغبرينى فى كتابه : (عنوان الدراية فيمن عرف من علماء بجاية) قائلا : «ومن علماء بجاية الشيخ الفقيه الجليل أبو الفضل بن

---

(1) هو جدنا السابع عشر فى سلسلة نسبنا .

محشرة محمد بن علي بن طاهر بن تميم القيسي ، له علم متّسع المدى وتخصّص ووقار متمكّن المعرفة ، حسن الشارة والصفة ، له الهمة السنية والأخلاق المرضية، استدعاه الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي الى حضرتهم بمراكش ، فاوتحل من بجاية وهو كاره لارتحاله مع علمه أنه استدعاه لمنصب يسمو به على أمثاله ، ولكن عزة العلم أغنته عن الناس فتولّى كتابة السر له ولابنه من بعده الخليفة يعقوب المنصور فأظهر مقدرة فائقة بروعة أسلوبه (1)

وقال الغبرينـــي :

«أخبرنا شيخنا الفقيه أبو محمد عبد الحق بن الربيع البجائى أن سبب استدعائه أن كاتب سر الخلفية يوسف فى ذلك الزمان توفي ، واهتم أمير المؤمنين لذلك غاية الاهتمام .

وكان مسعود بن سلطان الرياحي قد وفد على أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن من هذه البلاد ، وكانت له عنده مزية وكان يحضر معه أكثر الأوقات فى الخلوات .

قال مسعود بن سلطان : (فدخلت عليه يوما فوجدته مغتما وقد ظهر التغير على وجهه فقلت له : (يا سيدنا أمير المؤمنين ما الذى أهمكم – لاأهمكم الله – فقال لى :

(ان كاتب سرنا فلان قد مات وقد احتجنا الى من نقيمه مقامه وما وجدنا ، لأنه يحتاج فى كاتب السر أن يكون على صفة كذا وعلى نعت كذا) .

فقال مسعود بن سلطان : بشراك ياسيدنا أمير المؤمنين ، هذا الرجل ببجاية ، وهو أبو الفضل محمد بن علي بن محشرة القيسي ، ووصفه لأمير المؤمنين فكتب اليه من حينه وأمر والى بجاية أن يحتفي به ويحمله خير محمل) .

ولمّا وصل الى مراكش ومثل بين يدي الخليفة رأى من حسن سمته ووقاره ما أغناه عن اختباره ، فأكرم نزله ورفع منزلته ومحله ، ولما وقع الاطلاع على ما

---

(1) كما فى المعجب ص 149 والتكملة ج 2 ص 673 وصلة الصلة ص 145 وغيرها .

عنده من فنون العلم علم أن الكتابة التى وقع الاستدعاء بسببها انما هي بعض صفاته، واحدى آلاته وأدواته» (1) .

وهذه الحكاية تنبيء عما كان عليه مسعود بن سلطان من آراء اجتماعية وحنكة سياسية كما كان بحق فارس حروب فهو رب السيف والرأي .

أما يعقوب المنصور الذي خلف أباه يوسف بن عبد المؤمن فقد وثق صلاته الطيبة بالذّواودة بعد وفاة أبيه ودانوا له بالطاعة والولاء ، واستمرت هذه العلاقات قائمة بينهما الى حين .

ثم استقدم يعقوب المنصور الى المغرب عددًا كبيرا من رياح صحبة رئيسهم أبي سرحان مسعود بن سلطان وأقطعهم أراضي شاسعة بالبسيط المعروف بناحية الغرب قرب (سوق إربعاء الغرب) بين جبل أزغار شرقا ومدينة أصيلة غربا عام (581 هـ 1185 م) ومكث مسعود بن سلطان بهذه الناحية أربع سنوات .

وقد بقي من آثارهم ومساكنهم مكان يعرف إلى الآن (بدار الرياحي) على الضفة الشرقية من وادي سبو .

ومن الصدف الغريبة ان هذه المزرعة هى نفسها التى كان اقطعها الخليفة يعقوب المنصور ملك المغرب الى جدنا السابع عشر مسعود بن سلطان أمير الهلاليين وقد علمت بهذا حين سألت أحد العمال بالمزرعة عن الارض المجاورة لها ، فقال انها تسمى (بدار الرياحى) وهى من مساكن العرب الرياحيين فى القديم .

وفى اثناء ذلك قامت ثورة ابن غانية أحد قواد الملوك المرابطين ، واستقل بحكم جزيرة ميورقة ، ثم خرج لحرب الموحدين وتقدم فى أسطول عظيم الى بجاية وهى تحت سلطان الموحدين فاستولى عليها ثم اتجه الى قابس وهى من ممالك الموحدين فملكها .

---

1) انظر كتاب الاستقصاء فى اخبار المغرب الاقصى .

ولما علم امير رياح مسعود بن سلطان باشتعال نار الحرب بين الموحدين والمرينيين واستيلاء ابن غانية على اراضي شاسعة من شرق افريقيا كانت من املاك رياح ومجالات قومه ، انتهز هذه الفرصة فانضم الى ابن غانية ، ليجمع شمل قومه الذى شتته الملوك ، ليسترجع بحدّ السيف كل ماكان لهم من حقوق وممتلكات فى وطنهم .

ولما خرج من موضع اقامته بالمغرب الاقصى،وقطع الصحراء انضم الى ابن غانية كما قلنا وكان ثائرا فى مدينة قابس على حدود طرابلس ، فجمع قومه من الهلاليين وحلفائهم من العرب وبقي يحارب جنبا الى جنب معه حتى قتل فى بعض المعارك .

وفى سنة 1948م ، كان لعائلتنا مركز تجاري ضخم فى ساحل العاج (أبيجان) يديره خير الدين عبد الرحمن احد ابنائنا .

وفى سنة 1958م ، اثناء حرب التحرير استدعى مدير الشرطة الفرنسى بابيجان خير الدين عبد الرحمن وسأله عن قرابته لخير الدين محمد أحد المسؤولين عن الثورة فى المغرب ، فأجابه ان اسم خير الدين كثير فى الجزائر .

ومن الغد قدم الى الرباط ليخبرنى بالامر فورا ، فأمرته بالعودة وبيع السلعة والعتاد وبتحويل المال الى فرنسا ، فنفذ وجاء معه بحوالة ، بمئة وعشرين مليونا فرنك فرنسى .

وخشيت ان يستعملها فى التجارة فتضيع منه ، لهذا استشرت الاخ بومدين رئيس الولاية الخامسة واستأذنته فاشار عليّ واذن لابن اخى كتابة بشراء مزرعة تكون احفظ لمال عائلتكم .

فاستحسنت رأيه ، فأمرت ابن اخى خير الدين عبد الرحمن ، فبادر بشراء مزرعة من شركة فرنسية كائنة بسوق اربعاء الغرب (بالمغرب) .

2) محمد بن مســعــود بن سلطـــان

تولى امارة رياح بعد أبيه مسعود بن سلطان سنة : (633 هـ 1233م) فتابع سيرة أبيه فى رئاسة قبيلة الذواودة ورياح فوسّع سلطانه وانضمّت اليه بعض القبائل العربية الأخرى ، وظلّ يحارب مع ابن غانية أيضا حتى استردّ كل ماكان لقومه من مكانة بين العرب .

وكان رئيسا عظيما ، وفى هذه المعارك قتل من أفراد أسرته : ابنه عبد الله ، وابن عمه جركات بن عساكر بن سلطان ، وابن عمه الآخر أبو الشيخ بن عساكر بن سلطان (1) .

ولم يترك الحرب حتى استرجع كل ماكان لقومه الذواودة من نفوذ قبل أيام الموحّدين ، وصار يتقلّب فى الأوطان التى كانت لأسلافه بين القيروان والجريد والزّاب والحضنة ثم توفي عام : (642 هـ - 1245 م) .

3) موسى بـن محمـد بـن مسعـــود

فتولى امارة رياح والذواودة ابنه موسى بن محمد بن مسعود بن سلطان. يقول الميلي (1) :«كان موسى بن محمد عظيم الصّيت معتزّا على الدولة ، عاصر حدثا تاريخيا وقع بين أفراد دولة الحفصيين ، كان له فيه دور بارز ، ذلك أنه لما خرج الأمير أبو اسحاق الحفصي على أخيه محمد المستنصر ولم يبايعه فى البداية ولحق بالذواودة ، بايع له موسى بن محمد بن مسعود بن سلطان أمير الذواودة ورياح واعتمر ببسكـــرة وبلاد الزّاب وأناخ بكلكله ، وقام يومئذ فضل بن علي بن مزني مجدّدا له دعوته وأعلن البلاد بطاعته ، توفي موسى بن محمد بن سلطان عام : 1267 م .».

---

(1) تاريخ الجزائر للميلي ، الجزء الثاني.

4) شبل بن موسى بن محمـــد

تولى امارة الذواودة ورياح ابنه شبل بن موسى بن مسعود بن سلطان وشارك فى الأحداث التى وقعت بين المستنصر الحفصي وابن عمه أبى القاسم عبد الرحمن الحفصي فناصر شبل أبا القاسم على ابن عمه فى ثورته فاستقبله وآواه فى ديار الذواودة بناحية نقاوس .

خرج المستنصر الحفصي فى جيش عظيم قاصدًا ابن عمه أبا القاسم وحليفه شبل بن موسى فى منازل الذواودة حتى اذا بلغ المسيلة ولم يمكنه شبل من الظفربه رجع السلطان المستنصر الى تونس ، ودبّر حيلة مع عامله على مدينة بجاية لاسترضاء شبل وقومه واستقدامه الى بجايـــة لاعادة رابطة المودّة والتعاون بين الحفصيين والذواودة ، فقبل شبل دعوته ووفد عليه فى جماعة من قومه ، واستقبلهم عامل بجاية الحفصي بحفاوة بالغة تليق بمكانتهم ثم غدر بهم فقتلوا فى منزله ليلا عام 1290 م .

5) سبـــاع بن شبـــل

تولى امارة الذواودة ورياح ابنه سباع بن شبل بن موسى الذى نشأ فى كفالة عمه مولاهم بن موسى حتّى بلغ أشدّه وأمسك زمام الامارة بيده . وفى هذه الفترة قدّم له كل عون (يغمراسن) ملك تلمسان الزياني ، وأمدّ قبائل رياح بمزيد من العون والتأييد ، فجمع سباع بن شبل أمير الذواودة قومه وتمكّن من النهوض بأعباء الامارة ، واسترجع كل ماكان لهم من أوطان ونفوذ ، وأجهز على عامل الحفصيين عثمان بن محمـــد بن عتّو والى مدينة مقرة وقائد الجيش بها ، فقتله فى معركة ضارية واسترجع ولاية مقرة وولاية نقاوس (1) وضمّهما الى أملاك الذواودة كما كانت لهم من قبل ، وبذلك ملكوا أوراس وأخذوا الحضنـــة .

---

1) كلاهما اليوم من ولاية باتنة .

6) عثمــان بـن سبـــاع :

ولما توفّي سباع بن شبل بن موسى أمير رياح والذواودة عام : 1310 م تولّى أمر الذواودة ورياح ابنه عثمان بن سباع ، وفى فترة ولايته لجأ اليه أحد الثوار من أبناء الحفصيين ملوك تونس وبجاية ، فقام بالشفاعة له عند الملك الحفصي ، ولم تطل امارته على الذواودة ورياح ، حيث سلّمها إرضاء لابن عمّه كبير الذواودة فى ذلك العهد .

7) يحيى بن أحمــد بـن عمـــر :

تولّى يحيى بن أحمــد امارة الذواودة عام : 706 هـ – 1320 م ، فانتقلت امارة رياح من أبناء موسى بن محمــد بن مسعود بن سلطان إلى أبناء عمر بن محمد بن مسعود بن سلطان أبناء عمّهم ، وبقيت فى عقب أبناء عمر الى الاحتلال الفرنسي للصحراء عام : 1842 م.

شيخ السّنّــة سعــادة الرياحـــي

وفى عهد امارة يحيى بن أحمــد بن عمر ، ظهرت حركة الاصلاح الديني والدعوة الى السنة المحمدية ومحاربة الظلم والطغيان ، وانتشرت بين صفوف قبائل بنى هلال ، هذه الحركة الشريفة فصادفت ابّان ظهورها ماعرف عن يحيى بن أحمــد من ميل للدين والخير وعزوف عن الشر والظلم ، قال الميلي رحمــه الله وطيّب ثراه :

«كان القرن السابع الهجري الذى سقطت فيه الدولة المؤمنية بدء انحطاط عام لكثرة الملوك وتزاحمهم وتحاربهم على الملك ، فوجدت الرعايا سبيلا الى الفوضى ، ووجد الولاة سبيلا الى الجور ، وفشت المنكرات وأخيفت الطرقات .

«وفى أوائل القرن الثامن الهجري ، ظهر من رياح ثم من قبيلة رحمان رجل يدعى : سعادة كانت أمه من الصالحات ، ونشأهو على العبادة والزهد ، وارتحل إلى المغرب فصحب أبا اسحاق التّسولى شيخ الفقهاء والصالحين يومئذ ، وعاد الى

قومه بفقه صحيح وورع وافر ، ونزل "طولقة" من مواطن رياح ، وانذر عشيرته من رحمان ، وبثّ دعوته فأجابه خلق كثير فى"الزّاب" ووادى "ريغ" وكثير من البلدان ، فلقّبهم بالسّنيــة .

«ومن مشاهير مريديه من أولاد مسعود بن سلطان ، أمير الذواودة يحيى بن أحمد ابن عمر بن محمــد بن مسعود بن سلطان . ومن رؤساء رياح : عطية بن سليمان ، وحسن بن سلامة من أولاد طلحة بن يحيى بن دريد ، ومن أولادعساكر : عيسى بن يحيى بن ادريس....

«استظهر سعادة بهؤلاء وأتباعهم على تأمين السبل ، وتغيير المنكر ، واحياء السنة ، ودعا منصور بن مزني أمير الزاب (من قبل الحفصيين) الى اعفاء الرعية من المغرم والمكس وسائر الظلامات ، فَهَمَّ بقتله ، فحال دونه مريدوه ، وبايعوه على اقامة السنة والموت دونه....

«ثم خشي سعادة من الاقامة بطولقة فأقام زاوية ببلدة فرفار (1) مقر مريده القوي يحيى بن أحمد أمير الذواودة وقائد جيش السنة . وقد بقي اسم الزاوية وآثارها الى الآن قرب منابع (عين الجمل) التى فجر ماءها حسب رواية عبد الرحمن ابن خلدون ، يعقوب بن علي بن أحمد الذّوادي أمير رياح .

«وفى عام : 703 و 704 هـ زحف سعادة بجيش السنة على بسكرة مرتين وحاصر أميرها منصور بن مزنى ، وفى كل مرة يطيل الحصار عليه بقصد ردعه عن الظلم واتّباع سبل الخير والعــدل (2)

---

(1) هذه البلدة متصلة ببلدة الزعاطشة من واحات الزيبان التى قامت فيها المعركة التارخية الهائلة بين الأهالى وجيش الأحتلال الفرنسي وقتل فيها الرائد دوسان جرمان بأيدى المجاهدين سنة 1849 م .

(2) راجع تاريخ الميلي ج 2 ص 289 .

قائد أهل السّنّة أبو يحيى بن احمد

«انحدرت رياح الى مشاتيها بالصحراء عام : 706 هـ وبقي سعادة فى قلة من مريديه ، ومع ذلك حاصر مليلى من أعمال بسكرة،فصبّحه منصور بن مزنى فى جند الدولة ، وبعد جولة استشهد سعادة ونعي الى السّنية بمشاتيهم فى الصحراء ، فصعدوا الى الزّاب تحت قيادة أمير الذواودة وقائد جيش السنة يحيى بن أحمد فزحفوا على بسكرة مرارا وقطعوا نخيلها وأحرقوا أملاك الدولة ، فصرخ منصور بن مزنى فى أوليائه وعقد على جند الدولة لابنه علي بن مزنى،وانحاز اليه بعض أوليائه من العرب ، وكانت معركة عام : 713 هـ قتل فيها ابنه علي بن مزنى ، وأسر فيها علي بن أحمد ثم أطلق سراحه رعيا لمقام أخيه يحيى بن أحمد ، وعظم أمر السُنية بعد هذا الانتصار» .

ومن أراد زيادة البيان فليراجع الجزء السابع من كتاب العبر لابن خلدون والجزء الثانى من تاريخ الجزائر للميلى ص 290 .

وبهذه المناسبة نشير الى أنه فى سنة : 1928 م زار وفد من العلماء وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس بلدة فرفار ، وتلك أول مرة يقوم فيها وفد العلماء المصلحين بالزيارةالى الزيبان للارشاد والدعوة للاصلاح ، فنزل ضيفًا عزيزا بدارنا فى بلدة فرفار ، وألقى أعضاء الوفد دوروس وعظ وارشاد ونصائح دينية فى المسجد ، ثم تلاحقت الزيارات بعد ذلك لنشر الاصلاح ومحاربة البدع والضلالات مما جعل السلطة الاستعمارية الفرنسية تضطهد أنصار السنة فى هذه البقاع ، كما فعل أمراء بنى مزنى عمال الملوك الحفصيين فى هذه المنطقة بالذات مع المصلح سعادة شيخ السنة وقائد جيشه أخى جدنا الأعلى يحيى بن أحمد أمير الذوواودة ، والتاريخ يعيد نفسه.

واصل يحيى بن أحمد قائد السنية وأمير الذواودة ورياح جهاده ، على رأس جند السنية الى أن توفي فى أوائل القرن الثامن ، رحمه الله ، ودفن فى المسجد الجامع الذى يحمل اسمه الآن ببلدة فرفار ، ويسميه عامة الناس اليوم جامع سيدى يحيى بن أحمد (1) ولقد كنت فى أوائل نشأتى أشاهد الزائرين يدخلون ضريحه داخل الجامع يستشفعون ويتقرّبون به الى الله لشفاء مرضاهم وقضاء حاجاتهم .

ولما توفي الأمير يحيى بن أحمد بن عمر بن محمد بن مسعود عام : 1329 م خلفه أخوهُ .

8) علي بن أحمد بن عمر

تولى إمارة الذواودة ورياح جدنا علي بن أحمد بن عمر بن محمد بن مسعود بن سلطان ، قال الميلي : «إنه كان من أعظم رؤساء الذواودة ذاشخصية بارزة وحزم وأناة يتحدث الناس خلفا عن سلف بسعيه لاصلاح ذات البين بين الناس وجمع كلمة قومه والحفاظ على قوتهم وتعزيز مكانتهم» توفي عام:1347 م .

9) يعقوب بن علي بن أحمد

تولى امارة الذواودة ورياح ومن تبعهم من بطون بنى هلال ابنه يعقوب بن علي ابن أحمد بن عمر بن مسعود بن سلطان ، يحدثنا عنه الأستاذ مبارك الميلى فيقول:

(1) هذا المسجد العتيق بناه أوائلنا بجانب دار جدنا سليمان بن علي بن أحمد ، وقدموا للامامة فيه الفقيه أبا عبد الله محمد بن الأزرق من فقهاء مقرة أتوا به من برج بن عزوز القريب من طولقة ، وهو من أتباع سعادة وأسكنوه دارًا ملاصقة للجامع ، وبقي أبناؤه لهذا العهد يدعون أولاد الفقيه .

«كان يعقوب بن علي بن أحمد أعظم أمراء رياح من سبقه منهم ومن لحقه ، له ولوع بالفلاحة والعمران ، اختطّ قرية فرفار تخطيطا جديدا فوسّع الأراضي الفلاحية بها ، وفجّر فيها العيون ، ونزل عليه بها المؤرخ الكبير عبد الرحمن بن خلدون بمناسبة وفادته على سلطان تونس أبى العباس الحفصي عام : (780 هـ) ، وله أملاك بواحات الزيبان ونقاوس والصحراء والتل ، ولرغبته فى السلم نجدُهُ كثيراً مايصلح بين أمراء الحفصيين أنفسهم أوبينهم وبين الرعايا ، ومن أمثلة ذلك أنه عندما ثار الأمير أبو يحيى زكرياء الحفصي على أخيه عام : (759 هـ) وفشل فى ثورته لجأ الى يعقوب فأكرمه وزوّجه ابنة أخيه سعيد» (1) .

قال ابن خلدون : «كان يعقوب بن علي بن أحمد أمير الذواودة ورياح هو أبرز شخصية فى قبائل رياح الهلاليين فشارك فى كثير من الأحداث السياسية والوقائع الحربية التى دارت فى القرن الثامن الهجرى ، وقد عمّر طويلا ومات عام : 790 هـ 1390 م فى دياره بنقاوس وحمل الى بسكرة فدفن بجوار الامام أبى الفضل البسكرى» .

وقد عرف يعقوب بن علي بمواقف النجدة والشهامة ، ومما يذكر عنه ابن خلدون ، أنه كان من عادة أبى الحسن المرينى ملك المغرب أن يستقبل فى نهاية كل سنة عماله من الأقاليم المغربية ، وكان هؤلاء بهذه المناسبة يدفعون اليه ضرائب المراكز التى تخضع لأوامرهم وفى سنة : (1348 م) توجهوا من كلّ جهة قاصدين سلطانهم أبا الحسن فى تونس ، وحين وصلوا الى قسنطينة صادف أن وجدوا ابن مزنى عامل بسكرة ، وهناك فوجئوا بخبر نكبة السلطان أبى الحسن فى القيروان وثورة العرب عليه بها . وكان من بين العمال المسافرين اليه الأمير تاشفين بن أبى الحسن الذى كان أسيراً عند ملك الاسبان فأفرج عنه بعد الصلح بين الدولتين الاسبانية والمغربية وأوفد معه وفدا من أشراف المسيحيين لمرافقته الى تونس حيث يقيم أبـوه .

ولما انتشر الخبر عن نكبة القيروان فى مدينة قسنطينة وقع اضطراب غير عادى وهبّ السكان فى قسنطينة لنهب الأموال التى كان يحملها العمال المسافرون الى أبى

(1) راجع تاريخ الميلي ج 2 ص 287 و 288 .

الحسن ملكهم ، فقتل فى هذه الظروف موظفون سامون ، أما الباقون مع ابن السلطان أبي الحسن والسفراء الاسبان فقد تمكنوا من الدخول تحت حماية القائد الذوّادى يعقوب بن علي (1) الذى توجه بهم الى بسكرة حيث أكرمهم أمير بسكرة ابن مزني وآواهم حتى أتت الفرصة ، ورافقهم يعقوب بن علي تحت حمايته إلى تونس، ثم أرجعهم إل المغرب فى حمايته كذلك .

يذكر ابن خلدون أن يعقوب بن علي كان وفيا فى مناصرة السلطان أبي الحسن المرينى ففى الحديث عن ثورة أهل بجاية عام : 754 هـ أنه لما بلغ الخبر السلطان أبى الحسن عن هذه الثورة أمر حاجبه بالنهوض الى بجاية فتقدم اليها وقبض على الثائر ، فسكن الناس وتوافدت وفود الذواودة من كل جهة فأجزل صلاتهم ، واقتضى الطاعة منهم ، ووصل عامل بسكرة بن مزنى ، وارتحل السلطان الى تلمسان ، وأَغَـذَّ السير بمن معه من الوفود .

ويقول ابن خلدون : «وكنت فى جملتهم يومئذ وقد خلع علي وحملنى وأجزل صلتى وضرب لى الفساطيط فوفدت فى ركاب وفد تلمسان أول جمادى الأخيرة عام : 754 هـ فجلس السلطان للوفود واعترض ماجلب له من الجياد العربية المهداة له . وكان يوما مشهودا ثم أسنى السلطان جوائز الوفود واختص يوسف بن مزنى ويعقوب بن علي بمزيد من البر والصلة» (2)

وكان يعقوب بن علي وقومه الى جانب أبى الحسن المرينى فى اخماد الفتن والثورات التى قامت فى دولته .

ولم تكن سياسة يعقوب بن علي منحازة دائما لدولة من الدول التى عاصرها ، فبينما كان هو وقومه فى صفوف السلطان أبى الحسن يناصره ضد الخارجين على

---

(1) في تاريخ جنوب قسنطينة (لشارل فيرو) أن علي بن فرحات بن سعيّد الذواودى ذهب الى باريس سنة : 1860 م ضيفا على فرنسا وأثناء رجوعه مرّ على عاصمة الاسبان ، فاستضافه ملك اسبانيا واقام له حفلا فى قصره وعلق على صدره نيشانًا قائلا : (هذا اعتراف بالجميل لما قام به جدك يعقوب بن علي فى حمايته للوفد الاسباني حيث كان فى طريقه من قسنطينة الى الملك أبي الحسن بتونس).

(2) تاريخ العبر ج 7.

دولته تراد بعد وفاة ابي الحسن لايستمر طويلا فى ولائه لولده أبى عنان،لأنّ أبا عنان ابن ابي الحسن اراد أن يحد من نفوذهم على أوطانهم ، وطلب منهم ارتهان أبنائهم عنده ، بل ينحاز تارة مع الحفصيين وأخرى مع بعض الولاة الخارجين عن الحفصيين،ثم لا يلبث يعقوب أن يتخلّى تماما عن نصرة بنى مرين وينضم الى صفوف الحفصيين ويتصاهر معهم.

كان يعقوب بن علي حليفا للملوك الحفصيين وصديقا لهم ، ثم تعزّزت هذه الصّداقة بالمصاهرة التى انعقدت بين يعقوب بن علي وأبى زكريا الحفصى حين زوّج يعقوب ابنة اخيه سعيد الى أبى زكريا يحيى الحفصي ، كما كان حليفا وصديقا لابن مزنى وصهرا له حيث كان يعقوب بن علي زوجا لأخت بن مزنى ، فلما نشب خلاف بين الملك الحفصي وعامله ابن مزنى لامتناع هذا العامل عن دفع الضرائب وقطع صلته بالدولة الحفصية ، وجد يعقوب بن علي نفسه بين صديقين وصهرين ، فكل منهما يطلب عونه ضدخصمه ، ولم يلبث ملك الحفصيين أن بعث بجيشه الى بلدة (تهودة) قرب (بسكـرة) عاصمة امارة ابن مزنى وقاعدة الزيبان ، وطلب من يعقوب بن علي معاونته على حرب ابن مزني فعالج الأمر بما عرف عنه من ذكاء ودهاء . تظاهر للحفصيين برغبته فى معاونتهم ، ولكنه كان يتعلّل بأن قومه منحازون الى ابن مزنى ، وبذلك أقنع يعقوب الحفصيين بوضع أوزار الحرب وقبولهم طاعة ابن مزنى (1) .

وقد ذكر ابن خلدون عدة أحداث عاصرها وقام فيها بالصلح والوساطة بين يعقوب بن علي وبني مزنى ، وبين يعقوب وبنى زيان ، وكانت آخر وساطة له تلك التى عرض فيها ابن خلدون على يعقوب أن يقف الى جانب المرينيين ضد بنى حفص فردّ عليه يعقوب بقوله : إن سنّـى تقدّمت وقدعزمت على الحج الى بيت الله الحرام ولم تبق لى رغبة فى هذا الأمر .

واستمرّت علاقة ابن خلدون بصديقه يعقوب بن علي وطيدة قوية فنزل عليه ضيفا أثناء رحلته الأخيرة الى تونـــس .

---

(1) تاريخ بن خلـــدون .

قال ابن خلدون (1) : إنه لما عزم على الرجوع الى تونس للمقام فى موطن مرباه ومدفن آبائه ، بعد أن أقام فى جبل بنى راشد أربع سنين فى ضيافة أولاد عريف الذين أعدّوا له النزل فى قلعة بنى سلامة معتكفا على كتابة مقدمة تاريخه ، وبعد أن أتمّها ارتحل صحبة قافلة من رياح راجعة من منداس (قرب الونشريس) الى موطن رياح ، فنزل فى (فرفار) القرية التى اختطّها يعقوب بن علي واتّخذ منها مشتى له ولقومه .

ثم قال : «فوجدت بها قوم يعقوب بن علي من قبيلة الذواودة فارتحلوا معى الى أن نزلنا على يعقوب بن علي وقومه فى مصائفهم بضواحى قسنطينة ، فجهزه ثم سافر الى تونس فى خفارة رجاله تحت قيادة ابن أخيه معتوق بن أبى دينار سليمان بن علي ابن أحمد شقيق يعقوب بن علي بن أحمد أمير الذواودة» وهذا القائد الذى صحب ابن خلدون فى آخر رحلة له من افريقيا الى تونس هو جدّنا التاسع معتوق بن أبى دينار سليمان بن علي ، وكان آخر منزل نزله فى هذا الوطن هو منزلنا . وتلك مكرمة تاريخية نعتزّ بها ونذكرها لأسلافنا - رحمهم الله تعالى - ونذكّر بها أحفادنـــا .

10) أبو دينـــار سليمان بن علي

ومن الشخصيات البارزة فى أسرتنا جدنا العاشر أبو دينار سليمان بن علي بن أحمد ابن عمر بن محمد بن أبى سرحان مسعود بن سلطان .

قال ابن خلدون : «أبو دينار سليمان بن علي بن أحمد هو شقيق يعقوب بن علي بن أحمد ورديفه وقائد جيش رياح أيام الحفصيين والزيانيين والمرينيين (2) حوالى عام : 770 هـ ، وقال أيضا : كان أبو الحسن المريني ملك المغرب قد جمع الأقطار الثلاثة : المغرب الأقصى ، والمغرب الأوسط ، والمغرب الأدنى (المغرب والجزائر وتونس) تحت سلطان بنى مرين ، وأقام أربع سنوات بتونس ينظم هذه الأقطار ويوطّد أركان سلطته ، فثقل حكمه على عرب بنى سليم المتواجدين فى جنوب تونس وعدوا حكمه اعتداء على حرياتهم وتسلطا على رقابهم ، فتحالفوا مع بعض قادة الحفصيين الذين

---

(1) حياة ابن خلدون ورحلته شرقا وغربا .

(2) لم يتول امارة رياح لأنه توفي قبل يعقوب بن علي بأربعة عشر عاما .

أبعدهم أبو الحسن عن الملك الذى هو حق لآبائهم فتآمروا عليه حتى ألحقوا به الهزيمة ، وشاعت الأخبار بموته فلما بلغ نبأ وفاته الى ابنه وولي عهده أبى عنان بن أبى الحسن جدّد البيعة لنفسه خلفا لأبيه .

أما الملك أبو الحسن فقدجمع أهله وحاشيته وغادر تونس عائدًا الى المغرب على ظهر أسطوله ، ذلك الأسطول الذى صادفه هيجان بحري وعواصف هوجاء فغرق معظم أسطوله قرب مدينة (دلّس) حين جنحت به سفينته فرمته على الشاطئ قرب مدينة الجزائر .

فلمّا بلغ الخبر الى حلفائه من قبيلة الذواودة أسرع الى نجدته قائدهم جدنا أبو دينار سليمان بن أحمد فى جيش قوي من رياح ، وظلّ مرافقا له الى أن أوصله مراكش عبر الصحـــراء .

أما ولي عهده ابنه أبو عنان فقد جهز جيشا لمحاربة أبيه ومنعه من الرجوع الى ملكه ، فكانت الحرب بين أبي الحسن وابنه أبى عنان وكان اللقاء بمكان يدعى (تمدغيست) بوادى (أم الربيع) غير بعيد عن مراكش حيث اختلت مصاف السلطان أبى الحسن وأحاطت به أبطال بنى مرين الموالون لابنه أبى عنان ، فكبا به فرسه وسقط على الأرض وفرسان ابنه تحوم حوله . فاعترضهم دونه أبو دينار سليمان ابن علي الذوادي قائد رياح ، ودافع عنه حتى ركب فرسه وسار وراءه رِدْءًا له الى أن أوصله لمكان اقامته بجبل هنتاتة قرب مرّاكش .

ثم مالبث أبو الحسن أن توفي اثر مرض ألمّ به فرفع أولياؤه جنازته الى ابنه أبى عنان فى معسكره بمراكش ، فتلقى أباه عاري الرأس حافي القدمين ثم قبّل أعواد محمله واسترجع ورضي عن أولياء أبيه وخاصته ، ومن أخصهم أبو دينار سليمان بن علي وأنزلهم بالمحل الذى رضوه من دولته ، ووارى أباه بمراكش الى أن نقله الى مقبرة سلفهم بالرباط .

ولقي ملك المغرب أبو عنان أبا دينار سليمان بن علي وقومه بالقبول والكرامة وأحله محل الرحب والسعة ، وأسنى جائزته وخلع عليه وعلى رجاله . وتوفي بواحات

الزيبان جدنا أبو دينار عام : 776 هـ ، كما توفي يعقوب بن علي بعد رجوعه من الحج عام : 790 هـ في نقاوس، فرفع قومه جثمانه الى بسكـرة حيث دفن بها بجوار العالم أبي الفضل البسكـري .

11) محمـد بن يعقـوب بن علـي

وتولى امارة الذواودة ورياح بعد يعقوب بن علي ابنه محمـد بن يعقوب بن علي ابن أحمـد ، فواصل الحرب القائمة بين ابراهيم الحفصي والى قسنطينة ، وكلّما طالت الحرب ازدادت ضراوة واتسع نطاقها .

ولقد حاول الأمير الحفصي أن يصلح الأمر بينه وبين الذواودة وحلفائهم من العرب ، فاستجاب له أبو ستة بن عمر بن أخي يعقوب بن علي ، في حين انحاز أخوه صميت بن عمر الى ابن عمه الأمير محـمد بن يعقوب ، وفي هذه المعارك قتل أبو ستة ابن عمر وتوفي الأمير ابراهيم الحفصي أمير قسنطينـة .

وفي سنة : 792 هـ ، جمع محمـد بن يعقوب أمير رياح والذواودة رجاله ولحق بضواحي قسنطينة ، ووضع معسكره بالقرب منها معلنا أنه مستعد لانهاء الحرب ، ثم حثّ الفلاحين على خدمة أراضيهم ، وضمن للمسافرين الأمن والاطمئنان ، فاستتبّ السلم وعمّ الهناء سائر البـلاد .

12) عيسى بن محمـد بن يعقـوب

توفي محمـد بن يعقوب بن علي أمير رياح عام : 1435 م ، فخلفه ابنه عيسى بن محمـد بن يعقوب بن علي ، فتولّى امارة الذواودة ورياح ، وفي أيامه ثار أبو يحيى زكرياء الحفصي على ابن أخيه المستنصر ، وبعد حرب وعراك استمرّا بينهما فترة من الزمن انتهى الأمر بهزيمة أبي يحيى وفراره الى الذواودة ، فأجاره أمير الذواودة عيسى بن محمـد بن يعقوب الذي حمله معه الى الملك المستنصر بتونس شفيعا فيه ومجيرا له ، فقبل شفاعته وجواره وعفا عنه ، وبقي بتونس عند ابن أخيه الملك المستنصر الحفصي ، وتوفي عيسى بن محمـد بن يعقوب عام 1481 م .

13) السخري بن عيسى بن يعقـــوب

خلفه ابنه السخري بن عيسى بن محمـد ، وقد امتدّت سلطته على سكان البوادى المنتشرين فيما بين قسنطينة وورقلة وعلى بلاد (فرجيوة) و(مجانة) الى المسيلة والأغواط .

وكانت دائرته وزمالته تقيم معه شتاء بالزيبان وما حولها من مراع متّسعة فى الجنوب على جانبي وادى جدى ، وتنتقل معه صيفا الى الشمال حيث تقيم بمصيفه قرب منابع وادى الرمال التى تنبع فى سهول "البلاّعة" المجاورة لقبيلة أولاد عبد النور ، وقد بقيت آثارها معروفة الـــى الآن .

هذا المصيف والمساكن المجاورة له وأراضى الزمالة الملحقة به والماء الذى ينبع منها وما حولها كلها أراضى زراعية جيدة كانت لهم ثم صارت فى العهد الفرنسي ملكا لمعمّـر فرنسي يدعى "بورجـــو" .

ولهذه الذكريات أقدمنا على شراء هذه المزرعة عام : 1939 م اثر اندلاع الحرب العالمية الثانية لنسترجع بعض ما كان لأسلافنا ، فنسكن فى المساكن التى كانوا يسكنونها ونشرب من مياههم التى كانوا ينهلون منهـــا .

وفى عهد السخري دخل الجيش التركي بقيادة "بربروس" خير الدين باشا البلاد التونسية بعد طرد الاسبان منها عام : 936 هـ 1529 م ، وأصدر مرسوما عاما ، دعا فيه كافة أئمة المساجد فى الأوطان التى تحت سلطته أن يقيموا الدّعاء فى خطبهم أثناء صلاة الجمعة فى المساجد لخليفة المسلمين السلطان سليم العثماني كما جرت العادة فى كافة البلاد الاسلامية ، كما وجه نداء آخر باسم السلطان سليم الى كافة القبائل العربية من رياح وبنى هلال فى مواطنهم بالجزائر يدعوهم الى طاعة خليفة المسلمين باسطنبول والانظواء تحت لوائه ، فأجابه العرب بالقبول مشترطين :

أولا : عدم المساس بما تحت أيديهم من الحقوق والامتيازات التى مكنتهم منها الحكومات الاسلامية السابقة من يوم دخولهم افريقيا عام : 440 هـ إلى هذا العهد .

ثانيـــا : احترام اختيارهم بأنفسهم أمراءهم ورؤساءهم واحترام كل ما درجوا عليه من نظمهم القبلية ، فقبل خير الدين باشا شروطهم وأقرهم عليها .

ثم أصدر أمرا آخر يلزم بموجبه أن يعين أمير الذواودة فى المستقبل من طرف باشا الجزائر العثماني بعد اتفاق القبيلة على اختياره ، يطلق عليه لقب (شيخ العرب) بدل (الأمير) ، ويخلع عليه لباسا شرفيا مميزا يدعى "القفطان" ، ويتم هذا الاجراء فى احتفال رسمي ترفع فيه الأعلام التركية وتصدح الموسيقى العسكرية وتدق فيه الطبول أمام الجماهير على غرار ما يقع عند ما ينصب بايات العمالات فى وطن الجزائر ، وهذه الإجراءات كلها تشير الى المكانة التى كان يتمتع بها الذواودة رؤساء رياح فى العهد التركـــي .

توفى الأمير السخري بن عيسي بن يعقوب عام : 1541 م .

14) شيخ العـــرب الأول

تولى (شيخ العرب الأول) علي أبو عكاز بن السخري الذوا دي الرياحي سنة : 1541 م وكانت بداية ولايته فترة انتقال من الحكم الحفصي الى الحكم التركي ، وأثناء هذه الفترة نزل الأسبان الغزاة فى بعض شواطئى الجزائر ، فكان من الضروري أن تنشب الحرب بين الجزائر التركية والأسبان المغيرين ، تلك الحرب المزمنة التى امتدت طيلة ثلاثمائة عام ، ولم تنته الابعد طرد الأسبان وحلفائهم الصليبيين من المرسى الكبير بوهران عام : 1792 م .

هذا الوضع الجديد الذى وجد (شيخ العرب) علي أبو عكاز نفسه فيه عند بداية ولايته ، يتطلب جهودا مكثّفة وارادة قويّة يستطيع القائد الذوادي بها المحافظة على الوطن والمواطنيـــن .

وفي سنة 1541 م استدعي أمير الذواودة ورياح علي أبو عكاز بن السخري الى قسنطينة من طرف باي قسنطينة التركي ، وتنفيذًا للاتفاقية التى أبرمت بين الذواودة والأتراك تقلّد منصب (شيخ العرب) هذا اللقب الجديد الرسمي ، وألغي

لقب (إمارة العرب) الذى كان معمولا به من يوم دخول الهلاليين افريقيا الى العهد التركي عام 936 هـ - 1592 م (1).

وكان من أوائل الأعمال االتى قام بها شيخ العرب فيما يتصل بعلاقته الجديدة مع الأتراك ، حمايته البعثة التركية التى دخلت الى قسنطينة على طريق عنابة بعد مغادرة الأمير الحفصي لهذه المدينة ورجوعه الى تونس ، وكان عدد أفرادها مائتين من الجنود والضباط الأتراك ، ثم سافرت بعثة أخرى من الضباط الأتراك مرتين تحت حماية (شيخ العرب) ، المرة الأولى الى بسكـــرة سنة 1550 م ، والمرة الثانية الى تقرت وورقلة سنة 1552 م .

توفي (شيخ العرب) علي أبو عكاز بن السخري بن عيسى بن محمـــد بن يعقـوب سنة 1581 م ودفن فى مقبرة سيدى المسعود المعروفة بمدينة (العلمة) وضريحه قائم الآن بهذه المقبرة على طريق العلمة وفرجيوة وعلى مسافة ميل من مصيف السخري (بالبلاّعة) الذى أشرنا اليه عند كلا منا على مصايف الأمير السخري .

15) أحمـــد بن علي بوعكـــاز بن السخري

قال الرائد شارل فيرو : «وفى سنة 1581 م ، خلفه أحمد بن علي أبو عكاز ، وكان يتمتّع بشخصية قوية وشجاعة غير عادية ، وكانت امارته تعتمد على جيش متفوق من الفرسان والمشاة ، وكانت قبيلة الذواودة تشرف على اقليم قسنطينة كله شماله وجنوبه ، وكان قوّاد الذواودة فى هذا العصر تحت قيادته ، وهم أولاد عيسى بن محمـــد بن مسعود بن سلطان ، وأولاد صولة بن محمـــد بن مسعود بن سلطان ، وأولاد السبع (2) بن شبل بن موس بن محمـــد بن مسعود بن سلطان (3) وكانت قبيلة الذواودة تتمتع بسمعة حميدة فى البلاد كلها (4).

---

(1) تاريخ جنوب عمالة قسنطينة (لشارل فيرو) .

(2) أولاد السّبع بن شبل يعرفون اليوم بأولاد سباع بن عمر بولاية المسيلة المعروفة من مجالاتهم في قديم الزمان .

(3) تاريخ جنوب عمالة قسنطينة (شارل فيرو) .

(4) المرجـــع السّابق .

ويقينا أن خلق الكرم وحفظ الجار وحماية المستجير الممتدّة جذورها فى أعماق هذه الأمة العربية هي التى مكنت العرب من قيادة جحافل بنى هلال أثناء زحفهم على افريقيا ، وضمنت لهم البقاء والاحترام فى خضم الصراعات التى وجدوها أمامهم بين قادتها وملوكها وبين رعاياهم زهاء ألف عام من يوم دخولهم أرض افريقيا الى أن احتلّت فرنسا الجزائر والصحــراء .

عاصر (شيخ العرب) أحمد بن علي بوعكاز بن السخري الحرب التى خاضها الأتراك والجزائريون ضد الغزاة الأسبان وأعوانهم من الصليبيين سنة 1581 م وشارك الذواودة فى هذه الحرب بجيشين عظيمين :

أحدها رابط شرقي مدينة الجزائر وبقيت من هذا الجيش قبيلة تعرف الآن باسم السخارة على مقربة من بلدة (برج منايل) ، وهي لهذا الوقت تعيش فى هذا المكان محافظة على شخصيتها وعاداتها الموروثة وأسلوب حياتها .

وثانيهما الجيش الذى شارك فى الدفاع عن مدينة الجزائر من الجهة الغربية ، وقد بقيت منه طائفة مغمورة تعرف الآن باسم الذواودة وهي قرية تحمل اسم قبيلتهم (الذواودة) ، تقع على بعد عشرين ميلا من عاصمة الجزائر غربا .

وكان جيش الذواودة المحارب فى ذلك الوقت تحت قيادة جدنا الحاج آمحّد بن محمـــد بن سليان بن محّان (بتضعيف الحاء) بن سليان بن الصغير بن معتوق بن أبي دينار سليان بن علي بن أحمـــد .

ومما نقل عن أوائلنا أن الحاج امحّد هذا سمّى ابنه البكر الوحيد (1) باسم (خير الدّين) قائد الأتراك تيمّنا باسمه ، ومراعاة لصلة الجهاد التى كانت تربط أوائله بالقائد العظيم خير الدين بربروس الذى أنقذ الجزائر المسلمة من الاستعمار الاسباني الذى كان محققا لولا عون الله ولطفه ووقوف الشعب الجزائري بجانبه صفا واحدا كالبنيان يشدّ بعضه بعضا .

---

(1) هو جدنا الثانى الذى اغتاله الفرنسيون بعد أيام من اغتيالهم لابن عمه فرحات بن سعيّد خليفة الأمير عبد القادر سنة 1842 م ، أنظر صفحة 56 من هذه المذكرات .

وينبغى أن أشير هنا وأنا بصدد الكلام عن شيخ العرب أحمد بن علي أبى عكاز بن السخري الى ماكتبه الرائد والترجمان (شارل فيرو) الذى كان مكلفا بمسح الأراضى فى عمالة قسنطينة وتحديد الأملاك فيها سنة 1860 م .

قال : سمحت لى ظروف مهنتى كمكلف بتحديد الملكيات العقارية بعمالة قسنطينة أن أدرس مطالب كانت سببا فى اطلاعى على وثائق أسرة دينية تدعى اولاد ابن العزّام المعروفة ، تعاصر أيام العظمة الذوادية ، كانت تسكن بزاويتها على بعد أربعين ميلا من قسنطينة ، وكانت احدى هذه الوثائق مؤرخة عام 1005 هـ - 1600 م .

تأمر هذه الوثيقة قواد نقاوس وديرة وبسكـــرة والمسيلـة بأن يحترموا فى معاملاتهم اولاد ابن العزّام حاملى هذه الوثيقـــــة (1) ، بامضاء : أحمد بن علي بوعكاز بن السخـــري .

وعثرنا على وثيقة أخرى بتاريخ : 1004 هـ - 1599 م ممضاة من طرف السيد سليمان بن الحدّاد من عائلة المرابطين أصحاب زاوية الشيخ ابن الحدّاد المعروفة بناحية مجّانة أمضاها نيابة عن شيخ العرب أحمد بن علي بوعكاز ، لأن سليمان بن الحدّاد كان نائبا عنه فى هذه الناحية من البلاد ، يأمر فيها كافة العمال بدائرة مجّانة وما جاورها بحماية أولاد ابن العزّام المرابطين .

وينبغي أن أشير بهذه المناسبة الى سنة 1934 م اثر نشاط مكثف لحركة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وقد كنت - وأنا أحد أعضائها المؤسسين - مراقبا من طرف قلم الاستعلامات الفرنســى كسائر اخوانى العلماء ،   كنت قد أقمت حفلا ضخما فى منزلى بمدينة بسكــرة ، وكان الغرض منه تأسيس "الجمعية الخيرية" لتعليم الدّين والعربية . وفى اليوم التالى لاقامة الحفل استدعانى رئيس الشرطة ببسكــرة وأبلغنى أمرا من عامل عمالة قسنطينة بنفيي الى بلـدة "مجّـانـة" بـدائرة برج بوعريريـــج ، ثم نقلت تحت الحراسة ليلا فوصلتها صباحا . ولمّا انتشر الخبر أسرع لزيارتى السيــد الحوّاس بن شنّاف النائب والعضو فى جمعية النواب المسلمين لعمالة

(1) تاريخ عمالة قسنطينة ، شارل فيرو .

قسنطينة ، وزارنى المرحوم الشاب المثقّف السيد مصباح الصديق الذى تولى قضاء المالكية فى العاصمة بعد الاستقلال ، ومعه بعض الطلبة الذين درسوا على العلامة الامام الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله ورضي عنه .

وممّن زارنى فى مجّانة نائب رئيس جمعية العلماء وقتها الأستاذ الجليل الشيخ البشير الابراهيمـــي .

وكان بعض الشيوخ المسنّين فى مجّانة يجلسون ويقصّون أنباء ماضيهم ويتحدثون عن أحداث ثورة المقرانى والشيخ ابن الحدّاد رحمهما الله تعالى وأضفى عليهما أجر المجاهدين .

وكانوا يتحدّثون عن أمراء الذواودة أولاد السخرى الذين حكموا البلاد ، وعن آثار مساكنهم الصيفية عند ما ينتقلون من مشاتيهم الصحراوية الى مصائفهم فى التّل ، ومنها مكان يسمىّ الآن "ذراع السخرى" وعن ادارة حكمهم وخزائن كتبهم بمجّانة .

ولعلّ من غريب الصدف أن أُنفى الى البلد الذى كنت أجهل عنه كل شيء ، وخاصة علاقة أسلافنا بهذه الناحية من الوطن ، ولم أكن أعرف قبل ذلك شيئاً عن حكم أسلافنا لهذه المنطقة ، والمصاهرات التى تمّت بينهم وبين الأسر الشريفة ، فلم أطلع على هذه العلاقات الا بعد دراستى وتأملى فيما كتبه المؤرخون ، العرب منهم والأجانب .

ومن ذلك أنه كانت احدى بنات شيخ العرب أحمد بن علي بوعكاز بن السخرى مزوّجة لأحد أبناء المقرانيين كما كانت أم شيخ العرب وخليفة الأمير عبد القادر فى الصحراء فرحات بن سعيّد (بتشديد الياء) الذوّادي وتدعى (رجراجــة) بنت الشيخ بن الحدّاد شيخ الزاوية الرحمانية المشهورة بالقبائل الصغرى ومجّـانـــة (1) .

ووقفت أخيراً فى المكتبة الوطنية بالجزائر على جزء مخطوط بعنوان النصف الأول من حديث مختصر البخاري المسمّى (بجمع النهاية فى بدءِ الغاية) للشيخ عبد الله بن أبى جمرة وقد أرشدنى الى هذا الكتاب الأستاذ المهدى البوعبدلى .

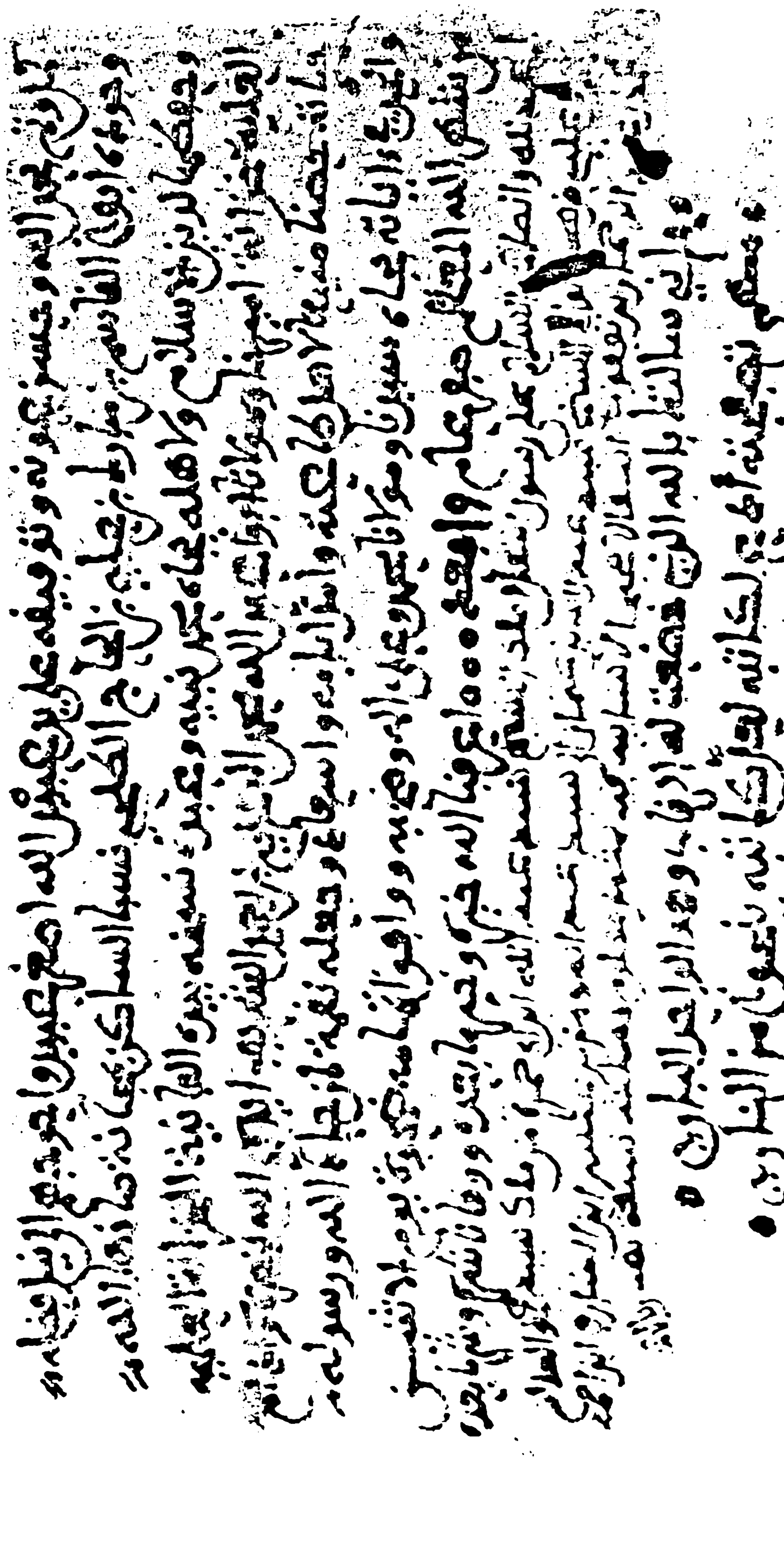
---

(1) أنظر صفحة المذكرات رقم 45

، قضاء
العلامة

البشير

حدثون
ا أجر



وعن
التّل ،
جّانة .

يء ،
ا عن
، فلم
، منهم

خرى
در في
بنت
(1) .
صف
عبد
) .

يقول ناسخه : «كمل وتمّ بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه على يدعبيد الله أصغر عبيده وأحوجهم الى نيل فضله وجوده أبي القاسم بن مبارك بن علي بن الحاج الطّلحي نسبا الساكن بمجّانة صانها الله وحفظها للاسلام ، وأهله بجاه محمد نبيه وعبده نسخه بيده الفانية للخزانة العلمية العلية ، خزانة أميرنا ومولانا (أبي عبد الله محمد السخري بن أحمد الشريف بن علي بوكـــاز) أيّده الله بنصره وأدام حياته حصنا منيعا لأهل طاعته وأمدّأيامه في السعادة ، وجعله نقمة على من حادّ الله ورسوله وألْحَدَ في آياته بجاه سيدنا ومولانا محمـــد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم ، ووافق تمامه ضحوة يوم الاثنين من شهر صفر عام 19 بعد الألف هـ (1).

وقد كنا نسمع من أوائلنا شيئا قليلا من هذه الأخبار فلا نلقى لها بالا إذ لا وثائق مكتوبة تحت أيدينا ولاكتب تاريخ اطلعنا عليها حينذاك الا النزر اليسير من بعض المخطوطات المبعثرة هنا وهناك .

أما بعد دراستي ووقوفي على ماكتبه المؤرخون عن هذا الوطن وسكانه وعن حياتهم عبر السنين المليئة بالأحداث فقد نقلت بعض هذه الأخبار التي تهمني وأرجو أن لاتثقل كاهل هذه المذكرات .

16) خلفاء شيخ العرب أحمـــد بن علي بوعكـــاز :

توفّي شيخ العرب أحمد بن علي بوعكاز بن السخري شيخ العرب من الذواودة ورياح الهلاليين سنة : 987 هـ – 1581 م .

فخلفـــه ثلاثة من أبنائـــه وهم :

– علي بوعكاز بن أحمد : 1033 هـ 1623 م .
– أحمد بن علي بوعكاز بن أحمـــد : 1070 هـ 1660 م .
– محمـــد السخري بن أحمد بن علي بوعكاز : 1700 م .

تولى هؤلاء الأبناء الثلاثة على التوالى مشيخة العرب على قبيلة الذواودة ، ومن انضاف اليها من قبائل الهلاليين غير متوانين ولا مقصّرين في الحفاظ على نظامهم

(1) أنظر الصفحة المصورة من الكتاب

القبلي وحقوقهم التى ورثوها على مرّ القرون والأجيال منذ دخولهم افريقيا عام 440 هـ ، وهم يواجهون الأحداث ويخوضون الحروب التى تفرضها عليهم الظروف .

17) محمـد السخرى بن أحمـد بن علي بوعكاز

تولّى آخر الاخوة الثلاثة محمـد السخري بن أحمد بن علي بوعكاز منصب شيخ العرب خلفا لأبيـه .

وكان شيخ العرب هذا (محمـد السخري) معاصراً لرجب باي قسنطينة التركي عام 1666 م ، وكانت العلاقة بينهما متوترة لمدة طويلة تؤذن بالانفجار يوما ما ، فبادر الباي رجب بسعي منه محمود لازاحة هذا التوتّر وليحل محلّه الوئام بدل الخصام .

ذلك أنه زوّج ابنته أم هانئ بنت رجب التركية بأحد أبناء محمد السخري الذى يدعى "ابن القيدوم" فولدت منه أربعة أبناء هم أحفاد محمـد السخري من جهة ابنه ابن القيدوم ، وأحفاد الباي رجب من جهة أمهم أم هانئ بنت رجب ، فأثمرت رابطة المصاهرة هذه وأنشأت مكانة وطيدة من العلاقات الطيبة بين الطرفين مكّنتهما من التعاون فى كل ميدان .

توفّي محمـد السخري بن أحمد بن علي بوعكاز سنة 1709 م ودفن فى مقبرة أسلافهم السخارى ببلدة سيدى خالد مقرهم الشتوي المجاور لأولاد جلاّل آخر بلدة من واحات الزاب الغربي .

18) أحمـد بن محمـد السخـرى

وتولى بعده ابنه الأكبر شيخ العرب أحمد بن محمـد السخري بن أحمد مشيخة العرب الذواودة ورياح ، فأمسك السلطة بيد قوية وأعاد تنظيم علاقته بالأتراك وأحكم صلته بالقبائل العربية المتحالفة مع قبيلة الذواودة وأزاح العلل عن الضعفاء منهم ، ثم تزوّج على كبر سنه أرملة أخيه ابن القيدوم بن محمد السخرى أم هانئى بنت رجب باي قسنطينة . وقد تزوجها لغرضين اثنيـن :

أولهمـا : صون كرامة الأم ورعاية أبناء أخيه ، وتلك عادة من عادات العرب المعروفة فى مجتمعهم العربى قبل الاسلام وبعده .

وثانيهمــا : الحفاظ على الصلة الوطيدة بين رجب باي قسنطينة صهرهم القديم وصديقهم الحميــم .

وهذه العلاقة الجديدة بين شيخ العرب والباي رجب أغرت أعداء الباي رجب المناوئين له من أعضاء الديوان التركي بالعاصمة وهو صاحب النفوذ المطلق على حكم الجزائر فاتهموه بالتخطيط لفصل عمالة قسنطينة عن السلطة المركزية ثم الاستقلال بها ، وذلك بسعي من ابنته أم هانئ صاحبة الحضوة لدى العرب الذواودة ، فقرّر الديوان التركي الأعلى تجريد رجب من أملاكه وعزله من منصبه ، ثم الحكم عليه بالاعدام بتهمة الخيانة العظمى للدولة فأعدم فورًا سنة 1674 م ، وعيّن باي آخر مكانه هو : (السّفّاك مراد باي) .

وكان من أول أعماله استدعاء امحمّد بن السخري أخى شيخ العرب أحمد بن السخري وابنه أحمــد واحتفظ بهما أسيرين بمعسكره فى جنان الزيتون بقسنطينة ثم صدر الحكم باعدمهما من المجلس الأعلى بالجزائر بتهمة خروجهما عن طاعة السّلطان (1) .

ولاريب أن السّبب الحقيقي لاعدام كل من رجب باي وأبناء السخري هو اتهامهم بالمؤامرة المزعومة الرامية الى فصل عمالة قسنطينة والاستقلال بها زورًا وبهتانًا .

ومعلوم أن الاتهامات ، وأحكام الاعدام ، وسفك دماء الأبرياء كانت من الأمور العادية لدى الذيوان فى العصرالأخير لحكم الأتراك بالجزائر .

وبعد سنة من اعدام امحمّد بن السخري وولده أحمد ، جنّد أخوه شيخ العرب أحمد بن محمــد السخري كافة العرب من بنى هلال المنتشرين بين حدود الجزائر شرقا وحدودها غربا ، ثم أعلنها ثورة عارمة على الباي مراد انتقاما منه وممن كان وراءه فى إعدام أخيه وابن أخيــه .

---

(1) تاريخ جنوب قسنطينــــة .

ولما زحف العرب بقيادة أحمد بن محمــد السخري أيقن مراد باي أنه لاقبل له ولاطاقة فى مواجهة هذه الجيوش العربية الضخمة فأسرع بطلب النّجدة من الديوان بالجزائر ، فأنجدوه بجيش قوامه ستة آلاف تحت قيادة القائد يوسف والقائد شعبان ، وكان اللقاء قرب مدينة "سطيف" بالمكان المسمّى (قجّال) حيث دارت المعركة الفاصلة ، فانهزم جيش مراد باي وفرّ ناجيا بنفسه الى عنابة ، ومنها ركب البحر الى عاصمة الجزائر ، استولى العرب على كل ماخلّفه الجيش التركي وراءه من عتاد ضخم وذخيرة متنوعة .

وبعد هذه المعركة الهائلة عزل الديوان الأعلى بالجزائر الباي مراد من منصبه بسبب إثارته هذه الفتنة الكبرى بين العرب والأتراك ، ثم سوّى النزاع بعد اتصالات ومفاوضات مكثّفة بين شيخ العرب والأتراك ، وسويت جميع المشاكل بين الفريقين ، ودخل جميع الأطراف فى عهد جديد من الثقة والتعاون فى ميدان المعركة الكبرى ضد الغزاة الصّليبيين .

وسنذكر أبعاد هذا التعاون الأخوي عندما نتعرض بالتفصيل الى ذكر جيشين جهزها الذواودة للمشاركة فى الدفاع عن الجزائر ضد الغزاة الصليبيين تحت قيادة جدنا الرّابع الحاج امحمّد بن محمّــد بن سليمان بن محّان (بتضعيف الحــاء) .

قال الرائد شارل فيرو فى تاريخ جنوب قسنطينـــة :

(وفى سنة 1681 م كان شيخ العرب أحمد بن محمــد بن محمــد السخري بن أحمد سيد الناحية كلها ، تبرهن على ذلك الشهادات الخاصة التى قدمت لى أثناء قيامى بتحديد الملكية العقارية فى عمالة قسنطينة سنة 1866 م ، منها المرسوم الممضى من طرف شيخ العرب أحمــد بن محمــد السخري بنفسه سنة 1745 م وفيه مايلى :

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمــد ، أمر أحمد بن السخري شيخ العرب اخوته أولاد السخري وجميع السكان الخاضعين لطاعته أن يحترموا ويعاملوا بكل تقدير أسرة أولاد عزّام التى تسكن اليوم فى قبيلة أولاد عبد النور بين قسنطينة وسطيف" .

وأضاف شارل فيرو قائلا : (ووثيقة أخرى مماثلة منحها شيخ العرب أحمد بن محمد السخري نفسه للمرابط زروق الذى يسكن (بمشيرة) وكانت زاويته قرب "التلاغمة" وتحمل الوثيقة تاريخ 1745 م .

وهناك وثائق أخرى تحت أيدينا جمعناها من هنا وهناك فى شؤون شتى صدرت فى شأن أفراد وجماعات من عمالة قسنطينة جنوبها وشمالها ، لانطيل الكلام عنها فى هذه المذكرات .

توفّي شيخ العرب أحمد بن محمد السخري سنة 1790 م وترك زوجته الأولى وتدعى "رجراجة" بنت الشيخ بن الحدّاد صاحب الزاوية المشهورة فى ناحية مجّانة المجاورة للقبائل الصغرى ، ومعها أولادها الثلاثة : محمد ، وفاطمة البلّيليّة زوجة سلطان تقرت ابن جلاب ، وفرحات بن أحمد بن محمد السخري ويدعى فرحات بن سعيّد ، وترك زوجته الثانية أم هانى بنت رجب باي قسنطينة التركية وهي أرملة أخيه ابن القيدوم بن محمد السخري ، ومعها أبناؤها الأربعة من أخيه ابن القيدوم أقاموا معها فى كفالتها وتحت رعايتها منذ وفاة والدهم .

أما الزوجة الأولى فقد انتقلت بعد وفاة زوجها مع أبنائها الثلاثة الى واحة (سيدى خالد) قرب أولاد جلاّل آخر واحات الزيبان غربا ، حيث يسكن أبناء عمومتهم أولاد السخرى ، وأما أم هانى بنت رجب باي قسنطينة التركية فقد استقرت مع أبنائها الأربعة فى ديار زوجها أحمد بن محمد السخرى شيخ العرب بجنان بن عروس قرب (أورلاّل) من واحات الزيبان .

وأثناء هذه الفترة مرت قوافل حجاج المغرب الأقصى فى طريقهم الى البلاد المقدّسة تحت رئاسة السيد اليزيد ولي عهد ملك المغرب الأقصى سيدى محمد بن عبد الله العلوى فنزل ضيفا على الشيخ الذباح بن سعيّد بن السخري باحياء الذواودة ، بسيدى خالد ورغبة منه فى ربط علاقة المصاهرة مع الذواودة طلب من الشيخ الذباح الذوادى يد أخته "عيشوش" فلبّى طلبه على أن يتم الزفاف بعد رجوعه من الحج فى العام المقبل .

وبعد رجوعه من حجه صحب زوجته معه الى فاس يرافقها شقيقها ، ولما انتهى الزفاف بفاس رجع أخوها الى قومه بهدايا جليلة ، ومن أجلّها فرس عربية أصيلة قلّ أن يجود الزمان بمثلها .

وفى هذا الوقت بالذات من عام 1790 م حلّ "صالح باي" قسنطينة المشهور بصلاحه وعدله ببسكرة فى زيارة رسمية للصحراء ، ومن الطبيعي أن يذهب الشيخ الذباح الى بسكرة لزيارته وأداء واجب الاحترام له ، فذهب ممتطيا ظهرهذه الفرس الأصيلة ، وحين رآها الباي صالح أعجب بصفاتها وخصالها الجليلة ، ورغب من الشيخ الذباح أن يهديها الى أمير المؤمنين ، فلبّى الرغبة وأهداها له ومعها ثلاثون فرسا عربية أخرى يتبعها ثلاثون خادما للقيام عليها ، ثم أرسلت كلها بسروجها وخدّامها على طريق البحر الى الخليفة باسطنبول (1) .

مضت فترة غير قصيرة وكبار الذواودة وشيوخها يحاولون ترشيح أحد كبار شيوخهم لمشيخة العرب حتى يسدّوا الفراغ الذى تركه شيخهم المتوفّى ، فتعترض سبيلهم عقبات كأداء تطيل أمد هذا الاختيار .

وأهم هذه العقبات أم هانى بنت رجب باي قسنطينة التى لها حاشية من أنصار زوجها المتوفّى ، وبعض الشخصيات ذوى النفوذ من قبيلة الذواودة ، وشطر من القبائل العربية الأخرى ، كل هؤلاء يريدون الابقاء على منصب (شيخ العرب) فى أبنائها دون أبناء ضرّتها رجراجة بنت ابن الحدّاد .

أضف الى ذلك أن أم هانى التركية كانت فارسة ميدان تخوض المعارك وتقارع الأبطال ، وهي فوق هذا سليلة رجب باي الذى كان سيّد عمالة قسنطينة كلها ، لهذه العوامل كلها رأت أم هانى أنها وأبناءها أحق بقيادة العرب من غيرها .

19) فرحات بن سعيّـــد

وفى هذا الليل الذى طال وخيّم ظلامه على شيوخ الذواودة حتى كاد اليأس يستولى على نفوسهم ويقوض دعائم العزة والسيادة التى كانت لقومهم عبر القرون ،

---

(1) تاريخ جنوب عمالة قسنطينة .

ظهر شاب من أبنائهم تلوح على محيّاه سيماء الشجاعة والشهامة التى يتوارثها الخلف عن السّلف ، ذلك هو فرحات بن أحمـــد بن محمـــد السخري المدعو فرحات بن سعيّد ، وهو اسم عمه الذي نشـأ مع بنيه فى بيته بسيدى خالد ، وأمه رجراجة بنت الشيخ بن الحدّاد ضّرة أم هانى التركية .

فى هذا الوقت بالذات ذهبت وفود من جميع قبائل العرب ، وفى مقد متهم قبيلة الذواودة الى واحة سيدى خالد وأبلغوا فرحات بن سعيّد اختيارهم له شيخا للعرب خلفا لأبيه أحمـــد بن محمـــد السخرى وقد وقع ذلك عام 1821 م قال شارل فيرو الرائد والترجمان الفرنسي :

(فتولّى فرحات بن سعيّد زمام السلطة على رأس جميع العرب والذواودة وازدادت سلطته نفوذا فى الصحراء كلها شمالها وجنوبها) (1) .

انتهـــاء العهـــد التركـــــي

فى الخامس من شهر جوليت سنة 1830 م تمكنت جيوش الاحتلال الفرنسي من دخول العاصة الجزائرية . وانتهى الحكم التركي الذى كان يشمـــل تحت لوائه الأقاليم كلها فى الوطن الجزائري ، وترك وراءه الشعب الجزائري يضطرب تحت قيادة ثلاث شخصيات : عبد القادر بن محي الدين ، أحمد باي القلي ، فرحات بن سعيّـــد .

الشخصيـة الأولـى : الأمير عبـــد القـــادر

الأمير عبد القادر بن محي الدين الحسني القرشي سليل قبيلة لها سلطة روحية تتمتع بنفوذ واسع ، ثم إنه رجل كريم الخلق وافر العلم وفارس حروب شجاع .

ونظرا للفراغ الذى خلّفه الحكم التركي وراءه نتيجة للغزو الفرنسي للجزائر ، اتجهت أنظار أهل الحلّ والعقد من العلماء ورؤساء القبائل الى الشيخ الجليل الفقيه السيد محي الدين والدعبد القادر ، فجاءوا اليه من كل حدب وصوب يعرضون عليه البيعة

---

(1) تاريخ جنوب قسنطينة .

ليتولّى أمور المسلمين وينهض لحرب العدوّ ، فاعتذر لهم بكبر سنّه وأحالهم على البيعة لولده الشّاب عبد القادر بن محي الدين ، فقبلوا وقبلها ، وعقدت له البيعة من أهل الحل والعقد الممثلين لأهل البلاد عام 1248 هـ - 1832 م .

نهض الأمير عبد القادر فى الحال لارساء قواعد الدولة الجديدة ، فاختار مجلس الشورى والوزراء وقوّاد الجيش والخلفاء للأقاليم فى جميع النواحى ، والكتاب لادارات البلاد كلها ، ثم توجه للأمة ببيان هام أعلمها فيه بعقد البيعة له وتأسيس قواعد الدولة وهياكلها ، ثم دعا فيه كل القادرين على حمل السلاح الى أماكن عيّنها لهم فى كل الجهات للتأهب للجهاد فى سبيل الله والدفاع عن حوزة الدين والوطـــن .

ثم أوفد الدعاة والخبراء داخل البلاد وخارجها ، للتعريف بدولته ، ولجلب الصناع المهرة فى صناعة الأسلحة الثقيلة والخفيفة ، وصناعة النسيج للملابس والأغطية ، إلى غير ذلك مما يتطلبه بناء دولة ناشئة ، مما مكّن الدولة الحديثة من إقامة دار لصهر الحديد وصنع أنواع المدافع والبنادق وسقل السيوف والحراب فى مدينة تلمسان ومدينة معسكر وغيرها .

ويجد المشاهد فى الوقت الحاضر نماذج من هذا السلاح فى معارض ومتاحف الآثار بالجزائر وبأروبا وعند بعض العائلات الجزائرية ، وأقام مصانع نسيج الملف والكتّان والصوف ، تصنع ما يحتاج اليه الجيش من لباس ، وبعد أن أكمل قواعد الدولة وهياكلها وهيأ لها وسائل المقاومة ، عيّن على كل فرقة من الجيش قائدا ، عين له مكانه، وحدّد عمله .

ثم جمع مؤتمرا حربيا حضره جميع قوّاد الجيش زودهم فيه بنصائحه وتعلمياته ، وأعلن الحرب الشاملة على الجيوش الفرنسية فى كل مكان وجدوا فيه وأقامها عليهم حرب ميدان وحرب عصابات فى وقت واحد مما جعل الجيوش الجزائرية تلتهم الجيوش الفرنسية التهاما ، حتى صار الحكام الفرنسيون يستغيثون حكومتهم ، ويطلبون المزيد من مدد الجيوش والعتاد الحربي ، وبعد ثمانى سنوات من الحرب أحسّت فرنسا بضراوة المعركة والحرب ، ولم يتحقق لها ماكانت تحلم به من التغلب السريع على المقاومة حسب ماكانت تقدّر وتتمنّى من الانتشار السريع فى أنحاء الجزائر .

بقيت جيوشها طيلة ثماني سنوات محصورة في بعض مدن الساحل وبعض الأراضي المجاورة لها ، فطلبت فرنسا من الأمير عبد القادر الهدنة وانهاء الحرب ، فأجابها بقبول طلبها وعيَّن من طرفه وزير خارجيته السيد المولود بن عرّاش ، وتعيَّن من طرف الفرنسيين الجنرال "بيجو" قائد الجيش الفرنسي .

أسفرت المفاوضات المكثفة بين الطرفين عن عقد معاهدة "تافنة" قرب تلمسان سنة 1838 م التي حدّدت بها الحدود بين فرنسا والجزائر كالآتـى :

أولا : يعترف الأمير عبد القادر بسلطة فرنسا على مدينتي : وهران ومستغانم ، وتمتدّ حدود المدينتين الى عمق اثني عشر فرسخا داخل الأراضي الجزائرية .

ثانيا : يعترف الأمير عبد القادر بسلطة فرنسا على مدينتي : الجزائر والبليدة وأراضي متيجة الى شاطئ البحـــر .

وبما أن فرنسا قد رضيت بهذه المدن الأربعة والمساحة المذكورة معها فقد بني على ذلك أن تكون سلطة الأمير عبد القادر شاملة لعمالة وهران وعمالة الجزائر باستثناء سيف البحر المتصل بهما .

واثر هذه المعاهدة وبعد امضائها من الأمير عبد القادر والجنرال بيجو ، وجه الأمير عبد القادر نداء الى باي قسنطينة أحمـــد بن محمـــد الشـــريف القلي ، وإلى كافة الجزائريين دعاهم فيه إلى الانضمام اليه والتعاون معه على تحرير البلاد والجهاد في سبيل الله ، فتلكأ هذا الباي واعتبر هذا الشّاب غاصبا للحكم التركي الذي يمثله هـــو .

الشخصيـــة الثانية : أحمـــد بـــاي

أحمد باي بن محمـــد الشريف بن أحمـــد القلي باي قسنطينة الأخير للعهد التركي .

قال أحمـــد باي في مذكراته : (وقبل احتلال قسنطينة من قبل الجيش الفرنسي بمدة قصيرة كان الحاج عبد القادر قد كتب للعرب يخبرهم بأنه أبرم صلحا مع الفرنسيين الذين اعترفوا بسيادته على كامل أنحاء البلاد ، وعليه فهو يطلب منهم أن

يتخلّصوا من سلطانى ويدخلوا تحت طاعته فلم يستجب لعبد القادر غير فرحات بن سعيّد الذى يعمل على استغلال الفرص التى من شأنها أن تخدم مشاريعه ضدّ بوعزيز ابن قانة ، فعينّه الأمير عبد القادر خليفة له فى الصحراء وسلّم له رسائل اعتماد رسمية لينوب عنه فى السّلم والحــــرب (1) .

قال السيد أحمـــد بوضربة فى (حياة أحمـد باي) المطبوعة مع مذكرات أحمد باي ماخلاصته :

«كان أحمـــد باي قسنطينة الأخير رجلا قصير النظر متلهّفا على الانفراد بالسّلطة ، وقد فرّ من العاصمة بعد ثلاثة أيام من سقوطها بين يدي الفرنسيين راجعًا الى قسنطينة مقر حكمه وصحب معه ألفا ومائتين من جنود الجيش التركي مع سلاحهم أغراهم بالمال ، وحال بينهم وبين اخوانهم المدافعين على أحواز عاصمة الجزائر ، فعل فعلته هذه مغتبطا مسرورا ، ثم بعد أن ركب فرسه أدار وجهه الى العاصمة قائلا : لاأعود الى الجزائر سواء أبقيت بأيدى الفرنسيين أم رجعت الى المسلمين ، ثم قال : هذا أحسن يوم فى حياتى إنه اليوم المنشود» (2) .

هذا رأيه هو ، أما الاسلام فيسمى هذا اليوم يوم الفرار من الزحف وتولى الأدبار لأعداء الاسلام «ومن يولّهم يومئذ دبره إلا متحرفًا لقتال أو متحيزاً الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنّم وبئس المصير» (3) .

«ويوم رجوعه الى قسنطينة أقام مجازر رهيبة صفّى بها الحساب مع كل من أنكر عليه انهزامه سواء أكان من العرب أم من الأتراك . وبعد أن أزاح عن طريقه كل

---

(1) مذكرات أحمد باي – دار الطباعة والنشر بالجزائر ص 80 – والواقع أن الأمير وجه نداءه للكافة للتعاون معه على حرب العدو ، ولم يذكر الأمير عبد القادر أحمـــد باي بأي سوء ولاحرض عليه أحدًا ، ثم إن الأمير يتمتع ببيعة شرعية ، والباي يمثل سلطة تركية متداعية فى قسم من الوطن لم تستطع الدفاع عن الوطن لماغزاه الأجانب وسلمت واستسلمت للغزاة .

(2) حياة أحمد باي بقلم بوضربة من كتاب (مذكرات أحمد باي) ص 119 وما بعدها .

(3) سورة الأنفال آية 16 .

معارض واقع أو متوقّع حسب هواه بادر الى تسمية نفسه باشا على عمالة قسنطينة، وضرب سكة الدراهم باسمه وأصبح هو الحاكم فى العمالة كلها» (1).

ثم التفت الى خصمه القوي الذى وَصَفَهُ بقلمه في مذكراته بقوله : أفسد علي مشاريعى طيلة سبع سنوات فى الحرب معه (يعنى فرحات بن سعيّد شيخ العرب) فأعلن عزله عن مشيخة العرب وعيَّن (ابن قانة) شيخا للعرب مكانه .

وكل العرب فى الصحراء يعلمون - وهو لايجهل - أن (ابن قانة) لاصلة له بالعرب وليس بعربي النّجار ولاينتسب لأي قبيلة عربية اطلاقا ، ولم تكن له سلطة فى يوم من الأيام على الصحراء الا يوم دخلها صحبة الجيش الفرنسي الغازى بعد موت فرحات بن سعيّد كما سنذكره فى مكانه .

ويقينا أن أحمد باي لايجهل الاتفاقية التى أبرمت بين السلطة التركية فى الجزائر - وهو أحد موظفيها الكبار - وبين شيوخ الذواودة التى أمضاها عنهم شيخ العرب علي بوعكاز بن السسخرى وأمضاها عن الخلافة الاسلامية خير الدين بربروس باشا عام 1036 هـ 1529 م ، وقد نصّت هذه الاتفاقية على أن الذواودة هم الذين يختارون شيخ العرب من بين رؤسائهم من قبيلتهم (2) .

كما يعلم الباي أحمد أن أسلاف فرحات بن سعيّد من أمراء الذواودة وشيوخهم الذين لم يستسلموا لمن هو أقوى وأجدر بالحكم منه ، فلم يستسلم الهلاليون لأي سلطة حكمت افريقيا الشمالية منذ دخلوا هذه البلاد فى أوائل القرن الخامس الهجري من قبائل رياح الهلاليين مع ملوك افريقيا الشمالية كلهم ، اما سلم فى احترام وتعاون واما حرب ينتزعون فيها حقوقهم ويحمونها بحد سيوفهم . الفاطميين والحفصيين وبنى زيان وملوك المغرب من موحّدين ومرينيين ، فقد كانت

ولم يعبأ فرحات بن سعيّد شيخ العرب بتصرفات أحمد باي الهوجاء فأعلنها عليه حربا شعواء أقضّت مضاجعه ولم يستطع مدّ نفوذه على أقاليم الصحراء .

(1) نفس المصدر السابق .
(2) تاريخ جنوب قسنطينة (شارل فيرو) .

ويكفى شهادة عليه وعلى خاله (بوعزيز بن قانة الأول) ما كتبه بقلمه فى مذكراته بعد خروجه من قسنطينة ودخول الفرنسيين اليها ، حيث قال : «جمعت أنصارى ، وعرضت عليهم خطّة ، وهي أن ننقل عائلاتنا الى الجنوب ، ثم نرجع الى الشمال ، فاذا استطعنا أن نتمركز فى طريق عنابة بحيث نقطع الاتصالات بالمكان الذى يمكن لنا أن نمنع منه نجدات العدو على طريق عنابة ، فانه يكون لنا أمل كبير فى تحقيق النصر ، وتمت المصادقة على مشروعى ، وكاد يدخل حيّز التنفيذ عندما صاح بوعزيز بن قانة قائلا : «ماتريدون أن تفعلوا ؟ أتبتعدون عن بلدكم وتتجهون نحو الشمال ؟ اذن أنتم لاتعلمون أن فرحات بن سعيّد يقترب بسرعة منا ، وفى الوقت الذى تحاولون فيه الدفاع عن قسنطينة ، فانكم تعرضون أنفسكم للطرد من منطقتكم ، لذلك يجب أن نسرع الى الصحراء (1) فندخل عائلاتنا ومن اتبعنا الى المدن ، ثم نخرج متّحدين ضد العدوّ ، والفرنسيون لن يتقدموا نحونا ، بينما فرحات بن سعيّد يزحف علينا ، ومن ثم نبدأ بمحاربته ، وبعد ذلك نوحد صفوفنا ونهاجم الفرنسيين» (2) .

وقال أحمد باي فى مذكراته :

«لم أستحسن هذه النصيحة ، ولكنه لم يكن لى أهل عدا أبنائى وهم أقرب إليَّ من خالى بوعزيز بن قانة ، فلم أكن أعتقد أنه يستطيع أن يقترح علي ما يمكن أن يضرنى وعليه انضممت الى رأيه ، ولو أن الله هدانى فى ذلك الوقت لفهمت أنه يريد جلبى الى الصحراء ليأخذ أموالى كلها . ولكن اذا حكم القدر على شخص بالهلاك أعمى بصره وبصيرته ، وصار يعتقد أن الخير فيما يؤدى الى الخراب ، أكرّر القول بأنى اتبعت رأي بوعزيز وكان ذلك هو مصابى الأعظم» .

ويتابع الباي أحمد فى مذكراته فيقول :

«وفرحات بن سعيّد هذا الذى أتيحت لى الفرصة للتكلم عنه والذى تسبّب

---

(1) يقصد بالصحراء قبيلة السحاري التى تقطن جنوب غربي ولاية باتنة اليوم ، كان الباي أحمد ، له علاقة مع بعض رجال هذه القبيلة . أما الصحراء وما اشتملت عليه أراضيها الواسعة من القبائل العربية فهي تحت سلطة فرحات بن سعيّد وقبيلة الذواودة منذ قرون خلت .

(2) مذكرات أحمد باي . ص 76 و 77 .

عدوانه لى فى تغيير مشاريعى كان عدوا منافسا لبوعزيز بن قانة الذى نصّبته شيخا للعرب مكان فرحات بن سعيّد الذى مافتئ يبحث عن جميع الوسائل للحفاظ على النفوذ الذى كان لأجداده فى هذه البلاد.... ويختم كلامه هذا بقوله : «غير أنى أريد أن أنصف فرحات بن سعيّد ، فأقول إنه كان رجل بارود وصاحب ذراع . ولقد كان حاربنى طيلة سبع سنوات فكان فى المعركة يقابل مائة رجل وحده ويُعتبر بوعزيز ابن قانة الى جانبه امرأة» (1) .

وقال أحمد باي فى مذكراته أيضا :

«ولما عرض علي الفرنسيون الاستسلام واشترطت عليهم أن نذهب الى بلد اسلامي، وعندما أبديت هذه الرغبة قال بوعزيز ماتفعل ؟ أتريد أن تنكث العهد الذى قطعته على نفسك ؟ ألم تقل إنك ستصحبنا الى الصحراء ؟ (2) فلا تقبل هذا الاقتراح، وضرب الله مرة أخرى على بصرى غشاوة فأجبت رسول فرنسا بالرفض» (3) .

«ولقد كان بوعزيز بن قانة يريد الاجهاز علي ليأخذ مالى وبما أنه لم يكن رجلا شجاعا ليفعل ذلك علنا فانه يستعمل كل الوسائل لبلوغ هدفه» .

«ولقد كان ملهوفا على المال فيضحى بكل شيء لاشباع رغبته من المـــال» (4) .

ويواصل الباي أحمـــد مذكراته قائـــــلا :

«ولقد دبّر مكيدة عظيمة ليبعدنى عن سلطان تونس الذى كان يساعدنى على شراء الحبوب التى نحن فى حاجة اليها وحين أيقن أنى فطنت لمكائده غادرنى وذهب الى الصحراء ، واستسلم الى الفرنسيين الذين اشترطوا عليه أن يحتال على قتل فرحات بن سعيّد ، ثم يقلدونه منصب شيخ العرب فى الصحراء مكانه باسم فرنسا

---

(1) مذكرات أحمـــد باي . ص 77 و 78 .

(2) يقصد ابن قانة بالصحراء كلّما تكلم عنها وذكرها قبيلة الصحارى التى تقطن جنوب غربي ولاية باتنة كما تقدمت الاشارة الى ذلك آنفا .

(3) المصدر السابق ص 79 .

(4) نفس المصدر ص 84 .

لكنه لم يستطع أن يمارس هذا الوظيف الا بعد أن خلا الجو بموت فرحات بن سعيّـد (1) .

الشخصيـة الثالثـة : فرحـات بن سعيّـد

فرحات بن سعيّد ، ولد سنة 1786 م ، وتقلّد مشيخة العرب سنة 1821 م وهو آخر من تقلّد مشيخة العرب من الذواودة الرياحيين من بنى هلال بن عامر ، القبيلة العربية التى دخلت افريقيا الشمالية فى أوائل القرن الخامس الهجري تحت قيادة أميرها مؤنس بن يحى ، وقد استمرت هذه القيادة فى عقبه متصلة الحلقات ولم تنقطع طيلة ألف عـام .

ونشير هنا الى ماكتبه المؤرخون العرب وغير العرب من صفحات بيضاء تشيد بشهامتهم وأخلاقهم العربية ، وتذكر بطولاتهم أيام الفتوحات الاسلامية الأولى وجهادهم فى شمال افريقيا والأنـدلس .

قال شارل فيرو فى (تاريخ جنوب قسنطينة) نقلا عن الرائد والكاتب السيد سيروكا (2) :

«ان فرحات بن سعيّد كان له تنظيم عسكري حديدي لا يخونه فى المعارك ، وهو رجل شجاع كريم النفس متديّن ، يذكرنا بالأبطال الأولين فى الاسلام ، وكان شعبيا محبوبا متقشّفا ، أما بوعزيز بن قانة فقد كان يعيش فى الظلام بمنطقة قسنطينة بجوار صهرهم أحمـد القلى .

«وكان ابن قانة وصهره ابن القلى قبل خروج الباي من قسنطينة اثر الاحتلال الفرنسي لها يكاتبان قبيلة رحمان ، وقبيلة السلمية ، يحاولان تكوين جماعة من عرب الصحراء داخل سلطة فرحات بن سعيّد فشعر بهم ، فلم يبق لهم ذكرا» .

---

(1) مذكرات أحمـد باي .

(2) الرائد سيروكا مترجم بالمكتب العربي ببسكرة فى الفترة التى قتل فيها فرحات بن سعيّـد وتولى فيها بوعزيز بن قانة قيادة دائرة بسكرة أول الاحتلال الفرنسي لهـا .

واثر النداء الذى وجّهه الأمير عبد القادر الى كافة العرب بعمالة قسنطينة ، بادر بالاتصال به فى دار الامارة بمدينة (المدية) شيخ العرب فرحات بن سعيّد ، وأعلن الانضمام اليه بنفسه ونيابة عن سائر القبائل العربية المتمسّكة بطاعته ، فوافق الأمير على هذا الأمر ، وأصدر أوامره الى خليفته وقائد جيوشه السيد محمد البركانى بتجهيز الجيوش المنظمة والمتطوعين ، وسار بهم مع شيخ العرب فرحات بن سعيّد الى مدينة بسكرة ، وكان خبرهم قد اتصل بأحمد باي وهو مقيم فى قبيلة السحارى يرافقه خاله بوعزيز بن قانة ففرّ من مكانه ولحق بالتّخوم مما يلى الصحراء الكبرى .

وحل الخليفة محمد البركانى ببسكرة ووفد عليه أعيان العرب من الذواودة ، وأعيان البربر من زنّاتة وغيرهم ، وأعلنوا له طاعة من وراءهم ، ثم أرسل الخليفة بالخبر الى الأمير عبد القادر فسرّ بذلك ، وأمر بتمهيد تلك النواحى الى أطراف الصحراء ، ثم بالرجوع شمالا الى سطيف وما اليها من بلاد مجّانة ، والى جبل زناتة ، ففعل ذلك ، وكان فرحات بن سعيّد مصاحبا له فى هذه المهمات .

ومعلوم أن النواحى المذكورة كلها كانت ضمن الأراضى الداخلة فى نفوذ شيوخ العرب الذواودة منذ قرون خلت ، كما هو مسطر فى كتب التاريخ العربي وغير العربي .

ثم انتقل خليفة الامير راجعا الى مدينة (المديّة) حيث يقيم الأمير عبد القادر ، فأنعم الأمير على فرحات بن سعيّد وعينّه خليفة له على ايالة بسكرة وما اليها ، فتسلّم زمام الأمور ورتّب العمال فى أعمالهم . ولما فشت الدعوة فى سائر النواحى الشرقية والجنوبية ، بادر من كان تقاعس عن أداء فروض الولاء فأعلن طاعته وولاءه ، واتسع نطاق الامارة مسيرة شهر طولا وعرضا ، واستقامت الأمور ، وتكونت الحاميات ، بالثغور والتخوم ، وأمّنت السبل ، حتى أن المرأة كانت تسير من أول الامارة الى آخرها ولاتسأل من أين ؟ والى أين ؟ (1) .

(1) تحفة الزائر ص 300 .

واثر النداء الذى وجّهه الأمير عبد القادر الى كافة العرب بعمالة قسنطينة ، بادر بالاتصال به فى دار الامارة بمدينة (المدية) شيخ العرب فرحات بن سعيّد ، وأعلن الانضمام اليه بنفسه ونيابة عن سائر القبائل العربية المتمسّكة بطاعته ، فوافق الأمير على هذا الأمر ، وأصدر أوامره الى خليفته وقائد جيوشه السيد محمـد البركانى بتجهيز الجيوش المنظمة والمتطوعين ، وسار بهم مع شيخ العرب فرحات بن سعيّد الى مدينة بسكرة ، وكان خبرهم قد اتصل بأحمد باي وهو مقيم فى قبيلة السحارى يرافقه خاله بوعزيز بن قانة ففرّ من مكانه ولحق بالتّخوم مما يلى الصحراء الكبـــرى .

وحل الخليفة محمـد البركانى ببسكرة ووفد عليه أعيان العرب من الذواودة ، وأعيان البربر من زنّاتة وغيرهم ، وأعلنوا له طاعة من وراءهم ، ثم أرسل الخليفة بالخبر الى الأمير عبد القادر فسرّ بذلك ، وأمر بتمهيد تلك النواحى الى أطراف الصحراء ، ثم بالرجوع شمالا الى سطيف وما اليها من بلاد مجّانة ، والى جبل زناتة ، ففعل ذلك ، وكان فرحات بن سعيّد مصاحبا له فى هذه المهمات .

ومعلوم أن النواحى المذكورة كلها كانت ضمن الأراضى الداخلة فى نفوذ شيوخ العرب الذواودة منذ قرون خلت ، كما هو مسطر فى كتب التاريخ العربي وغير العربي .

ثم انتقل خليفة الامير راجعا الى مدينة (المديّة) حيث يقيم الأمير عبد القادر ، فأنعم الأمير على فرحات بن سعيّد وعينّه خليفة له على ايالة بسكرة وما اليها ، فتسلّم زمام الأمور ورتّب العمال فى أعمالهم . ولما فشت الدعوة فى سائر النواحى الشرقية والجنوبية ، بادر من كان تقاعس عن أداء فروض الولاء فأعلن طاعته وولاءه ، واتسع نطاق الامارة مسيرة شهر طولا وعرضا ، واستقامت الأمور ، وتكونت الحاميات ، بالثغور والتخوم ، وأمّنت السبل ، حتى أن المرأة كانت تسير من أول الامارة الى آخرها ولاتسأل من أين ؟ والى أين ؟ (1) .

---

(1) تحفة الزائـــر ص 300 .

مقتـــل فرحـــات بن سعيّـــد

كان المسمّى قويدر بن نعيم البوزيدى يظهر الصداقة والولاء لفرحات بن سعيّد شيخ العرب ، فاتّصل به ، وأبلغه أن صديقه الشيخ عمار بن الشنيتى صديق فرحات مريض جدّا ، ويطلب زيارته فى منزله ، فركب فرحات اليه عشاء ، حتى اذا وصل قرب خيام ابن نعيم قام اليه أحد أقاربه وطلب منه النزول عندهم قليلا ليقرأ لهم رسالة هامة وردت اليهم من أحمـــد باي ، فنزل ولما أخذ فى القراءة ، وقف رجل وراءه وطعنه بخنجر بين كتفيه فأرداه قتيلا ، وفى الغد سافر قويدر بن نعيم البوزيدى حاملا معه طابع فرحات وسيفه وأُذنيْه بعد قطعهما ، ثم سلم الجميع الى بوعزيز بن قانة الذى كان ينتظره مختبئا بالوادى قريبا من بلدة (الوطاية) ببسكرة .

وبادر بوعزيز بن قانة بكتابة رسالة مؤرخة بـ 20 نوفمبر سنـــة 1842 م الى الحاكم العام الماريشال "فالي" بالجزائر بواسطة الجنرال "نيقريى" حاكم قسنطينة . ونص الرسالـــة :

«يسرنى أن أعلمكم أن فرحات بن سعيّد خليفة الأمير عبد القادر بالصحراء قد قتل فى معركة نشبت بينه وبين عرش البوازيـد وقعت غربى الصحراء ، واستطاع شيخ العرب بوعزيز بن قانة أن يأخذ خاتمه وسيفه وأرسلهما اليّ ، وليس عندى معلومات أخرى دقيقة فى هذا الحـادث» .

امضاء : **الجنرال نيقريي حاكم قسنطينة** (1)

خير الدين احمّد بن محمـــد بن سليمان بن محّـــان

وبعد مقتل فرحات بن سعيّد بسبعة أيام قتل ابن عمه جدنا الثاني خير الدين بن الحاج احمّد بن محمـــد بن سليمان بن محّان ، وهو من الشخصيات البارزة فى قبيلة االذواودة ، قصد تصفية شخصيات معينة من القبيلة تمهيدًا لقيام قيادة ابن قانة تحت العلم الفرنسي .

---

(1) عن شارل فيرو : تاريخ جنوب قسنطينة .

قال شارل فيرو : «وبعد خمسة قرون من النفوذ الشامل لشيوخ العرب الذواودة على الصحراء ظهر اسم ابن قانة فى هذه المنطقة مع الاحتلال الفرنسي » (1) .

أصل عائلــة ابن قانــة

قال شارل فيرو : « كانت فى جبل جرجرة وفى قرية (كوكو) بالذات امرأة تسمّى (قانة) ولها أبناء كبيرهم يسمى يحي ، انتقلت هي وأبناؤها الى عرش (العنافة) وتزوجت برجل من هذا العرش ، والى الآن يوجد قبر يحى بن قانة فى قرية (تفانة) ، واخوة يحي هذا افترقوا» .

والذى يهمنا الآن ، تلك الفرقة التى استقرت فى نواحى بجاية وأنشأت قرية تسمى الآن (آيت قانة) فى عرش (العنافة) ، وأحد أبناء قانة يسمى (محمود) استقر فى قرية (رجّاس) قريبا من بلدة (ميلـــة) .

هذا الرجل هو جد أولاد ابن قانة الذى كتب عنه الرائد (سيروكا) فى دراسته عن عائلة ابن قانة ويطلق عليه اسم الحداد لأن مهنته الحدادة فى قرية (رجّاس) ، وقد ولد له ولد سمّاه سليمان بن قانة ، وسليمان هذا ولد له أبناء عدّة ، وذات يوم مرّ عليه موظف تركي من جنود حامية القل يدعى (أحمـد القلى) كان فى مهمة رسمية ، فهو لذلك دائم التردّد على قسنطينة ، فوقف يوما أثناء الطريق فى (رجّاس) ليصلح حدائد فرسه عند هذا الحدّاد ، ونشأت بين هذا الموظف التركي وابن قانة الحدّاد رابطة صداقة آلت الى مصاهرة بين أحمـد القلّي التركي وبين سليمان بن قانة الحدّاد حيث تزوج الأول بنت الثانى التى تسمّى (مباركة) بنت ابن قانة ، فولد له محمـد الشريف ابن أحمد القلي ، ثم تزوج محمـد الشريف من شريفة بنت ابن قانة فولدت له ولدًا هو الباي أحمد بن محمـد الشريف آخر بايات قسنطينة الأتراك .

قال بوضرية فى مذكراته : (وقد غلب عليه اسم أمه (فيدعى أحمد بن شريفة) كما غلب على أخواله اسم جدّتهم (قانة) فكل واحد منهم يدعى (ابن قانـــة) .

---

(1) عن شارل فيرو : تاريخ جنوب قسنطينـــة .

قال شارل فيرو : «هذه الرواية عن أصل عائلة ابن قانة هي الثابتة، يعرفها سكان قسنطينة وميلة وسكان الناحية كلهم سنة 1860 م تاريخ تأليف هذا الكتاب» (1) .

عائلة بوعزيز بن قانـــة

وقبل أن أنهى الكلام عن نسب عائلة ابن قانة التى وجدت فى الصحراء أيام الاحتلال الفرنسي لهذه البلاد ، أرى أن أقدّم للقراء نبذة عن شخصية (بوعزيز بن قانة الأول) الذى لعب دورًا نشيطا فى حياته العائلية فأقول :

ان هذا الرجل هو الذى أقام دعائم هذا البيت ، وثبت أركانه ، وهو السبب المباشر فى وجوده وبقائه فى ظل الحكم الفرنسي من أول يوم الاحتلال للصحراء الى آخر يوم من أيام هذا الحكم الاستعماري الفرنسي، الذى رحل وترك الحكم والوطن لبنيـــه .

هذا الرجل (بوعزيز بن قانة) كان ذا شخصية تتمتع بشيء غير قليل من الدهاء وسعة الحيلة ، وكان كما وصفه الباي أحمـــد بن أخته فى مذكراته بقوله : «كان متلهفا على المال ومفتقرا الى الشجاعـــة» .

وبهذه الخلال استطاع أن (يلعب على الحبلين) بسهولة ويسر ، فيمدّ يده اليمنى لابن أخته الباي أحمد القلي بالنصيحة والتوجيه الى كل ما من شأنه أن يقرّبه من مطامحه الشخصية ، كما قال الباي أحمد فى مذكراتـــه .

وفى الوقت نفسه يمد يده اليسرى الى الفرنسيين الغزاة لربط العلاقات معهم يمّهد السبيل لنفسه ولأفراد أسرته ليصعدوا للسيادة والحكم على قبائل العرب فى الصحراء . وبذلك يطمئنون للعيش الهنيء تحت ظل الراية الفرنسيـــــة .

وبعد مقتل فرحات بن سعيّد خليفة الأمير عبد القادر فى الصحراء سنة 1842 م زحف الجيش الفرنسي فاحتل بسكرة ونصّب (بوعزيز بن قانة الأول) الذى كان مرافقا للجيش الفرنسي ، نصّبهُ قائدا على الزيبان والعرب الشراقة ، وفى هذا

---

(1) تاريخ جنوب قسنطينـــة .

الوقت نفسه عيّن الأمير عبد القادر السيد الحسن بن عزّوز خليفة له على الزيبان والعرب الغرابة ، ثم كانت المعركة الأولى فى الصحراء حول بلدة مليلي بين الحسن بن عزّوز خليفة الأمير عبد القادر وبين الجيش الفرنسي الذى يشارك فيه بوعزيز بن قانة بنفسه وبمائة وخمسين من العرب المشاة معه ، كما قال شارل فيرو فى (تاريخ جنوب قسنطينة) .

وكانت النتيجة انهزام جيش الحسن بن عزّوز أمام الجيش الفرنسي الضخم وحليفهم ابن قانة ، وبعد هذا الانتصار المتوقع للجيش الفرنسى كتب بوعزيز بن قانة الى الجنرال "قالبو" حاكم قسنطينة يهنئه ويعلمه بأن هذا الانتصار هو نهاية مقاومة الأمير عبد القادر فى الصحـــراء .

نقل هذه الرسالة شارل فيرو فى كتابه المذكور .

وبهذه المناسبة أقيم حفل كبير يوم أول ماي سنة 1842 م تحت رئاسة الجنرال "قالبو" حاكم قسنطينة بمكان يدعى (كدية عاتي) (1) .

حضره بوعزيز بن قانة قائد الزيبان الذى أحضر معه جيشا من العرب بزيهم العربي للمشاركة فى هذا الاحتفال .

وحين حضر الجنرال "قالبو" الى الحفل صدحت الموسيقى العسكرية ، وأمر بوعزيز برفع العلم الفرنسي وباطلاق طلقتين من مدفعين ، وقال : إنه أخذهما غنيمة أثناء معركة وقعت بينه وبين الحسن بن عزّوز خليفة الأمير عبد القادر ، وهذان المدفعان مكتوب عليهما بالخط العربي المحفور "مصانع تلمسان" ، ثم رفع بوعزيز بن قانة بيده سيفا مكسورا معلنا أن كسر هذا السيف كان بيده أثناء المعركة التى انهزم فيها خليفة الأمير عبد القادر الحسن بن عزّوز (2) .

---

(1) كدية عاتي اليوم صارت ضمن المدينة بعد توسع قسنطينة وبها السجن الكبير المشهور المعروف (بسجن الكدية) .

(2) تاريخ جنوب قسنطينة لشارل فيرو .

وفى هذه الاحتفالات التى أقيمت بقسنطينة يظهر (بوعزيز بن قانة الأول) أبو العائلة ومؤسسها كقائد أوحد للصحراء ، يقدم لفرنسا أجل خدمة فى سبيل بسط نفوذها وسلطتها ، بازاحة فرحات بن سعيّد شيخ العرب وخليفة الأمير عبد القادر بالصحراء ، معززا هذه الخدمة بهزيمة الحسن بن عزوز خليفة الأمير عبد القادر الذى تولّى هذا المنصب بعد فرحات بن سعيّد .

ونظرًا لهذه الخدمات التى قدمها لفرنسا رأى أن له الحق فى مطالبة فرنسا بمايلى :

أولا : تعيينه (شيخا للعرب) بنفس السلطة الواسعة التى كان شيوخ العرب الذواودة يتمتعون بها فى العهد السابق على القبائل العربية كلها فى الصحراء ، وقد طلب ذلك من الوالى العام بواسطة حاكم قسنطينة .

ثانيا : أن تجعل فرنسا تحت قيادته قسما من الجيش الفرنسي المسلّح لتحقيق الاستقرار وتمكين سلطة فرنسا فى الصحراء كلها .

فرفض الماريشال "فالى" حاكم الجزائر هذين المطلبين لأمرين اثنين :

أولهما : إلغاء هذا اللقب التاريخى الذى كان له شأن مهم عند العرب فى مسارهم الطويل .

وثانيهما : تضييق المجال الذى تمنحه فرنسا لأي قائد عربي والتقليل من حجمه، والاكثار من القادة حسب الخطّة الاستعمارية المعروفة (فرّق تسد) لتفتيت القوى الوطنية .

ثم أعلن حاكم الجزائر العام خطة جديدة كقانون لتغيير القوّاد فى الصحراء كما يلي :

يعيّن الذبّاح بن السخرى من قبيلة الذواودة قائدًا على زاب أولاد جلال والعرب الغرابة .

ويعيّن علي بن فرحات بن سعيّد (وكان فى ذلك الوقت شابا صغير السن) بايا على (سوف) وتقرت وماحولهما من الصحرى المتدّة التى لايعيش فيها بشر ولا ينبت بها شجر .

وقد وضعت هذه الخطة لالهاء العرب عن ذكر ماضيهم الذاهب وتوجيههم الى مستقبل جديد فى كنف السيادة الفرنسية ، كي يشعر الجميع أن حقوقهم فى وطنهم باقية ، وأن قيادتهم متواصلة على رأس قبائلهم فلم يخسروا شيئا من جرّاء تبديل الأسماء والأشخاص .

وهكذا قضى الاستعمار الفرنسي وأعوانه الدخلاء على لقب (شيخ العرب) التاريخى الذى كان رمزا لقيادة العرب الهلاليين فى شمال افريقيا أكثر من عشرة قرون ، كما قضى على لقب (الخليفة) الذى كان رمزا لخلافة الأمير عبد القادر .

الخاتمــــة

الى هنا ينتهى ماقصدت اليه من عرض سلسلة نسبنا وتراجم بعض الرجال من أسرتنا الذواودة الهلاليين ، وقد ذكرت بعض ما وقفت عليه من أخبارهم وما اعترضهم من أحداث فى تاريخهم الطويل ، متوخيا الايجاز والنقل الصحيح عن ثقاة المؤرخين الذين عاصروهم أو جاءوا بعدهم ودوّنوا أخبارهم ، وعن بعض المؤرخين الأجانب الذين عاشوا فى الجزائر من أول عصر الاحتلال الفرنسي أوبعده.

وقد ترفّعت عن ذكر مثالب من عاصروهم من الخصوم والأعداء سواء أكانوا من المسؤولين أم غير المسؤولين باستثناء أحمــد باي آخر بايات قسنطينة الأتراك وباستثناء خاله بوعزيز بن قانة الأول وبطانتــــه .

أما الباي أحمــد القلى آخر بايات الأتراك لعمالة قسنطينة فقد قال عنه معاصره السيد أحمد بوضربة فى مذكراته «إنـه كان رجلا قصير النظر متلهفـا على السّلطـــــة» .

ولا ريب أن كلّ من قرأ ماكتبه هو بقلمه فى مذكراته أو قرأ ما كتبناه عنه فى مذكراتنا هذه يدرك من أول نظرة أنه ليس فى مستوى رجل دولة يخوض غمار السياسة والحـــــروب .

هذا اذا لم نتّهمه بالخيانة الوطنية والتعاون مع الأعداء المستعمرين،فلو كان لهذا المسكين ايمان أو عقل يصونه لمدّ يده للقائد المجاهد الأمير عبد القادر ، ثم لمدّ يده أيضا لقائد الصحراء شيخ العرب سليل الأبطال الهلاليين فرحات بن سعيّد الذى شهد له بنفسه فى مذكراته بالكفاءة الحربية ، فلو فعل هذا لكان من الصّعب على فرنسا أن تحتل الجزائر .

وأما بوعزيز بن قانة الأول ومن أتى بعده من أبناء أسرته فقد رأيت من الواجب عليّ أن أسجّل للتاريخ فى هذه المذكرات (وقد سجّلت بالفعل) بعض الجرائم التى اقترفوها ضد رجال أسرتنا من أولاد سليمان أبى دينار بن علي بن أحمد ، وأولاد عمومتنا أبناء السخرى بن يعقوب بن علي بن أحمد ، وامعانهم فى القتل والتشريد للقبائل العربية التى ترتبط بهم برابطة نسب أو ولاء ، فكل ذلك فعلوه باغراء واعانة من الغزاة الفرنسيين كي ينسى العرب تاريخ الذواودة الهلاليين وماضيهم فى هذا الوطن .

ولكن عليهم أن يعلموا أن التاريخ الصحيح لا ينسى .

النشـــأة

المـولـــد

شهدت بلدة فرفار (1) بواحات الزيبان بدائرة بسكرة مسقط رأسى فى شهر ديسمبر 1902 م ونشأت فى كنف والديَّ : خير الدين بن حمـــد أبي جملين ، والحاجة الزهراء بنت المغربي مع أربعة إخوة أشقاء جاءوا بعدى وهـــم :

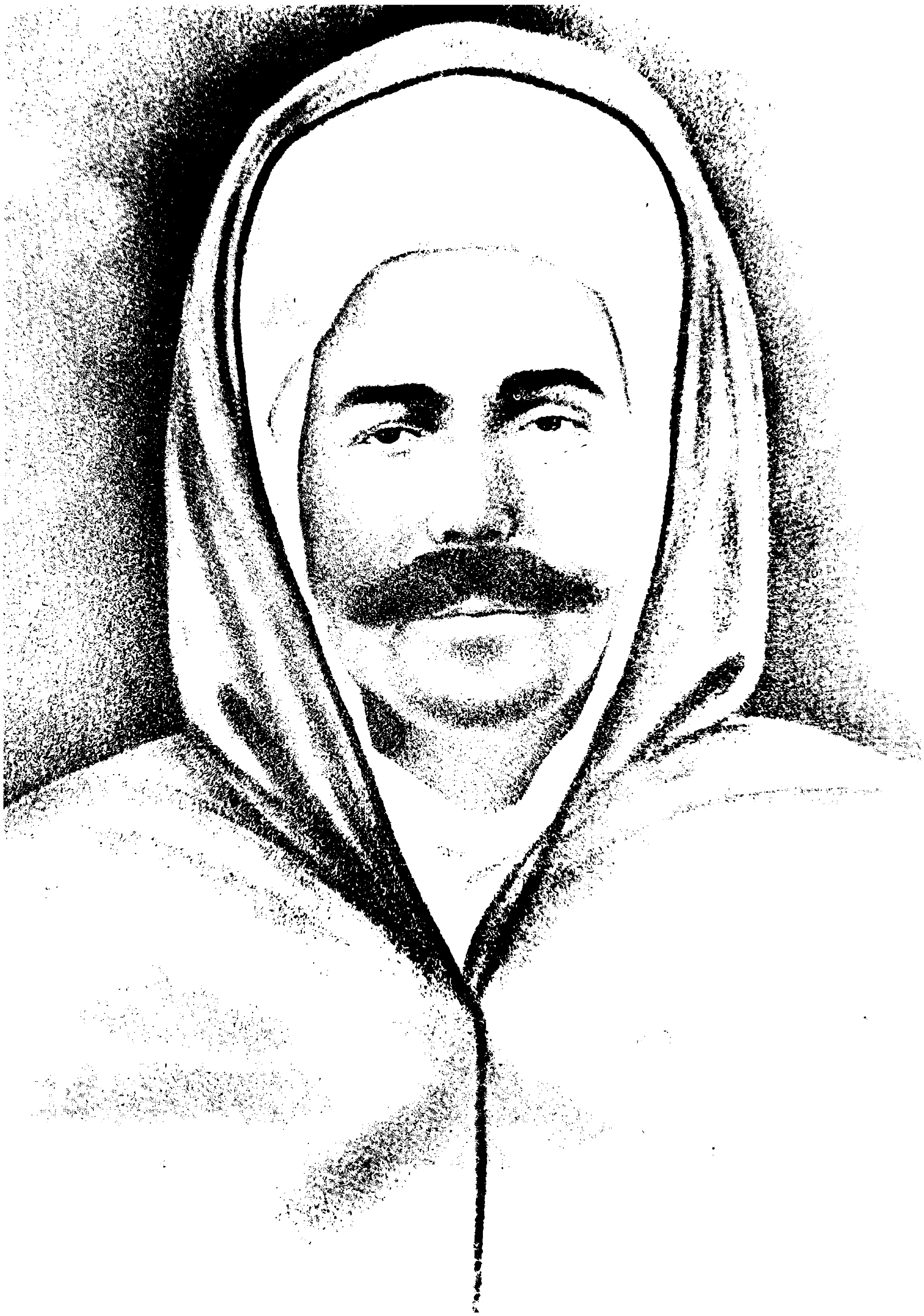
عبد القادر ، اسماعيل ، الحفناوي ، عبد السلام الذي توليت تربيته منذ صباه لأن والدنا – رحمه الله – فارق الحياة ، ولم يتجاوز هذا الصبي عامين من عمـــره .

التربيـــة

اهتم والدنا بتنشئتنا نشأة دينية ، فقد كان حافظا للقرآن الكريم مواظبا على الصلوات فى أوقاتها المستحبة فرائضها ونوافلها ، وكان يتلو الأوراد فى الصباح والمساء ويوثر مجالســة العلماء ، ويقول : (ان مجالستهم تحيي القلوب الميتة) .

---

(1) فرفار من واحات الزيبان على بعد ثلاثين ميلا غربى مدينة بسكـــرة ، يقول عنها ابن خلدون فى كتابه العبر : هي بلدة اختطها يعقوب بن علي أمـير الذواودة ورياح ، وفجر فيها المياه وأنشأ فيها بساتين النخيل والأشجار ، واتخذها مشتى للعرب الهلاليين من قومه .



وكان يتردد على منزلنا عدد غير قليل من جلة العلماء عرفت من بينهم الشيخ العابد السماتي الجلالي وهو والد زميلنا الأستاذ الأديب محمد بن العابد الجلالي ، والشيخ النابغة الشاعر محمد بن عزوز الخالدي ، والشيخ مصطفى أبا عبد الله الغمري الذي تعلم على يدي اثنان من حفدته هما : الحسين أبو عبد الله ، وأخوه الطيب وقد أتم الأخير دراسته بالأزهر .

وكان والدنا ذا صلة وثيقة بالشيخ المدني بن الشيخ علي بن عمر ، يحضر دروسه في شهر رمضان المعظم رحمهم الله جميعا .

اهتم والدنا بتربيتنا تربية دينية فغرس في نفوسنا تعود أداء الصلوات في أوقاتها ، وحرص على اتمامنا حفظ القرآن الكريم فحفظناه جميعا ماعدا شقيقنا الأصغر الذي حفظ نصفه فحسب ، ثم ألحقتُه بالمدرسة التابعة لجمعية العلماء ببسكرة وبالمدرسة الفرنسية الكائنة بتلك البلدة وتخرج فيها بالشهادة الابتدائية .

وكان والدنا يُشرِكُنا الرأي في بعض شؤون الحياة ، وبذلك تحملنا المسؤولية في مختلف الأمور ، وأثمرت هذه التربية ثمرات طيبة في العلاقات الأُسرية فيما بيننا ، فكنا نسكن منزلا واحدا ، ونطعم من قدر واحدة نحن وأبناؤنا وتلك نعمة نشكر الله عليها ونسأله المزيد . كما غرست هذه التربية في نفوسنا المحبة والتعاون والاحترام المتبادل بيننا وبين الآخرين ، وأسجل هنا بكل اعتزاز ما وجدته في أشقائي من الطاعة والعمل الجاد في سبيل الحفاظ على ما تركه والدنا من تراث مادي وأدبي رحمه الله وطيب ثراه .

التعلم

بعدما حفظت القرآن كنت أتطلع إلى تعلم العلم ، ولمّا لم يكن في بلدتي من يدرسه للطلاب ، فكرت في الرحلة لطلبه في أي مكان ، بالزيبان أو ببسكرة . وقد يسّر الله لي الأسباب إلى أبعد من ذلك فله الحمد والشكر على ذلك .

الرحلـــة فى طلب العلـــم

ارتحلت فى طلب العلم رحلتين : كانت الاولى الى قسنطينة وكانت الثانية الى تونس ، وقد اهتم والدى برحلتى الأولى وهيأ لها الأسباب . أما الرحلة الثانية فقد تحمست لها بنفسى وقمت بتنفيذها بانفرادى .

زار والدى مدينة قسنطينة فى اكتوبر 1916 م لقضاء بعض شؤونه وتوجه أثناء تلك الزيارة الى مسجد "الأربعين شريفا" وصلى به وحضر درس امام المسجد الشيخ "الطاهر بن زقوطة" وبعد الدرس والصلاة تحدث والدى مع الشيخ الذى سأله عن أبنائه وعمن حفظ القرآن منهم فأخبره أبى بأن أكبرهم قد أتم حفظ القرآن هذا العام ، فعرض عليه الشيخ الامام ان يبعث بى الى قسنطينة لأتعلم العلم تحت إشرافه كواحد من أبنائه فشكره والدى ، وقفل راجعا الى بلدتنا مسرورا لتحقيق هذه الامنية التى كنا نتطلع اليها ، وجهزنى فى الحال للرحيل الى قسنطينة وصحبنى فى بداية الرحلة أحـــد أقاربى ، وزرنا ضريح الشيخ عبد الرحمن الاخضري (1) الذى يبعد عن بلدتنا بحوالى ستة كيلومترات تبركا بهذا العالم الجليل وتيمنا به فى طلب العلـــم .

الرحلـــة إلى قسنطينـــة

قضينا الليلة فى جوار ذلك الضريح . وفى الصباح توجهنا الى مدينة بسكـــرة ، ومنها ركبت القطار وحدى متوجها الى قسنطينة مقصد طلاب العلم والمعرفة بالجزائر فى ذلك الوقت ، وتركت ذلك القريب فى بسكـــرة .

---

(1) العلامة عبد الرحمن الاخضري ، من قبيلة الذواودة الهلاليين التى كانت تقطن جنوب نقاوس بولاية باتنـــة ، وتجاورها غربا بلدة "مقرة" الاثرية التى ينتسب اليها العلامة "المقري" التلمساني صاحب كتاب "نفح الطيب" ، ومن مؤلفات الاخضري : كتاب (السُّلم) فى المنطق و (الجوهر المكنون) فى البلاغة و (منظومة القدسية) فى الرد على أهل البدع ، وقد ارخ لسنه ، وتاليفه وعرف بعصره فى آخر (منظومة السُّلّم) بقوله :

ولبُنيْ إحـدى وعشرين سنـــة	معـذرة مقبولـــة مستحسنـــة
لاسيا فى عـــاشر القـــرون	ذى الجهل والفساد والفتون
وكان فى أوائـــل المحـــرم	تـــاريخ هـــذا الرجـــز المنظم
فى سنـــة احـــدى واربعينـــا	من بعـــد تسعـــة من المئينـــا

كانت هذه اول زيارة اقوم بها لتلك المدينة ، وعندما دخلتها توجهت الى مسجد "الاربعين شريفا" وحططت رحلى فى بيت اعدّ لى ، ثم التقيت بالشيخ الطاهر بن زقوطة فرحب بي ودعا لى بالنجاح والتوفيق .

المراكز العلمية وشيوخها

كان بقسنطينة فى ذلك الوقت ثلاثة مراكز تعليمية يقصدها الوافدون لتلقى العلم ، هي :

1) "الجامع الاخضــر" ويقوم بالتدريس فيه الشيخ الامام عبد الحميــد بن باديس ، ويضم حوالى (200) مائتي طالب .

2) "جامع الكتانى" ويقوم بالتدريس فيه الشيخ أحمد الحبيباتني ويضم حوالى (50) خمسين طالبا .

3) مسجد "الأربعين شريفا" ، ويضم حوالى (20) عشرين طالبا ، يقوم بالتدريس لهم الشيخ الطاهر بن زقوطة ، وهو حفيد عمار بن زقوطة الذى قاد جيش الدفاع عن قسنطينة وعنابة ضد جيش الاحتلال الفرنسي عام 1837 م ، وهو أحـد أخوال أبناء الشيخ الحسين القشي ، كان الشيخ الطاهر قد تلقى علومه بقسنطينة على يد الشيخ حمدان الونيسي والشيخ عبد القادر المجاوي ، وعمل إماما رسميا لمسجد الاربعين شريفا مكلفا باقامة الصلاة فيه ، ثم فى جامع الكتاني بعد ذلك .

الفنون التى قرأتها

تلقيت الدرس الاول عام 1916 م على يد الشيخ الطاهر فى علم (النحو) ، وتابعت دراستى فقرأت عليه : كتاب (الأجرومية) فى النحو ، ومنظومة (الرحبية) فى الفرائض ، و(الرسالة) لابن أبى زيد القيرواني فى الفقه ، امضيت عامين فى تحصيل هذه العلوم كنت اقوم خلالهما بشغل أوقات فراغى بتلاوة القرآن وحفظ المتون العلميـــة .

ومن العلماء الذين عرفتهم بقسنطينة

الشيخ عاشور بن محمد الخنقي المولد ، الهلالي النسب من قبيلة السراحنة الهلاليين التى تقطن جنوب الاوراس ، وهو شاعر عصره فى المديح والهجاء ، ومن مدائحه للشيخ أبـى التقى دفين "برج بوعريرج" قوله :

اليك أبا الهـدى مولى المـوالي حقيق - لو دَرَوْا - شدُّوا الرحال
على الاقْـدام أوفـوق المطايـا على الأبعـاد أو قـرب المجـال

ومن هجائه لمربى الجيل الشيخ عبد القادر المجاوى - وكان يلقى دروسه بالجامع الكبير بقسنطينة فتكتظ رحابه على سعتها بالمستمعين اليه ، وكان من عادته أن يتمايل برأسه وجسمه أثناء إلقاء دروسه - قوله :

كـأن أدراسـه أسواق باديـة وهـو على بغلة عرجاء سمسار

له ديوان شعر مطبوع بالجزائر فى المطبعة الثعالبية عنوانه (منار الاشراف) . وهناك رودود عليه ، منها كتاب (هدم منار الاشراف) للشيخ الديسى .

وفى آخر العام الثانى من اقامتى بقسنطينة قدم اليها من تونس الشيخ الصالح الرحابي الرياحي الدراجي ، كان قد أنهى دراسته بجامع الزيتونة ونزل ضيفا على الشيخ الطاهر بن زقوطة فانتهزنا نحن تلاميذ المسجد مقامه بيننا وأخذنا نلتف حوله نسأله عن الحياة العلمية بالزيتونة ، وعن الكتب التى تُدرس فيه والعلماء الذين يدرسون ، فزودنا - رحمه الله - بالكثير من المعلومات التى ملأت نفسى رغبة فى الاغتراف من معين هذا المورد الفياض .

وعقدت العزم من ذلك الوقت على السفر الى تونس بعد أن أيقنت أن مقامى فى قسنطينة لم يعد يكفى لاشباع رغبتى فى طلب العلم ، ولم أشأ أن أُشعر والدى بما عزمت عليه خوفا من أن يمنعنى من ذلك ، إما للخوف علي من بُعدِ الشقة ومتاعب الاغتراب ، أولعدم تقديره تقديراً صحيحا أبعاد هذه الرحلة .

الرحلـــة الى تونـــس

أمضيت العطلة الصيفية فى مسقط رأسي بفرفار ، دون أن أخبر أحدًا بما عزمت عليه،وما إن جاء الخريف حتى تزودت وانطلقت للسفر كأنني ذاهب إلى قسنطينة وأنا قاصد تونـــس ، ركبت القطار وحللت بها ليلا ، قضيت ليلتى الاولى فى أحد الأسواق التى تبيت ساهرة . وفى الصباح توجهت إلى حي جامع الزيتونة ، واكتريت به سكنا ونظمت شؤونى الخاصة ، ثم دخلت الجامع فهالنى مارأيت من فروق واضحة بين الحياة العلمية فى هذا المسجد العامر والحياة العلمية فى مدينة قسنطينة ، فقد شاهدت عشرات الحلقات العلمية يقوم بالقاء الدروس فيها أساتذة أجلاء استبدلوا بالصحائف والكتب حافظة واعية وذاكرة قوية ينهمر العلم من أفواههم كالسيل الدافق ، وقد جلس التلاميذ لسماع الدروس على فرش مبسوطة ، يرتدون العمائم وبأيديهم محافظهم ، وعلى سيماهم الرغبة الصادقة ، والحماس الدافق ، والنشاط المتأجج للتزود من العلم والمعرفة . وفى هذه الساحة العامرة بالحلقات العلمية تُوجد على يمين المحراب وشماله خزائن الكتب التى تبرع بها الخيرون وجعلوها وقفا لطلاب العلم على مر السنين ، والى جوار الجامع هناك مكتبة "العبدلية" الكبيرة الواسعة ، عامرة بالكتب ، جيدة التنظيم ، عميمة الفوائد والخدمات لطلاب العلم . وأمام المكتبة مبنى الادارة الخاصة بنظار الجامع ومراقبيه .

كان لزاما عليَّ أن أسلك الطريق الذى يمربه كل طالب يريد الالتحاق بالدراسة فى جامع الزيتونة بصفة رسمية،فتوجهت الى ادارة الجامع وملأت الأوراق الخاصة بالتسجيل ، وتسلمت الدفتر الذى أقدمه الى شيوخـى ليثبوتوا فيه حضورى وغيابى ، ويكتبوا فيه تقريرا عن سلوكى مع بداية كل شهر ، ونتائج امتحاناتى كل سنة .

انتظمت فى سلك الدراسة بهذا الجامع بالنظام المعهود فيه وقضيت سبع سنوات منكبا على تحصيل العلم ، وأصبحت مرشحا للحصول على الشهادة النهائية وهي شهادة "التطويــع" .

كان يشرف على امتحان الطلاب المرشحين لهذه الدرجة العلمية المجلس الشرعي برئاسة : شيخ الاسلام ، وقاضيَيْن : أحدهما حنفي المذهب والآخر مالكي ، ويحضره

الناظر العام للجامع الاعظم ، والمدرسون ، وعدد جم من الطلاب . ويمر الامتحان بمراحل مختلفة يؤدى الطالب فى كل مرحلة منها نوعا خاصا من الامتحانات الكتابية ، والشفوية ، والتطبيقية ، فى ثلاثة أيام .

ففى المرحلة الأولى يؤدى الطالب الامتحان التحريري ، وهو عبارة عن كتابة مقالة فى أحد ابواب الفقه المدروسة ، ولا يختار الطالب موضوعه ، وانما يتقدم الى صندوق به عدة قصاصات ، يأخذ واحدةمنها ويكتب فى الموضوع الذى يجده فى القصاصة .

وفى المرحلة الثانية يتقدم الى صندوق ايضا ليجد فى القصاصة التى أخذها موضوع الدرس الذى يقوم بإلقائه أمام لجنة الامتحان ، وموضوع هذا الدرس من بين الفنون التى تدرس بالجامع الاعظم .

وفى المرحلة الثالثة يجلس الطالب أمام لجنة الامتحانات ليجيب عن أسئلة ثلاثة فى علوم المنطق والبلاغة والتاريخ ، ولم تكن طريقة الامتحان قاصرة على قياس قدرة الحفظ والاستظهار لدى الطلاب فحسب ، وانما كانت تهدف الى الكشف عن قدراتهم فى نواحي متعددة .

كان يسمح للطالب بعد معرفة موضوع الدرس ، وقبل مثوله أمام اللجنة ، أن يقضي أربع ساعات بالمكتبة يتزود فيها بما يشاء من الكتب حتى يتمكن من إلقاء الدرس المعين له ، ويقوم بحراسته وتقديم الكتب له أثناء الاطلاع أحد النظار ، فاذا استوفى الوقت المعين له توجه الى لجنة الامتحان بالجامع الاعظم ، يصحبه ناظران يسير أحدهما أمامه والآخر خلفه ، فيجلس أمام اللجنة ويلقى درسه ، وبعد ثلاثة أيام تعلن النتائج .

تقدمت إلى الامتحان للحصول على شهادة التطويع فى شهر جوان عام 1925 م وكان موضوع مقالتى (القسمة عند فقهاء المالكية) أجدت فى عرضها وتفصيلها ، أما موضوع الدرس الذى ألقيته فكان فى مادة النحو وهو شرح بيتين من ألفية بن مالك هما :

وصل أو افصل هاء سلنيه وما ... أشبهه فى كنته الخلف انتمى
كذاك خلتنيه واتصالا ... اختار ، غيرى اختار الانفصالا

استغرقت فى إلقاء هذا الدرس ساعة من الزمن ، تعرضت فيها لآراء المكودى والأشمونى شارحي الألفية وآراء الصبان صاحب الحاشية ، ووُفقت فى إبداء بعض الملاحظات على الأشمونى مؤيدًا وجهة نظر المكودى ، وقدمت الادلة العلمية عليها ، فأثار ذلك إعجاب أساتذتى أعضاء لجنة الامتحان ، وقد عبر عن ذلك الاعجاب شيخنا الطاهر بن عاشور حين خصنى بالشكر والدعاء أمام الملأ ، وأثنى بصفة عامة على طلاب العلم الجزائريين الذين يدرسون بتونس لعنايتهم بالدرس والتحصيل .

وبعد اداء الامتحان بثلاثة ايام ، اعلنت النتيجة وعلقت على جدران الجامع الاعظم ، ونشرتها الصحف الوطنية بالصورة التالية :

«بيان بالطلاب الحاصلين على شهادة التطويع لعام 1925 م من جامع الزيتونة :

الاول : الشيخ محمد بن الزنايقية التونسـي .

الثاني : الشيخ محمد بن خير الدين الجزائري ....»

ثم توالى ذكر أسماء الناجحين وبلغ عددهم خمسين طالبا .

وكان من لقيتهم أثناء دراستى فى تونس بلقاسم خمار وهو يرتدى زي ضابط فرنسي كبير ، وقد كنت مرشحا معه لمتابعة دراستى فى الكلية الحربية التى أنشأتها فرنسا عام 1914 م بمليانة بعمالة الجزائر لتخريج الضباط من أبنـاء الأعيـان الجزائريين، وتابع هو دراسته بتوصية من شخصية دينية محترمة كان قد أساء إليها بلقاسم فى قصائد هجاء أذكر منها هذه الأبيات :

تنبـه والشمس قـد رسمـت ... زوالا على محـور العـالم

فمـد الى الجـرس اصبعـه ... واسرع فى دعـوة الخـادم

وقـال : الا ادع لنـا قهـوة ... فرد : أما سيدى اليوم بالصائم ؟!

وأعفانى والدى – رحمه الله – من هذه المهمة العسكرية ودفع التعويض المالي مقابل إعفائى من ذلك ، ومن عجيب المصادفات أنى لقيته فى منزل هذه الشخصية الدينية الموقرة التى دفعته إلى الجندية عام 1920 م بتونس . يحمل شارة ضابط فرنسى .

ماذا استفدت من تونس غير العلـــم ؟

كانت رحلتى الى تونس ذات أبعاد متعددة فى تهيئتى للدور الذى قدر لى ان اقوم به فى حركة الاصلاح الجزائرية فيما بعد ، فلم تقتصر فوائد إقامتى بتونس على تحصيل العلم والثقافة العربية الاسلامية فقط ، بل اطلعتنى على مظاهر النهضة الوطنية أيضا .

فقد شهد العام الاول من أقامتى بتونس ، انبعاث حركة سياسية قوية عمت أرجاء البلاد ، شاركت فيها الحواضر والبوادى ، وصاحبت صدور الصحف الوطنية التى تلهب المشاعر وتنادى بحقوق الشعب فوق أرض آبائه واجداده . وانعقاد الاجتماعات العامة فى القاعات والبيوت والاندية ، وإلقاء الخطب والمحاضرات .

وفى خضم هذه المشاعر المتأججة قامت مظاهراتان شارك فيهما الشعب التونسي مشاركة لم يسبق لها مثيل ، خرجت الاولى من جامع الزيتونة يقودها شيخنا (الصادق النيفر) ، وشيخنا (عثمان بن الخوجة) ، من أعلام جامع الزيتونة المعروفين سار فى مقدمتهـــا الطلاب وتبعهم الشعب ، وكان المتظاهرون يهتفون بحياة تركيا ويستنكرون احتلال جيوش الحلفاء لعاصمة الخلافة الاسلامية اسطنبول ومضيق الدردنيل ، توجهت المظاهرة إلى السفارة الفرنسية فى ساحة باب البحر ، فلما وصلتها دخل إليها الشيخان وقدما احتجاجا مكتوبا باسم تونس إلى سفير فرنسا ليرفعه الى حكومته وحلفائها ، وقد شاركتُ فى هذه المظاهرة مع بعض الطلاب الجزائريـين .

والمظاهرة الثانية كان سببها التدخل السافر من الاستعمار فى شؤون الباي (محمد الناصر) ، فأعلن استقالته وصدرت الصحف الوطنية صباح اليوم التالى مجللة بالسواد ، فقامت مظاهرة كبرى سار فيها الشعب على الاقدام مسافة طويلة (ستة عشر كيلومتراً) حتى وصلوا إلى قصر الباي بالمرسى ، فخرج إليهم الباي وكلمهم مباركا موقفهم مؤيدا صنيعهم ، وتحدث الخطباء من الشعب وأكدوا وَلاَءَهُم للعرش ، وهتفوا بحياة (محمد الناصر) . وكان من جملة الخطباء فى ذلك اليوم الشيخ عبد الرحمن اليعلاوى الجزائرى الزيتونى الذى عاد بعد الاستقلال الى الجزائر وتقلد إدارة : "بنك القرض الشعبي الوطني الجزائري" ، وتوفي من بضع سنوات رحمه الله .

شاهدت ذلك كله فى العام الأول من مقامى بتونس سنة 1918 م ، كما شاهده كل الطلاب الجزائريين الذين يتلقون العلم بتونــس .

عاشت تونــس خلال مقامى بها ما بين عام 1918 م و 1925 م فترة خصبة من حياتها ، عامرة باليقظة والنهضة ، رأيت فيها مالم أشاهده من قبل فى حياتى الأولى بالجزائر ، فأثّر ذلك فى تكوينى وهيّأنى للعمل على نهضة الجزائر فى مجالين متوازيين هما : الاصلاح الدينى ، والاصلاح الوطنى .

أولهما يأتى عن طريق التعليم الديني ونشر مبادئ الاسلام الصحيحة واحياء اللغة العربية ، وثانيهما ياتى عن طريق توعية المواطنين بحقوقهم الوطنية والسياسية .

وهكذا استفدت من إقامتى بتونس – زيادة عن العلم – بزاد آخر سياسي واجتماعي ثري . ورجعت الى الجزائر مؤمنا بان نهضتنا تتحقق بالعمل فى المجالين السابقين : احياء الدين ، وإذكاء روح النهضة بين المواطنيــن .

الإصلاح وأطواره في الجزائـــر

أطوار الحركة الاصلاحية

مرت حركة الاصلاح بالجزائر بعدة اطوار وكانت مشاركتي فيها متماشية مع طبيعة الظروف التي مرت بها حركة الاصلاح ، ويمكنني أن أقسم مراحل المشاركة في هذه الحركة الاصلاحية إلى المراحل التالية :

المرحلة الاولى :

منذ عودتي من تونس عام 1243 هـ 1925 م الى تاسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1349 هـ 1931 م .

المرحلة الثانية :

من تأسيس جمعية العلماء سنة 1349 هـ 1931 م الى قيام حرب التحرير سنة 1374 هـ 1954 م .

المرحلة الثالثة :

من قيام حرب التحرير سنة 1374 هـ 1954 م الى الاستقلال سنة 1381 هـ 1962 م .

المرحلة الرابعة :

من استقلال الجزائر سنة 1381 هـ 1962 م الى يومنا هذا .

المــرحلة الاولــى

العودة الى الجزائــر

عدت إلى الجزائر فى عام 1925 م وكان والدى – رحمه الله – قد توفي فى اواخر عام 1924 م عن عمر لم يتجاوز تسعة واربعين عاما ، فألفيتُ نفسى أمام وضع جديد ، كان لزاما عليّ ان اواجهه وان اتحمل فيه المسؤولية كاملة فقمت بتربية إخوتى وتوجيهم التوجيه السليم ، وحافظت على ما ترك والدنا من ثروة فى الاملاك الفلاحية والتجارية ، واجتهدت فى العمل على تنميتها وتنظيمها معهم .

وفى طريق عودتى من تونــس عرجت على الشيخ عبد الحميد بن باديــس بقسنطينة سلّمت عليه وأبلغته السلام والتحية من أساتذته بالزيتونة ، والثناء على ما يقوم به من جهود فى سبيل الاسلام والجزائر ، وقد وافقت عودتى رجوع بعض الطلاب الجزائريين الذين درسوا بالزيتونة . أذكر منهم رفقائى الابرار الذين جمعتني واياهم حلق الدراسة : كالشيخ مبارك الميلي ، والشيخ العربي التبسي ، والشيخ السعيد الزاهري .

كما أن الامام ابن باديس كان قد خطا خطوات واسعة فى نهضته التعليمية بقسنطينة منذ حل بها عام 1913 م حيث تخرج على يده عدد من تلاميذه ، كان من أوائلهم وأشهرهم : مبارك الميلي والسعيد الزاهري .

فكر ابن باديس – رحمه الله ورضي عنه – فى توحيد جهوده مع جهود اخوانه ، وقد قال يوما لصفوة من انصاره انى عقدت العزم على توجيه دعوة الى ابناء الجزائر المتخرجين من جامع الزيتونة وكذلك العائدين من المشرق العربي لكي ندرس جميعا الحالة الراهنة ونتعاون على وضع خطة عمل لانقاذ هذا الشعب العربي المسلم بالجزائر قبل فوات الاوان .

اجتماع الرواد : فى عام 1928.م تحقق عزم ابن باديس ووجه دعوته الى الطلاب العائدين من جامع الزيتونة والمشرق العربي الذين رأى فيهم مقدرة واستعدادا للعمل فى سبيل الدين والوطن ولبى دعوته : الشيخ محمد البشير الابراهيمي ، والشيخ مبارك بن محمد الميلي ، والشيخ الطيب العقبي ، والشيخ العربي التبسي ، والشيخ السعيد الزاهري وكاتب هذه المذكرات الشيخ محمد بن خير الدين .

واجتمع هؤلاءِ الرواد برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس فى مكتبه المجاور لمسجد الاربعين شريفا بقسنطينة (1) وكانت مشاعر المجتمعين تفيض حماسا وعزيمة صادقة واستعدادا للتضحية فى سبيل الله والوطن .

وافتتح الرئيس الجلسة فحمد الله واثنى عليه وصلى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وقال ما ملخصه :

« ايها العلماء حياكم الله وامدكم بعونه ونصره ، وبعد : فلاشك أنه اصبح من المعلوم لدى كل واحد ان العدو الاستعماري الصليبي قد اغتصب ارضنا ودفع شعبنا الى السكن فى الكهوف ومغاور الجبال ، واصبح شغله الشاغل اضعاف الشخصية الجزائرية سياسيا فى طريق القضاء على وجودها لتحل محلها الشخصية الفرنسية ، من اجل هذا اسرع الاستعمار الخطا الى حشد عشرات الآلاف من الرجال والنساء من مختلف الجنسيات الاروبية ومنحهم الجنسية الفرنسية ثم اسكنهم العمالات

(1) هذا المسجد اول مكان تلقيت فيه العلم على يد الشيخ الطاهر بن زقوطة عام 1916 م . أما المكتب فهو إدارة مجلة (الشهاب) ، وليس بينهما اليوم سوى عمارة (مدرسة التربية والتعليم) وبناية سكنية .

الثلاث : (الجزائر ، قسنطينة ، وهران) من التراب الجزائري واقطعهم الأراضي الخصبة التي انتزعها من ملاكها ، ثم عبّد لهم الطرق واعانهم بالاموال من اجل بناء المساكن وتفجير المياه وواصل سيره هذا فى مخططه فاصدر القوانين المتعاقبة للقضاء على الشعب الجزائري بسهولة ويُسْرٍ حتى لا تقوم مقاومة من داخل البلاد ولا تذاع جرائم المستعمرين خارجها ، وقد رأيت من المفيد ان اقدم الى جمعكم المحترم بعضا من هذه القوانين الخطيرة لتدرسوها وتمعنوا النظر فيها وفى نتائجها ولتعرفوا ما يبيته لكم عدوكم، واليكم بعض القوانين الصادرة عن مجلس النواب الفرنسي :

قوانيـــن جائرة

اولا : صدر قانون عن مجلس النواب الفرنسي عام 1845 م يقضي بتقسيم الجزائر الى ثلاث عمالات (وهران والجزائر وقسنطينة) وجعلها ملحقة بالعمـالات الفرنسيـــة.

ثانيـــا : فى عام 1848 م صدر قانون يؤكد ان الجزائر جزء من فرنسا .

ثالثـــا : صدر قانون عن المجلس الفرنسي عام 1854 م يصرح فيه بان أرض الجزائر تعتبر أرضا فرنسية .

رابعـــا : فى عام 1879 م حدث جفاف عظيم بالجزائر ترتب عليه نقص كبير فى محصول الغلال وأصبح المواطنون المسلمون فى حالة يائسة وتفشت فيهم الامراض ، ومات عدد غير قليل منهم واستغل هذه الظروف "الكردينـــال لافيجـــري" واخذ يطوف فى البوادى من الشمال الى الجنوب حاملا بيده اليمنى الصليب وبيده اليسرى الخبز والدواء وتمكن بهذه الوسيلة من تحويل جموع هائلة من مرضى المسلمين وايتامهم عن دينهم الاسلامي وادخالهم فى الديانة المسيحيـة .

خامســا : فى عام 1900 م صدر قانون استولت بموجبه فرنسا على دور العبادة وعلى الممتلكات الموقوفة على الشؤون الدينية الاسلامية وضمتها الى املاك الدولة الفرنسية ، ثم وضعت جميع هذه الاملاك تحت ادارتها واصبح التعليم العربي الاسلامي فى الجزائر لايمارس الا برخصة تمنحها السلطات الفرنسية عادة للعملاء أو الجهــال.

سـادسـا : صدر قانون فرنسي عام 1901 م يقضى بفصل الدين عن الدولة وطبق في فرنسا ، اما فى الجزائر فلم يطبق على المسلمين بينما طبق على اليهود والمسيحيين ، وبذلك بقيت الشؤون الدينية للمسلمين فى قبضة الدولة المستعمـرة .

والآن ايها العلماء قد شاء الله ان يهيئكـم ويدّخركم لهذا الظرف لتتحملوا مسؤوليتكم بكل شجاعة وتضحية ، وان يومكم هذا لشبيه بذلك اليوم الذى وقف فيه البطل المجاهد طارق بن زياد خطيبا فى جيش المجاهدين على ربوة جبل طارق بعد ان احـرق سفنهم التى حملتهم الى الجهاد فى الاندلس وقال قولته المشهورة : «ايها الناس أين المفر البحـر وراءكم والعدو امامكم وليس امامكم غير الموت او النصر» ، وانا أقول لكم فى هذا اليوم لم يبق لنا الا أحد امرين لاثالث لهما إما الموت والشهادة فى سبيل الله منتظرين النصر الذى وعد الله به عباده المؤمنيـن ، او الاستسلام ومدّ ايدينا الى الاغلال ، واحناء رؤوسنا امام الاعداء فتكون النتيجة لاقدر الله ان يجري علينا ما جرى ببلاد الاندلس وغيرها من البلاد الاسلامية حين تركت الجهاد واستسلمت للاعـداء» .

اجابه العلماء الرواد : نحن مستعدون للتضحية في سبيل ديننـا ووطننـا والله معنا قال الرئيـس : حياكم الله وايدكم بنصـره .

خطـة عمـل

ثم عرض خطة عمل مؤلفة من عدة نقاط لتنفيذها وهي كمايلي :

1) تكوين لجنة منكم للتسيير والتنفيـذ .
2) الشروع فورا فى انشاء المدارس الحرة لتعليم اللغة العربية والتربية الاسـلامية.
3) الالتزام بالقاء دروس الوعظ لعامة المسلمين فى المساجد الحرة والجولان فى انحاء الوطن لتبليغ الدعوة الاصلاحية لجميع الناس .
4) الكتابة في الصحف والمجلات لتوعية طبقـات الشعب .
5) انشاء النوادى العربيـة للاجتماعات والقاء الخطب والمحاضرات .

6) انشاء فرق الكشافة الاسلامية للشباب فى كافة انحاء البلاد .

7) العمل على اذكاء روح النضال فى اوساط الشعب لتحرير البلاد من العبودية ، والحكم الاجنبي ، لان مبدأنا الذى يجب ان نسير عليه هو اتباع هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى علم اصحابه اولا العقيدة والاسلام ثم سلحهم بالسيوف وادوات القتال فكلا السلاحين لايغنى احدهما عن الآخر .

ثم عين الرئيس جماعة من الرواد وحدد لهم اماكن نشاطهم وجعل نشاط الشيخ محمد البشير الابراهيمي فى مدينة "سطيف" وما حولها من النواحى ، والشيخ مبارك الميلي بمكتب التعليم العربي ومساجد قسنطينة ، والشيخ الطيب العقبي على الاستمرار فى إلقاء الدروس بمدينة بسكرة ، والشيخ العربي التبسي لالقاء الدروس بمدينة تبسة وما جاورها ، وعين كاتب هذه المذكرات لالقاء الدروس فى بلدة "فرفار" وما جاورها من قرى واحات الزيبان .

واختتم هذا الاجتماع التاريخي بالدعاء ان يوفق الله جهودنا ويكلل بالنجاح اعمالنا . ولحق كل بمكان عمله .

نشاطى فى اطار جماعة الرواد :

بدأت خطتى فى تنفيذ التزاماتى نحو جماعة الرواد بتنظيم شؤونى الخاصة أولا ، ثم تفرغت للعمل الاصلاحي ، واتخذت المسجد الجامع (1) بفرفار مركزا لنشاطى ، فقمت بإلقاء الدروس على العامة فى الوعظ والارشاد وتفسير القرآن الكريم وشرح المسائل الفقهية ، والى جانب هذا قمت بتدريس العلوم العربية والدينية للتلاميذ الذين سارعوا الى طلب العلم من فرفار والقرى المجاورة لها ، ومن الذين تلقوا دروسهم عليّ فى هذا المسجد عدد من الطلاب النابهين منهم :

(1) يحمل هذا المسجد الجامع اسم يحي بن احمد بن علي امير الذواودة ورياح وقائد جيش السنة ايام القائم بالسنة الشيخ سعادة الرياحي .
انظر الجزء الثاني من تاريخ الجزائر للشيخ مبارك الميلى والجزء السابع من تاريخ ابن خلدون .

الشيخ فرحات بن الدراجي الذى اكمل دراسته بجامع الزيتونة ، وتحصل على شهادة التطويع ثم شغل منصب الكاتب العام لجمعية العلماء فترة من الزمن ، كما قام بالتدريس فى مدرسة الشبيبـــة الحرة بالجزائر العاصمة ، وتوفي ؛ رحمه الله .

والشيخ أحمد بن سحنون الاديب والشاعـر الفحل الذى مايزال مشاركا فى النهضة العربية الاسلامية بالقاء الدروس فى المساجد الحرة بالجزائر ، وقد تخرج على يده جم غفـير من الشباب المسلم ، وما يزال ينظم القصائد الوطنية . اطال الله عمره ووفقه للمزيد من العمل الصالح . وقد كان والده الشيخ سحنون تاليـا لكتاب الله معروفا بالصلاح ملازما لحضور دروسى فى التفسير والفقه ، وهو على كبر سنه وبعد سكنه قلما يتخلف عن حضور هذه الدروس رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

والشيخ علي بن العرافى المغزى (1) ، والشيخ الطاهر بن بخوش ، والشيخ المختار المغزى الذى تابع دروسه من بعد على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس بقسنطينة ، ومات شهيدًا فى معركة التحرير ، والشيخ السعيد بن ساهل إمام مسجد الامير يحي ابن احمد بفرفار .

والشيخ عبد الرحمن غُريّب الكاتب والصحفي المعروف بالجزائر، والشيخ الحسين أبو عبد الله وأخوه الشيخ الطيب الذى اتم دراسته بالازهر الشريف من بعد ، وهو لهذا العهد مسؤول عن مكتبة البلدية بمدينة بسكـــرة بعد ما تقاعد من التعليم الثانوى .

---

(1) توفي رحمه الله ، وأبّنه الشيخ احمد بن سحنون في جريدة البصائر العدد 305 السنة السابعة السلسلة الثانية بقوله : كان اول لقاء اتفق لى مع الاخ الراحل ببلدة فرفار عندما كنا نفد اليها مشوقين الى سماع الدروس الحية النافعة التى كان يلقيها استاذنا العظيم الشيخ محمـد خير الدين ، فعرفت فيه – من اول لقاء – كل ما يجب ان يتصف به رجل العلم من خلق ودين ونبل وبعد همة وصدق عزيمة ، واكبرت فيه بصفة خاصة – هذا الجد الذى تحدى به الصعوبات والمشاق وهون عليه ان يقطع المسافة التى بين (بوشقرون) وفرفار كل يوم مشيا على قدميه ، وربما كان صائما وكان الوقت صيفا والحر على اشده ، ثم عرفت فيه – بعد ذلك – تفانيه فى خدمة الدعوة الاصلاحية وتبكيره وتحمله كل اذى فى سبيلها ، وعمله بعلمه ، وجهره بكلمة الحق – لايخاف فى ذلك لومة لائم وهكذا :

الناس للمـوت كخيـل اطـراد فالسابـق السـابق منها الجـواد

رحمه الله رحمة واسعة

والشيخ المولود بن:لاشهب الذى مات شهيدًا فى حرب التحرير ، وغيرهم كثيرون ، رحمة الله على من قضى نحبه منهم وثبّت من بقي على قيد الحياة .

وقد تابعت فئة من هذه الشبيبة دراساتها بعد أن تعلموا فى المسجد الجامع بفرفار مبادئى دينهم ولغتهم ، فمنهم من توجه الى قسنطينة ، ومنهم من توجه الى الزيتونة بتونس ، أو الأزهر بمصر ، أوغير ذلك من دور العلم فى الداخل والخارج وعادوا يحملون مختلف العلوم والمعارف والافكار ، واسهموا وما يزالون يسهمون فى بناء وطنهم الجزائري .

الزواج والتهنئـــة بـــــه

كنت أقوم خلال هذا النشاط التعليمي بالتنقل الى قرى الزاب وما حولها من اجل التنسيق مع اخوانى ببسكـــرة امثال الشيخ الطيب العقبي ، وزميلى فى الدراسة بالزيتونة الشيخ علي بن عمارة البرجي ، والشيخ محمد العيد آل خليفة والاستاذ الامين العمودي رحمهم الله ، وكانو يبادلونني الزيارة افرادا وجماعات فى المناسبات المختلفة الخاصة والعامة ، ومن بين هذه المناسبات زيارتهم لى بمناسبة زواجى (1) الذى كان له طابع خاص وعام ، وألقى فيه الشيخ محمد العيد آل خليفة شاعر الاصلاح قصيدة بهذه المناسبة نشرت فى جريدة "الشهاب" بالعدد 28 بتاريخ 28 ماي 1926 م وعنوانها "لله أيام الزفاف" قال فيهـــا :

«جاءتنا هذه القصيدة العصماء والدرة اليتيمة من صوغ الأديب الفاضل الشاب السيد محمد العيد آل خليفة ألقاها فى الاحتفال بزفاف ذى الرأي الأصيل والعلم الصحيح السيد محمد خير الدين خريـــج جامع الزيتونة المعمور ، ولاحكام مبانيها واشتمالها على الأدب الغض الصافى رأينا أن نتحف بها أدباءنا الذين يهمهم اعلاء منزلة الشعر الجزائرى وهذا نصـها :

---

(1) بحفيدة الحاج أحمد بن حفيظ من بيوتات بسكرة العريقة وكان صديقا حميا لوالدي ، وقد سمعته مرة يقول انه سافر الى باريس 1882 م فأقام بنزل فى هذه المدينة وسمع شخصا بجواره يصلى صلاة الفجر بسورة "الفجر" فترقبته حتى فتح باب غرفته فسلمت عليه وطلبت التعرف عليه فأجاب بأنه محمد عبده المصري ، ولعل فى شهادة هذا الرجل الذى كان لا يعرف الشيخ محمد عبده ما يرد الشبهات التى أثارها حوله الحاقدون ومن بينها أنه كان لا يؤدى الصلاة المفروضـــة .

السعد فيك وفى جبينك بادى ... يهنيك أنك مطلع الأسعاد
انى رأيتك بالفخار مزملا ... فاهتز من فرط السرور فؤادى
ته (يا ابن خير الدين) وافخر بالذى ... أولاك ربك من هدى ورشاد
وافخر فنجمك لاح فى أفق العلا ... بالعز والتأييد والامداد
يحمر فى أفق العلا متلألئا ... فيكاد يخطف أعين الأشهاد
ما هو فى لألائه وبهائه ... الا كمثل جبينك الوقاد
هذا الزفاف وهذه أفراحه ... لاغرو أن أبدعت فى إنشادى
البشر فى أفق السعادة رائع ... والبشر فى أفق السعادة بادى
ماذا أنم اليك من آي المنى ... آي المنى تربو على التعداد
لله أيام الزفاف فانها ... أيام عيد فاخر الأرفاد
ان كانت الأعياد يفرق بينها ... فضلا فعيدك أَفضل الأعياد
أو كانت الأجواد تقدم بعضها ... خلقا فأنت مقدم الأجواد
فى عز شأن ، فى جميل تواضع ، ... فى صدق قصد ، فى تقى وسداد
خلق كأنفاس النسيم لطافة ... رام الى النفس الزكية هادى
(فرفار) عاودها التآزر بعدما ... حل الشقاق بها عرى الأفراد
مازال فى أنحائها غي الهوى ... حتى وقفت اليه بالمرصاد
وأفضت فيها المكرمات فأصبحت ... دار الوفود وكعبة الوراد
(المعهد العلمي) أنت وليدُهُ ... لابدع أن أصلحت كل فساد
شهدت لشخصك فى العلوم شيوخه ... بشاهدة الأسياد للأسياد
فأتيت ترشد أمة منكوبة ... (شرقية) الآلام والأنكاد
عصفت عليها فى القديم عواصف ... وعدت عليها فى الحديث عوادى
أبناؤها الأوغاد خانوها ولم ... تقتص من أبنائها الاوغاد
لايفتأون على المقابر عكفا ... فى صورة النساك والعباد
واذا خبرت فقيههم لم تلفه ... الا الأصم الفرد فى الاعداد
قوم الى أرض التواكل أخلدوا ... فشقوا وتلك نتيجة الاخلاد
لم تأل جهدك يا (محمد) فيهم ... حتى ظهرت بمظهر الأطواد
وكذاك شأن المرشدين فانهم ... شم النفوس مثبتى الأكباد
ياصاحب الارشاد حسبك رفعة ... فى الناس أنك صاحب الارشاد
يامرض الحساد مهلا عنهم ... أو ما ترى ما حل بالحساد

أن ضاددوك فإنما هي حسرة | وقفت شجى فى أنفس الأضداد
أو كايدوك على الحياة فكلنا | لك ناصر ومؤازر ومفادى
يهنيك كفك للسماحة مطلع | وفناء بينك نجعة المرتاد
وحديث بدرك مسند أما أنا | فحديث بدرى مهمل الاسناد
زفت إليك على الشباب عقيلة | عربية الآباء والأجداد
فاهنأ بها مستبشرا متيمنا | ومتمتعا بالمال والأولاد
والمرءُ إن حانت ظروف نعيمه | هطلت عليه من النعيم غوادى
حيتك يا ابن الأكرمين عصابة | ميمونة الاصدار والايراد
فهل اطلعت على نماء ولائها | وعلى صفاء ودادها ووداى..؟
تركت ببسكرة النخيل ربوعها | وأتتك تقطع شاسع الأبعاد
يقتادها العقبي رغم غيابه | فاعجب له من غائب مقتاد
المصلح النقاد فى أبحاثه | أيام حاجتنا الى النقاد
واللين المنقاد فى أخلاقه | فابشر بوفد اللّيّن المنقاد
واصعد بتقوى الله كل منصة | عليا وتقوى الله خير الزاد (1)

محمد العيد آل خليفة»

وكان من بين نشاطى فى هذه الفترة إقامة صلاة الجمعة فى هذا المسجد وإلقاء الخطب التى اتخذت منها منطلقا للدفاع عن السنة الصحيحة والرد على المبتدعين حتى أصبح سكان قريتنا من أتباع السنة ، ولم يعد للمبتدعين فيها مكان بعد أن انتشرت حركة الاصلاح فيها .

وأحدث نجاح حركة الاصلاح صدى عميقا فى أوساط السكان وانتشرت أنباؤه داخل قرى الزيبان وخارجها ، وظهر جدل عنيف بين رجال الحركة الاصلاحية وخصومهم ، فتدخل رجال السلطة وأعوانهم المعارضون ، للحيلولة دون متابعة نشاط الحركة ، كما هو الشأن فى كل حركة تقوم بدعوة الى غير ما ألفه الحكام الجائرون والمحكومون الجامدون .

---

(1) جريدة الشهاب عدد 28 بتاريخ 28 مـاي 1926 م .

الانتقال إلى بسكرة

ولم يعدم الخصوم وسيلة للاحتكاك بنا والتصادم معنا واختلاق المشاكل، فتقدموا بشكوى ضد القائمين بالحركة الاصلاحية ومسيريها (1) . وتبين لى أن الظروف لم تعد مناسبة للمقام فى تلك البيئة التى تُحكم حكما عسكريا فقررت الانتقال الى مدينة بسكرة ذات الحكم المدني لتحقيق هدفين :

أؤلهما : الدعوة الاصلاحية والانطلاق بها نحو أهدافها ، فقد كانت بحاجة الى ميدان أرحب بعد أن أثمرت فى قريتنا .

ثانيهما : الاستقرار الدائم بأسرتنا ، فقد كان إخوتى فى مقتبل العمر وأردت لهم ميدانا أوسع لمتابعة معركة الحياة ، لأن نشأتهم فى قرية محدودة الموارد تحت حكم عسكري لا يحقق لهم الآمال العريضة التى رجوتها لهم .

نفذت قرار الانتقال إلى بسكرة ، وبصحبتى والدتى واخوتى كلهم ، وأهلنا جميعا ، واشترينا دارا بها بستان من النخيل وأعددنا مراكز للعمل الاقتصادي ، وجاء قرارا موسوما بالتوفيق تهيأت به مجالات أوسع ، وتحققت به أماني أكبر فى المجالين : المجال المادى لاخوتى ، والمجال الاصلاحى لنشر الدعوة والتعاون مع العاملين فى حركة الاصلاح من العلماء الرواد ، وكان من ثمرات هذا التعاون شراء مطبعة الاصلاح .

مطبعـــة الاصـــلاح

كان اول اعمالى ببسكرة السعي لشراء مطبعة بالاشتراك مع جماعة المصلحين ، وذلك بهدف إصدار جريدة (الاصـلاح) التى أدارها الشيخ الطيب العقبي ، والقيام ببعض الأعمال التجارية التى خُصِص عائدها للانفاق فى سبيل الحركة الاصلاحية ، وقد جعلناها وقفا على خدمة الحركة الدينية الاصلاحية راجين بذلك ثواب الله .

وإلى القارئ صورة العقد بأسماء المشاركين .

---

(1) قدمت الشكوى الى السيد بوعزيز بن قانة حاكم الزيبان من طرف السلطة الفرنسية ، فأحضرنى الى مكتبه ببسكرة ووجدت خصوى حاضرين . فبادرنى قائلا كنت أحترمك من قبل ، أما الآن فلم أعد أحترمك، فأجبته على الفور : وأنا لن ترانى واقفا أمامك بعد اليوم .

جمعيــة الاخــاء

وتنفيذا لقرارات الرواد بقسنطينة سعيت فى تكوين جمعية دعوناها (جمعية الاخاء) وتأسيس (مدرسة الاخاء) للتربية والتعليم ببسكرة عام 1350 هـ و1931 م.

واتقاء للعراقيل التى ما فتئت تقيمها السلطة فى طريق التعليم العربي الحر ، اقترحت أن يكون مجلس ادارة المدرسة متكونا من أعضاء لهم نفوذ لدى السلطة المحلية حتى يتيسر للمدرسة سبيل القيام بدورها فى نشر الثقافة العربية والاسلامية ، وقد تم تشكيل مجلس الادارة من السادة :

مكتب الجمعية :

- الحاج الحفناوي دبابش – النائب العمالي – رئيس .
- الحاج الشاوي – التاجر والملاك – نائبـه .
- خبزي عيسى بن عمارة – الملاك – أمين المال .
- ابن رابح بن الحسن – الملاك – نائبــه .
- محمد خير الدين – المتوطوع من جامع الزيتونة – كاتب عام .
- علي دبابش بن حميدة – نائبــه .
- عبد الله المراوى – مراقب .
- محمـد حوحو – التاجر والملاك – نائبــه .

الاعضــاء المستشــارون

الحاج عباس جودي النائب البلدي ، ابراهيم بربوشة التاجر ، الحاج محمد الصالح لوام النائب البلدي ، الطالب مسعود الامام ، خطارة الحاج عمر التاجر ، دبابش بلقاسم التاجر والملاك ، ابراهيم بن علي بن الحاج سعد التاجر ، الحاج يحي حدبون التاجر ، الحاج محمد جديدي التاجر ، سليمان بكوش التاجر (1) .

(1) مجلة الشهاب : ج 8 م 7 ص : 528 ، الصادر في ربيع الثاني أوت (1350 هـ 1931 م) .



الحمد لله

نحن الممضين اسفله هذا نشهد على انفسنا
اننا اقترضنا الشيخ الطيب العقبي عدد ٣٥٠٠ فرنك
اي ثلاثة آلاف وخمسمائة فرنك وهذا العدد
دفعه لحضرات الاسماء اسفله

السيد خير الدين محمد عدد ٣٥٠٠ فرنك ثلاثة آلاف وخمسمائة فرنك
السيد القريشي بن البشير عدد ٣٠٠٠ فرنك ثلاثة آلاف فرنك
السيد الامين العمودي عدد ٢٥٠٠ فرنك الفان وخمسمائة
السيد مبارك الحمدي عدد ٣٠٠٠ فرنك ثلاثة آلاف ..
السيد علي بن عمار عدد ٢٠٠٠ فرنك الفان ....
السيد ... بن عبد الله عدد ٢٥٠٠ فرنك الفان وخمسمائة فرنك
السيد عبد الرحمن البوكلاني عدد ٢٠٠٠ فرنك الفان —
السيد الخميس خراشي عدد ٢٠٠٠ فرنك الفان —
السيد العقبي بن عمار عدد ٢٠٠٠ فرنك الفان —
السيد الصادق ماجودي عدد ٢٠٠٠ فرنك الفان —
السيد الحسين بن احمد العلوي عدد ١٠٠٠ فرنك الف واحدة —
السيد مكي اسماعيل عدد ٢٠٠٠ فرنك الفان ----
السيد احمد بن الحاج راجي عدد ١٠٠٠ فرنك الف واحدة ----
السيد الكعفاوي الامهاري عدد ٢٠٠٠ فرنك الفان —
السيد محمد العيد حمدي عدد ١٠٠٠ فرنك الف واحدة —
السيد علي دبابشي عدد ١٠٠٠ فرنك الف واحدة —

وهذا القرض على سبيل الاحسان تطوعا بغير واسطة
والاجل غير مسمى والقرض منه انشاء مطبعة ببسكرا
تحت ادارة الشيخ الطيب العقبي وان الشيخ الطيب
العقبي لا يلتزم باداء العدد المذكور الكلات الا اذا سلم
من المطبعة الى غيره ولا يجوز له ان يفترض عدة
اصحاب الاسماء والامضاءات اسفله الا عدد لا يتجاوز —

عشرة دالاف برنكيه وضع جبسكا يشو اجوان

١٩٤٩م

خير الدين محمد

مبارك بن مسعود

جودي الصادق بن عباس

محمّد العيد بن حم علي

الأمير العمري

واخترنا للتعليم بهذه المدرسة ثلاثة أساتذة هم :
الاستاذ بلقاسم بن عمار الغسيري ، والشيخ عمر بن البسكري العقبي ، الشيخ محمد الطرابلسي القراري المزابـــي .

وساهم كاتب هذه المذكرات فى التدريس لكبار التلاميذ .

وراعينا فى تشكيل الادارة واختيار المدرسين ما يرضى جميع الأطراف ويُلَبى رغبات سكان المنطقة وأولياء أمور التلاميذ .

واتخذت من فناء المدرسة الفسيح ميدانا لنشر الثقافة بالقاء دروس الوعظ والارشاد لتأليف القلوب وجمع الشمل بين مختلف طوائف الشعب بِغَضّ النظر عن اختلاف مذاهبهم الفقهية وغيرها ، وكان عملى هذا امتدادًا لماكان يقوم به الشيخ العقبي قبل انتقاله إلى العاصمة ، وبذلك احتلت المدرسة مكانا بارزا فى توحيد كلمة المسلمين ومحو الفوارق بينهم ، وأعطت الحركة الاصلاحية طابعا مميزا دفعها الى الأمام ، قوام هذا الطابع : أن الحركة الاصلاحية فى حقيقتها اسلامية وليست مذهبيـــة .

صــلاة العيديـــــن

وكان من بين مظاهر حركة الاصلاح التى شاركت فيها ببسكرة توحيد جميع سكانها فى صلاة العيدين وقد كانوا يؤدونها فى عشرة مساجد متفرقة بين بسكرة القديمة والجديدة ، ونتيجة لا نتشار الوعي الديني بين سكان المدينة الملازمين لحضور دروس الوعظ والارشاد الاصلاحي اقترح جماعة منهم أن تؤدى صلاة العيدين لجميع السكان ببطحاء المدينة القديمة التى كانت مقرًّا لإمارة (بني مزني) التى ماتزال بها بقية من آثار الجامع الأعظم الذى كان يتلقى فيه الطلاب دروسهم على يد المؤرخ الكبير عبد الرحمن بن خلدون طوال ست سنوات قضاها فى الزاب خلال القرن الثامن الهجري .

وهكذا لقي هذا الاقتراح نجاحا وتحققت بذلك الآمال فى توحيد سكان هذه المنطقة فى يوم عيدهم والصلاة مجتمعين فى الفضاء ، واجتمعت كلمة المواطنين من سكان المدينة ببسكرة القديمة والجديدة على اختيارى إماما لهم فى صلاة العيدين ،

فلبيت رغبتهم ، وقمت بهذا الواجب طوال أربع سنوات ، وكان لهذا العمل أثره البالغ فى المجتمع أشتدَّ به ساعد الحركة الاصلاحية وانتشرت أخبارها وكثر أنصارها فى أعماق الصحـــراء .

زيارة الشيخ ابن باديس الأولى الى بسكـــرة

قدم وفد العلماء على رأسهم الامام الشيخ عبد الحميد بن باديس الى الصحراء للقيام بجولة فيها عام 1931 م ، فقوبل بالحفاوة والترحيب الحار فى كل مكان ، زار هذا الوفد مدينة بسكرة وأقام بها عدة أيام حفلت بالنشاط والقاء دروس الوعظ والارشاد فى المساجد . وتدفقت وفود الطـلاب والأعيان كالسيل المنهمر للمشاركة فى الترحيب والاستماع الى الدروس ، وكان هذا التدفق يعبر عن روح جديدة وآمال عريضة تبشر بالخير وتطمئن النفوس على مستقبل الحركة الاصلاحية فى هذه الناحية وتعكس مقدار عمقها فى نفوس الشعب الجزائري المسلم .

وأثناء هذه الزيارة قدم وفد من طلبة (سيدي عقبة) وأعيانها وأعربوا عن رغبتهم ورغبة مواطنيهم فى هذه الناحية ، أن يزورهم الامام ابن باديس ، فلبى دعوتهم شاكرا فضلهم ، وفى صبيحة اليوم التالى سافر فريق العلماء والطلبة صحبة الامام الى بلدة (سيدي عقبة) فوجدوا السكان قد خرجوا عن بكرة أبيهم يترقبون قدوم الشيخ وصحبه ، فنزل الشيخ ورفاقه وصافحوا المستقبلين ثم مشى ابن باديس وسارت الحشود خلفه رافعين أصواتهم بالتكبير والتهليل إلى أن وصل الموكب باب المسجد الكبير حيث دفن الصحابي الجليل فاتح افريقيا (عقبة بن نافع) رضي الله عنه ، فوجدنا باب المسجد مغلقا بأمر حاكم المنطقة ووجدنا الحاكم نفسه أمام الباب ومعه مترجمه وأعوانه من الفرنسيين والعرب ، وبادر المترجم وقال للشيخ ابن باديس : ان الوالي العام للقطر الجزائري أمر باغلاق باب الجامع ومنعك من الدخول إليه ، فجلس الشيخ على الأرض أمام باب الجامع ، وكان يرتدي ثيابا من الصوف الأبيض ، والأرض مليئة بالغبار الذى تثيره الرياح وقال للحاكم : "خبر الوالى العام بأن عبد الحميد بن باديس جالس على الارض فى هذا المكان ولا يبرحه حتى يدخل الجامع" ، وجلس الى جوار ابن باديس بعض مرافقيه من العلماء .

اضطـرب الحاكم وبدا القلق على وجهه ثم اتجه الى ادارة البريد لتبليغ الوالي العام بهذا الأمر ويطلب رأيه فى حل هذا المشكل (1) .

وبعد قليل عاد الحاكم الى مكانه أمام الباب وقال للشيخ : "ان الوالي العام أذن لكم بالدخول للزيارة فقط ، ومنعك من إلقاء الخطبة" فأجابه الشيخ بصوت ينم عن عدم المبالاة وأشار بيده كأنه يأمره بالفتح قائلا : "افتح افتح" . ثم دخل الشيخ واندفع الشعب خلفه ووقف الشيخ أمام الضريح ولم يجلس كعادته أثناء إلقاء الدروس ، وأخذ يتحدث ساعة كاملة واقفا ، وألقــى درسه والناس جميعا واقفون فتلا قوله تعالى : «المص كتاب أنزل اليك فلا يكن فى صرك حرج لتنذر به وذكرى للمؤمنين» . وكان هذا الدرس من أعظم الدروس التى تَعَوّد الشيخ ارتجالها كلما جد الجد .

أما كاتب هذه المذكرات والمسؤول عن الحركة الاصلاحية فى الصحــراء فانه لم يدخل المسجد بل لازم الوقوف خارجه يراقب الموقف ويعمل على تمكين المسلمين من سماع درس الامام فى بلدهم خارج المسجد كما سمعه اخوانهم فى البلاد الأخرى . وأخذت أدبر الأمر لهذا اللقاء بين الامام وبقية المواطنين الذين لم يتمكنوا من سماعه داخل المسجــد .

وكان للشيخ الطيب العقبي بستان قريب من الجامع فأمرت الشباب بفتح البستان واحضار البسط وبعض المقاعد وطاولة وأعددنا المكان للاجتماع العام ، وانتظرت حتى فرغ الشيخ من الدرس وصحبته الى البستان وتبعنا الناس وأغلقنا الباب فى وجه المستعمرين كما حاولوا اغلاق الجامع فى وجوهنا من قبل ، وكانت واحدة بأخرى أشد وأنكى .

كان يوما عظيما تليت فيه آيات من القرآن وألقيت فيه دروس وخطب ، أعاد إلى الأذهان جهاد البطل الفاتح والصحابي الجليل عقبة بن نافع وتحريره للشمال الافريقي

(1) أخبر الشاب المسلم العامل على جهاز الهاتف بالبريد بأن الحاكم قال فى مكالمته للوالي العام الفرنسي : ان ابن باديس جلس على الأرض كما فعل تماما زعيم الهنود المهاتما غاندى حين جلس فى الطريق أثناء المظاهرة الكبرى فى الهند قائلا : "لأبرح هذا المكان حتى تنطلق المظاهرة" .

من الحكم الصليبي والاستعمار الروماني الذى دام قرابة ستة قرون . ثم رجع الشيخ وصحبه الى قسنطينة فرحين مستبشرين بما لقوا من نصر وتأييد ، وما تركته هذه الرحلة من صدى فى نفوسهم بأن حركة الاصلاح تحققت وازدهرت آثارها البعيدة المدى فى مستقبل الشعب وحياته ، وعمت الفرحة قلوب المسلمين فى سائر الصحــراء .

أما أعداء الاسلام والمسلمين من الحكام العسكريين والمبشرين المسيحيين فقد اهتزوا فزعا من هذه الزيارة التى جسدت فى عيونهم حياة الشخصية الجزائرية ووضعها فى اطارها الأصيل الصحيح وهو أنها عربية مسلمة ، تلك الشخصية التى حاول الاستعمار طمسها أو القضاء عليها منذ وطئــت أقدامــه أرض الجزائــر .

حوار بيني وبين الأب شــارل دوفوكــو عام 1932 م

انتشرت فى الصحراء أنباء النهضة الاصلاحية وزيارة الشيخ عبد الحميد بن باديس لبسكرة مما دعا رئيس المركز الثقافي للمبشرين المسيحيين بمدينة "ورقلــة" الى زيارتى والتحاور معى حول الدين والعقيدة الاسلامية ، وهو نوع من أنواع الجدل الديني تصدت له النهضة الاصلاحية ورجالها لتصحيح مفاهيم الاسلام واقناع خصومه بالحجة والبرهان . ورئيــس هذا المركز رجل لبناني الأصل مسيحي متعصب متمكن من اللغة العربيــة مطلع على ما يردده أعداء الاسلام وأعداء رسول الله محمــد صلوات الله وسلامه عليــه .

زارني عدة مرات فى مكتبي بمدرسة الاخاء ببسكرة ودارت بيننا مناقشات حول بعض آيات القرآن الكريم وما يعارضها حسب زعمهم من تعاليم الانجيل ، وتكررت اللقاءات وطال الجدل فاقترحت عليه أن يقدم لي آراءه مكتوبة وأجيب عنها كذلك لأن المشافهة تمضى والكلام االمدوّن يبقى شاهد عدل بين المتناظرين . اقتنع بذلك وقدم لى كراسة تتضمن رأيه فأجبته بكراسة مماثلة تنقض أقوالــه .

ومع الأسف الشديد قد ضاعت هذه الكراسة من بين ما ضاع من كتبي ومذكراتي عندما استولت السلطة الاستعمارية على مكتبي ببسكــرة أيام حرب التحرير .

وكان آخر سؤال وجهته له كتابة وطلبت منه الاجابة عنه كتابة أيضا : أعرض عليك قائمة بأسماء شخصيات كبيرة من العلماء والفلاسفة والمفكرين من جنسياتٍ مختلفةٍ تخلوا عن عقيدتهم المسيحية واعتنقوا الاسلام اختيارا عن عقيدة واقتناع بعد تأمل ودراسة ، فهل لك أن تقدم لى نظير ذلك بأسماء بعض الشخصيات الهامة من علماء المسلمين ومفكريهم الذين تخلوا عن دينهم ودخلوا المسيحية اقتناعا واختيارا .

على أنه لا ينبغي أن تذكرلى أسماء هؤلاء المسلمين المستضعفين الفقراء الجهلاء من النساء والمرضى واليتامى الذين جمعهم المبشرون المسيحيون فى دور الحضانة وحاولوا تنشئتهم على المسيحية وتحويلهم عن دينهم تحت هذه الظروف الطارئة . وقلت له انى أنتظر الجواب كتابة عن السؤال ، فلم يجبنى ولم يحاول الاتصال بى بعد ذلك اليوم .

أقامتي لصـــلاة العيـــدين ببسكـــــرة

فى ليلة عيد الفطر من عام 1352 هـ 1934 م استدعانى رئيس الشرطة بمدينة بسكرة واستقبلنى فى مكتبه ، ثم سلم الي أمرا بمعنى من الصلاة امام يوم العيد ، وأخبرنى بأن شيخ البلدية عين الشيخ الطاهر دالى كاتب ادارة الشؤون الأهلية ببسكـــرة وكلفه بالصلاة اماما بالناس يوم العيد بدلا منى ، كما أبلغتنى أن المسؤولية تقع علي وحدى فيما لو حدثت اضطرابات أو فتن فى المدينة أثناء الصلاة فأجبته بكل حزم : كما بلغتنى هذا الأمر من شيخ المدينة «كـازنـاف» أرجوك أن تبلغه احتجاجى بالأصالة عن نفسى وبالنيابة عن سكان بسكرة المسلمين الذين قدّمونى لصلاة العيدين منذ أربع سنوات ، وأخبره بأننى أعتبر قراره هذا اعتداء على الاسلام وحرماته ، وتدخلا لامبرّر له فى شؤون الصلاة التى تخص المسلمين وحدهم ، ثم اذا حدثت فتنة نتيجة تصرفه هذا ، فهو المسؤول عن ذلك وحده ، كما أنه بحكم وضيفته مسؤول عن الأمن وحماية المواطنين .

ثم توجهت مباشرة الى منزل الدكتور سعدان واستدعينا بعض الاخوان المسؤولين عن السكان ورويت لهم ، مادار بينى وبين رئيس الشرطة وحدثتهم بالموقف الحاسم الذى وقفته ، فأيدوا موقفى وعزموا على الاستمرار فى أداء الصلاة معى كما هي العادة وعلى تحملهم كل ما يترتب عن ذلك .

جاء المصلون من شتى أطراف المدينة رافعين أصواتهم بالتكبير والتهليل ، احياء لسنة العيد ، وانتظموا صفوفا انتظارا للصلاة ، وكنت جالسا فى وسط الصف الأول ، فلاحظت وجود عدد غير عادي من أعوان الشرطة انتشروا حول المصلى ولم يبال بهم المصلّون واستمروا رافعين أصواتهم بالتكبير والتهليل ، وبينما نحن فى هذا الجو الروحي نستعد للشروع فى الصلاة اذ توقفت سيارة قرب الصف الأول ، فنزل منها الحاج الحفناوى دبابش ماسكا بيد الشيخ الطاهر دالى حتى أوقفه أمامى ، وطرح فراشا كان يحمله قائلا للامام الذى عينه شيخ البلد : تقدم للصلاة بالناس ولعلهم كانوا يظنون أن نشتبك فى عراك ومشاجرة وتقع الفتنة التى يريدونها .

ألهمنى الله فى هذا الموقف الحرج فنهضت قائما ، وقلت بصوت مرتفع : أيها الناس ان هؤلاء الظالمين ومن وراءهم يريدون الفتنة فى يوم عيد مقدس عند المسلمين فمن كان يريد الصلاة خلفى فليتبعنى ، وسرت وسار خلفى المصلون بضع خطوات ، ثم أعيد تنظيم الصفوف مرة أخرى ، وقمنا لأداء صلاة العيد ، وكان موضوع الخطبتين بعد الصلاة هجوما عنيفا على الاستعمار وأذنابه ، ثبت الله به قلوب المؤمنين ، وكان انتصارا رائعا للحركة الاصلاحية ، انتشرت أخباره فى ربوع الصحـراء .

عنـد آل خير الديـن ببسكـرة

وقد انتهز رجال الاصلاح وأعضاء جمعية العلماء كل فرصة خاصة أو عامة للتحدث فى قضية الاصلاح ، وصبغ المناسبة الخاصة بطابع عام يشمل قضية الاصلاح ومسيرتها ، ومن المناسبات الخاصة ذات الطابع العام لقاء تمّ عندنا ببسكـرة .

هذه صورته كما وردت فى جريدة البصائـر :

فى خلال الأسبوع المنصرم انعقد حفل بهيج بدار آل خير الدين ضم جميع أعضاء مدرسة التربية والتعليم ببسكرة وأسرة التعليم بها وبعض أعضاء جمعية العلماء ونخبة ممتازة من المعلمين ، وذلك بدعوة عقد قران نجله المهذب محمد الفاضل خير الدين ، وبعد أن تم النطق بصيغة الطلب والايجاب بين وكيلي الزوجين أمام هيئة المحكمة الشرعية وتلا الأستاذ الشيخ النعيمي آيات بينات من الذكر الحكيم ، ثم ارتجل كلمة

تعرض فيها لابراز الدعائم التى ينبنى عليها صرح الزواج الموفق السعيد وأشار الى ماتتمتع به أسرة خير الدين من المكانة المرموقة فى الوسط العلمي والاجتماعي والاقتصادى ، وخاصة عميدها الأستاذ الشيخ محمد خير الدين ذاكرا بعض ما نهض به من المشاريع الجليلة والخدمات النافعة للأمة والوطن . وختم كلمته بتقديم التهاني .

ثم ألقى الشيخ أحمد معاش الباتني المعلم بمدرسة التربية ببسكـرة منظومة شعرية رقيقة المعانى وقد نالت استحسان الحاضرين ويجدها القارئ اثر هذه الكلمـــة .

وبعد أن تناول المدعوون طعام الغداء انفض الحفل وعلى وجوه الجميع علائم البشر والابتهاج فالى فضيلة الأستاذ وأشقائه وبقية أعضاء الأسرتين المترابطتين برباط المصاهرة أتقدم بالتهانى والتمنيات الطيبة راجيًا من الله أن يحقق آمالهم وآمال الأمة جمعاء وأن يشمل سائر أبناء الشعب بنصره المبين ولطفه الكريم وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيـــم .

"أحـــد الحاضريـــن"

واليكم القصيدة بعنوان **"يـــوم البشـــر"**

أغرى القلـوب بنـوره وسنائـه	يوم كـأن البشر مـلء سمائـه
سُـرّتْ بـه حتى الغزالـة وانتشت	فـرحى تسـل القلب عـن بأسائه
فكأنهـا تجزى التهـانى مثلنـا	بسنائهـا للشيـخ أوأبنائـه
تهـدى التهـانى فى لوامع برهـا	لفضيـل خير الـدين أو فضلائـه
غُـرٌّ سراةٌ للمعـالي سعيهـم	لا للتظـاهر وابتغـاء روائـه
نجُـبٌ هـداةٌ للمكارم صبحهـم	ضـاح تود الشمس مثـل ضيائـه
كل القلـوب تطلعـت وهفـت الى	بيت عريـق النبـل فى أرجائـه
بيت بـه المجـد المؤثل مـاثل	والعلم والأخـلاق أس بنـــائـه
ردهاتـه للخير ضلـت مـوئلا	والمكرمـات تزيـد فى عليائـه
شـذ النظير لآلـه فى ربعنـا	حتى يكاد يغيـب فى لأوائـه
بالاقتصـاد وبالمعـارف شرّفـوا	وطنا تـألم من عنـا بَأسائـه

و حمى الالــه الصــائنين لعزنــا الذائــدين على الحمـــى ولوائــه
وتباركت أيـدى الالـه وبـاركت عرسـا لهم عــدوه من نعمائــه
وحباهم دومـا كبهجــة يومنــا هــذا وعمّــره بخير وقائــه

بسكـــرة : أحمد معاش الباتني .

المـــرحلة الثانيـــة

تأسيـــس جمعيـــة العلمـــاء

(من تأسيس جمعية العلماء عام 1931 الى قيام حرب التحرير عام 1954)

كادت الامة الجزائرية أن تفقد شخصيتها تحت ضربات المستعمرين الفرنسيين حتى قيض الله لها رجلا مصلحا هو الامام عبد الحميد بن باديس الذى بدأ نهضته الاصلاحية العلمية فى مدينة قسنطينة ، فقد حلّ بها عام 1913 واتخذ ها مركزا لنشاطه وكان يعلم الطلاب مختلف الدروس ويفسر القرآن للمواطنين بالليل ، واستمر يتابع دروسه دون ملل لا يعرف الراحة ، ويتنقل عبر الوطن ويلقى دروس الوعظ والارشاد فى المساجد ، والمحاضرات فى النوادى ويجمع حوله الرجال الذين يتوسم فيهم القدرة على المشاركة معه فى النهضة ، ومن هنا حرص على جمع الصفوف ودعا الى اجتماع الرواد الذى سبق الحديث عنه .

وقد أدّى هذا النشاط المكثف على مستوى الافراد والجماعات فى مجالات عدة الى تهيئة المناخ للقيام بتنظيم محكم يكون منطلقا للحركة الاصلاحية الكبرى فى جميع البلاد ويحميها من هجمات اعدائها المتربصين بها .

كيــف تأســـت جمعيــة العلمـــاء ؟

اود أن أبدأ حديثي عن اول من دعا الى تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بصفتي مشاركا فى الحركة الاصلاحية منذ نشأتها وبصفتي مرافقا لرائدها الامام عبد الحميد بن باديس زمنا طويلا ، وبصفتي عضـوا مؤسسا لهذه الجمعية فمراقبا عاما ثم نائبا لرئيسها .

وقد تعالت أصوت تلوك الحديث فى هذا الموضوع بعد وفاة معظم المؤسسين لهذه الجمعية رحمهم الله ورضي عنهم .

وإحقاقا للحق والتاريخ اضع بين ايدى القراء الحقائق التالية لتكون الفيصل فى هذا الموضوع .

اولا : كتب الشيخ البشير الابراهيمي - رحمه الله - ورضي عنه مقالا فى سجل جمعية العلماء المطبوع بالمطبعة العربية بقسنطينة ، جاء فيه ما نصّه : «ان الشيخ ابن باديس زاره فى مدينة سطيف عام 1924 م وأخبره بأنه عازم على تأسيس جمعية للعلماء تجمع شملهم وتنظم نشاطهم» (1) .

ثانيا : وجّه ابن باديس فى جريدة الشهاب دعوة الى العلماء المصلحين قال فيها مايلي :

"اننا نرغب من كل من يستحسن هذا الاقتراح ويلبى الدعوة من أهل العلم او محبّي الاصلاح أن يكاتبنا مبينا رأيه ويرسل به الينا على عنوان الجريدة حتى اذا ما رأينا استحسانا وقبولا كافيا شرعنا فى التأسيس والله ولي التوفيق" (2) .

ثالثـــا : نشر الشيخ المولود الحافظي مقالا بجريدة الشهاب الاسبوعية وهو من الذين لبوا دعوة الامام فكتب مقالا تحت عنوان "اقتراح تأسيس حزب ديني

---

(1) سجل مؤتمر جمعية العلماء ص 48 .
(2) جريدة الشهاب عدد 3 بتاريخ نوفمبر 1925 .

اصلاحي" فصّل الحديث فيه وختمه بذكر بعض البنود التى رأى أن تقام عليها هذه الهيئة" (1) .

رابعــا : كنت أنا والشيخ مبارك الميلي بمكتب الامام ابن باديس بقسنطينة يوم دعا الشيخ محمد عبابسة صاحب جريدتي : (المرصاد) و(الثبات) من بعد ، وطلب اليه أن يقوم بالدعوة الى تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فى العاصمة وكلفه أن يختار جماعة من الذين لا يثير ذكر أسمائهم شكوك الحكومة ، أو مخاوف اصحاب الزوايا ، وتتولى هذه الجماعة توجيه الدعوة الى العلماء لتأسيس الجمعية بنادى "الترقى" بالعاصمة حتى يتم الاجتماع فى سلام وهدوء ، وتتحقـق الغاية المرجوة من نجاح التأسيس .

وقد انطلق محمد عبابسة فى ذلك اليوم الى الجزائر العاصمة ونفذ ما طلبه منه الامام ابن باديس وضم اليه السيد (عمر بن اسماعيل الدلسي) والشيخ (العاصمي) أحد الموظفين الدينيين الرسميين (2) والسيد (أحمد توفيق المدني) الذى كان يصفه الشيخ مبارك الميلي فى كثير من المناسبات على وجه الدعابة - بأنه صديق الجميع .

وقد أفضــى الامام ابن باديس إليّ والى الشيخ مبارك الميلي بسر وطلب منا كتمانه ، وقد كتمناه حين كان كتمانه واجبا ، أما الآن فقد أصبح هذا السر أمانة فى ذمة التاريخ ويجب البوح به اليوم واعلانه .

أسرّ الينا ابن باديس بأنه سوف لا يلبي دعوة الاجتماع ولن يحضر فى يومه الأول حتى يقرر المجتمعون استدعاءَهُ بصفة رسمية لحضور الاجتماع العام ، فيكون بذلك مدعوا لاداعيا ، وبذلك يتجنب ماعسى أن يكون من ردود فعل تقوم بها السلطة الفرنسية فى البلاد ، وأصحاب الزوايا ومن سار فى ركابها . الذين يتحرجون من كل عمل يقوم به ابن باديس ويؤولونه كما يشاءون .

---

(1) جريدة الشهاب عدد 3 بتاريخ نوفمبر 1925 .

(2) وصف السيد توفيق المدنى فى مذكراته زميله السيد محمد العاصمي بما وصف (لامارتين) الشاعر الفرنسي أحد أصحابه بقوله : كان يبيع كل يوم نفسه بالمزاد فاذا جاء الغد عرض نفسه للمزاد مرة أخرى . انظر ص 223 من مذكرات حياة كفاح ، ج 2 .

وبهذا الرأي السديد نجحت الخطة التي دبرها ابن باديس وكانت له – رحمه الله – آراء صائبة يوفقه الله اليها فى الجاد من الأمور .

الجلســة التمهيديــة لتأسيس

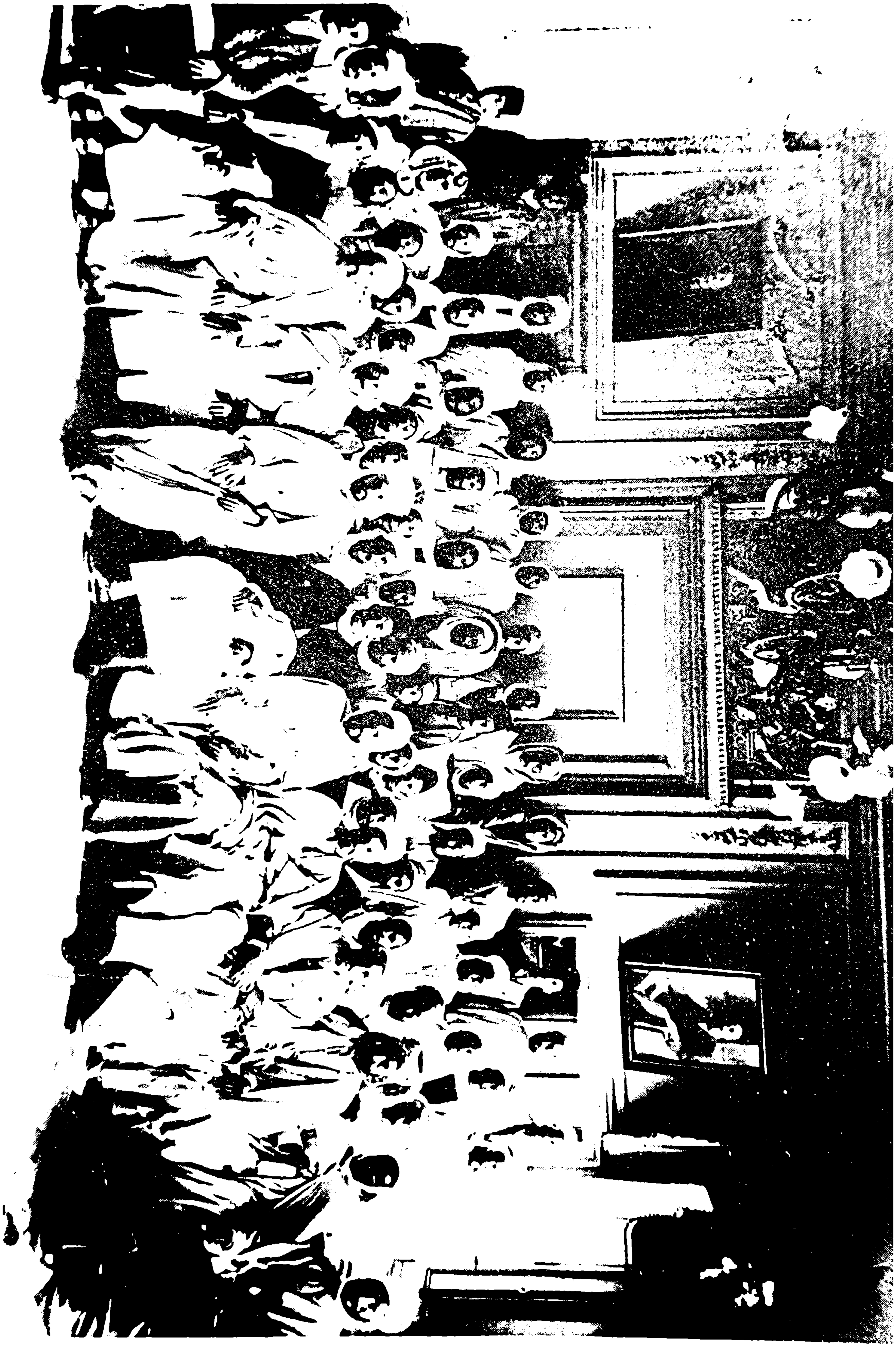
جمعيــة العلمــاء المسلمــين (1)

على الساعة الثامنة من صباح يوم الثلاثاء السابع عشر من ذى الحجة الحرام عام 1349 هـ الموافق للخامس من ماي سنــة 1931 م ، اجتمع بنادى الترقى بعاصمة الجزائر اثنان وسبعون من علماء القطر الجزائري وطلبة العلم فيه اجابة لدعوة لجنة تأسيسيــة متألفة من جماعة من فضلاءِ العاصمة عميدها السيد عمر اسماعيل احسن الله جزاء الجميع ، وغرض الدعوة هو تحقيق فكرة طالما فكر فيها علماء القطر فرادى وهي تأسيس «جمعيــة العلماء المسلمين» وقد لبى الدعوة كتابة بالقبول أو الاعتذار نحو الخمسين عالما .

كان اجتماعهم بصفة جمعية عُموميــة لوضع القانون الاساسي للجمعية وعينوا للرئاسة المؤقتة الشيخ أبا يعلى الزواوى وللكتابة الاستاذ محمد الامين العمودي ، ووضع القانون وتلاه كاتب الجلسة على رؤوس الاشهاد فأقرته الجمعية العمومية بالاجماع ، وانفضّت الجلسة على الساعة الحادية عشرة ، وعلى الساعة الثانية من زوال ذلك اليوم أعيد الاجتماع العمومي لانتخاب الهيئة الادارية طبقا لمنطوق مادة من القانون الاساسي ، وحيث كان الانتخاب لايمكن بطريقتيه السرية والعلنية لتوقفه على الترشيح ولاعتبارا ت أرخرى لاحظتها الجمعية فقد سلكت الجمعية طريقة الاقتراح فألقي عليها اقتراح باختيار جماعة معينة ووقع الاجماع على اختيارها ، وهذه أسماؤهم الاساتذة : عبد الحميد بن باديس ، محمد البشير الابراهيمي ، الطيب العقبي ، محمد الأمين العمودي ، مبارك الميلي ، ابراهيم بيوض ، المولود الحافظي ، مولاي بن الشريف ، الطيب المهاجي ، السعيد اليجرى ، حسن الطرابلسي ، عبد القادر

---

(1) مجلة الشهاب جزء 5 مجلد 7 ، محرم 1350 هـ – ماي 1931م .



القاسمي ، محمد الفضيل الورتلاني ، وأعلنت الجمعية لهؤلاء المشائخ أن عملهم الآن مقصور على انتخاب رئيس لهم ، ونائب رئيس ، وكاتب عام ، ومساعد ، وأمين مال ، ومساعد ، وأن يعيدوا النظر فى القانون الاساسي ويقدموه الى الحكومة للتصديق .

وانفضّت الجلسة على الساعة الخامسة من مساء ذلك اليوم . وعلى الساعة الثامنة من مساء ذلك اليوم أيضا اجتمعت الهيئة الادارية خاصة ماعدا الاستاذين ابن باديس والطرابلسي الغائبين فانتخبت للرئاسة عبد الحميد بن باديس وللنيابة عنه الاستاذ محمد البشير الابراهيمي وللكتابة العامة الاستاذ الامين العمودي ولمساعدته الاستاذ الطيب العقبي ، ولامانة المال الاستاذ مبارك الميلي ، ولمساعدته الاستاذ ابراهيم بيوض ، وبقية الاساتذة المذكورين للعضوية والاستشارة وانفضّت الجلسة على الساعة التاسعة والنصف مساء .

وعلى الساعة الرابعة من مساء يوم الاربعاء الثامن عشر من ذى الحجة الحرام 1349 هـ الموافق للسادس ماي سنة 1931 م ، عقدت الهيئة الادارية أول جلسة بنادى الترقى برئاسة الاستاذ محمد البشير الابراهيمي حضرها جميع الاعضاء ماعدا الاستاذين : ابن باديس ، والطرابلسي ، واعادة النظر فى القانون الاساسى ، فأقرته بالاجماع وقررت ترجمته باللغة الفرنساوية وتقديمه للحكومة طالبة منها التصديق عليه . وانتفضّت الجلسة على الساعة السادسة مساء .

وعلى الساعة الثامنة والنصف من صباح يوم الخميس الموالى عقدت الهيئة الادارية جلسة برئاسة الاستاذ عبد الحميد بن باديس وعرضت عليه الاعمال السابقة فوافق عليها ، وانفضّت الجلسة على الساعة التاسعة صباحا .

وعلى الساعة الثالثة بعد زوال ذلك اليوم اقامت اللجنة التحضيرية حفلة شاي فى نادى الترقى دعت إليها جميع الضيوف الذين حضروا وأعضاء الجمعية الدينية وجماعة من النواب الاهليين وهيئة ادارة النادى ، وأعلن رئيس اللجنة الحضيرية السيد عمر اسماعيل انه استدعى جناب مدير الامور الاهلية المستشرق السيد ميرانط فاعتذر عن الحضور .

وبعد أن غص النادى بالمدعوين من جميع الطبقات ارتجل الاستاذ عبد الحميد بن باديس خطابا بدأه بشكر اللجنة التحضيرية على ماقامت به من الاعمال وبذلته من الجهود فى هذا السبيل واثنى على السادة العلماء الذين قاموا بواجب تلبيــة الدعوة وثنّى بشكر رجال النادى الذين فتحوا أبواب ناديهم فى وجوه العلماء وقابلوهم بكل تجلة واحترام ، ثم عمم الشكر لجميع اعيان العاصمة على ما أظهروه من الابتهاج والعطف على مشروع العلماء وما تلطفوا به من تمهيد المثوى واكرام الوفادة وانهم خلدوا للعاصمة ذكرا مجيدا واعادوا لنا ذكرى تلمسان وبجاية وتاهرت وغيرها من عواصمنا العلمية الزاهرة فى التاريخ ، ثم اثنى على المستشرق السيد ميرانط بما يستحقه رجل مثله خبر الشؤون الاهلية واكسبته معارفه العربية ذوقا لطيفا به عرفنا وبه عرفنـــاه .

ثم أفاض الاستاذ فى الاعتذار لنفسه على عدم حضوره فى اليومين الاولين وصرح أنه قد فاته بفوات ذلك خير عظيم وتأسى بواقعة أبى خيثمة واعتذاره للنبي صلى الله عليه وسلم وناشد اخوانه العلماء أن تكون لهم اسوة بالنبي صلى الله عليه وسلم فى قبول عذر أبى خيثمـــة .

ثم تكلم عن الجميعة ومقاصدها فذكر من تاريخها انها فكرة قديمة دعا اليها الكتّاب فى الصحف العربية الجزائرية وتداولها المفكرون بالبحث فى المحافل الخاصة والعامة وكتب فيها كتّاب الشهاب عدة مقالات محتاجة الى رجل أورجال ذوى ارادة واقدام يخرجونها من القول الى الفعل حتى قيض الله هؤلأ الفضلاء «اعضاء اللجنـة التأسيسيــة ، فكان فضل العمل مدخرا لهم كما كان فضل التفكير والقول لكل من فكر فى المموضوع وقال» .

وذكر من مقاصدها جمع شمل هذه الطائفة المتفرقة لتتعاون على ماهي مهيأة له من نصح الامة وارشادها لما ينفعها فى دينها ودنياها ، وان من الثمرات الباكرة لهذا الاجتماع تعارف أبناء هذه الاسرة النبيلة ذلك التعارف الذى طالما نشدناه – ولقد كان امنية فى النفوس وهوى فى الضمائر فاصبح حقيقة واقعة وأمرا ملموسا ، ولقد كان همّا معتلجا فى القلوب وخواطر مختلجة فى الصدور ، فأصبح اليوم صوتا جهيرا وأذانا بالحق

عاليا ، ولقد كان موكولا الى الصدف والحظوظ والاتفاقات فأصبح اليوم ملكا فى ايدينا - وان من مقاصد الجميعة توحيد عرى الاخاء بين ابناء هذه الطائفة وحملهم على نبذ اسباب الشقاق واطراح دواعى التفرق بينهم ونسيان كل ماهبت به الافكار مما يدعو الى فرقة أو عصبيـة وليقدروا انهم خلقوا خلقا جديـدا .

ثم وجه الخطاب الى العلماء وحضهم على مؤازرة الجميعة وتشهيرها وتحبيبها للعامة ليكون لها من النفع بمقدار ما يكون لها من السلطان على النفوس وانما هو سلطان كتاب الله وسنة رسوله ، وان يكون شعار الجمعية التواصى بالحق والتواصى بالصبر ، وقد اطال الاستاذ فى اسداء النصائح النافعة فليبلغ الشاهد الغائب .

وختمت الجلسة بما قام به تلاميذ المكاتب القرآنية من تلاوة آيات من الذكر الحكيم وانشاد قصائد ومقاطيع شعرية ومحاورات أدبية بأسلوب روائى وقد كان لذلك المنظر روعة ووقع وتأثير لايأتى عليها الوصـف .

عن جمعية العلماء المسلمـين
نائـب الرئيـس
محمـد البشـير الابراهيمـي

ردود فعـل

أما المستعمرون فقد رأوا فى انشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين - وما تقوم به من التجمعات والاستقبالات الشعبية والهتافات الوطنية المعبرة عن احياء الشخصية الجزائريـة - راوا فيه ما يهدد كيانهم ويفسد عليهم حياتهم ومخططاتهم فى ارض الجزائر، فقد جاء ميلاد هذه الجمعية بعد بضعة شهور فقط من الاحتفال القرنى الصارخ الذى احتفلت فيه السلطات الاستعمارية احتفالات ضخمة عسكرية ومدنية رسمية بمرور مائة عام على احتلال الجزائر فى 5 جويلية 1930 م وحسبوا ان الشخصية الجزائرية قد انتهت بلا عودة .

وقد جاء تأسيس جمعية العلماء فى ذلك الوقت ردا عمليا على المؤتمر الاستعمارى المسيحى بالخصوص الذى دعى لانعقاده فى 5 جويلية 1930 م بالعاصمة وحضره

مئات المشاركين من رجال الدين والقساوسة المسيحيـين من شتى البلاد الاوربية وأعلنوها صليبيـة من جديد ، وصرح كبير الاساقفة بالجزائر فى خطاب ألقاه فى ذلك المؤتمر قال فيه : اننـا لا نحتفل اليوم بمرور مائة سنة على احتلال فرنسا للجزائر وانما نحتفل بدخول المسيحية من جديد الى افريقيا الشماليـة .

لاريب ان الامر الذى دعا السلطة الاستعمارية للقيام بهذا التجمع وذلك التصريح الذى اعلنه كبير الاساقفة ليس الا تعبيرا عن الهلع العام الذى أصابهم عندما أبصروا بعيونهم وشاهدوا بأنفسهم زحف حركـة الاصلاح نحو تحقيق اهدافها الدينيـة والاصلاحية .

قوانين جائرة وأساليب خاسرة

فأجمعوا كيدهم وسارعوا الى القضاء عليها فى مهدها وأصدروا فى السنة نفسها وفى السنوات التالية لها قوانين جائرة حاولوا بها أن يجعلوا حدًّا لِسَيْرِ الحركة الاصلاحية ، ثم دفعوا عملاءهم من الجزائريين لإفساد هذه الجمعية وتشتيت جهودها والقضاء عليها ، وكان من بين وسائل الحرب التى شنها المستعمرون اصدار عدة قوانين جائرة منها :

1) أصدر وزير الداخلية الفرنسي قانونا بتعطيل جريدة (السنـة) لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريـين .

2) أصدر ميشال كاتب عمالة الجزائر قرارا بمنع الشيخ الطيب العقبي داعية الاصلاح فى الجزائر من إلقاء دروسه الدينية العادية فى المساجد بالعاصمة وضواحيها .

3) اعادة التذكير بالأوامر والقرارات السابقة التى تمنع تعليم القرآن ، وتعليم الدين الاسلامي ، واللغة العربية ، الا برخصة من السلطة المحليـة .

4) والى جانب هذه القرارات لجأت السلطة الفرنسية الى اساليب مختلفة تفرض بها حصارا على رجال حركة الاصلاح . فطلبوا من الشيخ عبد الحميد بن باديس أن يقدم رخصة ان كانت له رخصة تتيح له مزاولة التدريس للطلبة بالجامع الأخضر ، مع انه كان يقوم بهذا التعليم منذ سبعة عشر سنة خلت ولم يطلب اليه تقديم مثل هذه الرخصـة .

5) ولجأ هؤلاء المستعمرون الى تجنيد أعوانهم من موظفى السلك الدينى ، ورؤساء الزوايا المرابطين ، وبعض أعوانهم من نواب المجالس المختلفة من المسلمين ، وأمدوهم بالمال ، ويسروا لهم اصدار الصحف لمحاربة المصلحين ، وفى الوقت نفسه فتحوا أبوب السجون للعلماء وأنصارهم من رجال الحركة الاصلاحية ، واستخدموا ضدهم أساليب الحرب النفسية ، فراحوا ينشرون حولهم الاشاعات التى تروج على عقول العامة من الجهلة والبسطاء والمغفلين ، ومن بين ما أشاعوه عنهم أن المصلحين يعادون الأولياءَ وينكرون الوسيلة الخ....

6) هذه الاسلحة المختلفة تصوبها أيدى المستعمرين ، وهذه الحرب الساخنة تشنها سلطة الحاقدين فى العام الأول لتأسيس جمعية العلماء التى كان يشترك فى عضويتها المرابطون والحكوميون ويمثلون أكثر من ثلث أعضائها .

7) حرص المستعمرون على تدبير مكيدة لرجال الاصلاح ، والعمل على ابعادهم عن الجمعية لتكون خالصة للحكومة وأعوانها ، فاذا لم يتمكنوا من الاستيلاء على الجمعية ، أثاروها فتنة عمياء تسيل فيها الدماء ، لتكون ذريعة فى يد السلطة الاستعمارية لحل جمعية العلماء واغلاق مقرها نادى الترقى الى الابد ، وتلك غاية ما تمنته السلطة الاستعمارية فى الجزائـــر .

المدبرون للمكيدة الفاشلـــة

دفعت ادارة الشؤون الاهلية عمر بن اسماعيل الدلسى رئيس لجنة العمل الدائمة – الذى وصفه احمد توفيق المدني فى مذكراته بانه "غني حرب استغنى من السوق السوداء" – الى افساد الجمعية فقام بتوزيع بطاقات العضوية العملية الخاصة بالعلماء على الجهلة ، فخان الأمانة التى أسندت اليه .

ولم تكن هذه هي المؤامرة الوحيدة من نوعها ، فقد توالت طعنات الأعداء ، وكان من بين هذه الطعنات : محاولة الشيخ أحمد بن عليوة رئيس الطريقة العليوية الذى جند أتباعه بقصد الاحتواء على اداراة الجمعية واثارة فتنة عاقبتها وخيمـــة .

وبيانا للحقيقة ننشر هنا ما كتبه الرئيس ابن باديس بقلمه فى هذا الموضوع مفصلا أحداث هذه المؤامرة تحت عنوان :

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فى عامها الثانى (1)

تمهيـــد :

كنا نعلم من يوم تأسيس هذه الجمعية رغم تفاؤلنا ، ما ستلقاه مثل كل مشروع عظيم من صعوبات وعقبات ، ولكننا كنا نحسب أن حظها من ذلك لا يكون الا من خارجها ، ولكن الواقع جاء بخلاف ذلك ، وكانت مصاعب الجمعية ومتاعبها من داخلها ، حصلت نفرة بين أعضاء مجلس الادارة ورئيس لجنة العمل ، فأدت الى ما أدت اليه من فرقة وفتنة وقى الله شرها . وقد علم الناس حقيقة الحال من البيان الرسمى الذى نشره مجلس ادارة الجمعية اثر انتخابه مما لا حاجة الى اعادته وان كنا سنشير الى أشياء منه لزيادة البيان .

بأي نية ذهبت للاجتماع العمومى : ذهبت عازما على اصلاح ذات البين وعلى تسيير انتخاب الجمعية بمقتضى قانونها الأساسى والوقوف معه مهما كان الحـــال .

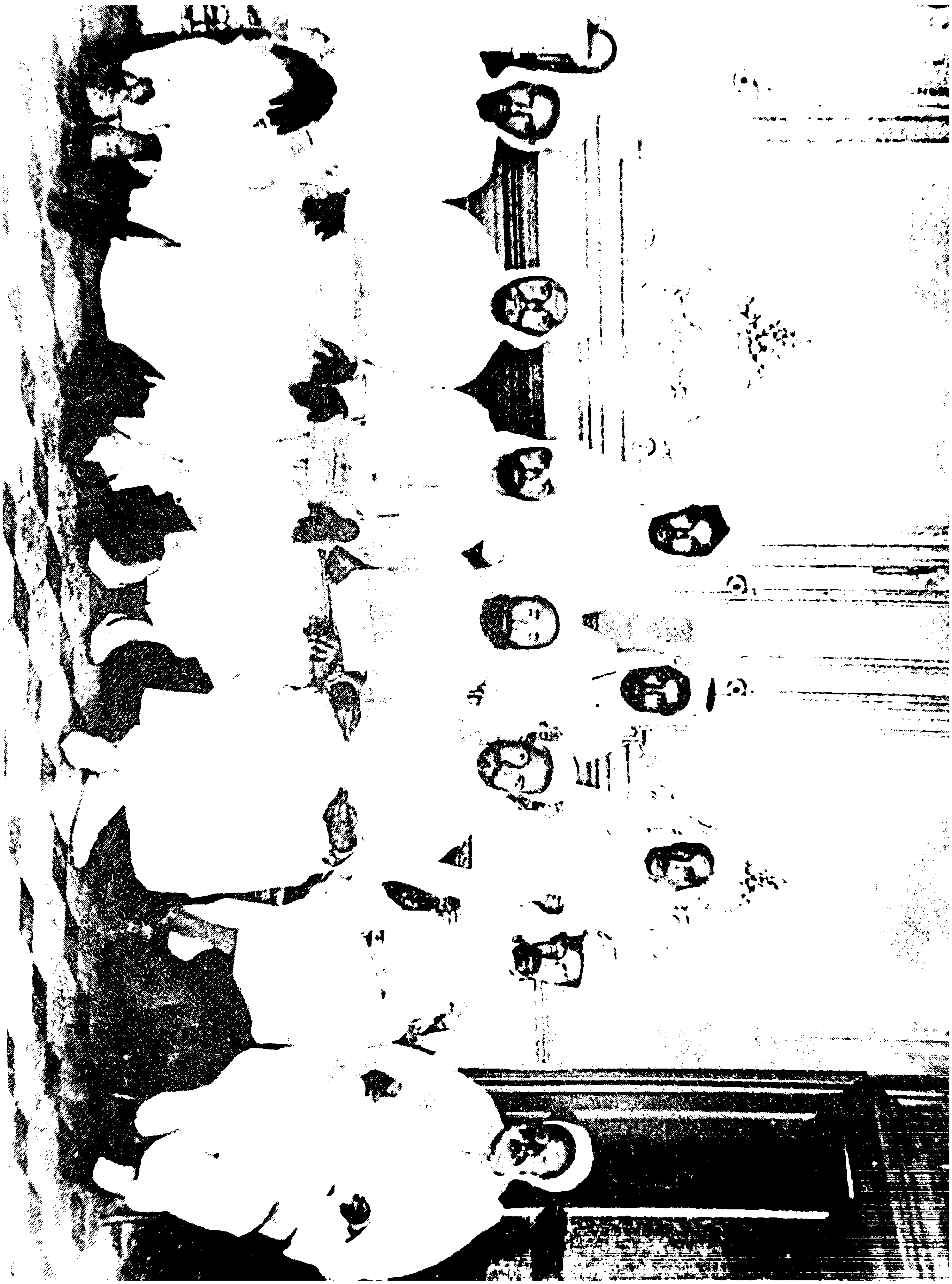
وعرفت من الاجتماعات التى كانت قبل يوم الانتخاب ، ومن محاولاتى الخاصة أن الصلح غير ممكن ، وانه لم يبق عليّ الا المحافظة على الجمعية قبل كل شيء ، وكنت رغم ما يأتينى من أنباء بما يدبر من أمور ، مطمئنا على الجمعية لاننى كنت أعتقد أن الاجتماع العمومي سيضم جمعا عظيما من أهل العلم ، وحسبي بعلمهم هاديا لهم الى ما فيه خير وسداد للجمعية والأمة . فدخلت صبيحة الاثنين 18 محرم الماضى الى نادى الترقى وانا على هذا الاعتقاد .

ماذا كان يدبر للاستيـــلاء على الجمعيـــة

كان رئيس لجنة العمل قد سعى سعيا شديدًا فى تكوين عدد كبير ممن يوافقونه على القائمة التى يقدمها للانتخاب ، وكانت مكاتبات لبعض الجهات فى الحث على القدوم يوم الانتخاب ، واصبح مكتب الدعاية منعقدًا على الساعة الخامسة فى مدرسة السلام ، يديره رئيس لجنة العمل ، وشيخ زاوية بمستغانم – كما اعترف لى بذلك رئيس

---

(1)الشهـــاب ج8 م8.



اللجنة فى الحديقة العمومية امام جماعة – وأصبحت الوصولات توزع على كل من يقال فيه (طالب) لياتى للجمعية العمومية وينتخب من كتبت أسماؤهم فى ورقة سلمت له .

نكتــة المســألـــة

القائمة التى أعطيت من طرف السيدين المذكورين فيها ثلاثون شخصا : الأعضاء الأقدمون مع ضرب وتشطيب على أسماء بعضهم ، وزيادة عليهم ، والسيد رئيس اللجنة هو أحد الثلاثين ، وحضرته – بلا مؤاخذة ومع الاحترام – ليس من أهل العلم ولا من الطلبة ، واذا كانت الأعمال والأقوال هي التى تدل على المقصود والنوايا فلا نكون ظالمين اذا استدللنا بهذا العمل على ما يدل عليه ، مفوضين العلم بذلك والجزاء عليه الى الله تعالــى .

كيــف كنا وكيــف كانـــوا

بينما كان السيدان يعملان عملهما ويقويان حزبهما ، كنا تاركين المسألة على حالها تسير بطبيعتها ، ولو كنا على شيء من سوء النية أو القصد الى الاستيلاء بالأغلبية لكنا دعونا تلامذتنا دعوة عامة للحضور – وهم كثر وكلهم من أهل العلم – فملأوا نادى الترقى والشوارع المتصلة به ولا فخر ولكن ماكنا – والحمد لله – لنقصد الى التكثر ، ولا الى العصبية والتحزب ، واحداث الفرقة بين الناس .

صبيحـــة يــوم الاثنين وما صبيحـــة الاثنيـــن

اكتظ النادى على سعته بالناس ، وألقيتُ خطاب الافتتاح والترحيب ، وعرّفت الجمع بأن المنتخبين لابد أن يكونوا من أهل العلم كما تنص عليه المادة السابعة من القانون الأساسى للجمعية التى تقول : «الأعضاء العاملون هم الذين يصح أن يطلق عليهم لقب عالم بالقطر الجزائرى ، بدون تفريق بين الذين تعلموا ونالوا الاجازات بالمدارس الرسمية الجزائرية ، وبين الذين تعلموا بالمعاهد العلمية الاسلامية الأخرى» .

وعرّفت الجمع بأن مجلس الادارة عيّن لجنة لتقييد أسماء من ينطبق عليهم هذا الوصف المذكور فى المادة ، وانها تقبل من كانت له شهادة ، أوكان قد باشر التعليم ، أوكان يشار اليه بالعلم فى قومه ، وأنه بعد تقييد أسماء المنتخبين يكون الانتخاب .

وهنا قامت القيامة واضطربت أركان القاعة بالضجيج، وأبى القوم الا الانتخاب فى الحين دون اعتبار للمادة القانونية، ولا اعتبار لتقييد أسماء المنتخبين، واستمر ذلك الاضطراب وذلك الهيجان الى قرب الزوال فافترقنا – بعد أن وقفنا على شفا حفرة من الهلاك فأنقذنا الله منها – على أن نجتمع مساء على الساعة الثانية بعد الزوال .

لوازم واستنتاجات

عرفنا بما رأينا فى ذلك الجمع وما سمعنا فيه ، أن أهل العلم قد حشر فيهم من ليس منهم ، وكان معهم من لم يتخلق بأخلاقهم ، ولا تأدب بآدابهم ، وأن ما وقع صباحا سيقع مساء ، وأن ذلك مفض لا محالة الى عاقبة سيئة ، ربما قضت على الجمعية وعلى النادى الذى نحن ضيوف فيه ، وأن المسؤولية تكون على رئيس الجمعية ، فلزمنى اذًا أن أخبر ادارة الشرطة لترسل أعوانها لحفظ النظام ، فأعلمتها وعرفت بما رأيت وما سمعت ، وأنه يراد الاستيلاء على الجمعية بطريق غير مشروع ، وبعدد كثير لا تنطبق عليه المادة القانونية ، ولذلك فرّ من فرّ من الوقوف أمام اللجنة وهي لجنة تعريف وسؤال لا لجنة امتحان ، فلزمنى أن أحافظ على شرف الجمعية من أن يسيطر عليها غير أهل العلم» . انتهى .

رؤساء الفتنة

وقد شاهدت أنا (محمد خير الدين) بعينى أحداث هذه الواقعة ، وأؤكد ما جاء فى كلمة الرئيس ابن باديس ، واشهد ان الذى تولّى كبر هذه الفتنة العمياء ثلاثة أشخاص هم :

1 – عمر اسماعيل – رئيس لجنة العمل .

2 – السيد غلام الله – صاحب زاوية تيارت والنائب المالى للمجلس الجزائرى .

3 – السيد بالحاج الفرنسى الجنسية ومدير المدرسة الثعالبية .

وقد انتدبتهم الحكومة للحضور لمساندة المشاغبين ، والدفاع عنهم فى تحقيق مكيدتهم ، بالاستيلاء على الجمعية ، وطرد العلماء من ادارتها .

ويتابع الامام ابن باديس حديثه فيقــول :

مســاء الاثنيـــن

«ما جاء ت الساعة الواحدة بعد الزوال حتى امتلأت سقائف النادى ورحابه والدرج المصعدة اليه – فما أكثر العلماء فى ذلك اليوم – وبقي النــاس فى انتظار الساعة الثانية لفتح باب النادى ، وجاء أعوان الشرطة ، وفتح النادى ، وعاد الحال الى ما كان عليه فى الصباح ، ولما رأيت الأمر لا يزيد الا هياجا وارتباكا أعلنت رفع الجلسة ووقف رجال الشرطة محافظين على النظام حتى خرج الناس .

يــوم الثــلاثـــاء

أصدرت الجمعية منشورا ، ونشرت فى الصحف الفرنسية إخبارًا بما وقع ، وأعلمت أن الانتخاب يكون من الغد يوم الثلاثاء ، فجاء الناس صبيحة الثلاثاء وكان الانتخاب مساء ذلك اليوم ، على ما هو مبين بالصحف وبيان الجمعية "وكان يوم هُدُوءٍ ونظام وتأمين" وشاهد أعوان الشرطة ورجال الاستعلامات الفرق بين يوم الاثنين الذى حضرته الغوغاء ومن حشر فى أهل العلم ، ويوم الثلاثاء الذى لم يحضره أولئك – ولا أعنى بكلامى هذا أن كل من تخلف عن يوم الثلاثاء فهو ليس من أهل العلم كلاّ – فقد تخلف بعض أهل العلم الذين لم يستطيعوا – بما شاهدوا من فظاعة يوم الاثنين – أن يعودوا الى الاجتماع أو لم يحسبوا يوم الثلاثاء الا مثل يوم الاثنين .»

لجنــة الاشراف على الانتخاب

قال الشيخ ابن باديس فى آخر الجلسة من صباح يوم الثلاثاء : «ان مهمة المجلس الاداري الأول قد انتهت الآن ، ثم طلب من الجمعية العمومية أن تؤلف من بينها لجنة تشرف على عملية الانتخابات» فتكونت اللجنة على النحو التالى :

1) الشيخ مصطفى أبو الصوف - رئيسا
2) الشيخ مصطفى بن حلوش - كاتبا
3) محمد الهادى أبوعبد الله - كاتبا
4) الشيخ الشريف الصائغى - كاتبا
5) الشيخ أحمد بن عبد المالك الأغواطى - كاتبا
6) الشيخ الطاهر الحركاتى - عضوا
7) الشيخ عبد الرحمن بن بيبي - عضوا .

وشرعت هذه اللجنة فى عملها فى الوقت المحدد ، ولما تمت عملية الانتخاب كانت الأصوات الصحيحة (190) صوتا بعدما طرح منها (23) صوتا من مجموع الأصوات ، خسر الزاهري فيها أربعة أصوات ، والميلي صوتين ، وخير الدين ستة أصوات ، وأبو اليقظان ثمانية ، وخسر كل من العمودي ، والحلوي ، وعلي أو الخيار ، ويحي حمودى ، بن زيان صوتا واحدا .

بيان عن الاجتماع العام

وصدر بيان عن الاجتماع العام الثانى لجمعية العلماء هذا نصّه :

«نجح الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين فى هذه المرة نجاحا عظيما يبعث فى نفس كل مسلم الغبطة والسرور والرضى ، وقد حضرته جموع غفيرة من أنحاء الجزائر أتته من كل فج عميق ، وكان النظام يسود هذا الاجتماع ، وسبب ذلك أن هؤلاء المجتمعين - وان كان عدد هم كثيرا لا يكاد يحصى - قد كانوا من أهل العلم والدين والفضل ، لذلك خلا هذا الاجتماع العظيم خلوا كاملا من المفسدين والمشاغبين الذين يبثون الشغب والفوضى ، وجددت الأمة انتخاب المجلس الاداري فى اجتماعه هذا ، وقدم المجلس الاداري القديم قائمة هذه صورتها . الشيوخ :

ابن باديس ، الابراهيمى ، الميلي ، العمودي ، الفضيل (من مجلس الادارة القديم وكانوا حاضرين) ، المهاجي (منه أيضا وكان غائبا لقدومه من الحج) ابن عربية ، أبو

اليقظـان ، خير الدين ، التبسـي ، المكي ، القاسمي (هؤلاء جدد وكانوا حاضرين) أبو عبد الله البوعبدلى (جديد وكان غائبا واعتذر ببرقيـة يقول فيها : «اعتبرونى معكم فى كل شيء» .

وأعلن للمنتخبين أن لهم الحرية فى أن ينتخبوا القائمة كلها ، أو يرفضوها كلها ، أو يختاروا بعضها دون بعض ، فجرى الانتخاب على الوجه القانوني ، على تفاوت فى عـدد الأصوات ، وفاز الشيـوخ المذكورون ، الا واحدا فاز عليه الزاهرى بنحو العشرين صـوتـا .

المجلس الاداري الجديـــد

وهذه قائمة المجلس الاداري الثانى الجديد لجمعية العلماء المسلمين الجزائريـين الشيوخ :

1) ابن باديـس	رئيـس
2) البشير الابراهيمي	نائبـه
3) محمد الأمين العمودي	كاتب عـام
4) العـربـي التبسـي	نائبـه
5) مبارك الميلـي	أمـين مـال
6) أبو اليقظـان	نائبـه

الأعضـا المستشـارون الشيوخ :

7 - الطيـب العقبـي
8 - السعيـد الزاهـري
9 - محمـد خير الديـن
10 - علي أوالخيـار
11 - يحى حمـودي
12 - قدور الحلـوي
13 - عبد القادر بن زيـان

لجنــة العمــل الدائمـــة

وقد تعينت لجنة العمل الدائمـــة من الســـادة :

الشيخ أبو يعــلا الزواوى	رئيـــس
السيد رودوسى محمـــود	كاتـــب
السيد محمــد بن المرابــط	أمين مـــال
السيد رشيد بطحــوش	مستشـــار
السيد محمــد بن البــاي	"

شهد العام الثانى من تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بداية ميلادها الحقيقي ومساهمتها فى الحركة الاصلاحية فى بلادنا ، فقد كان هذا العام حدا فاصلا بين عهدين ، ومرحلة انتقال من الفوضى والاضطراب الى التنظيم والعمل الدقيق ، فقد خابت مؤامرات أعداء المصلحين ، وردَّ الله كيدهم فى نحورهم ، وتأسس المجلس الثانى من رجال جمعت بينهم الرغبة الصادقة فى الاصلاح والتعاون على البر والتقوى، لم يدَّخروا جهدا فى سبيل تحقيق غايتهم النبيلة ، وسادت بينهم مبادئ الأخوة الصادقة فحقق الله على أيديهم خيراً كثيرا للعباد والبلاد .

رأي ابن باديـــس

وإن أبلغ وصف يصدق على خطة (جمعية العلماء) ماقاله الإمام عبد الحميد بن باديس عن مبدإ مجلته (الشهاب) وسيرتها حيث قـال :

«صراحة فى الرأي وصلابة فى الحق ورغبة فى الخير ، نعمل لصلاح الأمة فى دينها ودنياها ، على نور الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح ، فتتمسك الأمة بإسلامها وعروبتها ، وتحافظ على قوميتها وتاريخها ، وتتناول أسباب الحياة والتقدم من كل جنس وكل لغة ، وتعمل مع كل عامل لخير البشريـة وسعادة الانسان».

على هذه الأصول وفروعها مضت الثلاث عشرة سنة من حياة هذه المجلة ، وقد

شاهدت من آثار تلك الاصول فى الامة – بحمد الله – مازادها ايمانا بهذه الأصـــول وفروعها ، وثباتا فيها وصبرا على ما تلقاه فى سبيلها» (1) .

ورأيه فى إخوانه العلماء

ويصف الامام عبد الحميد بن باديس اخوانه العلماء الذين آزروه وأعانوه ، ويظهر قيمتهم ومكانتهم فيقول :

«من حظ الجزائر السعيد ومن مفاخرها التى تتيه بها على الأقطار أنه لم يجتمع فى بلد من بلاد الاسلام فيما رأينا وسمعنا وقرأنا مجموعة من العلماء : وافرة الحظ من العلم، مؤتلفة القصد والاتجاه ، مخلصة النية ، متينة العزم ، متحابة فى الحق ، مجتمعة القلوب على الاسلام والعربية ، قد ألَّف بينها العلم والعمل ، مثل ما اجتمع للجزائر فى علمائها الأبرار ، فهؤلاء هم الذين وُريّ بهم زنادى ، وتَأثَّل بطارفهم تلادى ، أطال الله أعمارهم، ورفع أقدارهم» . (2)

شاهد على ذلك

ويروى لنا الأستاذ محمد بن الشيخ مبارك الميلي قصة تعكس مدى العلاقة الوثيقة بين أعضاء هذه الجمعية حيث يقول فى كتابه (عروبة ابن باديس) :

«وذات ليلة بينما كان معنا والدنا الشيخ مبارك الميلي ، فتوقف فجأة عن الضحك وعلت وجهه سحابة من الكآبة والحزن لمحت خلالها دمعة جاهد فى اخفائها فلم تظهر للآخرين ، ثم أرسل زفرة حارة لم نأبه لها أن تعكر الجو ، وقال : أنا بين أهلى وأولادى ، والشيخ البشير الابراهيمي هناك منفي فى أعماق الصحراء ، بعيدا عن أهله وذويه ! ولم نر منه ابتسامة بعد ذلك ، وأكمل السهرة معنا وكأنه غائب لا يسمع لقول ولايهم بسؤال ، أليس هو شعور الصداقة الذى يسيطر مرة أخرى على هذه العلاقة التى تربطه بأقرانه فى الجهاد» .

---

(1) افتتاحية مجلة الشهاب للسنة (14) ج 1 م 14 عام 1938 .

(2) (الشهاب) العدد الخاص باحتفال ختم التفسير ج (4) و (5) م (14) ص 290 .

ويتابع الأستاذ محمد بن مبارك الميلى حديثه فيقول :

«ولو أردت أن أسترسل فى هذا الموضوع لما أعجزنى الحديث ، فأنا أذكر جيدا فرحته العظمى حين رآنى ذات يوم قد دخلت الدار حاملا برقية ، كأنه قد أدرك ما فيها قبل أن أخبره فبادرنى بالسؤال : أليس قد أطلق سراح الشيخ العربى التبسى ؟ ولما أجبته أن نعم مدَّ يده لى بنقود كأنى أنا السبب فى ذلك ، ولا يزال ذلك اليوم مصحوبا فى ذهنى بصورة لأكلة شهية صنعت لنا احتفالا بهذه المناسبة ، وأرجو أن لا يفهم القارئ أن فرح الصبي الذى هو أنا بالأكلة كان أكثر من فرحته بالشيخ العربى التبسـي .

كما أذكر جيدا حيرته ذات يوم وقد تملكه الغضب وصار يعاملنا بلون من القسوة ونوع من الشدة لم نعهده منه ، حتى اذا لمحت عليّ جدتى شيئا من الدهشة لهذه الثورة المفاجئة ، قالت لى فى همس : لا تعجب فقد صدر الأمر بنفي الشيخ خير الدين .

هذه حوادث متباعدة فى الزمان والكيف ولكنها تتلاقى فى الابانة عن الصداقة والدلالة على علاقة الكشف عن روح طيبة هي عنوان الوفـاء» (1) .

---

(1) عروبة ابن باديـس .

أسس جمعيـــة العلمـــاء
وأصولـــها ومطالبـــها

(أولاً) القانون الأساســـي [1]

القســم الأول : الجمعيـــة :

الفصل الأول : تأسّست في عاصمة الجزائر جمعية ارشادية تهذيبية تحت اسم «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» مركزها الإجتماعي بنادي الترقي ببطحاء الحكومة عدد 9 بمدينة الجزائر .

الفصل الثانـــي : هذه الجمعية مؤسسة حسب نظام وقواعد الجمعيات المبينة بالقانون الفرنسي المؤرخ بغرة جويلية سنة : 1901 م .

الفصل الثالـــث : لا يسوغ لهذه الجمعية بأي حال من الأحوال أن تخوض أو تتدخل فى المسائل السياسية .

القســم الثانـــي : غايـــة الجمعيـــة

الفصل الرابع : القصد من هذه الجمعية هو محاربة الآفات الاجتماعية كالخمر والميسر والبطالة والجهل وكل ما يحرمه صريح الشرع وينكره العقل وتحجره القوانين الجاري بها العمل .

الفصل الخامس : تتذرع الجمعية للوصول الى غايتها بكل ماتراه صالحا نافعا لها غير مخالف للقوانين المعمول بها ، ومنها أنها تقوم بجولات فى القطر فى الأوقات المناسبة .

الفصل السادس : للجمعية أن تؤسس شعبها فى القطر ، وأن تفتح نوادى ومكاتب حرّة للتعليم الابتدائي .

القسم الثالث : أعضاء الجمعيـــة

الفصل السابع : أعضاء الجمعية على ثلاثة أقسام :

مؤيّدون وقيمة اشتراكهم عشرون فرنكـــا .

عاملون وقيمة اشتراكهم عشرة فرنكـــات .

مساعدون وقيمة اشتراكهم خمسة فرنكـــات .

الفصل الثامن : يتألف المجلس الادارى من الأعضاء العاملين فقط .

الفصل التاسع : الأعضاء العاملون فقط هم الذين ينتخبون كل سنة أعضاء المجلس الادارى المتألف من رئيس ونائب له ، وكاتب عام ونائب له ، وأمين مال ونائب له ، ومراقب ، وأحد عشر عضوا مستشارا .

الفصل العاشر : للجمعية أن تنشئ بمركزها بالجزائر مكتبا يكون على رأسه مدير مكلف بادارة شؤونها ومصالحها .

الفصل الحادى عشر : وللجمعية أيضا أن تحدث مكاتب عمالية فى كل من العمالات الثلاث ، وعلى رأس كل مكتب منها كاتب مكلف بادارة شؤون الجمعية، وهذه المكاتب كلها تكون مرتبطة أتم الارتباط بالمكتب المركزي .

الفصل الثانى عشر : الأعضاء العاملون هم الذين يصح أن يطلق عليهم لقب عالم بالقطر الجزائري ، بدون تفريق بين الذين تعلموا ونالوا الاجازات بالمدارس الرسمية الجزائرية ، والذين تعلّموا بالمعاهد العلمية الاسلامية الأخــرى .

الفصل الثالث عشر : الأعضاء المؤيدون والأعضاء المساعدون يشملون كل من راق له مشروع الجمعية من غير الطبقة المبينة بالفصل المتقدم ، وأراد أن يساعدها بماله وأعماله على نشر دعوتها الاصلاحيـــة .

القسم الرابـــع : مـاليــة الجمعيـــة

الفصل الخامس عشر : للجمعية أن تلتمس وتقبل من الحكام المحليين اعانات مالية (ولكن هذا لم يعمل به فى تاريخ الجمعية)

الفصل السادس عشر : مبلغ الاشتراكات والاعانات يقبضه أمين المال ويسلم فيه وصلا .

الفصل السابع عشر : مال الجمعية يوضع باسمها فى احد البنوك المحلية ، ولا يبقى أمين المال منه تحت يده أكثر من خمسمائة فرنك .

الفصل الثامن عشر : لايجوز اخراج شيء من المال بقصد صرفه الا بأمر كتابي ممضى من الرئيس والكاتب العام وأمين المال ، وذلك تنفيذا لما يقرّره المجلس الادارى .

الفصل التاسع عشر : يصرف مال الجمعية فيما تقتضيه مصلحتها ويوجبه الوصول الى غايتها المبينة بالفصل الرابع من هذا القانون الأساسى .

القسم الخامس : الاجتماعات الادارية والعامة

الفصل العشرون : المجلس الاداري يجتمع فى الأوقات التى يراها مناسبة ، ويجب أن تكون جلساته كلها مسجّلة فى دفتر محاضر الجلسات ، وكل قرار يقرره المجلس ولايكون مسجلا بالدفتر المعد لذلك يعتبر لغوا لاعمل عليه ، ويجب أن يمضى المحضر رئيس الجلسة وكاتبها .

الفصل الحادى والعشرون : ينعقد الاجتماع العام لسائر الأعضاء مرة فى السنة ، وينعقد هذا الاجتماع بمدينة الجزائر اثر استدعاء من الرئيس ، وزيادة على هذا الاجتماع السنوى يجوز عقد اجتماع آخر فى أثناء السنة فى الزمان والمكان اللذين يعينهما الرئيس ، وبعد أن يتفاوض أعضاء الجمعية فى أثناء الاجتماع العمومى العادى فى برنامج الجمعية ، وتعرض عليهم أعمال الجمعية فى السنة السابقة ، تنعقد جلسة ثانية يحضرها الأعضاء العاملون والمؤيدون والمساعدون ، ويعلمون بحالة الجمعية الأدبية والمالية ، ثم يباشر الأعضاء العاملون فقط انتخاب الهيئة الادارية .

الفصل الثاني والعشرون : اذا شجر خلاف بين عضوين أو أكثر من أعضاء الجمعية أو تغيرت سيرة أحد الأعضاء بما تراه الجمعية ماسا بحياتها ، فلمجلس الادارة أن يعين لجنة بحث وتحكيم تشمل خمسة من الأعضاء العاملين ، وخمسة من الأعضاء المؤيدين ، وهذه اللجنة تعرض نتيجة بحثها وما تراه فى القضية على المجلس الادارى ، وهذا الأخير يطبق العقوبات والأحكام المنصوص عليها فى اللائحة الداخلية التى ستوضع للجمعية .

الفصل الثالث والعشرون : لاينظر فى طلب متعلق بحل الجمعية الا اذا كان صادرا من ثلث الأعضاء على الأقل ، ولا يعمل به ولا ينفذ الا اذا صادق عليه أربعة أخماس الأعضاء العاملين ، واذا انحلت الجمعيـة – لاقدّر الله – يسلم أثاثها ومالها الى جمعية خيرية اسلاميـة يعينها المجلس الاداري .

الفصل الثانى والعشرون : اذا شجر خلاف بين عضوين أو أكثر من أعضاء الجمعية أو تغيرت سيرة أحد الأعضاء بما تراه الجمعية ماسا بحياتها ، فلمجلس الادارة أن يعين لجنة بحث وتحكيم تشمل خمسة من الأعضاء العاملين ، وخمسة من الأعضاء المؤيدين ، وهذه اللجنة تعرض نتيجة بحثها وما تراه فى القضية على المجلس الادارى ، وهذا الأخير يطبق العقوبات والأحكام المنصوص عليها فى اللائحة الداخلية التى ستوضع للجمعية .

الفصل الثالث والعشرون : لاينظر فى طلب متعلق بحل الجمعية الا اذا كان صادرا من ثلث الأعضاء على الأقل ، ولا يعمل به ولا ينفذ الا اذا صادق عليه أربعة أخماس الأعضاء العاملين ، واذا انحلت الجمعيـة – لاقدّر الله – يسلم أثاثها ومالها الى جمعية خيرية اسلاميــة يعينها المجلس الاداري .

(ثانيـا) - دعـوة الجمعيـة وأصولهـا (1)

بســم الله الرحمــن الرحيــم

وصلى الله على محمــد وآلــه وسلّــم

1) الاسلام هو دين الله الذى وضعه لهداية عباده ، وأرسل به جميع رسله ، وكمّله على يد نبيه محمـد الذى لانَبِيَّ من بعـــده .

2) الاســلام هو دين البشرية الذى لاتسعد الا به وذلك لأنــه :

أولا : كما يدعو الى الأخوّة الاسلامية بين جميع المسلمين . يذكّر بالأخوة الانسانية بين البشر أجمعيــن .

ثانيــا : يسوى فى الكرامة البشرية والحقوق الانسانية بين جميع الأجناس والألوان

ثالثــا : لأنه يفرض العدل فرضا عامّا بين جميع الناس بلا أدنى تمييــز .

رابعــا : يدعو الى الاحسان العام .

خامســا : يحرم الظلم بجميع وجوهه وبأقل قليله من أي أحد على أي أحد من النـــاس .

سادســا : يمجد العقل ويدعو الى بناء الحياة كلها على التفكيــر .

سابعــا : ينشر دعوته بالحجة والاقناع لا بالختل والإكراه .

ثامنــا : يترك لأهل كل دين دينهم يفهمونه ويطبقونه كما يشاءون .

تاسعــا : شرّك الفقراء مع الأغنياء فى الأموال ، وشرّع مثل القراض والمزارعة والمغارسة ، ممّا يظهر به التعاون العادل بين العمال وأرباب الأراضى والأموال .

عاشرا : يدعو الى رحمة الضعيف ، فيُكفَى العاجزُ ، ويُعلّم الجاهلُ ، ويُرشَد الضّالُّ ، ويُعان المضطرُّ ، ويُغاث الملهوفُ ، ويُنصر المظلومُ ، ويُؤخذُ على يد الظالم .

---

(1) من نفس الكراسة السابقة الى طبعت بالمطبعة الجزائرية الاسلامية بقسنطينة .

حادى عشر : يُحرّم الاستعبادَ والجبروتَ بجميع وجوهــه .

ثاني عشر : يَجعَل الحُكْم شورى ليس فيه استبداد ولو لأعدل النّـاس .

3) القرآن الكريــم هو كتاب الاســلام .

4) السنة "القولية والفعليـــة" الصحيحة تفسير وبيان للقرآن .

5) سلوك السلف الصالح (الصحابة والتابعين وأتباع التابعين) تطبيق صحيح لهدي الاسلام .

6) فهوم أئمة السّلف الصالح أصدق الفهوم لحقائق الاسلام ونصوص الكتاب والسنة .

7) البدعة كل ما أُحدِث على أنه عبادة وقُربة ، ولم يثبت عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فعله ، وكل بدعة ضلالـــة .

8) المصلحة كل ما اقتضته حاجة الناس فى أمر دنياهم ، ونظام معيشتهم ، وضبط شؤونهم ، وتقدّم عمرانهم ، مما تقّره أصول الشريعـــة .

9) أفضل الخلق هو محمـد صلى الله عليه وسلم لأنـــه :

أولا : اختاره الله لتبليغ أكمل شريعة الى الناس عامّـــة .

ثانيا : كان على أكمل الأخلاق البشريـــة .

ثالثـا : بلّغ الرسالة ومثّل كمالها بذاته وسيرتـــه .

رابعـا : عاش مجاهدا فى كل لحظة من حياته فى سبيل سعادة البشرية جمعاء ، حتى خرج من الدنيا ودرعه مرهونة .

10) أفضل أمته بعده هم السلف الصالح لكمال اتّباعهم له .

11) أفضل المؤمنين هم الذين آمنوا وكانوا يتّقون ، وهم الأولياء والصالحون ، فحظّ كل مؤمن من ولاية الله على قدر حظّه من تقوى الله .

12) التوحيد أساس الدين ، فكل شرك "فى الاعتقاد أو فى القول أو فى الفعل" فهو باطل مردود على صاحبـــه .

13) العمل الصالح المبني على التوحيد ، به وحده النجاة والسعادة عند الله ، فلا النسب ، ولا الحسب ، ولا الحظ ، بالذى يُغنى عن الظالم شيئا .

14) اعتقاد تصرّف واحد من الخلق مع الله فى شيء ما ، شرك وضلال ، ومنه اعتقاد الغوث والديوان .

15) بناء القباب على القبور ، ووَقْد السُرُج عليها ، والذبح عندها لأجلها ، والاستغاثة بأهلها ، ضلال من أعمال الجاهلية ، ومضاهاة لأعمال المشركين ، فمن فعله جهلا يُعلّم ، ومن أقرّه ممن ينتسب الى العلم فهو ضال مُضلّ .

16) الأوضاع الطرقية بدعة لم يعرفها السلف ، ومبناها كلها على الغلوّ فى الشيخ، والتحيز لاتّباع الشيخ ، وخدمة دار الشيخ ، وأولاد الشيخ ، الى ما هنالك من استغلال واذلال ، واعانة لأهل الاذلال ، والاستغلال ، ومن تجميد للعقول ، واماتة للهمم ، وقتل للشعور ، وغير ذلك من الشرور .

17) ندعو الى مادعا اليه الاسلام ، وما بيّناه منه من الا حكام بالكتاب والسنة وهدي السلف الصالح من الأئمة ، مع الرحمة والاحسان ، دون عداوة أوعـــدوان .

18) الجاهلون المغرورون أحقّ الناس بالرحمـــة .

19) المعاندون المستغلون أحق الناس بكل مشروع من الشدة والقسوة .

20) عند المصلحة العامة من مصالح الأمة ، يجب تناسى كل خلاف يفرّق الكلمة ويصدع الوحدة ، ويوجد للشّر الثّغرة ، ويتحتّم التّآزر والتكاتف ، حتى تنفرج الأزمة، وتزول الشّدّة باذن الله ، ثم بقوة الحق ، وادراع الصبر ، وسلاح العلم ، والعمل، والحكمـــة .

12) التوحيد أساس الدين ، فكل شرك "فى الاعتقاد أو فى القول أو فى الفعل" فهو باطل مردود على صاحبـــه .

13) العمل الصالح المبني على التوحيد ، به وحده النجاة والسعادة عند الله ، فلا النسب ، ولا الحسب ، ولا الحظ ، بالذى يُغنى عن الظالم شيئا .

14) اعتقاد تصرّف واحد من الخلق مع الله فى شيء ما ، شرك وضلال ، ومنه اعتقاد الغوث والديوان .

15) بناء القباب على القبور ، ووَقْد السُرُج عليها ، والذبح عندها لأجلها ، والاستغاثة بأهلها ، ضلال من أعمال الجاهلية ، ومضاهاة لأعمال المشركين ، فمن فعله جهلا يُعلّم ، ومن أقرّه ممن ينتسب الى العلم فهو ضال مُضلّ .

16) الأوضاع الطرقية بدعة لم يعرفها السلف ، ومبناها كلها على الغلوّ فى الشيخ، والتحيز لاتّباع الشيخ ، وخدمة دار الشيخ ، وأولاد الشيخ ، الى ما هنالك من استغلال واذلال ، واعانة لأهل الاذلال ، والاستغلال ، ومن تجميد للعقول ، واماتة للهمم ، وقتل للشعور ، وغير ذلك من الشرور .

17) ندعو الى مادعا اليه الاسلام ، وما بيّناه منه من الا حكام بالكتاب والسنة وهدي السلف الصالح من الأئمة ، مع الرحمة والاحسان ، دون عداوة أوعـــدوان .

18) الجاهلون المغرورون أحقّ الناس بالرحمـــة .

19) المعاندون المستغلون أحق الناس بكل مشروع من الشدة والقسوة .

20) عند المصلحة العامة من مصالح الأمة ، يجب تناسى كل خلاف يفرّق الكلمة ويصدع الوحدة ، ويوجد للشر الثّغرة ، ويتحتّم التّآزر والتكاتف ، حتى تنفرج الأزمة، وتزول الشّدّة باذن الله ، ثم بقوة الحق ، وادراع الصبر ، وسلاح العلم ، والعمل، والحكمـــة .

«قل هّذِهِ سبيلى : أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ، وسبحان الله ، وما أنا من المشركيـــن» .

عبد الحميد بن باديـــس

حرربقسنطينة بالجامع الأخضر اثر صلاة الجمعة 4 ربيع الأول 1356 هـ

(ثالثـا) - مطالب الجمعية فى المساجد والتعليم والقضـاء (1)

التقرير الذى قدمه مجلس ادارة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الى الحكومة الجزائريـة بعد اجتماعه المنعقد فى 5 أوت سنة 1944 م فى المسائل الدينية الثلاث : المساجد والتعليم والقضاء .

بسـم الله الرحمـن الرحيـم

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بحكم أمانة الدين وعهد الله ، وشهادة الواقع تعتبر نفسها مسؤولة عند الله وأمام الأمة الجزائرية عن الاسلام ومعابده وتعليمه ولغته وجميع شعائره الحقيقية وأحكامه القضائيـة .

وتعلم أن الحكم القاطع فى الاسلام فى مسألة المساجد هو أن التصرف فيها لجماعة المسلمين دون سواهم ، وأن أئمة المساجد ومن جرى مجراهم يجب أن يكون أمرهم راجعا الى جماعة المسلمين دون سواهم فى الاختيار والتولية والعزل والمراقبة وتقدير الجرايات .

وما شرع الوقف الخيري فى الاسلام الا ليقوم بواجبات دينية واجتماعية أهمها هذه ، فينفق منها على المساجد وعلى القائمين بها ، من غير احتياج الى الخزينة العامة (بيت المال) ، وعلى هذا الأساس تعتبر جمعية العلماء كل تدخل حكومي فى هذه الأمور الدينية ظلما وتعديا وهدما لمبدإ احترام الأديان وحرية الضمائر ، كيفما كان نوع الحكومة لادينيا أو متدينا بغير الاسلام .

وكما يعتبر الاسلام تدخل غير المسلم فى شؤون الدين الاسلامى ظلما وتعديا ، كذلك يعتبر تدخل المسلمين فى شؤون الدين الموسوي أوالعيسوي تعديا وظلما ، وعلى هذا المبدإ جرت الحكومات الاسلامية فى التاريخ ، فكانت تكل شؤون الأديان الأخرى الى أربابها والى علمائها ، وكانت مجالس الأحبار ومجالس الأساقفة هي التى تتحكم بكل حرية فى المعابد وأوقافها ، وفى القضاة وأحكامهم ، ولا يتدخل القضاء الا سلامي الأعلى فى شيء من شؤونهم الدينية .

(1) كراسة أخرى طبعت بمطبعة (الشهاب) بقسنطينة (المطبعة الجزائرية الاسلامية) .

هذه هي الحقيقة فى النظر الاسلامى الذى لايتغير بتغير النظريات الزمنية ، وعلى هذا فالأمة الجزائرية المسلمة بواسطة علمائها هي صاحبة الحق المطلق دينا وعقلا وعرفا معقولا ، فى اقامة دينها ، وادارة معاهده ، واختيار من يصلح لوظائفه ، من خطابة وامامة وقضاء وتعليم بما تقتضيه قواعد الدين ، وتصح به عبادته وأحكامه ، وبما أنها هي التى تصلى فى المسجد فحقها الطبيعي المعقول أن تختار من تقدمه للصلاة ، كما أن من حقها الطبيعي أيضا أن تختار قضاتها الذين تضع فى أيديهم ركنا من أركانها الاجتماعية الخطيرة وهو النكاح ، وركنا من أركانها المالية الخطيرة وهو الميراث ، وأن يكون لها من الاشراف على تعليمهم ، ومن النظر فى توليتهم وعزلهم – مايمكنها من رقابتهم ، ويضمن لها الانتفاع بهم ، وتحقق مصلحتها فيهم ، وقيامهم بالعدل والانصاف فيما يوكل اليهم ، على ماتقتضيه قواعد الدّيـــن .

وجمعية العلماء والأمة الاسلامية الجزائرية من ورائها ، يرون جميعا بأعينهم أن الدينين المتجاورين مع الاسلام فى قطر واحد ، يتمتع أهلوها ومعابدها بالحرية التامة والاستقلال الكامل ، دون المسلمين ودينهم ومعابدهم ، فتكون هذه الحقيقة المحسوسة – اعتقادا جازما فى قلب كل مسلم بأن هذا الظلم من أقبح الظلم ، وتَعدٍّ على الاسلام من أقبح أنواع التعدى ، واحتقار للمسلمين من أقبح أنواع الاحتقار ، واذا كان هناك ما هو أقبح منه ، فهو غضب الادارة الجزائرية على كل من يشرحه بلسانه أو يطالب بالعدل فيه . وهنا تتقدم جمعية العلماء التى يفرض عليها الدين أن تقول كلمة الحق بعد اعتقاده ، فتعبر بلسان الأمة جمعاء بهذه الحقائق التى أشرنا اليها وخلاصتها أنـــه :

"ليس من العدل ولا من الحق أن تتدخل الادارة الجزائرية (الفرنسية) فى شؤون الدين الاسلامى ، وانما الحق فى ذلك للمسلمين وحدهم ، لأن الاسلام يفرض عليهم القيام بذلك" .

ثم تبسط الجمعية للحكومة الجزائرية النقط الآتية مبينة رأيها فيها بكل حرية وكل اخلاص ، معلنة أن أول نقطة يجب أن يفهمها الطرفان على حقيقتها – إذْ على فهمها يتوقف حل الاشكال – هي أن الدين هو مايفهمه علماء الدين ، لامايفهمه عامة المسلمين الجاهلة ، ولا ماتفهمه الادارة بواسطة أعوانها الجاهلين أو الخادمين لأغراضهم الخاصـــة .

واذا كان المرجوع اليه فى شؤون الدينين : الموسوي والعيسوي هم أحبار الأول ، وأساقفة الثانى ، وهم أحرار فى معايشهم ، فلماذا يذاد علماء الاسلام الأحرار فى معايشهم عن هذا الحقّ ؟ ولماذا يرجع فيه الى غير أهله أوالى بعض أهله المرتبطين مع الحكومة برباط المصلحة الشخصية ؟ - واذا قلنا علماء الاسلام فانما نعنى كل عالم فقيه بحقائق الكتاب والسنة - اذ هما منبع الاسلام - عالم بتاريخ الاسلام العملى عامل فيما يصلح المسلمين من هديه وآدابه .

وإن جمعية العلماء لاتحتكر هذا الحق لنفسها ، وانما تزن الأمور بالواقع المشهود ، وهو انها هي الهيأة الدينية الوحيدة التى قامت بشرائط الاسلام من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعاهدت الله على الدفاع عن عقائد الاسلام بالبرهان ، وعن حقائق الاسلام بالعلم ، وعن شعائر الاسلام بالعمل، ووقفت المواقف الثابتة فى ذلك كلـــــه .

واذا كانت الجمعية قد لقيت فى تاريخها خلافا مع بعض الأشخاص أو الهيآت الاسلامية ، فما ذلك بخلاف فى الدين ، وما ذلك خلاف بين دينين ، وانما هو خلاف بين العلم والجهل ، وانما هو خلاف داخلي لو لم يلق تشجيعا من خصوم الجمعية لرجع المخالفون مسلمين ، لأن الرجوع الى الحق فريضة اسلامية ، ولأن الحق فى الاسلام واحد لايتعدّد .

مقاصد الجمعية ترجع الى ثلاث نقط هـــي :

1) المساجـد وموظفوهـا وأوقافهـــا .

2) التعليم العربي ومدارسه ومعلمـــوه .

3) القضاء الاسلامي وتعليمـه ورجالـــه .

1 - المساجـد وأوقافهـــا

تمهيد : كانت الحكومة الفرنسية لأول عهدها باحتلال الجزائر وضعت يدها على مساجد المسلمين وأوقافهم ، ووضعت سلطتها على أئمة المساجد وموظفيها باسم نظام جائر ، زيّنته للناس بعهود كتابية ووعود شفاهية صدرت من بعض رجالها

العسكريين والمدنيين ، مضمونها أنها تحترم الاسلام ومعابده وشعائره ، وقدحكم التاريخ على تلك العهود والوعود ، وبيّن قيمتها للناس أجمعين .

فهذا هو الدور الأول

ثم جاءت الجمهورية الثالثة فكانت قواعدها الكلمات الثلاث :
الحريـــة - الأخـــوة - المســـاواة .

وكان من أصولها فصل الدين عن الحكم ، ليكون ذلك محقّقا للكلمات الثلاث ، وكان من مقتضى ذلك الفصل أن يكون عاما لجميع الأديان ، وفى جميع الأقطار التى تخضع للسلطة الفرنسية ، وان يكون قاضيا على النظام الخاص بالاسلام فى الجزائر ، ولكن شيئا من ذلك لم يقع ، وبقي الاسلام ومعاهده فى الجزائر لا تحظى باحترام كما شرطته العهود والوعود ، ولاتحظى بانفصال عن الحكومة كما قرّرته أصول الجمهورية.

وهـــذا هو الـــدّور الثانـــى

ثم جاء قانون 27 سبتمبر 1907 م فكانت فصوله صريحة فى فصل الدين عن الحكومة ، وفى اعطاء الناس حرياتهم كاملة فى كل ما يتعلّق بدياناتهم ، وفهم الناس جميعا أن ذلك القانون انما يعنى المسلمين دون غيرهم أوقبل غيرهم ، لأنهم هم الذين كانوا محرومين من تلك الحرية ، ولكن الواقع - بعد ذلك - أن ذلك القانون لم ينفّذ منه ولا حرف،فيما يتعلق بالدين الاسلامي ، وبقيت الادارة الجزائرية تتصرف فى المساجد وأوقافها وموظفيها ، وتقبض بيد من حديد على الوظائف الدينية ، وتصرفها حسب شهواتها وأهوائها السياسية ، وتضع حبائل الترغيب والترهيب فى طريق الطالبين لتك الوظائف ، وتزن أقدارهم لا بالاجازات العلمية ، ولا باختيار الأمة المسلمة لهم ، ولابحسن السيرة بين أوساطها بل بالدّوسى الاداري (الملف) الذى لا يعرف الدين ، والذى يزكّي ويجرّح بقواعد غير قواعد الاسلام وأصول الفضائل ، ويشترط فى الامام مالا يشترطه الاســلام .

أدّت هذه السياسة التى يراد منها هدم الاسلام فى دياره بالمطاولة الى سخط عام ملأ جوانح المسلمين ، وأثار غضب العلماء الأحرار ، فرفعوا أصواتهم بطلب بعض الحقّ فى لين ورفق ، فاتهموا وعوقبوا بالمنع من تعليم دين الله فى بيوت الله .

وجرت بعد حرب 1914 م – 1918 م حوادث فى تاريخ الوظائف الدينية ظهر فيها عامل جديد وهو : ارصاد بعض الوظائف لبعض الجنود المحاربين ارضاء لهم، لالخصوصية سوى أنهم جنود ، وجرت الاجراءات على أشكال لايرضاها الاسلام، ولايرضاها المسلمون ، ولايرضاها أحرار الفكر من الأروبيين ، ولا يرضاها المتديّنون منهم ، وانما تُرضى رغائب استعمارية ونزعات ادارية انتفاعية ، معروفة فى تاريخ الاستعمار فى الجزائر ، لم يخل منها دور من أدواره ، ومبنى أمرها على ملك الأبدان بالقوة والتسلط ، لاعلى ملك القلوب بالعدل والتسامح ، وهي سياسة ظهر خطأها وفشلها منذ قرون ، وكفرت بها كل الحكومات وجميع الأمم ، الا الحكومة الفرنسية فى الجزائر ، فانها بقيت مؤمنة بها عاملة بمقتضاها آخذة بأسبابها .

قلنا إن قانون 27 سبتمبر 1907 م لم يطبق منه حرف ، بل وقع من الادارة ما يناقضه،من تشكيلها لبعض هيآت دينية لايدَ للأمة فى اختيار أفرادها ، وقد أسندت رئاستها فى بعض الأوقات الى مسيحيين ، وان هذا لمن أقبح ما وقع فى هذه المسألة منذ نشأت إلى الآن !

ولو طبق قانون 27 سبتمبر 1907 م تطبيقا صحيحا بنصوصه الصريحة على الدين الاسلامي فى الجزائر ، لماحدثت المشاكل المقلقة التى أثارت الخواطر ، وهيجت الأفكار فى هذه السنين الأخيـــرة .

وهذا هو الدور الثالث

ثم جاء تصريح الجنرال "كاترو" الوالى العام على الجزائر ، المنشور فى الجرائد يوم 4 أوت سنة 1944 م فكان صريحا فى ارجاع القضية الى قانون 27 سبتمر 1907 م تحقيقا لأصل فصل الدين عن الحكومة .

والأمة بعدصدور القرار متشوفة الى تطبيق قانون 1907 تطبيقا كاملا ، وقد ساءها – وهي فى حرارة الانتظار – أن تعيّن الحكومة مفتى الجزائر تعيينا على النمط القديم ، وفى ذلك مخالفة بينة لما فهمته من قرار الجنرال "كاتـــرو" .

نحن الآن باسم الدين وباسم الأمة نتمسّك بعبارة (فصل الدين الاسلامي عن الحكومة الجزائرية) . ونريد تطبيقها على الكيفية الآتية :

أولا : فصل الدين الاسلامي عن الحكومة الجزائرية فصلا حقيقيا بحيث لا تتدخّل فى شيء من شؤونه لا ظاهرا ولا باطنا لا فى أصوله ولا فى فروعـــــه .

ثانيـــا : تسليم ذلك كله الى أيدى الأمة الاسلامية صاحبة الحق المطلق فيه ، وتقرير سلطتها على أمور دينها تقريرا فعليا خالصا لا التواء فيه ، وانما يتحقّق ذلك ويصير نافذا بما يأتـــى :

أ ـ تشكيل مجلس إسلامي أعلى مؤقت بعاصمة الجزائر يتركب من :

1) بعض العلماء الأحرار المعترف بعلمهم وأعمالهم للدين الاسلامي .

2) وبعض أعيان المسلمين المتديّنين البعيدين عن المناصب الحكومية .

3) وبعض الموظّفين المتديّنين بشرط أن يكونوا أقل من النصف .

ويتسلّم هذا المجلس جميع السلط التى كانت للحكومة فى الشؤون الدينية .

بـ ـ من أهم أعمال المجلس أن يتولّى تشكيل جمعيات دينية بالطرق الممكنة انتخابا أو تعيينا – وله أن يكتفي بما يراه صالحا من الجمعيات الدينية الحرة السابقة .

ج ـ فاذا تمت تلك التشكيلات ينعقد مؤتمر ديني من المجلس الأعلى ورؤساء الجمعيات الدينية وبعض أعضائها البارزين ، وفى هذا المؤتمر يوضع النظام العام للمستقبل طبق قانون الفصـــل .

د ـ كل مايقرره هذا المؤتمر يعتبر قانونا نافذا يجب الخضوع له ولا ينقضه الا مؤتمر سنوي آخـــر .

هـ ـ بعد انعقاد المؤتمر الأول ينحل المجلس الأعلى المؤقت وتنتخب الجمعيات الدينية مجلسا على النظام السابق والى المدة التى يقررها المؤتمـــر .

و - يملك المجلس الاسلامي الأعلى المنتخب - السلطة التنفيذية لمقررات المؤتمر الدينية السنوية ، أما السلطة التشريعية فيملكها المؤتمر ، وليس للمجلس الأعلى الا تقديم الارشادات ووضع التقارير والدفاع عنها أمام المؤتمـــر .

2 - التعليم العربى الحرّ ومدارسه ومعلّموه

كانت الادارة الجزائرية الى ما قبل حرب 1914 م تتظاهر بشيء من التساهل مع التعليم العربي الحر ، لأنه كان - اذ ذاك - قاصرا لايفتح ذهنا ولايغذّى عقلا ولا يربى ملكة لغوية ، فلما هبّ شعور الأمة وقوي باحتياجها الى فهم لغتها لتفهم دينها ، وتطور التعليم الحر فى العقدين الأخيرين كسائر الكائنات الحية ، وأصبح على شيء من النظام والحياة وخصوصا بعد ظهور جمعية العلماء - قلقت الادارة الجزائرية لذلك . ولما لم تجد الادارة الجزائرية بيدها من القوانين العامة ماتتخذه سلاحا ، التجأت الى القرارات الادارية . فأنشأت عدة قرارات منها ، ترمى الى غرض واحد ، وهو قتل اللغة العربية ، بالتضييق على تعليمها ، ومطاردة رجالها ، وإلجام صحافتها .

ومن أسوإ ما فى تلك القرارات أثرا وأشده ايلاما وجرحا لعواطف المسلمين عامة وللعرب خاصة ، ماجاء فى بعض بنود تلك القرارات من اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية فى بلاد عربية وهي الجزائر ، وجاء دور تنفيذها على يد صغار الاداريـين، فبالغوا وأسرفوا فى التنكيل والمحاكمة ، وَسِيقَ معلموا العربية الى مجالس القضاء كما يساق المجرمون ، وفرضت عليهم العقوبات المالية والبدنية من سجن وتغريب ، ولازالت بقاياهم فى المنفى الى الآن .

احتجّت جمعية العلماء على تلك المعاملات بالاحتجاجات المتوالية ، فلم تسمع لها شكوى ولم يرجع اليها جواب ، وطلبت المفاهمة الشفاهية ، فأجيبت بالمماطلة والتسويف ، وعطلت الجرائد ، وأغلقت النوادى ، وكل ذلك بعضه من بعض .

ومن الغريب أن جمعية العلماء صرحت للحكومة مرارا بأنها تقبل بكل سرور مراقبة مدارسها من طرف مفتشى المعارف الرسميين ، ولكن لم تر فى هذه السّنيـن

الطويلة مفتشا واحدا زار مدرسة من مدارسها ، وماكانت ترى إلا عون البوليس يزورها لتبليغ الأمر بالاغلاق ! أو العون الشرعى يزورها لتبليغ الاستدعاء للمحاكمة .!!!

مطالب جمعية العلماء فى قضية التعليم العربى

أولا : إلغاء جميع القرارات السابقة المتعلقة بالتعليم إلغاء صريحا سواء كانت ادارية أو وزارية .

ثانيا : نسخ جميع تلك القرارات بقانون صريح يقرر حرية التعليم العربي وعدم تقييده بشيء ، ويلاحظ فى وضع ذلك القانون المسائل الآتية :

أ) جمعية العلماء أو الجمعيات العلمية الأخرى يكون لها الحق بمقتضى ذلك القانون أن تنشئ ما تشاء من المدارس فيما تشاء من البلدان .

بـ) ليس على الجمعيات إلا إعلام الادارة باسم المدرسة ومحلها وبأسماء المعلمين فيها ، ثم تشرع فى العمل بلا توقف على إجراءات أخرى .

ج) يتضمن القانون ضمانات كافية مقنعة فى عدم الالتجاء الى تعطيل المدارس العربية للأسباب السياسية أو غيرها من الاعتبارات ، لأن تعطيل المدارس العربية فى نتيجته يعد عقوبة لأولاد متعلمين لم يقترفوا أسبابها ، وهذا ظلم لهم .

د) كما لاتتدخل الادارة فى اختيار المعلمين ، ولا تتدخل فى وضع البرامج التعليمية، ولا فى اختيار الكتب المدرسية .

هـ) على جمعية العلماء والجمعيات العلمية الأخرى أن تخضع للمراقبة الصحية العامة فى دائرة قوانينها ولمراقبة التفتيش الرسمي .

3 - القضاء الاسلامى وتعليمه ورجاله

القضاء بين المسلمين فى أحوالهم الشخصية والمالية والجنائية جزء لا يتجزأ من دينهم ، لأن الحكم بينهم فيها حكم من الله ، ولأن أصول تلك الأحكام منصوصة فى

الكتاب والسنة ، كل ما فيهما فهو دين ، ولأنهم ماخضعوا لتلك الأحكام الا بصفة كونهم مسلمين .

والدّولة الفرنسية نفسها تعترف بهذه الحقيقة اعترافا صريحا ، فقد كانت الى العهد القريب تعارض مطالبة الجزائريين بحقوقهم السياسية لتمسكهم بالقانون الاسلامي فى الأحوال الشخصية . والحقيقة أن الحكومة الجزائرية منذ الاحتلال بترت القضاء الاسلامي ، فانتزعت منه أحكام الجنايات ، والأحكام المالية ، ولم تبق له الا أحكام النكاح والطلاق والمواريث ، وياليتها أبقتها له حقيقة ، ولكنه مع المطاولة احتكرت تعليمه ، واحتكرت وظائفه ، لمن يتخرجون على يدها وبتعاليمها ، وجعلت نقض أحكامهم وتعقبها بيد القضاة الفرنسيين ، وأصبح القضاء الاسلامى حتى فى هذا القدر الضئيل خاضعا للقضاء الفرنسي ، وأصبح القضاة بحكم الضرورة لا يرجعون فى أحكامهم الى النصوص الفقهية ، وانما يرجعون الى اللوائح التى يضعها وكلاء الحق العام الفرنسيون ، وفى هذا من الاجحاف وظلم القضاء الاسلامى مالا يرضى به المسلمون .

ولاننسى أنها وقعت محاولات واستفتاءات فى بعض الأحيان ، يراد منها إلغاء القضاء الاسلامي ، بالتدريج وارجاع مشمولاته الى القضاء الفرنسي . ان المسلمين يشكون هذه الحال ، ويشكون نتائجها السيئة من الاضطراب والفوضى فى المحاكمات، والضعف والجهل فى القضاة ، ويعلمون أن ذلك كله ناشئ عن سوء التعليم القضائي، وعن إهمال التربية الاسلامية الفاضلة ، التى هي الشرط الأساسي فى القضاة ، وعن استبداد القضاء الفرنسي على القضاء الاسلامي ، وعن عدم شعور القضاة بمراقبة الأمة لهم مراقبة دينية .

وجمعية العلماء والأمة الاسلامية معها تطالب الحكومة الجزائرية بوضع حدّ لهذه الحالة الشّاذة المضطربـــة .

وجمعية العلماء وان كانت ترى أن القضاء الاسلامي فى الاسلام جزء من الدّين ، ترى فى هذه النقطة لزوم التدرج فى إصلاح القضاء ، والدين لا هوادة فيه .

وهاهي أصول الاصلاح نقدّمها بكل اخلاص

التعليم القضائي : يجب توسيع برامج التعليم القضائي فى مادة اللغة العربية ، والفقه، والأصول ، ودراسة التفسير والحديث ، ومآخذ الأحكام منها ، وتاريخ القضاء فى الاسلام ، وفلسفة التشريع ، وعلم النفـــس .

كذلك يجب فتح الباب لقبول علماء مدرسين لتلك العلوم من المتخرجين من جامع الزيتونة أوغيره ، لاتعتبر فيهم الا الكفاءة لما يراد منهم .

الوظائف القضائيـــة : كذلك يجب ادخال عناصر من المتخرجين من جامع الزيتونة أو غيره من المعاهد الأخرى فى الخطط القضائية .

السلطة العليا : كذلك يجب تكوين مجلس قضائي أعلى من القضاة المسلمين ، يتولى اختيار القضاة وتسميتهم ومراقبتهم والنظر فى سلوكهم وتحديد عقوباتهم ، وتكون سلطة هذا المجلس مستقلة عن القضاء الفرنسي .

محاكم الاستئناف : كذالك يجب تكوين محاكم استئناف اسلامية تستأنف اليها الأحكام الأولية ، وتكون سلطتها اسلامية محضة ، وهذه النقطة من أهم نقط الاصلاح من حيث الاعتبار ، لأن حكم القاضى المسلم لا ينقضه الا قاض مسلم .

وفى الختام نلفت نظر الحكومة الى مسألتين أخريين عاملتهما والى الآن بالتشديد، وكان ينبغى لها أن تتساهل فيهما لصلتهما القوية بخدمة الدين ، وهما تَجَوّل العلماء للوعظ والارشاد ، والنوادى العربيـــــة .

التجـــول : أول واجب على علماء الدين نشر الهداية الاسلامية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأكبر وسيلة الى ذلك دروس الوعظ والارشـــــاد .

وجمعية العلماء ما سنّت سنّة التجول فى البلدان للوعظ والارشاد إلا قياما بهذا الواجب ، ولكن الادارة ضايقتهم فى هذا الواجب، فمنعتهم من التجول لاعتبارات وهمية هم يتبرّءون منها ، وآخر ماوقع من هذا النوع ، منع رئيس جمعية العلماء من التجول، ولا زال هذا المنع جاريا الى الآن .

وهاهي أصول الاصلاح نقدّمها بكل اخلاص

التعليم القضائي : يجب توسيع برامج التعليم القضائي فى مادة اللغة العربية ، والفقه، والأصول ، ودراسة التفسير والحديث ، ومآخذ الأحكام منها ، وتاريخ القضاء فى الاسلام ، وفلسفة التشريع ، وعلم النفس .

كذلك يجب فتح الباب لقبول علماء مدرسين لتلك العلوم من المتخرجين من جامع الزيتونة أوغيره ، لاتعتبر فيهم الا الكفاءة لما يراد منهم .

الوظائف القضائية : كذلك يجب ادخال عناصر من المتخرجين من جامع الزيتونة أو غيره من المعاهد الأخرى فى الخطط القضائية .

السلطة العليا : كذلك يجب تكوين مجلس قضائي أعلى من القضاة المسلمين ، يتولى اختيار القضاة وتسميتهم ومراقبتهم والنظر فى سلوكهم وتحديد عقوباتهم ، وتكون سلطة هذا المجلس مستقلة عن القضاء الفرنسي .

محاكم الاستئناف : كذالك يجب تكوين محاكم استئناف اسلامية تستأنف اليها الأحكام الأولية ، وتكون سلطتها اسلامية محضة ، وهذه النقطة من أهم نقط الاصلاح من حيث الاعتبار ، لأن حكم القاضى المسلم لا ينقضه الا قاض مسلم .

وفى الختام نلفت نظر الحكومة الى مسألتين أخريين عاملتهما والى الآن بالتشديد، وكان ينبغى لها أن تتساهل فيهما لصلتهما القوية بخدمة الدين ، وهما تَجَوّل العلماء للوعظ والارشاد ، والنوادى العربية .

التجول : أول واجب على علماء الدين نشر الهداية الاسلامية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأكبر وسيلة الى ذلك دروس الوعظ والارشاد .

وجمعية العلماء ما سنّت سنّة التجول فى البلدان للوعظ والارشاد إلا قياما بهذا الواجب ، ولكن الادارة ضايقتهم فى هذا الواجب، فمنعتهم من التجول لاعتبارات وهمية هم يتبرّءون منها ، وآخر ماوقع من هذا النوع ، منع رئيس جمعية العلماء من التجول، ولا زال هذا المنع جاريا الى الآن .

ان تجول العلماء للوعظ والارشاد من وسائل نشر الدين وتعليمه ، ومن القواعد المسلّمة : أن ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب .

النّوادى : جمعية العلماء ترى أن النوادى التى أسّستها أو تؤسّسها هي فى حكم مدارس التعليم ومكملة لوظائفها ، لأن طباقات الأمة ثلاث : صغار تضمهم المدارس الابتدائية ، وكبار تجمعهم المساجد ، وشبّان تتخطّفهم الأزقّة وأماكن الخمر والفجور ، فاذا أرادت الجمعية أن تقوم بواجبها الديني معهم لم تجدهم فى المساجد ولا فى المدارس .

فمن واجب الجمعية أن تنشّط النوادي لتقوم بمهمتّها التهذيبية فيها ، وعلى الحكومة أن لاتضايقها فيما يقوم بحياتها ، فتمنعها من المشروبات المباحة كما وقع فى قرار مارس سنة 1938 م .

نرجو بكل تأكيد أن يلغى هذا القرار، وبقية القرارات الجائرة فتتمتع المدارس، والمساجد ، والنوادى ، بالحرية التامـــة اهـ .

عن المجلس الاداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

المنعقد فى أواسط رمضان سنة 1363 هـ

الرئيس : **محمدالبشير الابراهيمى**

ان تجول العلماء للوعظ والارشاد من وسائل نشر الدين وتعليمه ، ومن القواعد المسلّمة : أن ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب .

النّوادى : جمعية العلماء ترى أن النوادى التى أسّستها أو تؤسّسها هي فى حكم مدارس التعليم ومكملة لوظائفها ، لأن طباقات الأمة ثلاث : صغار تضمهم المدارس الابتدائية ، وكبار تجمعهم المساجد ، وشبّان تتخطّفهم الأزقّة وأماكن الخمر والفجور ، فاذا أرادت الجمعية أن تقوم بواجبها الديني معهم لم تجدهم فى المساجد ولا فى المدارس .

فمن واجب الجمعية أن تنشّط النوادي لتقوم بمهمتّها التهذيبية فيها ، وعلى الحكومة أن لاتضايقها فيما يقوم بحياتها ، فتمنعها من المشروبات المباحة كما وقع فى قرار مارس سنة 1938 م .

نرجو بكل تأكيد أن يلغى هذا القرار، وبقية القرارات الجائرة فتتمتع المدارس، والمساجد ، والنوادى ، بالحرية التامــــة اهـ .

عن المجلس الاداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

المنعقد فى أواسط رمضان سنة 1363 هـ

الرئيس : **محمدالبشير الابراهيمى**

مشاركتى فى أعمال الجمعية

فى كل عام يوجه المكتب الدائم لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالعاصمة دعوة الى جميع الأعضاء لحضور الاجتماع السنوي العام .

وفى هذه الاجتماعات السنوية يلقى رئيس الجمعية التقرير الادبي يشرح فيه ماقام به مجلس الادارة الذى انتخب فى العام الماضى من مشروعات ، ويقدم تقريرا مفصلا عن جميع الانشطة التى تقوم بها الجمعية ، ويشرح ويحلل الصعوبات التى تعترض طريق المصلحـــين .

ويلقى أمين مال الجمعية تقريرا مفصلا عن مصادر الأموال ومواردها دخلا وخرجا، وهذه صورة من هذه التقارير ألقيتها فى الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريـــين نيابة عن أمين مال الجمعية الشيخ مبارك الميلي الذى كان غائبا عن هذا الاجتماع بسبب مرضه ، فهذا التقرير نرى فيه صورة واضحة لأحد أنشطة جمعية العلماء المسلمين فى الشؤون المالية من أين تجمعها وفى أي سبيل تنفقهـــــا ؟

1 - التقرير المالى

ألقاه مراقب الجمعية الشيخ محمد خير الدين بالنيابة عن أمين مالها الشيخ مبارك الميلي لمرضه :

الحمد لله الذى جعل المال أداة تقوم عليها المصالح ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد القائل : نعم المال الصالح للعبد الصالح . وعلى آله وأصحابه ذوى المنزلة العليا ، الذين لم ينسوا نصيبهم من الدنيا ، وعلى من تبعهم باحسان ، واقتفى أثرهم فى ايمان .

أما بعد فياأيها العصبة المتآزرة على الحق ، المجتمعة على التقوى ، انى أقف أمامكم هذا الموقف بالنيابة عن أخى الشيخ مبارك الميلى الذى منعه المرض من تقديم الحساب المالي بنفسه ومن كتابته التقرير المالي بقلمه ، كما حرمنا ذلك من سماع بيانه الشافى ونصائحه الغالية التى عودنا بها فى كل سنة ، واننى أنتهز هذه الفرصة لأقدم له بلسان المجلس الاداري الشكر والتقدير لأعماله وجهوده المتواصلة فى كل ما يرقى الجمعية ويعلى من شأنها والاعتراف بأنه أدى للجمعية خدمة لا يقدر غيره أن يضطلع بها خمس سنوات كاملة وهو قائم بأمانة مال الجمعية جاهد فى ضبطه والمحافظة عليه . وضبط

المال وحده عمل شاق فكيف اذا انضافت اليه أعماله الأخر ، من دروس متواصلة، ورحلات فى مصلحة الجمعية ، فنسأل الله لأخينا الشيخ مبارك شفاء عاجلا وعافية سابغة آمين يارب العالمين .

أيها السادة ان سنة الله فى المشاريع العامة أن لا تقوم الا على هم العاملين ، ولا تعيش وتنمو الا بمدد من جود المحسنين ، فلو قبض ذوو المال أيديهم لماعاش مشروع على وجه الارض ، وان أثر المال فى الأعمال كأثر المطر فى الأرض ، فكما أن الأرض لاتحيا الا بالمطر فكذلك المشاريع لاتحيا الا بالمال ، وان خصب الأرض تابع فى قوته وضعفه لكثرة المطر وقلته ، كذلك نماء المشاريع وازدهارها تابع لكثرة المال وقلته .

ان سبب تقدم المشاريع العامة عند الأمم الحية واطراد نموها وثباتها هو ثمرة مد العامة لها يد المساعدة ، كل على قدر استطاعته ، وكل مشروع قام على أساس التعاون فمحال أن يفنى أو ينهدم ، ونحن المسلمين أحق الأمم بمكرمة التعاون على البر والبذل فى سبيل الخير والاحسان لقوله تعالى «وتعاونوا على البر والتقوى» ، ولكن صرفنا عن ذلك أمران أحدهما : بعدنا عن التخلق بخلق القرآن ، وثانيهما : ضعف الثقة المتبادلة بيننا ، ولكل من العلتين علاج . فعلاج العلة الأولى نشر الهداية الدينية بين الناس ، وعلاج الثانية التسامح والتحابب وهما يثمران الثقة ، والثقة رأس المال فى جميع المعاملات .

ان مسألة البذل والاحسان ليست تابعة للغنى واليسار ، وانما هي تابعة للهمم العالية ، وكل أمة تكبّر هم أفرادها – ولو كانوا فقراء – تنتج فيها المشاريع الخيرية العظيمة وتكثر الأعمال النافعة ، فانظروا المشاريع عند الأمم الحية وتأملوا فخامتها وكثرتها ، وقارنوا بينها وبين مشاريعكم وبين همم رجالها وهمم رجالكم ، لعل ماتلمسونه من عجز وتقصير فيكم يحفز هممكم ويحثكم على مجاراة العاملين .

أيها السادة : ان جمعية العلماء من المشاريع العظيمة ، وكما أن تأسيسها ارتكز على تعاون فكري ، كذلك بناؤها يتوقف على تعاون مالي مستمر ، ومادامت الجمعية قائمة على زعامة علمية صحيحة وأعمال نافعة مفيدة فان العنصر المحتاج اليه هو المال ، وهي فى هذا العنصر تعتمد على الأمة وشعورها بلزوم التعاون .

انه لم يمر على الجمعية عام كانت فيه أحوج الى المال من هذا العام .

أولا : لكثرة الخرج كما ستسمعون ، وثانيا : لما ينتظرها من المشاريع العلمية فإن الآمال معلقة بفتح المساجد والتساهل فى تعليم اللغة العربية ، وللجمعية برنامج واسع فى التعليم المسجدي الديني ، والتعليم المكتبي العربي ستباشره بمجرد ما تتطور الحالة ، وتتبدل معاملة الحكومة ، وتنفيذ هذا البرنامج يستدعى مالا كثيرا ، ولكن الأمة ستجنى من ورائه خيرا كثيرا .

وان كثيرا من الفقراء يتمنون ان لوكان لهم مال حتى ينزلوا عنه للجمعية ، ولهؤلاء نكرر القول بأن المسألة ليست مسألة غنى بل هي مسألة همة . ولو أن مائة ألف مخلص دفعوا للجمعية خمس فرنكات لكل واحد منهم لتجمع نصف مليون تقوم عليه مشاريع عظيمة من غير أن يثقل عليهم هذا القدر الزهيد .

ان الأمة الجزائرية كانت قبل اليوم تنفق الملايين فى (الزرد والوعائد) والزيارات وغيرها من الوجوه المحرمة ، وتدفع مالها عن طيب خاطر لأشخاص انتفاعيين ينفقونه فى شهواتهم من غير أن يحاسبوا أو يسألواعنه .

أما اليوم فان الجمعية تجمع هذا القدر الطفيف لتنفقه على الأمة وعلى دينها ولغتها وتحاسب عليه الحساب الدقيق . ولا تصرف السانتيم منه الا بعد الموافقة عليه من مجلس ادارتها ، ولا تصرفه الا فى مصلحة عامة بنظام مضبوط ، وكانت الأمة تدفع أموالها لفرد تسمنه ولو هزلت وتغنيه ولو افترقت .

أما اليوم فان ماتدفعه لجمعية العلماء كله عائد عليها ، وفرق كبير بين هذه الحالة وتلك الحالة ، واننا نشهد الله أن الأمة الجزائرية سخية الكف فى الصالحات ، ولكن يجب تنظيم هذا السخاء حتى لا يضيع مالها اليوم كما ضاع بالأمس ، فلو نظم هذا السخاء وصرف فى ما خلق لأجله من سبل الخير والصلاح لما رأينا جهلا ولا فقرا فى هذه البلاد .

أيها السادة ان جمعية العلماء تدعو المسلمين الى كل ما فى الاسلام من فضائل ومحامد ، ومنها فضيلة الكسب الذى يصون العرض ويرفع القدر ، ونعوذ بالله من تلك الطائفة التى كانت تزهد المسلمين فى الكسب باسم الدين ، وان رجال الجمعية يسرهم

أن تقبل الأمة على الكسب ، ويسرهم وجود العلماء فى ميدان الكسب ومباشرتهم للتجارة وغيرها اذ فى وجود عنصر العلماء فى المعاملات المالية اصلاح ديني لها ، ولو كان العلماء مباشرين للمعاملات مثلا لما فسدت هذا الفساد المحسوس ولما خرجت عن المنهاج الشرعي كل هذا الخروج .

أيها السادة إن جمعية العلماء فى السنين الماضية كانت تكتفى بالمقدار الذى يجتمع من المال ولو كان قليلا ، لأن همها كان منصرفا الى تسديد المصاريف اللازمة فقط .

وأما الآن فان الحالة تطورت واللوازم كثرت ، وقد عزمت الجمعية على السير خطوات واسعة الى الأمام فى أقرب ما يمكن من الزمن ، فنحرض رؤساء الشّعب بعد شكرهم على ما قاموا به نحو جمعيتهم ، أن يجتهدوا فى تكثير المشتركين فى الجمعية وتنمية ماليتها ، ونؤكد عليهم بأن يكون عملهم مستمرا فى السنة كلها ، لأن الشروع فى جمع المال حين يقرب الاجتماع العام مخل بالنظام المطلوب وقليل النفع .

والواجب من الآن أن يكون جمع المال جاريا فى السنة كلها ، وكلما اجتمع قدر أرسل الى أمين المال ، وبهذا يسهل العمل ويزول الملل ، والله أسأل أن يوفقنا للعمل لهذه الجمعية بصدق واخلاص انه سميع الدعاء .

مجموع مالية الجمعية عن هذه السنة الى يوم التاريخ : 115239،85 مائة وخمسة عشر ألفا ، ومائتان وتسعة وثلاثون فرنكا ، وخمسة وثمانون سنتيما، منها : 69037،35 من فاضل السنة الماضية ، ومنها ماهو من مدخول هذه السنة بواسطة شعب الجمعية وهو: 46202،50 على التفصيل الآتى :

3500،00 قسنطينـــة . 1375،00 الأغواط .

3710،00	الجزائر .	450،00	من بنى مزاب بالعاصمة .
2000،00	القرارة .	215،00	بوسعادة .
780،00	الميلية .	1000،00	خنشلـــة .
330،00	مليانة .	970،00	سطيـــف .
075،00	تبســـة .	1190،00	قصر البخارى .
1865،00	ميلـــة .	430،00	شلالـــة .
1200،00	جيجل .	440،00	البرواقية .
1776،00	باتنـــة .	470،00	قلعة بنى عباس .
1205،00	دلس .	85،00	الجلفـــة .
480،00	عين البيضاء .	200،00	بريكـــة .
575،00	قنزات .	400،00	الجناح .
1470،00	البليدة .	1730،00	من الاشتراكات المتأخرة .

أما المصاريف فى هذه السنة فقد بلغت : 52414،05 – مفصلة على الأبواب الآتية :

275،00 لوازم الكتابة العامـــة .

875،00 لوازم الاجتماع العام للسنة الماضية .

11968،75 لوازم الاجتماع الاداري لسائر جلسات السنة .

378،00 من لوازم الدفاع عن الجمعية .

5476،00 مصاريف وفود الجمعية والتجولات .

7836،50 مطبوعات .

اعانة مشاريع عامة : كمسجد تبسة ، ومدرسة التربية والتعليم ، ومسجد عين ياقوت، ومدرسة ميلة وغيرها .

8250،00 من الجمعيات والصحف .

6000،00 اعانة طلبة قسنطينة .

554،00 البريد وطوابع البريد .

800،80 محادثات سلكية وبرقية .

10000،00 قرض الى جريدة الجمعية .

52414،05

الدخـــل	:	115 239،50
يطرح الخـــرج	:	52 414،05
الباقي فى صندوق الجمعية	:	62 825،45

هذا بيان مالية جمعيتكم دخلا وخرجا ، ومنه تعلمون ضبط المجلس الاداري لماليته وائتمانه عليها ، واذا كنتم أيها السادة مسؤولين عن الدخل لأن جميعكم أعضاء فى الجمعية ، فان المجلس الادارى هو المسؤول وحده عن الصرف ، وقد عرضت عليكم الحسابات مفصلة ، فاذا كنتم موافقين على ما سمعتم فارفعوا أيديكم .

وان المجلس الاداري فى كل سنة يعلن فى الاجتماع العام أن دفاتره موضوعة فى مكتب الادارة ، وكل من له رغبة فى الاطلاع على هذه الحسابات ومراجعتها فلا مانع يمنعه من ذلك ، وانا فى موقفى هذا أكرر هذه العبارة بعينها .

وأختم كلامى بشكر الحاضرين منكم والغائبين ، وأدعو لكم بغنى الجيوب وسخاء القلوب والسلام عليكم ورحمة الله .

المراقب العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

محمد خير الدين(1)

2 - انتخاب المجلس الاداري الجديد

وبعد تلاوة هذا التقرير والموافقة عليه برفع الايدى تمت الاعمال الرسمية للمجلس الاداري القديم ، وأعلن الرئيس ذلك فى المجتمعين وأخبرهم بأن عملية الانتخاب للمجلس الجديد تجرى فى هذا المساء ، فرغب اليه الناس أن يكون هو الرئيس المؤقت فى فترة الانتقال .

تألف مكتب الانتخاب برئاسة الشيخ الطاهر الحركاتى ، وعضوية الشيخ محمد بن مرزوق التلمسانى ، والسيد قدور بن هونه ، واسندت كتابته الى الاستاذ مصطفى بن حلوش ، والسيد رشيد بطحوش ، وابتدأت عملية الانتخاب على الساعة الثانية بعد

(1) عن البصائر السنة الاولى عدد 37 .

الزوال ، وانتهت على الساعة السادسة ، وكان الفوز على التفصيل الآتى :

178 صوتا للشيخ عبد الحميد بن باديس
178 صوتا للشيخ محمد البشير الابراهيمى
178 صوتا للشيخ الطيب العقبي
178 صوتا للشيخ مبارك الميلي
178 صوتا للشيخ العربي التبسي
171 صوتا للشيخ محمد خير الدين
171 صوتا للشيخ أبى اليقظان
177 صوتا للشيخ محمد بن منصور
176 صوتا للشيخ عبد القادر بن زيان
176 صوتا للشيخ يحيى حمودى
171 صوتا للشيخ علي او الخيار
146 صوتا للشيخ أبى القاسم حلوش
172 صوتا للشيخ ناصر الدين ناصر

وبعد انتخاب المجلس الجديد ، وتقديم خطة عمله ، ونشاطه الاصلاحي الذى يعتزم القيام به ، يتحول نادى الترقى الى محفل ديني أدبي عامر بالخطب والقصائد ودروس الوعظ والارشاد ، يتبارى فيه الأدباء والشعراء ، ويفد الناس الى نادى الترقى لسماع العلماء والأدباء من أنصار الحركة الاصلاحية ورجالها العاملين (1).

ومن الخطب التى ألقيتها فى أحد الاجتماعات العامة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1935م . الخطبة التالية ، وهي تبين الى حد بعيد نظرتى فى مسيرة حركة الاصلاح ، ودعوتى لجميع العاملين أن يصبروا ويكافحوا ويحولوا أقوالهم أعمالا مشهودة .

3 - خطبة الأستاذ محمد خير الدين

فى الاجتماع العام لجمعية العلماء سنة 1935م

---

(1) عن البصائر السنة الاولى عدد 37 .

بســم الله الرحمــن الرحيـــم .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه ومن تلاه الى يوم الدين .

أيها الاخوة الكرام :

ان المبادئ التى تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لخدمتها والغايات التى سعت وتسعى لتحقيقها كثيرة ، وان كانت لا تخرج عن دائرة الدين والعلم ، وللدين والعلم نواح كثيرة ، وآفاق واسعة ، والجهود التى تتطلبها جمعيتنا المحترمة لتحقيق تلك الغايات ثقيلة شاقة . فعلى من تعتمد فى تحقيق تلك الغايات ؟ وما هي العدة التى أعدتها لتشييد هذا البنيان وتقوية هذه الأركـــان ؟

ان الجمعية ليست جمعية فرد أو أفراد ، وانما هي جمعية الأمة يعمل لترقيتها ونشر مبادئها علماء الأمة . واذا قامت طائفة بادارتها فليس معنى ذلك الحصر ، وتضييق دائرة العمل ، وانما ذلكم شيء يقتضيه النظام وتوجبه الرسميات . أما المعنى الواسع للجمعية فهو يتناول كل عضو عامل عارف بحقائق الدين مستقل الفكر غيور على الاسلام أن تعبث به أهواء المبتدعة ، وتشكيكـــات الملاحدة ، وخزعبلات المضللين ، وعلى فضائله أن تهجر ، وعلى تاريخه أن يطوى ويقبر ، فكل ساع لهذه الغايات فهو العضو الحي فى جمعية العلماء ، لأن العبرة بالأعمال الصالحة ، لا بالكلمات المنمقـــة.

أيها الأخوة الكــــرام .

أن انتسابنا لهذه الجمعية معناه التعاهد والتعاون على تنفيذ المرامى التى ترمى اليها، والمبادئ التى تسعى لها ، وأصول هذه المبادئ هي : احياء الاسلام الصحيح باحيــاء الكتاب والسنة ونشرها بين الناس ، حتى يرجع اليهما سلطانهما على نفوس المسلمين ، ونشر فضائلهما وآدابهما ، واحياء اللغة العربية وآدابها ، واحياء التاريخ الاسلامي ، وتاريخ رجاله الغر الميامين . واحياء هذه الأصول يتوقف على عزائمكم الصادقة معشر الشباب العلمي العامل ، وعلى ماتبذلونه من جهود فى هذه السبيل . فأنتم أنتم رجال المستقبل ، فأدوا أمانة الدين التى حملتموها الى أهلها ، وما أهلها الا من يأتي بعدكم من الأجيال .

أيها الاخوة الكـــــرام :

ان الاصلاح الحقيقي الثابت الأركان المتين الدعائم هو ماتبنيه شبيبتنا المتعلمة على أساس العلم ، ولا نفرح ببلوغ هذه الغاية حتى نؤمن بصدق توجه الشبان اليها توجها جديا صحيحا . فهل صح عندنا هذا التوجه الجدي فى يومنا هذا ؟

من المؤسف بل من المحزن أننا نرى شباننا العاملين الذين هم عماد هذه الحركة فى المستقبل لم يزالوا يقنعون من العلوم بنظرياتها السطحية ، ولم ينفذوا ببصائرهم الى الحقائق ، ولم يزالوا جاهلين لِقيمة الوقت ، غير متخلقين بخلقي الصبر والجد ، ولم يزالوا مضطربين فى سلوكهم اضطراب المتحير المتردد ، ولم يزالوا مرضى بالتقصير والكسل والفتور ، فترى الواحد منهم يتحمس ولكن مادامت دواعى التحمس موجودة ، فاذا زالت تلك الدواعى خمدت الحماسة وبردت العزائم . وهذا عيب فاضح لا تتحقق لنا معه غاية ، ولا نصل معه الى مقصد مادام سائدا فى ربوعنا ومتسلطا على عقول أبنائنا .

فان أردنا السلامة والشفاء من هذا الداء الوبيل ، فلنسر الى غايتنا بخطى ثابتة ، لا يستفزنا الحماس ولا تصدنا العراقيل والمعارضات ، فان التجارب دلتنا على أن كل مبدأ تلده الحماسة والهيجان لابد أن يقضى عليه لأول صدمة ، وان الثوب الفضفاض لابد أن يتعثر فيه صاحبه .

أيها الاخـــوة الكـــــرام :

ان من دلائل الفتور المستولى على شبابنا هذه الحقائق التى نعترف بها ونحن آسفون خجلون ، فأدباؤنا اليوم لا يخطر ببال أحدهم أن يبحث وينقب عن كنوز الأدب الجزائري ، وتالله لو بعث هذا الأدب من مرقده وجمعت هذه الثروة المتفرقة الموزعة ، لاجتمع للجزائر أدب تباهى به الأمـم وتطاول به العصور وتحيي فينا به تلك الذكريات ، وتحرك فينا تلك النعرات ، ولكن أدباءنا – عفا الله عنهم – رضوا بأن يكونوا عالة على كتاب الشرق وأدبائه ، لايقرأون الا ما يكتب بأقلام غير جزائرية كأنهم خلقوا للتقليد والمحاكاة وما خلقوا للابتكار ، فلاهَمَّ لأد بائنا ومعتنق الأدب منا فى مجالسهم الا المفاضلة بين شوقى وحافظ ، وبين الرافعى والزيات ، وبين مجلتي

الرسالة والهلال ، وقد يسرف بعضهم فى ذلك حتى ينتهي بهم الأمر الى خصام ثم الى عراك. وهذه حالة لا تجمل بمن يريد أن يجدد أدبا قد اندرس ، أو يحي أمة بعد موتها، ومن الخير لوأكبَّ أدباؤنا على المطالعة والقراءة حتى تكمل ملكاتهم الأدبية ، ثم يكتبوا لنا فى النواحى الأدبية التى تتصل بحياتنا ، وهي كثيرة متسعة الأطراف .

أليس من العار أن تكون عندنا مجلة واحدة مستعدة للنشر مؤسسة لنشر ، التراث العلمي والأدب القومي ، ثم نحتاج فى بعض الأحيان الى ماتنشر ، وكل تحريرها قائم على جهود منشئها – على كثرة شواغله العلمية – ونحن فى أمة تعد بالملايين ولنا من الأدباء والشعراء عدد غير قليل ، ولكنهم فى مواطن العمل قليلون ؟ وهل قرأتم فى مجلتكم الجزائرية الوحيدة يوما اعتذارا عن النشر لكثرة المواد ؟ والله انه لعار وأي عار ، فى حين أن الواجب على أدبائنا أن يملأوا مجلتهم ، ثم يكتبوا فى غيرها من المجلات الشرقية ليرفعوا لبلادهم بذلك ذكرا ويكسبوا لها فخرا .

أيها الاخـــوة الكـــــرام :

ان من فتور العزائم الذى أصابنا فى مبدأ نهضتنا هذا الفتور الذى عقد ألسنة شعرائنا ، فهم لا يقولون الشعر الا فى المناسبات كالاجتماعات والاحتفالات ، أما الطوارئ التى تتجدد كل يوم ، والأمراض الاجتماعية ، والأخلاق المرذولة ، فهم لا يهتمون بها لذاتها ، اللهم الا اذا ذكرت عرضا فى اجتماع فخيم ، أومأدبة تكريم ، كذلك ننعى على مؤرخنا – ولا أقول مؤرخينا اذ ليس لنا الا مؤرخ واحد – أن يضن علينا بمقالات ، تذكرنا بالماضى وتنير أمامنا المستقبل ، فى تاريخ عواصمنا الخالدة وتراجم رجالنا السالفين .

كذلك ننعى على علمائنا تقصيرهم فى الارشاد العام ، وتقصيرهم فى التعليم ، خصوصا بعد ما تنبهت الأمة ودبت فيها هذه اليقظة التى نتفاءل بها خيرا .

أيها الاخـــوة الكـــــرام :

ان بيننا مثلا عاليا يجب أن نتخذه مقياسا لأعمالنا العلمية والعملية ، وهو الأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس الذى نكبر فيه هذا الجد المتواصل ، والعزم الذى لا

يعرف الكلل ، والنفع الذى عم الآفاق ، ولقد شاهدنا آثاره الطيبة فى الجولة الارشادية الأخيرة ، فلم نحل بلدا من بلدان هذا الوطن أو قراه أو مداشره أو جباله أو رماله الا وجدنا تلاميذه ، مابين خطيب ، أو مدرس ، أو واعظ مرشد ، أو داعية الى الله على بصيرة ، فجزاه الله عن الاسلام خيرا ، ورزقنا الاقتداء به آمين . والحمد لله رب العالمين

محمـــد خير الدين (1)

4 - اجتماع المجلس الادارى

اجتمع المجلس الاداري للجمعية يوم أول جانفى سنة 1936 م وتقرر فيه مراجعة الحكومة لانجاز مطالب الجمعية ، ورفع المظالم التى لا تزال تقع على رجال هم فى الصميم من الجمعية .

ولهذه الغاية وبمناسبة دخول السنة الجديدة تقرر زيارة مدير الشئون الاهلية (السيد ميو) لتهنئته بالعام الجديد والمفاهمة معه فى مسائل الجمعية .

وتعينت الزيارة مساء يوم السبت 4 جانفى سنة 1936 م على الساعة الثالثة ونصف موعدًا لقبوله وفد جمعية العلماء الذى تقرر أن يزوره فى الوقت المعين .

وكان وفد الجمعية يتشكل من المشايخ :

عبد الحميـد بن بـاديس	رئيس الجمعية
البشير الابراهيمـى	نائبـــه
مبارك الميلـــي	أمين المـــال
العربي التبســـي	كاتب عـــام
محمد خير الديـــن	مراقب عـــام
الطيب العقـــبى	مستشـــار

(1) سجل مؤتمر جمعية العلماء ص 159 وما بعدها .

وقد اقتبل هذا الوفد بما يليق بمقامه السامى وشرفه العلمى من رجل يعرف ما لجمعية العلماء من المكانة ويقدر العلم ورجاله ، وبعد المكث لدى جناب المدير ساعة كاملة دار الحديث أثناءها فى كل ما يهم الجمعية والمصلحة العموميـــة .

غادر الوفد ادارة الشئون الأهلية العامة ، بمثل ما اقتبل به من العناية والاحترام ، شاكرا للمدير لطفه وحسن معاملته آملا ان الجمعية ستنال كل مطالبها المحققة فى عهد ولايته مادامت لا تعتمد بعد الله الا على نفسها ، وفى مراجعة الادارة والتفاهم مع رجالها المنصفين .

البصائر االعدد الثانى
السنة الاولى
15 شوال 1354هـ 36/1/10 م

5 - مدرسة الجمعية الخيرية ببسكـــرة

كانت (جمعية) الإخاء ببسكـــرة قد توقفت وتفرق أعضاؤها وتلاميذها بعد أن قدمت استقالتى منها ، وذلك يوم أبلغنى عامل العمالة الفرنسى أنه يجب عليَّ أن أختار بين الاستقالة من (جمعية العلماء) أو الاستقالة من (جمعية الإخاء) فاخترت الاستقالة من هذه ، ومع ذلك فقد نفانى من بسكرة إلى (مجّانـــة) .

وبعد عودتى من المنفى ، عاودت الاتصال بالمخلصين من أعضائها فنشطوا ، ونشط معهم الشباب البسكري فى تأسيس (جمعية خيرية) لإعانة الفقراء والمساكين وتعليم البنين والبنات ، وقد اخترنا لها هذا الاسم حتى نتمكن من الحصول على الرخصة القانونية ، وتأسست هذه الجمعية من السادة الآتية أسماؤهم :

مكتب الجمعيـــة السادة: اصيدة عبد القـادر — رئيـــس

محمد خير الدين — نائب أول

معمـــر ميـــدة — نائب ثانى

محمد الأطـــرش — أمين مـــال

عامـر البحـرى	نائبـه
محمد الشريف البعل	كاتب عـام
محمد البشير العشورى	نائبـه

الأعضـاء المستشـارون السادة:

عبد الحفيظ لونيـس	السعيـد عبيـد
المولود بن الزرقـاء	حريـز إسماعيـل
محمـد الصادق لـوام	الحفناوى خير الديـن
محمـد جامـع	صولى الهاشمـى
علي قـورارى	أحمـد بليـوز
سالـم بن موسـى	ابن عبدى إسماعيـل
السعيـد حوحـو	علي دليم دبـابش
علي ومـان	الحفناوى أزكـيرى
خليفـة بن حم علي	عبد القادر قرفـى
جغابـة عمـار	

ثم قدمنا قانونها الأساسي للحكومة للموافقة عليه ، ولما صادقت الحكومة على القانون الأساسي ، عقدت الجمعية اجتماعا عاما بمركزها استدعت اليه انصار البر والاحسان ، وأعلمتهم بمصادقة الحكومة على قانون الجمعية ، واغتنم بعض الحاضرين هذه الفرصة فتبرعوا بما جادت به هممهم العالية فتجمع نصيب من المال فى ذلك اليوم لا بأس به رغم الازمة الخانقة التى عم ضررها كامل الطبقـات .

وحينئذ قام الرئيس وأعلن للحاضرين بأن الجمعية بصدد تأسيس مدرسة لتعليم البنين والبنات حسب قانونها الأساسي ، فيجب على كل واحد أن يقيد أولاده بمكتب

الجمعية ، وتباشر الناس بهذه البشرى العظيمة التى طالما تشوقت نفوسهم اليها وقيدوا فى اليوم الأول 125 تلميذا وتلميـــذة .

وأول عمل قامت به الجمعية توزيع خمسين قنطارا من الدقيق وعدد 225 لترا من الزيت على الفقراء والمساكين يوم الفاتح من شهر رمضان عام 1354 هـ الموافق لسنة 1936 م .

وفى يوم 15 رمضان فتحت المدرسة أبوابها للتلاميذ وشرع اساتذتها فى التعليم وهم حضرات المشائـخ :

- أحمد بن الدّراجـــى .
- الحـاج أبوبكـــر .
- السعيــد بن الطاهر الزيانـــى .

عن البصائــر
العـدد 4 السنـة الاولـى
١٣٥٤ هـ 1936 م

6 - بناء مدرسة جديدة أكبر وأوسع

وبعد أن سرنا فى التعليم سيرا موفقا ، كثر الاقبال على التعليم وضاق بناء المدرسة التى أقمناها فى بسكرة باسم «مدرسة التربيـة والتعلـيم» فاجتمع الاعضاء وقرروا انشاء بناء رحب جديـــد .

دعونا الى اجتماع عام بالمدرسة حضرته جموع غفيرة من الشعب بمختلف طوائفه وعرضنا عليهم العزم على بناء مدرسة جديدة واسعة فوافق الحاضرون وأبدوا حماسا شديـــدا .

شرعنا فى بناء المدرسة بنشاط مكثف ، وبعد الانتهاء من البناء سنة 1949 م أقمنا احتفالا لافتتـــاح المدرســـة .

وبهذه المناسبة دعونا الشيخ البشير الابراهيمى رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريـــين لرئاسة الاحتفال بهذا الافتتاح فألقى خطابا قال فيـــه :

من خطاب الابراهيمى

« ان حجب الغيب شفافة عند الشعراء ، فاذكر أنى منذ سنوات كنت ببسكرة أخط الخطوط الأولى من التدبير لمدرستكم التى نفتحها اليوم ، وكانت المعاكسات واقفة لنا فى كل مسلك ، ثم عرجت على مدينة باتنة على وعد لاقامة حفلتها المدرسية، فوقف شاعرنا محمد العيد فى ذلك الحفل يلقى قصيدته العينية المشهورة يذكر فيها أعمالى ويسألنى – فى لهفة – عن بلده بسكرة ، وعن حظها فى هذه المنقبة وهي بناء المدارس فيقول :

فهل نخلت أرض النخيل شؤونها وهل شرعت (مشروعها) المتوقّعا

وهاهو يتلقى الجواب اليوم وبعد سنوات فقد نخلت بسكرة شؤونها ، وأصبح مشروعها واقعا لا متوقّعـــا .

اننا أسّسنا هذه المدارس بفضل الله ثم بمال الأمة ، علينا الرأي والتدبير ، والتخطيط والاشراف ، ثم التنظيم والتعمير ، وعلى الأمة ما وراء ذلك ، قد أنشأنا هذه المشاريع ثم سيّرناها ثم سايرناها ، وبلونا شروطها ومقتضياتها ، فوجدنا أن شرط الوجوب فيها هو الايمان بحياة الاسلام والعربية ، والوطنيّة الصادقة ، وأن شروط الصحة والكمال فيها منحصرة فى المال ، الذى هو قوام الأعمال .

فالمال هو الشرط الأساسي لقيامها ، والمال هو الشرط اللازم لحفظها واستمرار وجودها ، وانى لأرسلها فيكم كلمة منذرة لا مبشرة ، وهي أن مشاريعكم التى تمّت والتى تنتظر ، كلها معرضـة للانهيار والخراب ، ان لم يكن ذلك اليوم فغدا ، مالم تصحّحوها بما يضمن بقاءها ، من مستغلات مالية ، وأوقاف عقارية ، كما حفظ أسلافكم هذه المآثر التى أبقوها لكـــم » .

ثم تعرّض الأستاذ الرئيس لتاريخ هذه المدرسة ، فشرح مراحلها منذ كانت فكرة وحديثا ، الى يوم أصبحت حقيقة ماثلة ، واستخرج العبر من الصّعوبات التى تعرض لها فى سبيل الله وكيف تكون عواقبها للمتّقين ، ثم قال :



صورة الاستاذ الرئيس
وهو يخطب ، يوم الاحتفال



صورة الاستاذ خير الدين
وهو يلقى كلمة الافتتاح



منظر لجانب من الجماهير المستمعة

«قبل أن أغادر مكانى ، وقبل أن تبدأ اللجان عملها ، أرى من معرفة أقدار الرجال أن أذيع بنفسى مبرة رجال استوجبوا بكرمهم أن تحتلّ أسماؤهم رأس القائمة وقد أسروا اليّ قبل الشروع بأقدار ما يتبرّعون به اليوم للمشروع ، وهم السّادة الأفاضل : محمد بن الحاج بن قانة ثلاثمائة ألف فرنك ، الحاج الشاوى وأخوه خمسمائة ألف فرنك ، الشيخ محمد خير الدين واخوته خمسمائة ألف فرنك ، العقبي بن عمارة خمسمائة ألف فرنك ، بارك الله عليهم وجعلهم أئمة فى الخير .

ثم أشار الى الّلجان فاستعدّت وأمرها بالشروع فى العمل فتحركت على أبدع نظام تطوف خلال الصفوف المتراصة تجمع وتسجل ، وفى كل لجنة قابضان وكاتب يسجل ويقتطع ، كل قائمة جمعت عشرين متبرعا فيسلمها الى ساع بجانبه وهو يوصلها بسرعة الى كاتب المنصّة فيسجّلها فى دفتر عام وينادى المنادى بالأسماء فى المذياع وهكذا ، وفى بضع دقائق يعلم المتبرع أن ما دفعه قد بلغ الى مأمنه وسجّل (رسميّا) ، وعلى هذا استمرّت اللجان تعمل بسرعة ودقّة ونظام ، الى أن طافت على جميع الحاضرين وسجلت ما تبرعوا به .

7 - كلمة رئيس جمعية المدرسة

وبعد ما انتهى الأستاذ الأكبر من كلامه ، قام فضيلة الأستاذ محمد خير الدين رئيس جمعية المدرسة ، فشكر باسم اخوانه أعضاء الجمعية وعموم سكان بسكرة كل من حضر الحفل من العلماء والنواب والمحامين والأطباء وجميع الضيوف الذين قطعوا المراحل وتجشموا الأتعاب والنفقات تلبية لدعوة اخوانهم ، وشكر المتبرعين على بذلهم فى سبيل العلم ، وذكر أن هذا هو المثال الصحيح لخدمة الوطن عن طريق العلم ، وان هذا التعاون هو الذى يهون الواجبات الوطنية ، ثم أعلن انتهاء الاحتفال وأذِن لِلْجماهير المحتشدة بالانصراف ، بعد أن طلب من الضيوف القادمين من خارج بسكرة أن يبقوا فى أماكنهم حتى يخف الزحام ، لينصرفوا مع اخوانهم سكان بسكرة ليتناولوا طعام الغداء ، ويتم التعارف بين المضيفين والضيوف ، وتولّت لجنة الضيافة ولجنة التنظيم توزيع الضيوف على المضيفين ، وتجلّت النخوة العربية والكرم الموروث وبشاشة الترحيب ، فكأنما كل ضيف بين أهله وذويــــه .

تعارفت القلوب قبل أن تتعارف الوجوه فسقطت الكلف ، وخرجنا من احتفال الرجال لتستعدّ المدرسة لحفلة النساء .

8 - حفلة النساء

وقد أعلن الأستاذ محمد خير الدين فى كلمته الأخيرة أن حفلة النساء ستكون يوم الخميس الموالى على الساعة السادسة مساء ، وحلّ الموعد فأقبلت عقائل بسكرة من كل صوب ، وتولى الأشراف على النظام لجنة منهن خصصت لذلك ، وتولت تلميذات السنة الرابعة تنفيذ برنامج الحفلة وانشاد عدة أناشيد فى أولها ووسطها وآخرها ، فلما امتلأت بهن الأقسام والفناء الفسيح دخل الأستاذ الأكبر رئيس جمعية العلماء الى ادارة المدرسة وألقى عليهن بواسطة مكبر الصوت درسا بليغا عاليا جعل موضوعه قوله تعالى : «ياأيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها . . .» الآيات . وأراد الله أن لايحرمنا من هذا الدرس ، فقد كان جماعة من المعلمين وأعضاء جمعية المدرسة مكلفين بالمراقبة والمحافظة خارج المدرسة بعيدا عنها فأسمعنا مكبر الصوت الدرس كله واضحا جليا ، ولخّصنا للقراء شيئا من معانيه .

الى العلـــم

انشدت هذه القصيدة فى الاحتفال العظيم بتشييد مدرسة التربية والتعليم بمدينة بسكرة سنة 1949 ، وفى القصيدة من التذكير بالامجاد والالماح الى الكتب التاريخية ما يحرك المشاعر . وقد قال الاستاذ الرئيس محمد البشير الابراهيمى فى آخر خطبته التى افتتح بها الاحتفال مالفظه : ولعلكم فى هذا المجلس سترتفعون بالذكريات الى الماضى الخالد ، حين تسمعون من الشعر ما يمثل لكم زهيرا والنابغة فى الاولين ، وابا العتاهية والمتنبى فى المحدثين ، حين تسمعون الوصية ممزوجة بالحكمة مدغمة فى النصيحة ، معجونة بالفخر من شاعر الجزائر ، بل شاعر العروبة والاسلام : محمد العيد .

أراك بلا جدوى تضج من الظلم … الى العلم ان رمت النجاة الى العلم
أراك بلا جـدوى تضج وتشتكـى … من الخصم فى كل الأمور الى الخصم
فخض فى ميـادين الحياة مكافحـا … بمالك من عزم وما لك من حزم
ولا تـدرع الا المعـارف انهـا … سوابغ ينتو الطعن عنها فلا يدمى
رعى الله فى أرض الجزائر نهضـة … مباركة فى العلم تسمو الى النجم
وتـرمى الى أهدافهـا لقصودهـا … موفقـة الأنظـار صائبـة السهم
وتنشئ للفصحـى مـدارس عـدة … مشيدة البيـان محكمـة الـدعم
قف اليوم بالزيبان وانزل بها على … مليكتهـا واحضر بمحفلهـا الفخـم
تجد داعيا للعلم فى الصور نافخا … وبعثـا من الأشهـاد يزخر كـاليم
و(بسكرة الزهراء) تقرى جموعهم … بكل لذيذ مستطـاب مـن الطعم
وتـؤويهم فى دورهـا وقصورهـا … محاطين بـالترحيب فيهـا وبـالنعم
و(بسكـرة الغبراء) تـروى عليهـم … احاديث من اسناد أطلالها البكم
تحييهـم بالذكريـات شذيـة … وتـوحى اليهم بـالجلال وبـالعظم
وتملى عليهم مـن قـديم عظاتهـا … دروسا وما المملى سوى دارس الرسم
اقام (ابن خلدون) بهـا غير مرة … وحـرر فيهـا بعض تاريخـه الضخم
وصادف فيهـا للعروبـة دولـة … وللعلم سوقا فى الرواج وفى الغنم(1)
وكـانت لـه مشتى جميلا وملجـا … حصينا من القهر المبيت والهضم
ولم يزل الأحـرار فى كـل أمـة … يطـاردهم قهر الـولاة بلا جـرم
فهل ترجع الأيام سـالف عهدهـا … وتنفض عنها ما علاهـا من الهـدم
وتجلو لنـا آثارهـا وديارهـا … واخبارهـا الأولى يقينـا بلا رجـم
أرى من حواليهـا مخـايل جمـة … مبشرة دلـت على وابـل سجـم
أحيي السراة المحسنين صنيعـة … ببسكـرة السـاخين بالنـائل الجم
وأدعوهم للبـذل والبـذل عصمـة … لهم ولما شادوه من كل ما يصمي
الم تر مـا قـاموا بـه من مبرة … تبشر فى العقبى بفـوزهم الحتم
بمدرسـة كـالطود أعلوا بناءهـا … فكانت حمى للطفل والجاهل الأمى
وأمّا حنونـا أو أبـا متعطفـا … لكـل يتيم يستجير مـن اليتم
جلوها على الانظار مرصوصة البنا … مقومـة الهنـدام موشيـة الرقم
وجادوا بوسمي السخاء فهل ترى … وليّ سخـاء منهم عقب الـوسمى
هلال بـدا فى الأفق نـرقب أنـه … يـؤول على قـرب الى قمـر تم
وطير بـدير لـو يضم جناحـه … اليـه لحـاز الحسن اجمع بـالضم

تعالو بنى الاسلام للبذل كلما ... دعيتم اليه فى اليساروفى العدم
ولا تجعلوا الآفات للشيخ حجة ... فذلك عنوان التسخط والشؤم
اذا دامت الأعمال أسفر صدقها ... وان لم تدم لم تنكشف عن سوى الزعم
تعالوا بنى الاسلام للحق انه ... به قامت الأكوان مسنونة النظم
أقيموا حدود الحق فى السخط والرضى ... اقيموا حدود الحق فى الحرب والسلم
وروضوا على خلق الثبات نفوسكم ... فقد كان خلق المرسلين أولى العزم
وخطوا على الاخلاص أس أموركم ... وسيروا على نهج السداد الى القدم
وكونوا مع القرآن يهد قلوبكم ... وخلوا هواكم جانبا فالهوى يعمى
ولا توقدوا نار العداوة بينكم ... وما فحمها غير الوقيعة والشتم
وما ماؤها المطفى لكل لهيبها ... ويحمومها غير الرزانة والحلم
ولا تجزموا فيها تظن نفوسكم ... فأكثر ظن النفس يفضى الى الاثم
ولم أر مثل الصبر للحر حكمة ... مجربة تجلو له كل طلسم
فقد تسفر الأيام عن كل غاية ... وتكشف بالأحداث ما حيط بالكتم
هناك يحضى المخلصون بغنمهم ... ولا يستفيد الخائنون سوى الغرم
تعالوا بني الاسلام نأس قلوبنا ... فقد شفها ما لا يطاق من السقم
وقلّ دعاة الحق فينا فلم نجد ... أساة يداوون النفوس من الوهم
تطاول ارباب الغواية واعتدوا ... حدود الهدى تحميهم سطوة الحكم
واصبح ارباب الهدى دون عاصم ... غريبين فى الدنيا كعقبانها العصم
لقد طال ليل النائبات عليهم ... فخاضوا طويلا فى دياجيره الدهم
ومما شجى قلبي وأحزن مهجتى ... جماح نفوس للعلا رد باللجم
تحن الى نيل الحقوق نفوسنا ... وتأبى علينا نيلها قوة الغشم
ونقصى عن الفصحى ونلهى بغيرها ... وليس سوى الفصحى لسان لنا (رسمى)
وما نحن الا من سلالة يعرب ... فمن رام عنها فصلنا باء بالرغم
سلام كأزهار الربى طيب الشذى ... على كل قح فى عروبته شهم
على العرب الأحرار من كان عاربا ... ومن باد قدما من (جديس) ومن (طسم)
ومن كان فى آستعرابه لا حقا بهم ... نزوعا اليهم فى الفصاحة والفهم
ومن أتقنوا الفصحى وراضوا علومها ... بحذق فكانوا من صوارمها الخذم
ومن نشروها كاللواء وأكثروا ... بكل مكان من معاقلها الشم
لقد رفعوا رأس العروبة عاليا ... سلام عليهم فى البداءة والختم

« محمد العيد »

من علمـــاء بسكـــرة

1 – ابو القاسم يوسف بن على بن جبارة بن محمد بن عقيل بن يوسف ... بن عكرمة بن خالد ـ وهو ابو ذؤيب الهذلى ابن خويلد البسكرى ، سافر الى بلاد الشرق ، وسمع ابا نعيم الاصبهانى وجماعة من الخرسانيين ، وكان يفهم الكلام والنحو وله اختيار فى القراءة ، يدرس «النحو» .

ولد سنة 403 هـ وتوفى سنة 465 هـ (معجم البلدان لياقوت مادة بسكرة). وقال ابو عبيد الله البكرى فى كتابه المسالك والممالك فى الكلام على بسكرة ومن قراها : ملتون ينسب إليها ابو عبد الله الملتونى وابنه اسحاق ، عالمان جليلان يحمل عنهما العلم)

وفى تاريخ الجزائر لعبد الرحمن الجيلانى :

كان اسحاق هذا عالما ثقة مؤرخا ثبتا ذا دراية ومعرفة واسعة بفن التاريخ والمحاضرات ... وجالس الامام سحنون بالقيروان .

عاش فى اواسط القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) .

وكان الوزير نظام الملك استدعى ابا القاسم يوسف بن جبارة البسكرى سنة 458 هـ الى الاقراء بمدرسة نيسا بور وقرره استاذا فيها ، فمكث فيها الشيخ ينشر علم القراءات بها الى وفاته سنة 465 هـ .

وله من التآليف : كتاب الكامل فى القراءات .

من الشخصيات التى تخرجت من المدرسة

وقد تخرج من هذه المدرسة عدد من التلاميذ الذين كان لهم دور بارز فى الحياة الوطنية من بينهم :

الشهيد العربى بن مهيدي أحد رواد ثورة التحرير الستة ، وأخوه محمد الذى استشهد فى حرب التحرير بالولاية الثانية ، وحسنى الشريف الذى استشهد فى

حوادث 8 ماي 1945 بقالمة ، ومحمد الغسيرى الذى صار استاذا ومفتشا لمدارس جمعية العلماء ، وفى الإستقلال عين سفيرا فى سوريا والكويت والسعودية ، ومحمد مراوى المحامى الآن بباتنة ، وخليفة العروسى الذى أصبح رائدا فى جيش التحرير والكاتب العام للولاية الخامسة فى الثورة ، ووزير الاقتصاد فى الحكومة الاولى بعد الاستقلال ، ومحمد شيبوب العقبي وأخوه ، وخير الدين عبد السلام ، والمسعود الغسيرى الذى صار كاتبا برتبة ضابط فى الولاية الاولى ، وافواج من الشباب سلكوا بعد تخرجهم سبلا مختلفة منهم المعلمون ، ومنهم السياسيون فى مختلف الحركات ، ومنهم من آثر الأعمال الحرة كالتجارة والصناعة ، رحم الله من مات منهم ، ووفق من بقي الى الصالحـــات .

أما الأساتذة الذين تداولوا على إدارة هذه المدرسة فهم المشائخ : محمد بن العابد الجلالى ، علي مرحوم ، علي المغربى ، احمد معّاش .

نادى الشباب وفوج الكشافة

وبعد الفراغ من بناء المدرسة أسسنا ناديا اطلقنا عليه اسم «نادى الشباب» واعددناه للاجتماعات العامة وإلقاء الخطب والمحاضرات ، واخترنا من بين كبار وقدماء التلاميذ مجموعة شكلنا منها فوجا للكشافة الإسلامية على رأسهم العربي بن مهيدى الذى كان تلميذا بالمدرسة واستشهد فى حرب التحرير سنة 1957 .

من اهداف جمعية العلماء

اتخذت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وسائل متعددة استعانت بها فى تحقيق غاياتها واهدافها وكان من اهم هذه الوسائل :

- التعليم : حيث قامت بفتح المدارس والمساجد لتعليم القرآن واللغة العربية .
- تأسيس الاندية للشباب فى الوطن ، وفى فرنسا للعمال الجزائريين
- إنشاء الصحافة الوطنية .

– إرسال الوفود التى تجوب البلاد لتبليغ الدعوة وتنشيط الحركة الاصلاحية .
– التنسيق بين عمل الجمعية وغيرها من المنظمات الاخرى التى تضطلع بدور سياسي أو اجتماعي من احزاب أو هيئات طرقية أو غيرها .

وكان ميدان التعليم أرحب ميدان تمارس فيه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نشاطها فى الحركة الاصلاحية ، وقد حاول الاستعمار بكل وسائله أن يقضي تماما على تعليم اللغة العربية فى بلادنا ، حتى قيض الله لهذه الامة رجالها المصلحين فبذلوا جهودا فردية قليلة الامكانيات ، منذ بدأ الامام ابن باديس تدريسه بالجامع الاخضر سنة 1913 م .

ولكن النهضة التعليمية الحقيقية فى البلاد بدأت على أيدى رجال جمعية العلماء المسلمين كتعليم الصغار بنين وبنات ، مع إلقاء دروس الوعظ والارشاد للكبار فى المساجد والزوايا والنوادى .

وارتبط انتشار التعليم فى مدارس التعليم العربي الحرّ بتجديد معالم الشخصية الجزائرية : الاسلام ديننا ، والعربية لغتنا ، والجزائر وطننا ، وكانت هذه هي أهداف التربيـــة الأساسية التى يرمى اليها التعليم فى مدارس الجمعية .

وقد فطن لذلك أعداء الاسلام والعروبة فى الجزائر ، فراحوا يدبّرون المكائد ويضعون العراقيل ويشرعون من القوانين ما يحول دون تقدم سيرنا فى هذا الميدان ، باغلاق المدارس وتعطيلها ، أو تهديد المشرفين عليها أو إلقاء القبض عليهم وباضطهاد المعلمين والتعرض لهم بمختلف الحيل والأساليب .

ولم تقف ادارة الجمعية مكتوفة الأيدى ، بل راحت تطالب بحقوقها ، وترفع صوتها فى كل مكان ، لتحمى مدارسها من الظلم والطغيان ، وتبنى وتؤسس وترفع الدعائم والاركان ، وفى كل مدينة أو قرية مآثر تحكى ، سواء فى انشاء مدرسة أو مناهضة اعدائنا فى انشائها واستمرار التعليم بها .

وقد شاركتُ فى كثير من الأحداث فى الميادين الهامة ، ولذلك فانه لايمكننى تتبع ذكر هذا التاريخ الطويل ، وأكتفى بذكر بعض الأعمال والتنظيمات التى شاركتُ فيها سواء بصفتى الفردية ، أو فى اطار تنظيمات وقوانين الجمعية ، وهنا أُعطى صورة واضحة عن مشاركتى فى ميدان التعليم فى اطار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

(أولاً) بلاغات :

بلاغ من لجنة التعليم العليا

أ) سيجرى امتحان شهادة الدراسة الابتدائية العربية لمدارس جمعية العلماء ابتداء من صبيحة : الاثنين 26 جويلية 1954م على الساعة الثامنة ، صباحا وقد تعينت مراكز الامتحان كما يلى :

1) تلمسان – ندرومة – سبدو – مغنية – صبرة مركزها – «تلمسان» .

2) وهران – غليزان – مستغانم – الحمرى – تيارت – بلعباس – مركزها «وهران» .

3) بوفاريك – حسين داي – سانتوجين – سلام باي – القليعة – بير خادم – مركزها «مركز جمعية العلماء بالعاصمة»

4) الأغواط مركز برأسه .

5) قسنطينة – شاطودان – سكيكدة – ميلة – عنابة – مركزها «قسنطينة» .

6) تبسة – مسكيانة – سوق أهراس – عين البيضاء – الشريعة مركزها «تبسة»

7) سطيف – القلعة – العلمة – عين أزال – برج بوعريريج -إغيل علي – مركزها «سطيف» .

8) باتنة – بسكرة – قمار – المعذر – القنطرة – مركزها «باتنة» .

فعلى جميع المشاركين فى الامتحان المذكور أن يحضروا بمراكزهم فى التاريخ المعيَّن .

ب) على المدارس الجديدة والتى ستفتح فصولا أخرى أول أكتوبر القابل أن تعلمنا بذلك قبل نهاية شهر جويلية 1954 وطلب المعلمين .

نائب الرئيس : **محمد خير الدين**

عن البصائر العدد 277
السنة السابعة

بلاغ عن فتح مدارس جمعية العلماء

1) تفتح المدارس رسميا يوم 7 صفر 1374 الموافق لـ 5 أكتوبر 1954م وعلى جميع المديرين والمعلمين أن يكونوا حاضرين بمراكزهم فى اليوم المذكور لمباشرة عملهم.

2) انتقل مكتب لجنة التعليم إلى مركز جمعية العلماء بالعاصمة، فعلى كل من يريد الاتصال به أن يخاطبه بهذا العنوان ابتداء من يوم 10 سبتمبر 1954

مكتب لجنة التعليم 12 نهج بومبى - الجزائر -

نائب الرئيس - **محمد خير الدين**

عن البصائر عدد 283
السنة السابعة

بلاغ مناظرة المعلمين

تجرى بمركز جمعية العلماء بالجزائر يوم 25 / 09 / 1954م مناظرة أهلية التعليم بين المعلمين المساعدين ممن انخرطوا فى سلك التعليم بمدارس الجمعية سنة 1953 - 1954م، والمحصلين على شهادة التحصيل الزيتونية، أو العالمية من القرويين، ممن لم يباشروا التعليم، ومن فى درجتهم، فنرجوهم جميعا أن يحضروا بالمركز صبيحة التاريخ على الساعة الثامنة.

وستجرى مناظرة ثانية يعيَّن تاريخها بعد ذلك تشمل المترشحين لشهادة التحصيل هذا العام بعد تخرجهم.

نائب الرئيس / **محمد خير الدين**

عن البصائر العدد 285
السنة السابعة

بلاغ من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

أيتام ناحيـــة الاصنـــام المنكوبـــة

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تجدد علنا وعلى مسامع الأمة والحكومة ، ماكانت أشعرت به الادارة والسلط العليا ، من انها مستعدة الاستعداد التام لكفالة سائر الايتام المسلمين ضحايا زلزال ناحية الاصنام ، وانها تضعهم تحت اشرافها ورقابتها عند عائلات اسلامية محترمة ، تتعهد بمعاملتهم وتعليمهم وتهذيبهم كما تعامل نفس ابنائها، عهدا منها امام الله .

فعلى الذين يهتمون بامر هؤلاء اليتامى البائسين ان يخابروا بكل سرعة مركز الجمعية بالجزائر ، أو شعبة الجمعية بمدينة الاصنام ، ولا عذر لأحد فى اهال اليتامى بعد اعلامنا هـــذا .

نائب الرئيس محمد خير الدين

4 صفر 1374هـ

1 / 10 / 1954م

البصائر العدد 287 السنة السابعة

قائمة الناجحين فى امتحان شهادة الدراسة
الابتدائية العربية بمدارس جمعية العلماء

مركز العاصمة

المشاركون 24 الناجحون 16

أسماء الناجحين	مدارسهم	رتبهم	الملاحظات
زهور ونيسى	سلام باي	1	حسن
جميلة خليفات	حسين داى	2	حسن
حمزة معمرى	القليعة	3	بدون ملاحظة
عائشة سحنون	سانطوجان	4	بدون ملاحظة
زبيدة مومن	القليعة	5	بدون ملاحظة
حورية شكرى	حسين داى	6	بدون ملاحظة
الزبير الدباغ	بوفاريك	7	بدون ملاحظة
اسماعيل بوعويشي	حسين داى	8	بدون ملاحظة
رشيد نبات	القليعة	9	بدون ملاحظة
محمد عوين	القليعة	10	بدون ملاحظة
عبد الرحمن حشمى	القليعة	11	بدون ملاحظة
أحمد قطاف	حسين داى	12	بدون ملاحظة
الرشيد زنجبيل	بير خادم	13	بدون ملاحظة
النوار كدية	حسين داى	14	بدون ملاحظة
بوعلام بوكرت	بوفاريك	14	بدون ملاحظة
الناصر نبات	القليعة	14	بدون ملاحظة

مركز قسنطينة

المشاركون 53 الناجحون 37

أسماء الناجحين	مـــدارسهم	رتبهـــم	الملاحظات
شعشوع فتيحه	قسنطينة	1	بدون ملاحضة
جميلة بوشرشم	سكيكدة	2	بدون ملاحظة
زهية ونيســى	قسنطينة	3	بدون ملاحظة
خديجة سعيود	سكيكدة	4	بدون ملاحظة
حليمة بن بكير	قسنطينة	5	بدون ملاحظة
خديجة ونيسى	قسنطينة	6	بدون ملاحظة
الوليد غمرانى	ميلة	7	بدون ملاحظة
زكية بن رجب	قسنطينة	7	بدون ملاحظة
مليكة مازة	قسنطينة	9	بدون ملاحظة
محمد الطيب بن مخلوف	ميلة	19	بدون ملاحظة
خالد حسين	قسنطينة	19	بدون ملاحظة
الزهرة بنت على	قسنطينة	19	بدون ملاحظة
عبد الحميد خنخار	عنابة	13	بدون ملاحظة
محمد بوكراعين	قسنطينة	13	بدون ملاحظة
زهيرة بن جلول	قسنطينة	15	بدون ملاحظة
صادق قسيطة	عنابة	16	بدون ملاحظة
رقية النعيمى	قسنطينة	17	بدون ملاحظة

أسماء الناجحين	مـــدارسهم	رتبهـــم	الملاحظات
زليخاء دربال	قسنطينة	17	بدون ملاحظة
كمال داود	عنابة	17	بدون ملاحظة
فاطمة الزهراء كرماني	قسنطينة	20	بدون ملاحظة
صادق بوغريرة	عنابة	21	بدون ملاحظة
الحسين بو المرقة	ميلة	21	بدون ملاحظة
الامين بو المرقة	ميلة	21	بدون ملاحظة
قرمية بنت الشريف	ميلة	24	بدون ملاحظة
فريدة الأبعل	عنابة	25	بدون ملاحظة
رشيد الازعر	ميلة	26	بدون ملاحظة
آمنة ميلى	قسنطينة	27	بدون ملاحظة
مسعودة بايت	قسنطينة	27	بدون ملاحظة
زهية شكشاك	شاطودان	29	بدون ملاحظة
رقية غيموز	قسنطينة	30	بدون ملاحظة
حنيفة بوشطيب	قسنطينة	30	بدون ملاحظة
عقيلة بوطالبي	قسنطينة	30	بدون ملاحظة
عائشة بن جعفر	قسنطينة	33	بدون ملاحظة
حدة صخرى	شاطودان	33	بدون ملاحظة
سعدية بركات	قسنطينة	35	بدون ملاحظة
يوسف منجل	عنابة	36	بدون ملاحظة
فضيلة قارة علي	قسنطينة	36	بدون ملاحظة

أسماء الناجحين	مدارسهم	رتبهم	الملاحظات
زليخاء دربال	قسنطينة	17	بدون ملاحظة
كمال داود	عنابة	17	بدون ملاحظة
فاطمة الزهراء كرماني	قسنطينة	20	بدون ملاحظة
صادق بوغريرة	عنابة	21	بدون ملاحظة
الحسين بو المرقة	ميلة	21	بدون ملاحظة
الامين بو المرقة	ميلة	21	بدون ملاحظة
قرمية بنت الشريف	ميلة	24	بدون ملاحظة
فريدة الأبعل	عنابة	25	بدون ملاحظة
رشيد الازعر	ميلة	26	بدون ملاحظة
آمنة ميلى	قسنطينة	27	بدون ملاحظة
مسعودة بايت	قسنطينة	27	بدون ملاحظة
زهية شكشاك	شاطودان	29	بدون ملاحظة
رقية غيموز	قسنطينة	30	بدون ملاحظة
حنيفة بوشطيب	قسنطينة	30	بدون ملاحظة
عقيلة بوطالبي	قسنطينة	30	بدون ملاحظة
عائشة بن جعفر	قسنطينة	33	بدون ملاحظة
حدة صحرى	شاطودان	33	بدون ملاحظة
سعدية بركات	قسنطينة	35	بدون ملاحظة
يوسف منجل	عنابة	36	بدون ملاحظة
فضيلة قارة علي	قسنطينة	36	بدون ملاحظة

مركز وهران

المشاركون 29 الناجحون 12

أسماء الناجحين	مدارسهم	رتبهم	الملاحظات
مامة مغراوى	تيارت	1	حسن
ملوكة سويدى	تيارت	2	حسن
أحمد غربى	الحمرى	3	حسن
خديجة خضير	وهران	4	بدون ملاحظة
وافية راشد	الحمرى	5	بدون ملاحظة
زهور زعنان	وهران	6	بدون ملاحظة
الزهرة يحي	وهران	7	بدون ملاحظة
عبد الكريم بيتون	بلعباس	8	بدون ملاحظة
حليمة بن فرحات	تيارت	9	بدون ملاحظة
عبد القادر فضال	بلعباس	9	بدون ملاحظة
السعيد سعدونى	الحمرى	11	بدون ملاحظة
كلثوم الاسطل	الحمرى	12	بدون ملاحظة

مركز تلمســـان

المشاركون 50 الناجحون 41

أسماء الناجحين	مـــدارسهم	رتبهـــم	الملاحظات
فاطمة نورية	ندرومة	1	احسن
الزهرة البوجانى	ندرومة	2	احسن
لطيفة الابراهمى	ندرومة	3	احسن
ليلى بوحفص	ندرومة	3	احسن
الزهور غزالى	ندرومة	5	احسن
فاطمة بكارة	سبدو	6	حسن
الزهرة تشوار	سبدو	7	حسن
برحو رشيد	تلمسان	8	حسن
عزيزة الدرار	ندرومة	9	حسن
عبد الحميد الشوال	ندرومة	10	حسن
شطيطح عمر	صبرة	11	حسن
عمر بن احمد بن محمد	تلمسان	12	حسن
فاتحة بوخالة	ندرومة	13	حسن
محمد بن هنى	ندرومة	13	حسن
صالحة شيخاوى	سبدو	13	حسن
كريمة بنت بومدين	ندرومة	16	حسن
محمد البورى	ندرومة	16	حسن
حورية دالى	سبدو	16	حسن
حمادى آمنة	تلمسان	19	حسن
عمر بن محمد الفلاح	ندرومة	19	حسن

ليلى البسام	ندرومة	19	حسن
فاطمة زمورى	مغنية	22	حسن
بوعياد احمد	تلمسان	23	حسن
رشيدة خلدون	تلمسان	23	حسن
فضيلة بابا احمد	تلمسان	25	حسن
زبيدة بريكسى	تلمسان	26	بدون ملاحظة
زبيدة بارودى	تلمسان	27	بدون ملاحظة
نورية بابا احمد	تلمسان	28	بدون ملاحظة
فاطمة بنت قاسم	تلمسان	29	بدون ملاحظة
فتيحة بن السيد	تلمسان	30	بدون ملاحظة
رشيدة بوعياد	تلمسان	31	بدون ملاحظة
فاطمة قارة وزان	تلمسان	31	بدون ملاحظة
فاطمة غزالى	ندرومة	31	بدون ملاحظة
فضيلة الشحمى	تلمسان	34	بدون ملاحظة
فريدة بابا احمد	تلمسان	34	بدون ملاحظة
خدوجة ابن بلال	تلمسان	34	بدون ملاحظة
فاطمة قورصو فسيان	تلمسان	37	بدون ملاحظة
رشيدة غزالى	مغنية	37	بدون ملاحظة
نجيبة بخشى	تلمسان	39	بدون ملاحظة
خديجة بنت الغوشى	تلمسان	40	بدون ملاحظة
نور الدين بوزار	مغنية	41	بدون ملاحظة

مركز باتنـــــة

المشاركون 55 الناجحون 41

أسماء الناجحين	مـــدارسهم	رتبهـــم	الملاحظات
محمد الشريف فيلالى	بسكرة	1	أحسن
السعيد عبادو	بسكرة	2	حسن
باية شيخى	باتنة	3	حسن
بلقاسم سعدانى	قمار	4	حسن
مباركة حوقة	قمار	5	حسن
وردة بن فطوم	باتنة	6	حسن
السعيد بن ثامر	بسكرة	7	حسن
ابو بكر حمادو	القنطرة	8	حسن
خير الدين عابدة	بسكرة	9	بدون ملاحظة
رشيد زيدانى	باتنة	9	بدون ملاحظة
الصديق بن الموهوب	باتنة	9	بدون ملاحظة
عبد الحميد مازوزى	باتنة	9	بدون ملاحظة
عبد المؤمن ترعة	قمار	12	بدون ملاحظة
محمد الصغير الاطرش	بسكرة	13	بدون ملاحظة
يوسف اليوسفى	باتنة	14	بدون ملاحظة
عبد الوهاب هارون	باتنة	15	بدون ملاحظة
بلقاسم المازوزى	باتنة	15	بدون ملاحظة

أسماء الناجحين	مدارسهم	رتبهم	الملاحظات
محمد العيد كشيدة	قمار	17	بدون ملاحظة
أحمد زكرى	القنطرة	17	بدون ملاحظة
عثمان شيخى	باتنة	19	بدون ملاحظة
محمد قوبع	بسكرة	20	بدون ملاحظة
جمال الدين التليلى	قمار	20	بدون ملاحظة
احمد بن محمد بنى	قمار	22	بدون ملاحظة
احمد بن العيد مسعودى	باتنة	23	بدون ملاحظة
فتيحة بودراوى	باتنة	24	بدون ملاحظة
حميدة وجيت	باتنة	25	بدون ملاحظة
منقاد عبد الرحمن	بسكرة	26	بدون ملاحظة
عبد العزيز زينب	قمار	27	بدون ملاحظة
حليمة العمرى	القنطرة	27	بدون ملاحظة
عبد العزيز عبد الصمد	باتنة	29	بدون ملاحظة
معمر مرغى	قمار	30	بدون ملاحظة
عتيقة ترعة	قمار	31	بدون ملاحظة
محمد خنشلى	المعذر	31	بدون ملاحظة
احمد ادريس	القنطرة	33	بدون ملاحظة
فريدة قتال	باتنة	34	بدون ملاحظة
مصطفى اليوسفى	باتنة	35	بدون ملاحظة

اسماء الناجحين	مدارسهم	رتبهم	الملاحظات
فاطمة شرفة	باتنة	35	بدون ملاحظة
مختار شادى	باتنة	35	بدون ملاحظة
ربيعة بن فطوم	باتنة	38	بدون ملاحظة
خضراء عمامرة	باتنة	39	بدون ملاحظة
ابراهيم بن البحرى	باتنة	39	بدون ملاحظة
قمرة دومانجى	باتنة	41	بدون ملاحظة

مركز الاغواط

المشاركون 15 الناجحون 7

اسماء الناجحين	مدارسهم	رتبهم	الملاحظات
المكى المدنى	الاغواط	1	بدون ملاحظة
جميلة عية	الاغواط	2	بدون ملاحظة
أحمد خميلة	الاغواط	3	بدون ملاحظة
محمد جابا الله	الاغواط	4	بدون ملاحظة
علال يوسفى	الاغواط	5	بدون ملاحظة
عيسى بن محمد	الاغواط	6	بدون ملاحظة
العيد بن احمد الزاوى	الاغواط	7	بدون ملاحظة

مركز سطيف

المشاركون 41 الناجحون 31

أسماء الناجحين	مدارسهم	رتبهم	الملاحظات
عبد الرحمن حاردى	عين ازال	1	حسن
زبيدة بن بلوطة	سطيف	1	حسن
لويزة قلال	عين ازال	3	حسن
محمد عيطو	عين ازال	3	حسن
كاملة الدين شرفى	سطيف	5	حسن
كلثوم بن الشايب	سطيف	6	حسن
خضراء مامى	سطيف	7	حسن
عقيلة خونى	سطيف	8	حسن
مليكة عليوى	سطيف	8	حسن
عبد الحميد مغلاوى	عين ازال	10	حسن
رابح مزيان الشريف	العلمة	11	حسن
الجمعى بن العيفة	عين ازال	11	حسن
الخضر جودى	سطيف	13	حسن
أحمد خبابة	البرج	13	حسن
زيدومة وادى	سطيف	15	حسن
المهدى بن منى	القلعة	15	حسن
محمد الصالح زروق	سطيف	17	حسن

أسماء الناجحين	مدارسهم	رتبهم	الملاحظات
غنية قيموح	القلعة	17	حسن
ربيعة براهيمى	سطيف	19	حسن
السعيد قواش	سطيف	20	حسن
محمد السعيد حموش	ايغيل علي	21	حسن
زبيدة ثابت	سطيف	22	حسن
عيسى بن العربى قلى	العلمة	23	حسن
حليمة شرفى	سطيف	23	حسن
محمود مباركى	القلعة	25	حسن
فريدة يزم	القلعة	26	حسن
بشير الشريف اسماعيل	القلعة	27	بلا ملاحظة
الخضر مباركى	القلعة	27	بلا ملاحظة
جمال مباركى	القلعة	27	بلا ملاحظة
زبيدة مباركى	القلعة	30	بلا ملاحظة
زبيدة جحيش	سطيف	30	بلا ملاحظة

مركز تبسة

المشاركون 28 الناجحون 18

أسماء الناجحين	مدارسهم	رتبهم	الملاحظات
الهادى خليف	الشريعة	1	بلا ملاحظة

أسماء الناجحين	مدارسهم	رتبهم	الملاحظات
المهدى بن التارزى بن المكى	البيضاء	2	بلا ملاحظة
عبد الرحمن قواسمية	الشريعة	2	بلا ملاحظة
محبوبة مالكية	تبسة	4	بلا ملاحظة
أحمد الذيب	مسكيانة	5	بلا ملاحظة
عبد المجيد عون	تبسة	6	بلا ملاحظة
الامين سخـــرى	تبسة	7	بلا ملاحظة
الامين زايدى	تبسة	8	بلا ملاحظة
شهرزاد لازغلى	تبسة	8	بلا ملاحظة
ربيعة مالكية	تبسة	10	بلا ملاحظة
لويزة نوة	تبسة	11	بلا ملاحظة
مسلاتى مصطفى	سوق اهراس	11	بلا ملاحظة
محمد عيساوى رشيد	تبسة	13	بلا ملاحظة
البشير قدرى	الشريعة	14	بلا ملاحظة
علي ضيف الله	تبسة	15	بلا ملاحظة
علي فرصادة	تبسة	16	بلا ملاحظة
خالد يحياوى	البيضاء	17	بلا ملاحظة
عبد الحق قابة	الشريعة	18	بلا ملاحظة

البصائر السنة 7 العدد 284
بتاريخ 13 محرم 1354 هـ
10 / 09 / 1954 م

مثال من انشاء إحدى الناجحات فى امتحاناتنا

نجحت التلميذة زهور ونيسى فى هذا الامتحان سنة 1954 واثر نجاحها كتبت مقالات عالجت فيها بعض الشؤون الاجتماعية ، ومن الصدف النادرة اختيارها أخيراً لمنصب وزيرة للشؤون الاجتماعية سنة 1980 بعد 27 سنة من نيلها الشهادة الابتدائية، وهذه مقالة من مقالاتها فى ذلك الوقت المبكر من حياتها :

وهي الآن كاتبة ومؤلفة ، من مؤلفاتها التى تتعلق بالتعليم والنضال كتاب (مذكرات مدرِّسة حرة)

فائــدة العلــم العمــــل

ابتلينا نحن مسلمى العصر الحديث بكثرة القول وعدم العمل - نعم فلو أن كل ما ورثناه من آيات كريمة واحاديث شريفة طبقناه بالفعل كما كررناه بالقول لما آلت حالتنا الى مثل هذا ولكُنا خير أمة أخرجت للناس حقيقة لا شك فيها ، ولكانت لنا نعم المعين والنصير ، كما كانت يستعان بها ويتبع هداها فى ذلك العصر الزاهر عند الحروب والمصائب .

لأن فى القرآن والحديث ما يغنينا عن جميع الاخلاق. وما الأخلاق الفاضلة الهادية الى سواء السبيل الا القرآن والحديث لا شيء آخر عداها ، ولكننا اكتفينا بالقول وتكراره وغرسه فى العقول لجيل بعد جيل ولم نطبق منه شيئا تطبيقا ملموسا ، ولم نستخرج منه اللباب والنفع والفائدة التى ما بعدها فائدة ، عرفنا ان القرآن فيه كل الدين والعلم والحياة ، وعلمنا أنه انزل لمحاربة الأخلاق الرذيلة ، التى أخذت مكانها فى قلوبنا ولكننا لم يخطر ببالنا يوما ان نحلل ما حلله ونحرم ما حرمه ، عرف كل واحد منا واجبه المقدس نحو أمته ، فللرجل واجب وللمرأة واجب وللفتاة أكبر الواجبات .

سوف يدهش القارئ الكريم من كلمتى هذه ولكن سرعان ما يسترجع هدوءه عندما يعلم - وهو أعلم بذلك منى - ان الفتاة هي الركن الوحيد الذى يعول عليه فى انشاء جيل متبع لأخلاق كتابه الكريم واحاديث نبيه الشريفـــة .

نعم سوف تتثقف وتكبر وتنشئ مجتمعا صغيرا فى بيتها تكون هي قائده فتسيره كما شاءت لها ثقافتها وتعليمها ومدنيتها ، هذا هو الامل الوحيد للنهوض بهذه الامة الذاويـة .

وما اسرع مايذهب هذا الامل ادراج الرياح عندما نرى فتياتنا يقرأن ولا يطبقن، ويقلن ولا يفعلن ، فأي فائدة ياترى من القراءة والتعليم ؟

يتمنى كل انسان ان يكون له حق فى بلاده ، وان يكون سيد قومه ، ومالك وطنه ، يعيش فيه رافع الرأس عزيزا مكرما ، وما أشد وطء الصدمة على قلبه عندما يعلم ان ذلك اضغاث احلام ويفيق من نشوته ليجابه الحقيقة المرة ، لا يعمل ويمنى نفسه الامانى الباطلة التى تزود دائما برصيد من الحيرة والبلبلـــة .

لقد كان القرآن فى عهد النبي (ص) سراجا منيرا يأخذ بأيدى المسلمين الى قمة المجد والسؤدد بالعمل لا بالقول ، فكانوا خير أمم عصرهم واعلاها واجدهـــا .

ولقد عبر الفيلسوف الاكبر الاستاذ محمد البشير الابراهيمي حفظه الله ورعاه عن هذا الداء المتأصل فى قومه بقوله المؤثر : فخالوكم على البعد اعمالا ، فوجدوكم على القرب اقـــوالا لله دره من حكيم فذ .

ويجدر بالفتيـــات المتعلمات على الاخص اليوم مداواة ادوائهن ومعالجة امراض مجتمعهن ، فهن نور بنات جنسهن الضئيل فى هذه البلاد الفاقدة لنور الحيـــاة .

فلنعمل قدر طاقتنـــا فى الافراح والاتراح والاجتماعات والحمامات وكل ملتقى للنساء ، فنفوز بما نتمناه ولا يبعد ذلك اذا اتبعنا طريق القرآن واهتدينا بفوزه المبين فنكون قدوة لأخواننا واسوة حسنة للجيل الجديـــد

ومثال من منشـــآت مدارسنـــا : **زهور ونيســــى**

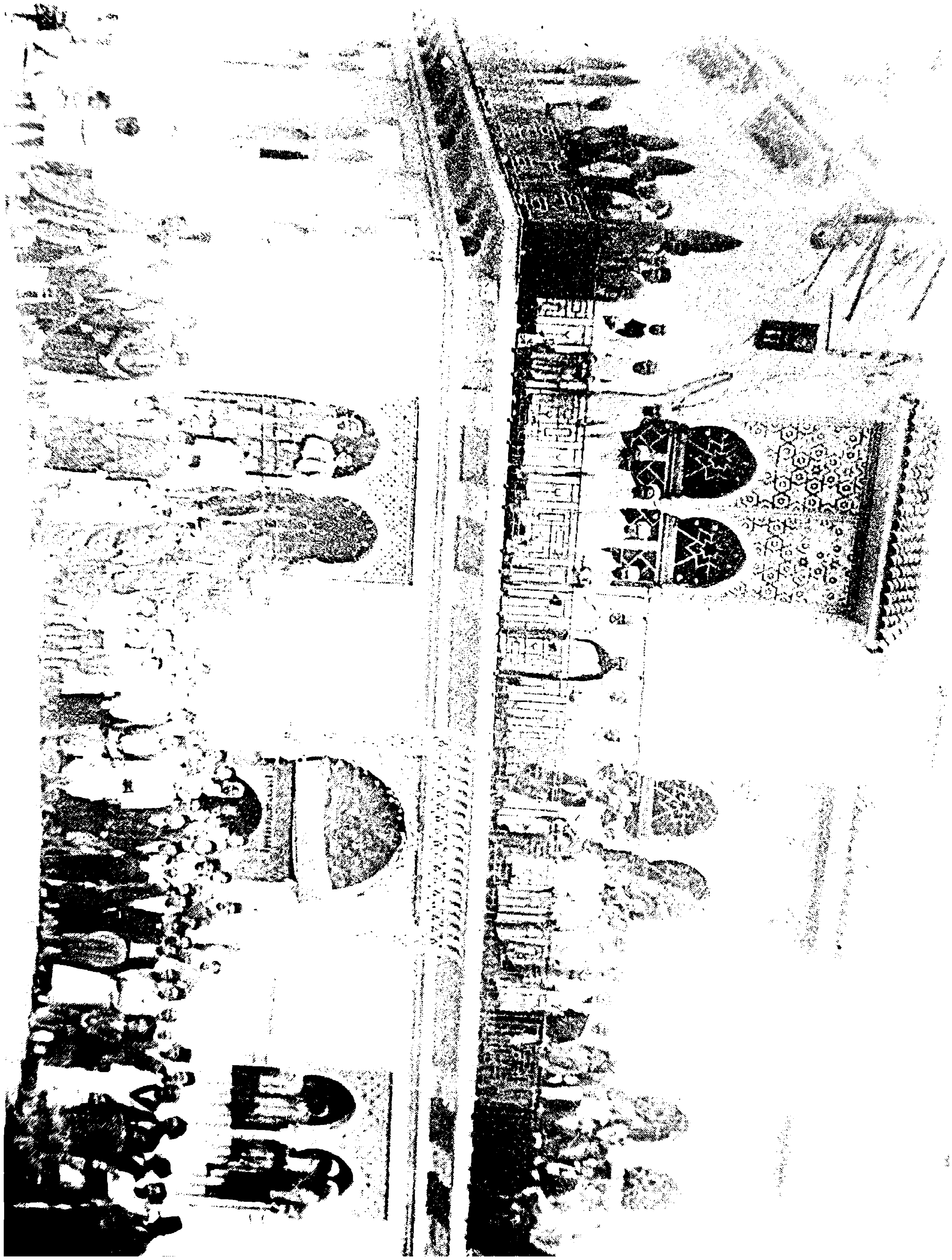
مدرســة دار الحديث بتلمســـان

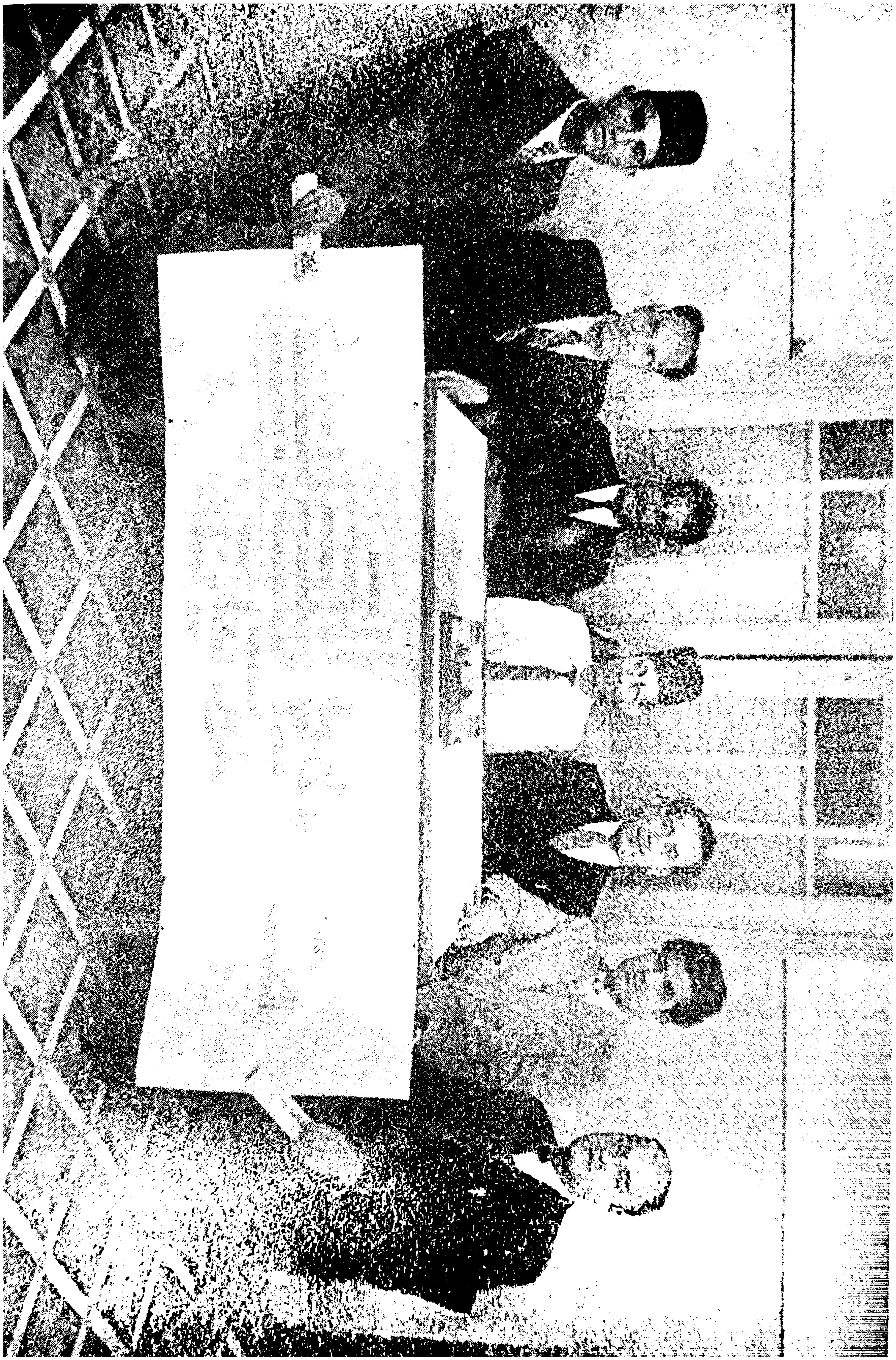
أسندت جمعية العلماء مهمة تنشيط الحركة الإصلاحية بالغرب الجزائرى إلى الشيخ البشير الإبراهيمي ، فأشرف على تنظيم الشّعب وإنشاء المدارس ، وكان من بينها مدرسة (دار الحديث بتلمسان) فقد دعا سكان هذه الناحية الى الاكتتاب لبناء المدرسة وأشرف على إنشائها ووضع تصميمها وجعلها عدة أقسام : وخصّص كل قسم لعمل من الأعمال ، فقسم للصلاة ، وآخر للمحاضرات ، وثالث للتعليـــم .

وهي نمط فريد بين المدارس التى أنشئت فى تلك الفترة ، فى هندسة بنائها وتخطيطها، وقد اختار لها مؤسسها اسم (دار الحديث) تعبيرا عن مبادئ الحركة التى تدعو إليها ، وهي الرجوع إلى السلفية النقية التى تستمد أحكامها من المصادر الاسلامية الأصلية (الكتاب والسنــة وهدي السلف) ، ومحاكاة لدور الحديث المنتشرة فى بعض البلدان الاسلامية ومن بينها (دار الحديث الأشرفية بدمشق) التى شغل بها منصب أستاذ ، وبعد اكتمال البناء وجــه الشيخ البشير الابراهيمي دعوة عامة إلى النخبة فى جميع عمالات القطر الجزائرى لحضور حفل الافتتاح فى صيف سنة 1937م

وفى أوائل الخمسينات ألحقت بها مدرسة أخرى ملاصقة لها تحمل اسم (عائشة أم المؤمنين) خصصت للبنات ، وتمحّضت (دار الحديث) للبنين وبلغ عدد تلاميذها نحو الألفين .

وحضر هذا الاحتفال عدد من رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وبعض علماء المغرب الشقيق من بينهم (الاستاذ إبراهيم الكتانى) شاركوا فى حفل الافتتاح، وهذه صورة المدرسة وبعض المحتفلين . ثم صورة لمعلمى (دار الحديث) ومديرها ، وصورة لمعلمات (مدرسة عائشة) مع المدير ورئيس جمعية العلماء .







تحية دار الحديث

أنشد الشاعر محمد العيد هذه القصيدة ، يوم الاحتفال العظيم بافتتاح مدرسة (دار الحديث) بتلمسان وكان الاحتفال مشهودًا ، حضره أعضاء جمعية العلماء كلهم ، وجميع الهيآت العاملة فى الجمعية من مدرسين وشعب ، وتمثلت فيه جمعية العلماء يصورتها الحقيقية ، وقدرتها الانشائية . حضره نحو عشرين ألفا من أتباعها ، ووفود من تونس ومراكش وذلك فى خريف ، سنة 1937 م .

أحيي بـالرضى حرمـا يـزار — ودارا تستظـل بها الديـار
وروضـا مستجـد الغـرس نضرا — أريضـا زهـره الأدب النضـار
وميدانـا سترتبـع المهـارى — بساحتـه وتستبـق المهـار
وعينا مـا لمنبعهـا مغـاض — وأفقا مـا لأنجمـه مغـار
أحيي خير مدرسـة بناهـا — خيـار فى معـونتهم خيـار
(تلمسـان) احتفت بـالعلم جـارا — وما كـالعلم للبلـدان جـار
لقـد لبست مـن الاصلاح تاجـا — يحق بـه لأهليهـا الفخـار
فكـان لـه بهـا نصر وفتح — وكـان لـه ذيوع واشتهـار
لقـد بعـث (البشير) لهـا بشيرا — بمجد كالركـاز بهـا يثـار
وفى (دار الحـديث) لـه صـوان — بـديع الصنع مصقـول منـار
بـه عـرض (البشير) فنـون علم — وآداب ليجلوهـا الصغـار
فيـا (دار الحـديث) عمى نهـارا — وعمرك كلـه أبـدًا نهـار
ويـا (دار الحـديث) عليـك تلق — مهمـات لنـا ومنى كبـار
وفى بلـد (الجـدار) كنوز ديـن — وعلم لا يليـق بهـا ادخـار
(تلمسـان) ابتغى أبـدًا مـدارا — فـأختك فى السماء لهـا مـدار
ضعى عن قـرنك الضـافى خمـارًا — فقـرن الشمس ليس لـه خمـار

(تلمسان) اكشفى عن رائعات ... من الآثار جللها الغبار
وبقيا عبقريات غزار ... ثمتها عبقريات غزار
الى (إدريس) أو (زيان) يومى ... ويومض تحتها نور ونار
(تلمسان) احفظى ذكر ازدهار ... لملك فيك كان له ازدهار
ففى هذا الثرى الزاكى قديما ... لنا أزدهرت حضارات كبار
وفى هذا الثرى الزاكى قديما ... تفشى العدل وانتشر اليسار
وفى هذا الثرى الزاكى قديما ... سما (مازيغ) واستعلى (نزار)
عليك تآخيا أدبا ودينا ... وحولك ضم شملها الجوار
هما حميا ذمارك بالعوالى ... قرونا فاحتمى بهما الذمار
وحاصر ترك الاسبان حينا ... فعاد عليك بالأمن الحصار
مضوا لم يتركوا غير ادكار ... لنا فى القلب لو يجدى ادكار
فقل لبنيهم ابنوا من جديد ... بناء لا يهدده انهيار
وصغ لبنى تلمسان التحايا ... كطاقات يرف بها العمار
وَوَفِّ بنى تلمسان اعتبارا ... وأدنى ما جزيت به اعتبار
لقد حنَّت جوانحنا اليهم ... وسارت قبلما سار القطار
أتيناهم ضحى ولهم حبور ... وإشراف وشوق وانتظار
وسرنا بينهم جنبا لجنب ... كمثل الزند يكنفه السوار
يكبر حولنا منهم جهارا ... رجال كل دعوتهم جهار
ألم تر صورة الأجداد فيهم ... عليها من ملامحهم إطار
فقف تر غرسهم ينمو بدارا ... بدار نحوها أشتد البدار
بها (دار الحديث) لها ينادى ... وفيها (ابن الصلاح) له يشار
وليس ابن الصلاح سوى (بشير) ... لنا انتشرت معارفه الكثار
حمى أكنافها لله جند ... وجند الله ليس له انكسار
وجاءتها المواكب خاشعات ... عليها الطهر يبدو والوقار
ومن وحي السماء لها دليل ... ومن وحى السماء لها منار
ونحن بنو السماء لها انسبونا ... فليس سوى السماء لنا نجار
تخذنا الدين فى الدنيا شعارا ... وما كالدين فى الدنيا شعار
لنا للعلم تثويب وحفز ... وتنقيب وكشف وابتكار
وفى (دار الحديث) رياض علم ... عليها نضرة ولها اخضرار
بدت منها ثمار طيبات ... شهيات فأرضتنا الثمار
على طلابها ومعلميها ... من البركات ديمات ثرار
وطاب جنابها الحانى قرارا ... لهم ما طاب فى الخلد القرار

(ثانيا) : تنقلات

تنقلات نائب الرئيـــس

جاء فى جريدة البصائر لسان حال الجمعيـة ما يلى :

يبدى حضرة نائب رئيس الجمعية الشيخ محمد خير الدين ، نشاطا عظيما خلال العطلة الصيفية ، فهو فى حركة دائمة بين الشعب فى مختلف جهات القطر ، يعظ ويرشد وينظم ويتفقـد ، ويضع الاسـس لاعمال مقبلة تسير بالجمعية خطوات شاسعة فى ميدان الاصلاح والعلم والنفع العـام .

وقد رغب إلينا أن لا ننشر مايرد من تفاصيل هذه الرحلـة وما قال وما قيل فيها نظرا لتعددها ، ولان ذلك يستغرق من الجريدة مجالا واسعا جـــدا .

فاضطررنا للنزول عند رأيه ، واكتفينا بهذا التنبيه بارك الله فى الشيخ خير الدين وفى جهوده الموفقـــة .

البصائر العدد 285 السنة 7 .

فى القطاع الشرقى

جاء فى جريدة البصائر مايلى :

وضع حجر الاساس لمدرسة سوق اهراس

كانت سوق اهراس ولا تزال فى طليعة المدن التى استجابت للاصلاح ونداء الواجب منذ عهد عميد النهضة المرحوم الأستاذ ابن باديس ، وكان يخصها بالزيارة والنصيحة والارشاد والتوجيه مما جعله يعلق عليها وعلى شبابها فى ذلك الوقت أكبر الآمال و يعدها من أمهات المدن الاصلاحية ، وجاءت الحرب وتوقف كل شيء . ولما انتهت الحرب وتسابقت مدن القطر لبناء المدارس وتشييد المشاريع ، كانت سوق اهراس من السابقين الأولين ، فاشترت دارا بمئات الالآف فى قلب المدينة ودفعت ثمنها فى ظرف وجيز ، ولما صَمَّمَتْ على هدمها وبنائها من جديد لتكون كأخوتها من مدارس القطر مثالا راقيا للمدرسة العصرية ، اصطدمت بأكبر مشكلة وهي مشكلة السكان فتوقفت الحركة ، ولكن التفكير فى حل المشكلة بقي الشغل الشاغل لأهل سوق اهراس ، فمنذ سنة توقف البناء والتخطيط الى حين ايجاد حل لهذه المشكلة العويصة ، نشطت الجمعية واستعدت الهيئات الاصلاحية بما فيها (الشعبة والجمعية المحلية) ، ولما أنهت هذه الهيئـــات أعمالها التحضيرية كل فى دائرته ، استقر رأي الجميع على استدعاء فضيلة الأستاذ الكبير والعالم الجليل والمجاهد العظيم الشيخ محمد خير الدين نائب رئيـــس جمعية العلماء ، ونائب مدير المعهد الباديسي ، فلبى الدعوة بأسرع ما يمكن رغم كثرة أعماله ومسؤولياته ، وحل ضيفا على شعبتها صبيحة يوم الأثنين 31 أوت ، فاستقبلته التشكيلات الاصلاحية بغاية الحفاوة والاكرام ، وهذه أول مرة يزور فيها الأستاذ سوق اهراس ، ومن حسن الحظ أن كانت الزيارة مباركة والنتائج عظيمـــة .

خطبة الشيخ خير الدين

وفى المدرسة الحالية حيث نزل الأستاذ ، اجتمعت الهيئات المسؤولة وبعد موافقته على برامج العمل والخطط المرسومة استقر الرأي على عقد اجتماع تمهيدي ، كان

الاجتماع فى المساء ، خطب فيه الاستاذ خطبة مؤثرة بليغة تعرض فيها لمشاكلنا القائمة وحالتنا العامة ومكانتنا بين الأمم كأمة لها رسالة فى الحياة وعليها مسؤوليات يجب أن تتحملها بشجاعة وايمان ، ومن الغد كان الاحتفال العام بوضع الحجر الاساسي .

أقبلت الجماهير الشعبية تشهد يوم المدرسة العربية الاسلامية ، وتقدم الشيخ محمد خير الدين بصحبة الأستاذ أحمد حمانى العضو الادارى لجمعية العلماء والسيد الطيب دريقول رئيس الجمعية المحلية ووضع الشيخ الحجر الأساسي ، ثم التفت الى الجمهور وألقى كلمة الاحتفال التى نقتطف منها ما يلى :

بسم الله والصلات والسلام على رسول الله ، ثم باسم جمعية العلماء أخاطب الأمة السوق اهراسية العربية المسلمة ، وأشاركها سرورها بهذا اليوم السعيد .

أيها الاخوان ما من أمة سرى فى صفوفها التخاذل والتحاسد والتواكل الا وسارت بدورها الى الانحلال والاضمحلال ، فمن اليوم يجب أن تودعوا الماضي بما فيه وتستأنفوا حياة جديدة ملؤها التحابب والتصافى والتعاون ، والاعتماد على النفس ، لأن حياة العربية فى هذا القطر مرهونة بأعمالنا وجهودنا وتضحياتنا ، ومن العبث أن ننتظر من الغير أن يقدم لنا ما يعود على أمتنا ولغتنا بالخير والسعادة .

أيها الاخوان لا حياة لأمة الا بالتربية والتعليم ، وكل أمة اعرضت عن التربية والتعليم والثقافة الا وكان مآلها الموت والفناء ، فعضوا بالنواجذ على لغتكم ودينكم وقدموا فى سبيلهما كل مرتخص وغال فستجدون جزاءكم عند الله أحسن الجزاء ، وستذكركم الأجيال المقبلة بالاعجاب والاكبار .

اجتماع عام ودرس هام

ثم افترقت الأمة على أن تعود الى الاجتماع العام بقاعة الأفراح - وفى القاعة كان النظام بديعا والاقبال عظيما ، حتى ان القاعة لم تتسع لايواء المئات من الحاضرين ، وكان موضوع الدرس قوله تعالى : "اعلموا ان الله يحيى الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون" . والى القراء ما استطعنا تلخيصه من الدرس باختصار حرصا على الايجاز وتجنب التطويل ما أمكن :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى الصحابة والتابعين الى يوم الدين ، وعلى الذين رفعوا راية الاسلام وتصدوا للدفاع عن حياة لغة الدين .

أيها الاخوان ما أشبه حالة الأمة الجزائرية قبل وجود جمعية العلماء بحالة الأمة العربية قبل الرسالة المحمدية ، فالأمة العربية كانت تعيش فى عصر الجهالة ، لا أثر للتعلم والنظام فى نواحى حياتها المختلفة فهي كالأرض الميتة القاحلة التى لا تنبت شيئا ولا تصلح لشيء ، ولما بعث الله محمدًا عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم بالرسالة العامة استطاعت هذه الأمة فى ظرف وجيز وأمد قريب أن تخوض غمار الحياة وتبرز الى الوجود وتسجل على صفحات التاريخ آيات المدنية والحضارة وعجائب العلم والاختراع فى وقت كان غيرها من الأمم يتخبط فى دياجير الجهل والفوضى والانحلال والانحطاط ، ولا تنسوا أن أول شيء نزل على رسولنا محمد (ص)هو قوله تعالى : (اقـرأ) . فبالعلم سادت الأمم وبالثقافة ملكت الدنيا وبلغت ذروة العز والمجد والكرامة .

فهذه هي رسالة جمعية العلماء فى الجزائر ، وانها لرسالة عظيمة تحف بها الأخطار والمكاره ، ولكننا نتحملها بشجاعة وايمان ، وسنبقى فى الميدان من أجل هذه الرسالة رغم ما كان وما سيكون ، ولقد لاقينا فى بداية الدعوة – ما تعلمون – يوم أن دعونا الأمة الى الايمان الصحيح ، اذ لا حياة لمجتمعنا الا بالايمان الكامل ، ومرت تلك الفترة بما فيها من جهاد وعراك بين الحق والباطل ، وانهزم الباطل وأهله وانتصر الحق والداعون اليه ، ثم دعت الجمعية الأمة الى العلم الاسلامي العربي الصحيح ، ودعتها الى الاعتماد على نفسها فى هذا المضمار ، وأن تسلك الطريق الذى هيأه لها شرفها ودينها وتاريخهـــا :

أيها الاخوان تعاونوا فبالتعاون نستطيع السير ويسهل علينا بلوغ المرامى البعيدة والتغلب على المصاعب القائمة « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ».

ثم دعا الأمة الى الاكتتاب لإتمام بناء المدرسة الجديدة ففتحت الجيوب وانهالت مئـات الآلاف ، وكانت النتيجة حقا أكثر من المنتظر بحيث بلغ مجموع الاكتتاب فى هذه الجلسة عدة ملايين وقبل اعلان النتيجة ، تقدم الشيخ أحمد حمانى وألقى كلمة

بليغة ، ثم ختم الاجتماع باعلان النتيجة فاطمأنت الأمة على مشروعها العزيز وعدته فى حيز الوجود ، حقق الله ظنها وسدد خطاها .

وبعد هذه الخطوة الجليلة الهامة اهتم الشيخ بعلاج بعض القضايا الأكيدة التى تتصل بميدان الاصلاح ومشاريعه ، وكان حليفه التوفيق والسداد فى حل المشاكل وتوحيد الصفوف ، ثم سافر الى تاورة ومداوروش بدعوة من الهيئات هناك ، وعاد إلى سوق اهراس فأنهى ماتبقى من الأعمال ، وغادرها فى سيارة خاصة الى صدراته وودع بمثل ما استقبل به من الحفاوة والاحترام .

البصائر عدد 242 السنة السادسة **كامل الخناشى سوق اهراس**

فى عاصمة الأوراس

جاء فى البصائر مايلى :

باتنة تشيد معقلا للعروبة والاسلام

لمبعوث البصائر الخاص ....

لجمعية العلماء – جمعية الأمة الجزائرية بحق – مواقف محمودة ، ومشاهد خالدة ، وهي فى كل يوم تضرب للناس ، من المثل العليا ، مايكلل جبينها باكيل الغار ، ويمسح عن الوطن الجزائري وصمة العار ، وهي بكل ماعملت وتعمل ، لاتسعى لكسب شعبية زائفة ، أو ثناء مزيف ، وانما تعمل لتأدية رسالتها ، رسالة العمل الصالح ، لانشاء جيل صالح يقوم بالصالحات ، ويخط فى سجل التاريخ الخالد ، صفحة المجد بين الامم الماجدة المجيدة .

وتثبيتا لهذا ، أسجل للقراء يوم باتنة العظيم ، يوم تدشين مدرستها التى سمتها «مدرسة النشء الجديد» ومعذرة اذا لاحظ الحاضرون للاحتفال من قراء البصائر بعض الاهمال ، فأنا (كما يعرفون) لست صحافيا من النوع المرغوب.

كان موعد الحفل صباح الأحد سابع محرم الحرام الجارى ، فتوافد المصلحون من خلاصة هذه الأمة المخلصة مساء السبت ، واكتمل العقد صبيحة الاحتفال ، كان الوافدون من كل أنحاء الايالة القسنطينية ، وحتى من العاصمة ، حتى غص فناء المدرسة ورحاب الشوارع المحيطة بها ، ولما حان الموعد المحدد للحفل وقفت الجماهير المتراصة تنتظر قطع الشريط الرمزي للتدشين .

حينئذ تقدم الشيخ خير الدين نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ولا حاجة لاضفاء النعوت على الشيخ خير الدين وقال : باسم الله وباسم الجزائر الممثلة فى جمعيتها – افتتح هذا الحصن الذى سيسد ثغرة فى سلسلة ، ستكون بحول الله كاملة الحلقات .

ودخل رجال الجمعية – جمعية العلماء – وحولهم أعضاء الجمعية المحلية ، وأعضاء لجنة الاستقبال ، ولجنة بناء المدرسة ، فتصدر المنصة أعضاء المجلس الاداري لجمعية العلماء – الحاضرين – ووراءهم سراة باتنة ، وافتتحت الحفلة ، بترتيل آيات من الذكر الحكيم ، تلاها الأخ الشيخ زروق موساوى ، عضو البعثة العراقية الموجود حاليا فى اجازة .

ثم تقدم الشيخ الطاهر الحركاتى امام المسجد الحر بباتنة ، ودولاب الحركة فى ربوعها ، فرحب بالضيوف الوافدين ، وشكر لهم سعيهم والتفافهم حول الجمعية التى تعمل لخير الجزائر وسعادتها ، وذكر المتاعب التى أمكن للجماعة الملتفة حوله ، أن تتغلب عليها بالتضحية والصبر ، وبسط بعض المراحل المجتازة ، حتى بلغ الجميع الهدف ، وتم بناء هذا الحصن والمعقل المنيع ، فأصبحت بفضله تفاخر مدينة (باتنة) اخواتها من مدن القطر الجزائري ، كما شكر الأمة على تلبيتها لداعى الخير وبذلها النفس والنفيس فى سبيل القضاء على العدو الألد : الجهل .

وقام على اثره النائب الجزائرى السيد قاضى قدور ، رئيس جماعة باتنة ، والباذل فى مشروع المدرسة جهده الجبار ، فأوضح للحاضرين أن الأتعاب التى صادفت الجماعة قد لاقت جزاءها الأوفى ، حين تم البناء على أحسن وجه وأجمل صورة ، كما

عدد المراحل وما وجب انفاقه ، وقال : اننا حاولنا أن نساهم – بتشييد المدرسة – فى خدمة الأمة الباتنية خصوصا ، والجزائر عموما ، ونشكر المؤيدين ، والمناصرين ، والباذلين ، ثم ذكر بصفة مجملة ماعلى الجمعية الدينية المحلية من ديون ، وما دفعت وما يجب لإتمامها (أما التفاصيل فقد ذكرها فيما بعد ، أحد الإخوان من لجنة البناء) .

وبعد كلمته ، وقف الشيخ خير الدين فوعظ الناس بخطاب كان له الأثر العميق برهن به على بعد النظر ، ودقة الملاحظة ، وعدد للحاضرين مآثر الجمعية ، وجهادها فى سبيل جمع شتات الأمة ، ولمّ شعثها واعطى امثلة واقعية لايسر الطرق وأضمنها لخدمة الشعب خدمة عملية ، على ضوء الواقع .

واشاد بعمل باتنة ، وطلب للأمة الممثلة فى وفودها الحاضرة للاحتفال ، أن تعمل وتعمل وان تكون أمة القول اليسير ، والعمل الكثير ، اذ الامم لا تبلغ ، او هي بالغة هدفها الآسمى ، الا بالعمل المتواصل فى شعب رائدهُ التضحية ، وديدنه النشاط المستمر واستنتج من الأمثلة الحية ، أن الأمة بفضل جهودها وجهاد أبنائها العاملين ، ستبلغ مكانتها الواجب تبوؤها بين الأمم الناهضة .

وكان المستمعون يقطعون صوت الخطيب من حين لآخر بالتصفيق أو التكبير .

وبعد انتهائه جاء الدور العملي دور البذل فى سبيل المشروع المحتفل بتدشينه ، ففاضت النفحات القدسية على قلوب المخلصين ، وسجلوا ببذلهم رقما قياسيا لم يحصل جمع مثله فى احتفال مدرسة فى يوم واحد .

وقد بلغ مجموع المقبوض تسعة ملايين ونصف ، زيادة على الملحقات التى جاءت من طرق شتى ، وعن الحفلة السنوية التى جمع فيها (231000) و (37) قطعة ذهبية مختلفة الأشكال والأحجام و (125) قطعة فضية .

وقبل أن أختم الوصف الموجز لهذا اليوم المشهود ، أسجل للشيخ أحمد السعودى مدير المدرسة مابذل من جهد وما تحمل من نصب وما كلل به عمله من تقديم الخطباء بلباقة وظرف أضفى على الحفل روح المرح .

وأخيرا ليعلم القارئ أن هذه المدرسة التى شاهدتم رسمها فى الأعداد الماضية من الجريدة تحتوى على خمسة أقسام بمقاعدها من النوع الرفيع – ولعله أول نوع استعمل فى المدارس التابعة للجمعية – وثلاث شقق لسكنى المعلمين ، وثماني ميضات ، وحوض خاص بالأولاد فى الفناء ، وحوض آخر للوضوء ، علاوة على مكتبين ، ومدخل جميل

وبالجملة انها مدرسة تصلح أن تكون نموذجا لمدارسنا المقبلة ان شاء الله .

وبعد انتهاء الحفل ، قام أهالى باتنة (كعادتهم) باكرام الضيوف حتى بلغوا درجة الاسراف حبا فى العلم وتكريما للوافدين على محافله .

ومعذرة إن لم أوف اليوم الخالد حقه فقليل البضاعة ، من شيمته الدعوة للقناعة

عبد الرحمن غريّب

البصائر السنة السابعة العدد 285

24 محرم 1374 هـ 27 / 9 / 1954م

فى القطاع الغربى

قمت برحلة إلى العمالة الوهرانية لتفقد المدارس والشعب وإلقاء الدروس وغير ذلك مما تتطلبه ظروف ذلك الوقت ، وهذا مثال منها كما ورد فى جريدة البصائر بقلم أحد المعلمين .

الشيخ محمد خير الدين فى غيليزان

منذ اسبوع جاءتنا رسالة من حضرة الرئيس الجليل يخبرنا بأن الشيخ : محمد خير الدين ، أمين مال – جمعية العلماء المسلمين الجزائريـــين – سيعقد رحلة باسم الجمعية الى العمالة الوهرانية لتفقد المدارس وتنظيم الشعب وإلقاء دروس الوعظ والارشاد للعموم

وفى صبيحة يوم الجمعة 7 ماي أخبرنا من مركز الجمعية بالعاصمة،بأنه سينزل بمحطتنا على الساعة الثانية بعد الزوال ، فاستعد جمع غفير لمقابلته ، من اعضاء جمعية المدرسة ، ورجال الاصلاح وفى الطليعة المعلمون .

وما دقت الساعة الثانية حتى وقف القطار السريع يحمل الينا شخصية بارزة من رجال العلـــم الذين قاوموا الجهل والاستعباد ، والبدع والضلال مدى عشرين عاما – منذ تأسيس جمعية العلماء – مع المرحوم الأستاذ عبد الحميد بن باديس ومع خلفائه من بعده .

فالشيخ خير الدين رجل مضح بنفسه وبنفيسه ، وما من مشروع خيري للصالح العام الا ويؤيده ويمده وينصره .

وما أطل من باب القاطرة ونزل حتى كان محفوفا بأولى الفضل والعمل الصالح والرغبة فى العلم ومحبة العلماء العاملين ، ترى على ملامحهم علائم البشارة والسرور ، والابتهاج والحبور ، تدلك يقينا على أن أفئدة كل أولئك ملأى صدقا واخلاصا ويقظة وشعورا ، وتأييدا لجمعيتنا الفتية ، فتصافح الجميع .

ثم خرجنا من المحطة فامتطى الأستاذ سيارة أعدت لنقله الى منزل الشيخ جلول بوناب رئيس الشعبة بهذه البلدة .

وهناك تناول طعام الغذاء ، وبعد ساعة توجه الى المدرسة فطاف باقسامها ومنها الى مركز سكنى المعلمين فاستراح قليلا ، وعلى الساعة السادسة مساء اجتمع بأعضاء

الجمعية خصيصا ، وتعين وقت إلقاء درس للعموم بعد صلاة العشاء ، فبثت الزرابى والحصر داخل المدرسة ، ووضعت منصة ذات ثلاثة مقاعد .

حضر موعد الدرس فدخل الاستاذ وتوسط وجلس عن يمينه مدير المدرسة ، وعن يساره رئيس الشعبة ، وبعد التعريف به وهو أشهر من أن يعرف وتقديمه احتراما ، شرع فى إلقاء الدرس .

وان قلمى لعاجز أن يصور مدلولاته ومعانيه ، فتكلم بلهجة صادقة واستنباط وروية ، وانى أشهد الله أنه قد جمع فأوعى فاستفتح بالحمد لله ، والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم شأن علماء الاسلام الفطاحل ، ثم اصطفى أن تكون (النصيحة) هي الموضوع ، وطرق الحديث الشريف الذى عدها من الدين بل هي الدين ، وعظم أمرها ، فوضح وأبان أن النصح واجب لكافة الناس طبعا ، وأول النصح نصح الانسان نفســه فالذى يقصر مع نفسه ولا ينصحها يعد غاشالها ، ومن غشها قلما ينصح غيره وقد يغش الناس أجمعين .

ثم تعرض لموقف جمعية العلماء ونصحها للأمة الجزائرية فى دائرة الدين والعروبة ، وذكر ماكانت عليه سمعة الامة قبل تأسيسها وما هي عليه الآن ، وهنا ضرب لنا مثلا وأمثلة ، منها أنه قال «سئلت يوما وأنا أزاول التعليم بجامع الزيتونة بتونس الخضراء من طرف أستاذ كبير يسمى الشيخ الدرعى رحمه الله فقال لي :

« هل لا زلتم تقرؤون العربية فى الجزائر ؟ فقلت نعم يا أستاذ وها أنا ذا أمامكم فحمد الله وأثنى عليه» حيث كان يظن أن الجزائر قد ماتت لغتها وعروبتها وهيهات ، ثم بين شئونا اجتماعية ولعن كثيرا الأشياء التى كانت ولا تزال أخطر وباء لفساد المجتمع كالإنتخابات التى لا نجنى من ورائها إلا العار وتشتيت الأفكار ، و نشاط الطرقية الخائنة . . .

وان أمتنا لا تفتأ تغتر ، ولا تفرق كثيرا بين الضار والنافع وبالأخص فى المهمات ، ولا تضع الأشياء مواضعها ، والمواقف حقها ، وختم كلامه بنصائح شتى كلها حكم ومواعظ ، وكان للجميع الناصح الأمين

فرحات العابد

اليوم المشهـــود بسيدى بلعباس

كان يوم الاحد 16 مارس 1952 يوما مشهودا فى تاريخ الاصلاح بمدينة سيدى بلعباس العظيمة ، تجلت فيه روح المودة والاخاء والتضامن بين ابناء الأمة وتمثلت فيه جميع منظمات جمعية العلماء المسلمين بالعمالة الوهرانية ، فحضر مديرو المدارس ومعلموها وأعضاء الشّعب والجمعيات المحلية ، كما هرع رجال الاصلاح وشخصياته البارزة من أطراف العمالة للمشاركة فى هذا العيد العلمي الاصلاحي ، واصبحت المدينة تشاهد رجالا جددا تعج بهم شوارعها الواسعة وتكتظن مقاهيها ونواديها الجميلة ، يعلو وجوههم البشر والسرور ، ولا تفارق محياهم الابتسامات العذاب .

وما دنت العاشرة حتى امتلأت ساحة المدرسة والبطحاء الفسيحة القريبة منها ، والشوارع التى بينهما بالضيوف الاعزاء وابناء البلد الكرام ، ينتظرون مقدم مندوبى جمعية العلماء الاجلاء ، وتوقفت حركات المرور فى هذه الناحية من المدينة ، ولم يكن فى وسع السيارات والعربات خرق هذا البحر البشري الطامى ، وبينما الناس فى لهفة الانتظار اذ قدمت سيارة جريئة تشق الجموع الغفيرة ، وتعلن بنفيرها ان خلّوا سبيل المرور ، فلم يغنها ذلك فتيلا ، واضطرت للوقوف ، واذا بالركب الميمون المنتظر يشاهد فيها ، فينشط رجال حرس الاصلاح المعينين لحفظ النظام بشاراتهم الخضراء على سواعدهم يطوقون السيارة ويمتدّون مع الطريق المؤدى الى المدرسة فتنحاز الجموع بكل هدوء ذات اليمين وذات الشمال ، ويفسحون السبيل لمن كانوا فى انتظار مجيئهم بفارغ صبر .

ويترجّل الركب الميمون ، ويسير فى جلال وخشوع نحو المدرسة يتوسطه فضيلة العالم المجاهد الأستاذ محمد خير الدين النائب الثانى لرئيس جمعية العلماء ، وعلى يمينه وشماله فضيلة الشيخين الكبيرين : سعيد الزموشي وسعيد صالحى ، يكتنفهم جمع من اخوانهم العلماء ، من مديرى المدارس ومعلميها ، ووعاظ جمعية العلماء المسلمين ومرشديها ، وكأن الجماهير فى صبيحة عيد يسبحون ويحمدون ويكبرون بأصواتهم الجهيرة ، سبحان الله والحمد لله ، ولا اله الا الله والله اكبر . فتكاد تبلغ عنان السماء .

وعند الوصول الى المدرسة وجدنا سربا من فتياتها المتعلمات ينشدن نشيد المرحوم الغلاييني :

الى العلم سيرى فتـــاة العـــرب - كظبـــي عـــدا
فبـالعلم يشرق نجـم العـــرب - كصبـــح بـــدا

الخ...

ثم تقدمت احداهن بباقة من الزهر المنمنم الفواح الى فضيلة ممثل جمعية العلماء الأستاذ محمد خير الدين ، وأهدتها له باسم تلاميذ المدرسة وتلميذاتها فى عبارات حلوة رشيقة فأخذ الباقة فضيلة الأستاذ وردّ على التحية بأحسن منها .

ثم يتقدم من باب المسجد ويفتحه باسم الله والاسلام والعربية فى جمل قصيرة ذات معان كثيرة ، لم يسعدنى الحظ باصطياد شيء منها ، وان نقلتها المصادح الى القاصى والدانى من الحاضريـــن .

ويدخل المسجد من خلفه العلماء ومندوبو شُعَب الجمعية وجمعيات المدارس وشخصيات الاصلاح البارزة فيأخذون أماكنهم من بيت الله ، بينما تدخل بقية الجماهير من باب المدرسة ويتراصّ الناس فى المسجد وسدّته الجديدة ، وفى فناء المدرسة وأقسامها وشرفاتها ، وفى قاعة المحاضرات التى تمت أخيرا ، ويبقى عامة أهل البلد خارج المسجد والمدرسة موثرين الضيوف على أنفسهم ، ويبدأ الاحتفال بتجويد آيات بينات من الذكر الحكيم ، قام بترتيلها الشيخ محمد أبو عبد الله التلمسانى ، فتدوى لها أرجاء المسجد والمدرسة والدور والطرقات المجاورة بفضل ناقلات الصوت ومكبّراته ، وبعد أن خشعت الأصوات للرحمن ، قام الشيخ محمد القباطى بالنيابة عن مدير المدرسة المتغيب لعلاج مرض مفاجئ خطير أصابه - وارتجل كلمات بليغة فى تحية الحاضرين والترحيب بهم باسم هيئة المدرسة ومعلميها وباسم امة مصلحى المدينة ، ثم قدّم فضيلة الأستاذ خير الدّين بما يناسب مقامه الرفيع من تقديم وتعظيم .

وعند الوصول الى المدرسة وجدنا سربا من فتياتها المتعلمات ينشدن نشيد المرحوم الغلاييني :

الى العلم سيرى فتـاة العـرب - كظبـي عـدا
فبـالعلم يشرق نجـم العـرب - كصبـح بـدا
الخ...

ثم تقدمت احداهن بباقة من الزهر المنمنم الفواح الى فضيلة ممثل جمعية العلماء الأستاذ محمد خير الدين ، وأهدتها له باسم تلاميذ المدرسة وتلميذاتها فى عبارات حلوة رشيقة فأخذ الباقة فضيلة الأستاذ وردّ على التحية بأحسن منها .

ثم يتقدم من باب المسجد ويفتحه باسم الله والاسلام والعربية فى جمل قصيرة ذات معان كثيرة ، لم يسعدنى الحظ باصطياد شيء منها ، وان نقلتها المصادح الى القاصى والدانى من الحاضريـن .

ويدخل المسجد من خلفه العلماء ومندوبو شُعَب الجمعية وجمعيات المدارس وشخصيات الاصلاح البارزة فيأخذون أماكنهم من بيت الله ، بينما تدخل بقية الجماهير من باب المدرسة ويتراصّ الناس فى المسجد وسدّته الجديدة ، وفى فناء المدرسة وأقسامها وشرفاتها ، وفى قاعة المحاضرات التى تمت أخيرا ، ويبقى عامة أهل البلد خارج المسجد والمدرسة موثرين الضيوف على أنفسهم ، ويبدأ الاحتفال بتجويد آيات بينات من الذكر الحكيم ، قام بترتيلها الشيخ محمد أبو عبد الله التلمسانى ، فتدوى لها أرجاء المسجد والمدرسة والدور والطرقات المجاورة بفضل ناقلات الصوت ومكبّراته ، وبعد أن خشعت الأصوات للرحمن ، قام الشيخ محمد القباطى بالنيابة عن مدير المدرسة المتغيب لعلاج مرض مفاجئ خطير أصابه - وارتجل كلمات بليغة فى تحية الحاضرين والترحيب بهم باسم هيئة المدرسة ومعلميها وباسم امة مصلحى المدينة ، ثم قدّم فضيلة الأستاذ خير الدّين بما يناسب مقامه الرفيع من تقديم وتعظيم .

وبدأ رئيس الاحتفال بتحية الحاضرين والسلام عليهم ، ثم قال : ان جميع الهيئات انما تنتظم اجتماعاتها بتنظيم مكتب مؤقت يشرف على أعمالها ، ولذلك أسندت لى رئاسة هذا الحفل الحافل ، وقد زدت معى عضوين بارزين من رجال جمعية العلماء فى العمالة ، فكانا لحسن الحظ (سعيدين) وهما الشيخان سعيد الصالحى وسعيد الزموشى ، فالسعادة الآن تكتنفنى من اليمين ومن الشمال ، فكان هذا التفاؤل نكتة لطيفة.

ثم حمد الله وأثنى عليه ، وصلى وسلم على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وحيا الأمة العباسية وشكرها أولا على تأسيسها لهذين المعقلين : المسجد والمدرسة اللذين احتفلت بافتتاحهما سنة 1946 م ، وشكرها ثانيا على ما ألحقت بهما اليوم من متممات ومكملات لابد منها لكل من المسجد والمدرسة ، فزادت للمسجد سدّة تكاد تعادل سعته لما ضاق بالمصلّين ، وزادت للمدرسة قاعة محاضرات تقام فيها الاحتفالات والمهرجانات المدرسية ، وعطف على الأمة الوهرانية المتعاونة على البر والتقوى، فشكرها على تنافسها فى الميادين الاصلاحية ، وخصوصا فى مثل هذه الأعياد والمواسم العلمية التى تقيمها لأدنى مناسبة ففاقت بها العمالتين الجزائرية والقسنطينية .

ثم عرج بالثناء العاطر على تسابق الأمة الجزائرية عموما فى تشييد معاقل العروبة والاسلام ، وقال : ان أمتنا معتمدة على نفسها فى اصلاح شؤونها ، معتدة بقيمتها كأمة لها مقوماتها وخصائصها الطبيعية ، وهي متطلعة فى جد وعمل الى مستقبلها الباسم السعيد ، ولكن لن يتم لها شيء مما تريد الا بالكفاح الدائم المستمر ضد عوامل الجهل والفقر والالحاد ، التى يبثها الاستعمار ويشجعها بجميع الوسائل المشروعة وغير المشروعة ، ورغم جميع العراقيل والمثبطات التى يضعها الاستعمار فى سبيل تفهم الأمة لدينها وتعلمها للغتها ليبعدها عنهما أو ينسيها فيهما . فقد استطاعت جمعية العلماء المسلمين بفضل جهادها المستميت أن تبرهن للعالم كله بأقوى الحجج وأصدق البراهين أن الأمة الجزائرية أمة عربية مسلمة بكل مافى لفظتي العروبة والاسلام من معنى كبير وصغيـــر .

وذكر الناس بموجز ما قامت به الجمعية فى هذا السبيل ، وختم هذه الالمامة بما قام به وفدها اخيرا بباريس ، وخصص لرئيسها الجليل فخر الجزائر والشمال الافريقى العلامة الامام محمد البشير الابراهيمى وقتا ذكر فيه اعماله ومساعيه فى قضايا : فصل الدين عن الدولة ، وتحرير العربية ، واستقلال القضاء الاسلامى ، وماتم على يده الشريفة من وحدة الأحزاب الجزائرية والشمال افريقية ، وربط الصلات بالأمم العربية والاسلامية الى غير ذلك من الأعمال الجبارة التى يعود نفعها على الأمة الجزائرية خاصة وشمال افريقيا عامة ، ثم اعتذر عن فضيلته لعدم حضوره هذا الاحتفال البهيج – وهو واضع الحجر الأساسي لهذه المدرسة ومسجدها – بخروجه الى أبعد حدود المعمورة لتبليغ صوت الجزائر العربية المسلمة الى الخارج ، بعد ان قام به خير قيام فى باريس ، ولا إخالكم تجهلون كفاءاته النادرة المثال ، فهو خير ممثل لنا وللمغرب العربى كلـــه .

ثم اعتذر عن عدم حضور نائبه فضيلة العالم السلفى الكبير الاستاذ الشيخ العربى التبسى الاحق بتمثيل الرئيس الجليل واستخلافه فى هذه المحافل الحافلة – بمرضه المضني الذى جرعه اتعابا كبيرة ، وجشمه مشاق كثيرة ، ولكنه وعلى الرغم من ذلك مرابط فى مركز الجمعية بالعاصمة ، ومعتكف على مواصلة الأعمال التى كان يقوم بها الرئيس الجليل ، ودرس القضايا الهامة التى يتوقف عليها مستقبل الجزائر .

وانتقل بعد ذلك الى ذكر سروره وابتهاجه هو باستخلافهما فى هذه الاجتماعات الكبرى بعبارات فى منتهى التواضع كما هو معهود فيـــه .

ثم أعلن باب فتح الاكتتاب وحث الناس على التنافس فيه ، وقال انما يخلد الانسان فى الدنيا بالعمل الصالح يقدمه لوجه الله والوطن فيثيبه الله عليه بالذكر الحسن فى الدنيا ، وبالجزاء الأوفى والأجر العظيم فى الآخرة .

وبدأ الاكتتاب بدفع خمسة آلاف فرنك باسم جمعية العلماء ، ثم تبارت شُعَبُ الجمعية وجمعيات المدارس فى التبرعات ، وتنافس الافراد والشخصيات ، فأربى المجموع على سدّ النفقات والحاجيات ، ثم أعلن الرئيس أن جميع الحاضرين ضيوف

على اخوانهم مصلحى بلعبّاس ، وتفرق الناس جماعات على دور الأفاضل الكرام ، حيث تناولوا مالذّ وطاب مما تفنن فى اعداده لهم اخوانهم العباسيون .

محمد الصالح رمضان

. البصائر العدد 186 السنة الخامســة

فى بنى مصاف

خطاب الشيخ محمد خير الدين

فى افتتــاح مسجــد بنى صاف

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والأصفياء والمهاجرين و على الأنصار ومن نصر هذا الديــن .

أيها الاخوان : ان الانسان فى هذه الحياة يحيا ثم يموت ، ثم لا يرجع الا بعد أن يقف بين يدي الله ، والأمم كذلك ، ولكن الأمة لا تقبر بل تموت موتا معنويا وحياتها ليست بالروح تدخل وتخرج ، انما تحيا بالحياة الحقة وما الحياة الحقة الا العزة والكرامة والقوة . وموت الأمم معنوي ، تفقد معه اتحادها ودينها وعزها وعلمها وأخوتها ثم تصير أشتاتا .

فبلا غيرة ولا حمية ، تداس حقوقها فلا تتحرك ، وبذلك تفقد حريتها وتندمج فى غيرها ، واذ ذاك لايقام لها وزن بين الأمم ، فلا تذكر ولا يشاد بتاريخها .

واذا وصلت الأمة الى هذا الدرك فهي الميتة لا حياة لها وهناك أصبحت لا تتحرك للهمز واللمز ولا للجرح (ما لجرح بميت ايلام) لكن الله لا يبقى الأمم ميتة بل يرحمهـا ،فتندفع طائفة منها ولو قليلة فتوقظ الغافلين وتنبه النائمين ، واذا وجدت هذه الطائفة فبشر الأمة بالحياة وما حياة الأمة الا فى شعورهـــا .

الحمد لله الذى هدانا وهدى الأمة بعد أن ابتلاها الله بنوع من الموت فضاع منها تراث الرسول وخلفته البدع والخرافات .

مضت على هذه الأمة القرون حتى ظن الناس أنها قد ماتت . فقد أعلنوا فى الصحف السيارة أن الأمة قد ماتت وظنوا أننا لا نتحرك لهذا الجرح .

ففى احتفال مرور المائة سنة على احتلال الجزائر قال أحد خطبائهم : «اننا لا نحتفل بدخول جيوشنا للجزائر بل بخروج الاسلام من الجزائر» . وبعد عام وقع تأسيس جمعية العلماء ، تأسست هذه الجمعية وكأنما أراد الله أن يجدد دينه فى هذا الوطن بهاته الجمعية ، فكانت فى نشأتها شبيهة بدعوة الرسول الذى أوذي فى ذلك السبيل ولكنه صبر وصابر وثابر فى نشر دعوته حتى بلغت دعوته كل بلد وكل قطر ، وببلوغها حقق الله لهذه الأمة ما تصبو اليه . فابتدأت هذه الجمعية ضعيفة من المال ولكن الله أعطاها القوة بجدها فى العمل وحقق لها النصر بالصبـــر .

أيها الاخوان ، انكم مجتمعون بمسجد وقريب منه مدرسة ، وكلها عمل من أعمال جمعية العلماء ، وان وجودكم الآن لدليل على أعمالها ، ففى أول تكوينها انتدبت الشيخ العباس بن الشيخ الحسين ، ولما شرع فى أعماله من نشر الدعوة الاسلامية كانت الجماعة المناصرة له لا تتجاوز الأربعة أشخاص وكانت هذه الجماعة معرضة للمقاطعة ، واذا بالتاريخ يتحول فتصبح السيادة للحق والكلمة العليا لجمعية العلماء . وأصبحت (بنى صاف) تبنى المعاقل والحصون

فحيا الله الاسلام وحيا الله الأمة المحمدية ،

أيها الاخوان لأعظكم بموعظة أكثر مما وعظ بها محمد أصحابـــه .

”قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى“ لاحياة لهذا الدين الا بالدعوة ولا حياة لكم الا اذا قمتم بالدعوة مجتمعين كما سنها الله وكما قام بها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . ليست الدعوة واجبة على العلماء وحدهم ، اذ الدعوة الى دين الله واجبة على كل مسلم : الدعوة الى النصيحة ، الى الاتحاد ، الدعوة الى التراحم والتعاطف .

ولا يكون هذا منكم الا اذا قمتم بالدعوة العامة فادعوا الى الله فى المتاجر والأسواق، وادعوا الى أخذ نصيبكم من الحياة الدنيا ، فالدنيا مطية الآخرة وطريق القوة ، ولا قوة بلا اتحاد ، ولا قوة بلا أخوة ، فكل واحد منكم عليه أن ينوب الرسول فى ابلاغ الدعوة . فاذا بلغتم الدعوة فأبشروا بالحياة . فلا قوة تحول بينكم وبين الحياة ولا مانع يمنعكم . والحمد لله الذى هدانا لهذا . فسيروا على بركة الله ، وحرام أن تقفوا وسط الطريق ، سيروا فى كل ميدان . حافظوا على اخوتكم ، فهذه قواعد ان نحن حافظنا عليها ضمنت لنا الحياة السعيدة واذا فرطنا أو تواكلنا فلا منجاة لنا ، وكل مفرط سيدفع الثمن غاليا ، وكل من باع حريته وكرامته فهو المسؤول .

والله يسدد خطانا حتى نصل غايتنا (تكبير) ، وانى باسمكم أحتج وأسجل احتجاجى أمامكم على احتقار ديننا ولغتنا ، أحتج على استيلاء الحكومة على مساجدنا واستبدادها بها .

وأحتج على احتقار لغة القرآن ولغة المدنية ، فقد أصبحت أجنبية فلا تكتب على مركز ولاتعتبر اعتبار اللغات المتمدنة . واننى اذ أحتج أرفع احتجاجى الى الله ، ولنا وطيد الأمل فى النصر لأن وعد الله حق وما قاله القرآن صدق ، ولينصرن الله من ينصره ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاتــــه .

البصائر عدد 283 السنة 7 **مشاهد**

معهد ابن باديس بقسنطينة

معهد الامام عبد الحميد بن باديس سنة 1947 م

بدأ ابن باديس يعلّم تلاميذه بالجامع الأخضر بعد عودته من المشرق الى الجزائر منذ عام 1913 م ، واستمرّ فى عمله هذا حتى وفاته عام : 1940 م ، وكان الشيخ العربي التبسى يعلّم تلاميذه فى مدينة تبسّة ، فألحقنا تلاميذ الشيخ ابن باديس بتلاميذ الشيخ العربى التبسى وظلّ يعلّمهم حتى ألقي القبض عليه بتهمة العمل لحساب ألمانيا

خلال الحرب العالمية الثانية ، فتفرّق تلاميذه بعد القبض عليه ، ولم يمض وقت طويل حتى ألقي القبض على عدد كبير من أعضاء جمعية العلماء المسلمين من بينهم الشيخ البشير الابراهيمي وكاتب هذه المذكرات محمد خير الدّين .

وبعد الافراج علينا ، وبعد أن وضعت الحرب أوزارها وساد الهدوء تماما بين المتحاربين ، عدنا الى مزاولة نشاطنا الاصلاحي وفكّرنا فى معاودة التعليم بمدرسة ابن باديس ، وهنا تبلورت فكرة انشاء معهد ابن باديس فى قسنطينة ، ولم يكن من الممكن أن نعود الى التعليم بالجامع الأخضر ، لأنه لم يكن لدينا رخصة للتعليم فيه كالتى كانت للامام ابن باديس ، فجمعنا التبرعات واشترينا دارا كبيرة كانت ملك أحد أفراد عائلة (ابن الفقون) ، وهي من الأسر العريقة المشهورة بالعلم فى قسنطينة ، وأثثنا هذه الدّار ، وجهّزناها بالطاولات والمقاعد والبسط ووضعنا البرامج وعيّنا المدرسين الأكفاء ، وتولّى ادارة المعهد الشيخ العربي التبسى تساعده لجنة من الأساتذة ، وبعد مضيّ أربع سنوات طلب الشيخ العربى التبسى الاستعفاء من مهمة ادارة المعهد لأسباب صحية ، فطلب منى الشيخ البشير الابراهيمى أن أنتقل من بسكرة وأقيم فى قسنطينة لأتولى منصب مدير المعهد بالنيابة ، وحاولت أن أهيئ الأسباب التى تعين الشيخ العربي التبسى على البقاء فى منصبه ويستمر فى ادارة المعهد ، لكننى لم أستطع فلم أجد بدا من الانتقال الى قسنطينة بأسرتى لأقيم بها وأتولّى منصبي بمعهد ابن باديس .

وقد تزايد عدد التلاميذ عاما بعد عام ، وأصبح لدينا عدد غير قليل يحصلون على الشهادة النهائية من هذا المعهد العلمى ، وهي تعادل «الشهادة الأهلية» بتونس. يحصّل عليها التلاميذ بعد دراستهم فى المعهد أربع سنوات ، وأذكر أنه فى سنة ضاق المكان بتلاميذ المعهد و فكّرنا فى البحث عن مكان آخر يدرس فيه التلاميذ الى جوار المبنى الذى يدرسون فيه ، ففكّرنا فى دخول الجامع الأخضر والجامع الكبير ، ودبّرنا أمورنا وأعددنا الأساتذة والتلاميذ ودخلنا المسجدين بدون اذن من الادارة اللاستعمارية متجاهلين قرار منع المساجد على جمعية العلماء .

وكان على رأس طلبة الجامع الأخضر الشيخ العباس ، وعلى رأس طلبة الجامع الكبير الشيخ خير الدين ، وبدأت ...

الدراسة فيهما وهنا قامت قيامة والى قسنطينة واستدعانى فذهبت اليه ووجدت عنده مفتى قسنطينة ، ومدير معهد الكتّانية (عبد العالى الأخضرى) ، وكان الوالى يهدف من لقائى معهما أن يردّنى عن التدريس فى الجامعين بحجّة أن هناك من ينافسنا فى طلب التدريس فى الجامع ، وبعد المناقشة قلت له : نحن على استعداد أن نتبادل مع اخواننا التدريس فى الجامع الأخضر والجامع الكبير ، وعلى استدداد أيضا أن نضع خطّة بالتعاون فيما بيننا ، ونحن مضطّرون لدخول المسجد لأن عدد تلاميذنا يضيق به المكان الحالى ، ونحن لم نخرج على القانون فى استغلال الجامع للدريس ، فان المسلمين أنشأوه لاقامة الصلاة والدروس ، فلم يجد جوابا وخرج معى (عبد العالى) وتوجّهنا الى معهد ابن باديس ، وعرضت عليه أن ننظّم أوقاتنا فى تبادل الدروس بالجامع، فشكرنى قائلا : لا أذهب عندكم ولا تحضرون عندى وانصرف .

وكان من بين خريجى المعهد تلاميذ نابهون لديهم الرغبة والاستعداد فى مواصلة تعليمهم ، فوثّقنا صلتنا بجامع الزّيتونة وكاتبنا الشيخ (محمد الطاهر بن عاشور) وهو المسؤول فى ذلك الوقت عن ادارة التعليم بالجامع الأعظم بتونس ، أن يفتح المجال لتلاميذنا خريجى معهد ابن باديس بقسنطينة لمتابعة دراستهم فى جامع

فساعدنا – رحمه الله – وقبل تلاميذنا فى الجامع.

وتوثيقا للشهادة التى كان يمنحها معهد ابن باديس لتلاميذه رأينا اشراك هيئة علمية من جامع الزيتونة تشرف على سير الامتحان النهائى لتلاميذ معهد ابن باديس وبذلك توافد عدد كبير من خريجى معهد ابن باديس وتابعوا دراستهم فى الزيتونة وحصلوا على شهادة (التحصل) .

ومن بين هؤلاء الطلبة نفر عادوا الى المشاركة بالتدريس فى مدارس الجمعية بالجزائر ، ونفر اتجه الى الجامعات فى البلاد العربية أو غيرها ، وبذلك أصبح معهد ابن باديس نواة حقيقية فى انتاج الطاقة العلمية العربية الاسلامية التى ساهمت وما تزال تساهم فى تحرير البلاد ونهضتها وتقدّمها .

وكان من بين شروط قبول التلاميذ فى السلك الدراسى بالمعهد مايلى :

- **بلاغ من ادارة المعهـــد :**

1) لا يقبل من التلاميذ الراغبين فى الالتحاق بالمعهد الا من يحسن القراءة والكتابة والعمليات الأربع وكان حافظا لستة أحزاب من القرآن الكريم على الأقل .

2) أن لا يتجاوز سن التلميذ 20 سنة ولا يقل عن 14 سنة .

3) أن يكون التلميذ قادرا على نفقته ولباسه وجميع شؤونه وأن يتعهد وليه بعموم لوازمه ومسؤولياته .

4) أن يكون هذا المطلب مصحوبا بصورتين للتلميذ وشهادة ميلاده .

5) أن يكون سالما من الأمراض المعديـــة بشهادة طبية.

- **مـلاحظـــة :**

التلميذ المتحصل على الشهدة الابتدائية من مدارس جمعية العلماء يقبل فى السنة الثانية بدون اختبـــار .

نائب مدير المعهد ، **محمد خير الدين**

اللائحة الداخلية لمعهـــد قسنطينـــة

ادارته - برنامجـه - شروط الالتحاق بـه

يسمى المعهد معهد عبد الحميد بن باديـــس .

تتألف الادارة العامة للمعهد من ثلاث هيئات متضامنة ، وكل واحدة مسئوولة فيما يخصها من الاعمال للمجلس الادارى لجمعية العلماء .

الاولى : الهيئة العلمية - والثانية : الهيئة المالية - والثالثة : هيئة المراقبة والضبط ويرأس المدير العام جميع الهيئات ، وللمجلس الاداري لجمعية العلماء الاشراف الاعلى على الجميع ، واليه المرجع فى الكليات وهو الذى يفصل فى الخلاف بين الهيئات أو بين افراد الهيئة الواحدة .

فالهيئة العلمية تتألف من المشائخ المدرسين ، ووظيفتها وضع البرنامج وتنفيذه ، واختيار الكتب ، وامتحان التلامذة ، وتوزيعهم على السنوات حسب الاهلية والاستحقاق .

والهيئة المالية تقوم بجمع المال وضبطه فى مصالح المعهد التى تقررها الهيئات الثلاثة مجتمعة ، واول ما تبدأ به لتحقيق غرضها اعادة فتح صندوق الطلبة باسم « صندوق التعليم » وتفتح له حسابا جاريا فى البريد تسهيلا على المتبرعين المحسنين .

وهيئة المراقبة والضبط تقوم بتسجيل اسماء التلاميذ ، ومراقبتهم خارج المعهد مراقبة دقيقة ، وملاحظة سلوكهم من استقامة واعوجاج ، ويوكل اليها النظر فى النظافة والصحة والعلاج والفصل بين التلامذة فيما يشجر بينهم من خلاف .

كل هيئة من الهيئتين الاخيرتين تتألف من رئيس وثلاثة أعضـــاء .

مدة الدراسة بالمعهد اربع سنوات تبتدئ بالسنة الاولى وينتقل التلميذ الى الثانية ثم الثالثة والرابعة بامتحان : وتنتهى السنوات الاربع بشهادة تساوى فى القوة مثلها فى جامع الزيتونة ، وتخول تلك الشهادة لحاملها الدخول فى القسم الثانوى من الجامع المذكـــور .

الدروس اليومية ستة : ثلاثة فى الصباح وثلاثة فى المساء وكل درس يستغرق ساعة الا عشر دقائق .

برنامج الدراسة وكتبها هو برنامج السنوات الابتدائية الاربع فى جامع الزيتونة ، فان خولف فى بعض الجزئيات فالى كمال وسداد ان شاء الله .

وسيحرص المعهد على تكميل البرنامج بدروس فى مبادئ الرياضيات والطبيعيات والجغرافيا والتاريخ وحفظ الصحة واصول الاشياء ، يقوم بها طائفة ممتازة من الأساتذة المختصين ويؤدى فيها التلاميذ الامتحانات السنويـــــة .

يقوم بفحص التلامذة واماكن الدراسة والسكنى جماعة من الاطباء مرة فى الاسبوع ، وتخصص لفحص التلامذة حجرة خاصة مجهزة بالضروريات اللازمة .

شـــروط قبول التلامـــذة

أولا : ان لا ينقص عمر التلميذ عن ستة عشر سنة .

ثانيا : ان لا يكون مصابا بمرض معد بشهادة طبيب المعهد .

ثالثا : ان يقدمه ابوه أو وليه - مادام قاصرا - بتعريف كتابي يتضمن علمه ورضاه ويتعهد فيه بلوازم التلميذ وضرورياته .

رابعا : ان يكون حافظا لجزء معتبر من القرآن كالربع ولا يقبل من يحفظ اقل منه، وحافظ القرآن كله يقدم فى القبول وفى جميع الامتيازات .

خامسا : القدرة على نفقات الاكل والسكنى بحسب حال التلميذ ، والمعهد لايلتزم بشيء من ذلك نظرًا لضيق موارده المالية ، ولا يعين فى هذه السنة إلا عددا محدودا من المعوزين اعانات متفاوتة ، وله الحق فى تقديرها ، واختيار مستحقيها ، وهو يوثر فى القبول والاعانة تلامذة مدارس الجمعية الذين انهوا برنامج السنة الخامسة ، وفازوا فى امتحانها بتفوق .

سادسا : كسوتان للشتاء على حسب حال الطالب ، وفراش وغطاء .

« قانون دار الطلبة الداخلى »

الفصل الأول = دار الطلبة =

المادة الاولى : الدار مؤسسة من مؤسسات جمعية العلماء وملك من املاكها ، كائنة بقسنطينة بنهج لا مارن رقم (7)

المادة الثانية : هذه الدار يسكنها تلاميذ معهد عبد الحميد بن باديس الذين ترشحهم ادارة المعهد حسب الاجراءات التى تعلنها وتقبلهم بمقتضاها .

المادة الثالثة : ادارة المعهد مسؤولة عن كل ما يتعلق بهذه الدار من بناء واصلاح ، وتأثيث وتنظيم ، وعليها أن توفر للتلاميذ كل ما يتطلب وجودهم فيها من أكل وشرب ونوم .

الفصل الثانى = النظام العام =

المادة الرابعة : يشرف على دار الطلبة موظف تعينه الادارة ، ويكون نائبا عن مدير المعهد بها ويسمى الناظر العام ، وهو مسؤول امام الادارة ويعمل باتفاق معها .

المادة الخامسة : يجب أن يكون الناظر من الشخصيات التى تتوفر فيها الشروط الواجب توفرها فى مشائخ المعهد ليستطيع ضبط التلاميذ ويستحق احترامهم .

المادة السادسة : الناظر العام لدار الطلبة مسؤول لدى ادارة المعهد على تنظيم الطلبة فى سكناهم ، من راحتهم ونومهم وقيامهم ودخولهم وخروجهم ، من مطالعتهم وأكلهم وشرابهم .

المادة السابعة : وهو مسؤول أمام الادارة عن سلامة الدار والمحافظة على اثاثها ونظافتها بمطبخها وجميع حجراتها وممراتها ودور مياهها وحمامها وكل ما يتصل بها داخلا وخارجا .

تنبيهـــات وتوضيحـــات

1 - طلبات الالتحاق تقدم من الآن الى لجنة المراقبة بعنوانها المؤقت وهو بالفرنسية : رقم 17 شارع عبد الحميد بن باديس ، ويكتب على ظهر الغلاف بالعربية : لجنة المراقبة لمعهد عبد الحميد بن باديس ، وكذلك المخابرات والاسترشادات كلها بهذا العنوان .

2 - على الطالب ان يوضح عنوانه غاية التوضيح ليضمن رجوع الجواب إليه .

3 - للمعهد لائحة داخلية أخرى مفصلة لواجبات المدرسين والتلامذة مبينة لحدودهم ، محددة للصلات بينهم .

4 - ينشر المعهد كل شهرين - على الاكثر - نشرة صغيرة ، تشرح اعمال المعهد وسير التعليم فيه ، وتسجل حركته بانصاف ، وتسمى كتبه ودروسه وتلاميذه ، وتعلن مداخيله ونفقاته حتى تكون الامة على بصيرة من ذلك كله .

وستحلى النشرة بقطع قصيرة من انشاء التلامذة انفسهم فى مواضيع يرشدهم إليها معلموهم تدريبا على التفكير والكتابة .

5 - هذه السنة مرحلة اولى والمرحلة الاولى - دائما شاقة ويخفف من مشقتها تنظيم العمل وتوسيع الامل ، وهي سنة الابتداء - والابتداء لايخلو من نقص وخلل - والعذر قائم ، والعمل على التكميل متواصل .

6 - هذا واجب جمعية العلماء ، ادته بحسب ماوسعه جهدها ، وستؤديه كاملا بتعديد الفروع وتكثير الطلاب وترقية التعليم ، وهذه بعض أعمالها فى خدمة العلم والدين والعربية ، وبقي واجب الامة وهو بذل المال لصندوق التعليم وقد عودتنا ان تجود باخلاص وتبذل عن بصيرة ، وعودناها ان نأخذ بحساب ونعطي بحساب ، وما نحن وهي إلا شركاء فى واجب محتم للدين وهو دين الجميع وحق مؤكد للعلم والعربية وهما فخر الجميع - علينا العلم والتعليم والارشاد والتنظيم ، وعليها الامداد بالمال ، وبذلك يؤدى كل واحد منا قسطه من هذا الواجب ويلتقى الجميع - ان شاء الله فى ماعند الله من اجر ، وفيما عند الناس من محمدة وذكر ، وفيما يسجله التاريخ من مجد وفخر .

7 – اذا تم هذا التعاون على مانريد ونرجو فسيقدم المعهد لجامع الزيتونة فى أول كل سنة عددا ممتازا من ابناء الجزائر تفخر بهم الزيتونة قبل الجزائر .

8 – المدرسون اكفاء بارعون ، والادارة رشيدة ، والدروس حية مفيدة ، والمراقبة على الاخلاق – وهي راس المال – شديدة : والخطوات – إن شاء الله –

المادة الثامنة : يعين ، باتفاق بين الناظر العام وادارة المعهد ، قيمون وموظفون للقيام بالأعمال اللازمة وتنفيذ التعليمات الصادرة من الادارة أو من الناظر العام ، ويكونون كلهم تحت ادارة الناظر العام ، وهو الذى يحدد لهم عملهم باستشارة الادارة .

المادة التاسعة : على الناظر العام أن يحضر بنفسه فى ساعة مبكرة من الصباح تحددها الادارة ويتولى ايقاظ التلاميذ ومراقبتهم اثناء قيامهم واداء صلاتهم وتحضير دروسهم وتلاوتهم للقرآن وتنظيمهم اثناء انصرافهم للدراسة واعلامهم بالوقت .

المادة العاشرة : وعليه أن يحضر بنفسه ، أو من ينيبه - مساء كل يوم الى ساعة تحددها الادارة ، وعلى نائبه ان يشرف بعده على نوم التلاميذ وملازمة كل واحد منهم لمكان مبيته ، المعين له ، وعلى اطفاء الانوار بعد انذار سابق على النوم بعشرة دقائق

ألمادة الحادية عشر : على الناظر أن ينظر شكاوى التلاميذ وكل مايحدث بينهم - داخل الدار - من شجار ومشاغبات أو شتم وسباب ، او اعتداء بالضرب أو اشهار للسلاح ، يبت فى كل مايوكل إليه ، ويرفع تقارير الى الادارة أو الكتابة أو لجنة التأديب بما يخرج عن اختصاصه ويرجع اليها .

المادة الثانية عشر : يعين الناظر العام عرفاء من بين الطلبة للقيام بمهام يحددها لهم ، يعينونه على المحافظة على النظام وضبط المخالفات التى تحدث بين التلاميذ ويحجر على هؤلاء العرفاء أن يتجاوزوا ماحدد لهم .

المادة الثالثة عشر : كل شكوى او تقرير من العريف او التلميذ أو الناظر يجب أن يكون مكتوبا ويلغى كل تقرير او شكوى شفاهية .

المادة الرابعة عشر : على الناظر ان يعين اوقاتا محددة كل يوم لاستلام الشكاوى من التلاميذ والتقارير من العرفاء ، ثم يدرس كل ذلك اثناء انصرافهم للدراسة ويتخذ فى شأنها قرارات بالبت فيها هو من اختصاصه او بالاحالة على الادارة او لجنة التأديب او الكتابة العامة فيما هو من اختصاصاتها .

موفقة رشيدة ، والعزائم على تعليم أبناء الأمة مشدودة ، والنيات ببلوغ الآمال معقودة،والله المستعان .

محمد البشير الابراهيمى

البصائر العدد 8 من السلسلة الثانية

المعهد يبدأ أعماله الدراسية

جرت عادة مسيرى المعهد ، على اقامة حفل بسيط فى مظهره ، عميق فى مخبره ، إشعارا للأمة بعظيم المهمة وثقل الجهود .

وقد صادفت الظروف أن حضرت حفلة هذه المرة ، فأحببت نقلها للقراء ، من أنصار ومويدين للعلم .

كان الحفل فى الجامع الأعظم بقسنطينة ، جلس التلاميذ فيه على طريقة جمعت بين الطرافة والابتكار ، ثم جاء الشيوخ ونائب المدير الشيخ محمد خير الدين ، وافتتح الحفل بترتيل قول الله : (ان فى خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار لآيات) ثم وقف وألقى كلمة جاء فيها :

إن الشعوب كلها تفتتح مدارسها ومعاهدها فى هذه الأيام ، لتقدم للأمة والناشئة ، من الجهود مايهيئ السبيل وينير الطريق ، ويبنى المستقبل .

لقد كان الشعب الجزائري ، لايشعر بافتتاح الدراسات الاسلامية وكأنه فى غيبوبة مستمرة ، الا ان الله لطف بهذا الشعب فهداه سواء السبيل ، واخذ يسير فى طريق العلم هذا الطريق الذى سلكته شعوب الارض الحية ، فبلغت منها مرادها. وبفضل هاته اليقظة اصبحنا نقتبل العام الدراسى كغيرنا ، ونبذل من الجهد مايزيد عن جهود الشعوب المماثلة لنا ، ذلك ان الغير يبذل جهده فى فصول خاصة ، أما نحن فنبذلها شتاء وصيفا ، ونعمل فى سبيل بلوغ الهدف الممكن ، أو مايزيد عن الممكن .

وسنبذل من الجهود بحول الله واعانة الأمة الكريمة ما يمكننا من زيادة التسهيلات للطلبة ، مثل ما سهلنا لهم فى هذا العام السّكنى والمطعم .

أيها الأبناء ، هذا وقت الدرس والجد فيه ، فمن كان يريد اللهو واللعب وعدم الاستقامة فعليه أن يعود لبلده ، ولاحق له فى البقاء بين صفوفنا . ومن يريد العلم للعلم ولخدمة بلاده بجد واجتهاد فليقبل على دروسه وله منا كل معاونة بحول الله .

أوصيكم بوصايا يجب المحافظة عليها ، لأنها دستور الطالب المستقيم ، ومشكاة هدايته .

أوصيكم قبل كل شيء بالمحافظة على الصلوات وأحذركم من تركها ، فتاركها يعاقب فى الشّرع الاسلامي ، أما نحن فنملك حق طرده من حضيرة المعهد ولا نتسامح فى هذا الأمـر أبدا .

وليعلم كل تلميذ أن من مدّ يده الى متاع زميله وماله ، ومن ضبط متلبسا بجريمة السرقة فجزاؤه الطرد الباتّ . وليكن كل تلميذ حارسا لممتلكات زميله .

أوصيكم بالمحافظة على الوقت وعدم اضاعته ، وعلى التلميذ الراسب فى آخر السنة أن يلوم نفسه ، على عدم الجد فى الدرس والتحصيل ، وأتمنى أن لا يجرب أي أحد هـذه التجربة .

وأحذركم من الجلوس فى المقاهى والخروج فى الليل ، ومن ثبت عنه عدم الامتثال وقام الدليل على سوء سيرته ، فانه يطرد .

وسنحاول أن يكون مطعم دار الطلبة منتدى تتسامرون فيه ، أوقات الفراغ وتطالعون دروسكم أو أي عمل يعود عليكم بالفائدة ، وتحقّقوا أن المطعم لم يجعل للتجارة ، وانما شيد للمحافظة على أموال آبائكم وعلى صحّة أبدانكم ، وحسن غذائكم ، فقد كنتم تأكلون فى المطاعم أكلا غير مستوف للشروط الصحية ، وعلى كل تلميذ أن يقرأ المعلقات الخاصة بالنظم الداخلية ونظام الدروس ، ورعاية لكم قد كونا مجلسا طبيا يقوم بالسهر على صحتكم يساندنا فيه أطباء البلد ، مشكوريـــن .

أيها التلامذة ان الادارة فى المعهد ودار الطلبة مفتوحة ، فمن كانت له شكاية أو مظلمة ، فالادارة مستعدّة لسماع دعواه ، وانصافه ان ظلم ، وتحقيق رغباته المعقولة .

وختم كلمته بالدعاء للتلامذة والعاملين على تثقيفهم ، ثم خرج التلاميذ من المسجد وانفرط عقد الحاضرين ، وكلهم تفاؤل وأمل فى نجاح هذا العام الدراسي الذى ابتدأ قويّا وسينتهى قويا بحـــول الله .

(أحد الحاضريـــــن)

- البصائر - العدد 291 - السنة السابعة .

ارتباط معهـــد ابن باديس بجامع الزيتونـــة

تحقيق للوحـــدة المنشـــودة

على صوت دوى مدافع الاحتفال القرنى باحتلال الجزائر استيقظت الامة العربية الاسلامية الجزائرية من سباتها العميق ، ونفضت عنها غبار الظلم والاستعباد ، والجهل والاستبداد ، لكنها وقفت فى مفترق الطرق ، ولم تهتد الى أقوم طريق الى أن بعث الله لها جمعية العلماء لتجدد لها من أمر دينها ما نسجت عليه عناكب الاستعمـــار .

ولتثبت ما حاول محوه من الآثار ، فكان مما قامت به جمعية العلماء الدعوة الى التعليم العربي الحر ، المقرون بحسن التوجيه العلمى لا بالاقوال الجوفاء الفارغة التى تتبخر فى أجواء الدعايات الحزبية ، فارتكزت فكرة التعليم العربي الحر فى الرأي العام الجزائري ، وأصبحت عقيدة لا تقاوم حتى ألجأت من لا يؤمنون بها ولا يمثلونها ولا شية فيهم من شياتها إلا التغنى بها ، والحكومة نفسها التى مهمتها من التعليم العربي اعداد موظفين ليس غير ، أحدثت مراكز كثيرة لتضار بها - فى نظرها - حركة التعليم الحر ، لكنها ما زادت حركة التعليم الحر الا انتشارا وازدهارا وجمعية العلماء تنظر للحركات التعليمية التى يراد بها صرف الأمة عن التعليم الحر بعين ملؤها الغبطة وتقول لها مبتهجة ، أمطرى حيث شئت فسيأتينى خراجك ، فاستعملت الحكومة

سلاحا آخر وهو مضايقة المعلمين والجمعيات المشرفة على التعليم بضروب من العسف والارهاق فما زادهم ذلك الا ايمانا بمبدئهم وثباتا عليه ، - ويثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ، وهكذا دواليك لا تنشأ حركة يراد من وراءها مزاحمة جمعية العلماء والقضاء عليها ، الا وكانت حركة جمعية العلماء هي الراجحة الرابحة ، وهي التى كتب الله لها البقاء والخلود لان مبناها على الاسلام الصحيح .

والأمة الجزائرية عربية مسلمة وان شوه الجهل وأخوه الفقر - توأما الاستعمار - إسلامها وعربيتها ، فهي تحن إلى أصلها والشيء يرجع الى اصله بادنى سبب ، لذلك عندما دعتها جمعية العلماء الى تأسيس النوادى والمدارس لبثّ دعوتها لا تلوى على شيء رغم عراقيل الاستعمار وأذنابه وارجافات من يرتدون برداء الملية ، وهم يحاولون هدم منار مجدها بأيديهم ، وما هم ببالغيه ، فهو منهم مناط الثريا فى هذه الأعاصير والعواصف .

ظهر معهد عبد الحميد بن باديس كالمنار اللاحب للعروبة والاسلام بالجزائر ، وقد سبقته عشرات المكاتب القرآنية والمدارس الحرة المنبثة فى غالب مدن القطر وقراه ، وهي إرهاصات له ، وهي على اختلاف بين وحداتها ، حجر أساس لبناء الثقافة العربية الخالصة من الشوائب ، المأمونة الجوانب ، فالواجب علينا إذن - ونحن فى طريق تكوين ثقافة عربية بهذا القطر الذى استطاع الاستعمار ان يسلبه كل شيء - إلا عروبته واسلامه - ان نعتنى بالتعليم الابتدائى عناية خاصة لانه أصل بالوضع تنبى عليه الثقافـــة المنشـــودة .

وما معهد عبد الحميد ابن بديس الاكلي ، اجزاء مقوماته تلك المكاتب والمدارس الابتدائية ، وما العناية بها الا عناية به وتسهيل لمهمته التى هي اخراج نشء متحد فى الثقافة والتفكير .

وما ارتباطه بجامع الزيتونة - كعبة العلم بالمغرب العربى - من يوم افتتاحه الا خطوة أولى لتحقيق وحدة العروبة بالعلم والعمل ، لا بالقول والكسل ، وسيرتبط بمعاهد الشرق العربي فتتم الوحدة وتتجلى فى أجلى مظاهرها ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

محمد خير الدين

البصائر عدد 44 السنة 2

الناجحون فى الاهلية

هذه صورة لقائمة الناجحين بالمعهد سنة 1954 م .

أسماء من قبلوا نهائيا فى امتحان شهادة الأهلية بمعهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة فى 3 ذى القعدة وفى 3 جويلية 1954 م .

الرتبة الأولى بملاحظة (أحسن)

1)	ابن علّو الأزرق	(جائزة)	من غليزان (وهران)
2)	فارح محمد	(جائزة)	الميلية (قسنطينة)

الرتبة الثانية بملاحظة (حسن)

3)	قطار السعيد	(جائزة)	فج مزالة (قسنطينة)
4)	العايب عبد الرحمن	(جائزة)	عزابة (قسنطينة)
5)	نور عبد القادر	(جائزة)	مسيلة (قسنطينة)
6)	آدمى محمد	(جائزة)	خنشلة (قسنطينة)
7)	زرمان رمضان	(جائزة)	الخروب (قسنطينة)
8)	ترارى الثانى مصطفى	(جائزة)	الحنايا (وهران)
9)	مختارى عمر	(جائزة)	بيزو (قسنطينة)
10)	يعقوبى محمود	(جائزة)	الأغواط (الجزائر)
11)	الونيس رابح	(جائزة)	ذراع الميزان (الجزائر)
12)	ابن الحاطم رابح	(جائزة)	عين مليلة (قسنطينة)
13)	قسوم عبد الرزاق	(جائزة)	المغير (قسنطينة)

الرتبة الثانية بملاحظة (حسن) (تابع)

14) أبو السنان الزيتونى	(جائزة)	الميلية (قسنطينة)
15) رجدال عبد القادر	(جائزة)	تازمالت (قسنطينة)
16) مهرى محمد	(جائزة)	مشونش (قسنطينة)
17) سي الحسن العربى	(جائزة)	ميشلى (الجزائر)

الرتبة الثانية (بدون ملاحظة)

18) مولاتى أحمد	كوينين (قسنطينة)
19) ابن قاسى عبد القادر	ميشلى (الجزائر)
20) سي فضيل أحمد	ميشلى (الجزائر)
21) كام محمد	سيدى بلعباس (وهران)
22) خنفر صالح	عين البيضاء (قسنطينة)
23) ابن رابح مسعود	الميلية (قسنطينة)
24) قريشى خليفة	عين عبيد (قسنطينة)
25) حمانى عبد الله بن الطاهر	الميلية (قسنطينة)
26) الأعور بن عمار	ميلة (قسنطينة)
27) ابن طالب بشير	برج الغدير (قسنطينة)
28) خليفة محمد الأزهر	تازولت (قسنطينة)
29) اغواطى محمود	أوراس (قسنطينة)
30) ابن عابد الربيع بن الميهوب	تاملوكة (قسنطينة)
31) حميدة صالح بن محمد	الشريعة (قسنطينة)

نائب المدير : **محمد خير الدين**

البصائر العدد 281 السنة السابعة

خطاب فى الاحتفال بالناجحين فى شهادة الأهلية

فى الخطاب التالى الذى ألقيته بمناسبة الاحتفال بالناجحين فى الشهادة الأهلية بالمعهد سنة : 1954 م مايلقى أضواء كثيرة على هذه المؤسسة التعليمية ويرسم صورة حية للتعرف عليها وهذا نص الخطاب :

الحمد لله رب العالمين ، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، نحمده ونستعينه ونتوكل عليه ، اذ لاحول ولا قوة إلا به ، ونستغفره فإنه الغفور الرحيم ، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا إنه خير معاذ ، ثم نصلى ونسلم على سيدنا ومولانا محمد نبي الرحمة ، ومنقذ الأمة ، والكاشف بهديه كل غمة ، فجزاه الله عنا خيرا ، وأعطاه الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة ، ثم الرضوان على أصحابه الأخيار ، السابقين الأولين والآخرين من المهاجرين والأنصار ، وعلى التابعين وأتباعهم الأبرار ، السالكين طريقهم طريق الحق ومنهجهم منهج الصدق ، لاتأخذهم فى الله لومة لائم ، لاتلهيهم رغبة ولا تلين قناتهم رهبة ، صلاة طيبة عطرة ورضوانا من الله دائمين الى يوم الدين .

أما بعد فإن العلم أشرف المطالب ، وأسنى المقاصد والرغائب ، فهو حياة الأمم وهو عزها ومجدها ، وهو سعادتها فى الدنيا والآخرة ، انه فى الدنيا طريق معرفة أسرار الكون ، به يهدى الله الإنسان الى سر ماخلق له ليسخره لفائدته ، وينتفع به فى حياته ، ومصداق ذلك قوله تعالى : (قال فمن ربكما ياموسى ؟ قال ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) ، وقد قيل فى تفسير الآية الكريمة انه سبحانه وتعالى أعطى كل شيء يوم خلقه كما هو ، وأودع فيه سره ثم هدى إليه من شاء وأراد ، إنما تكون الهداية بأسبابها ، ولمن سلك طريقها وتوسل الى غايتها (ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم) ، والأمة النهمة فى ميدان العلم التى لاتشبع من المعرفة ، ولا تكل من سلوك طرقها الوعرة هي الأمة التى تصل الى المجد ، الأمة العزيزة المنيعة الجانب ، الأمة القوية المتفوقة السائدة ، بينما الأمة الزاهدة فى العلم القنوعة ، بعكس ذلك ، وقد أرشدنا القرآن الكريم الى طلب المزيد من العلم بقوله تعالى يخاطب نبيه صلّى الله

عليه وسلّم : (وقل ربّ زدنى علما) ، كما حذرنا من الظن أن العلم والجهل سيان «قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون انما يتذكر أولوا الألباب» واذا كان العلم طريق سعادة الدنيا ، فانه طريق السعادة فى الآخرة ، طريق معرفة الله ، وعبادته الصحيحة الحقّة ، والخوف منه والخشية الخاشعة «انما يخشى الله من عباده العلماء» وطالب العلم فى أعظم طاعته فى رضى من ربه ورحمة منه «ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع» وهل هنا كم مجلس أشرف من مجلس يذكر الله أهله فيمن عنده . «وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده» .

فهل هنا كم أشرف من العلم فى أخلاق الفرد ؟ وهل هنا كم أنفع من العلم لأخلاق الأمة ؟ فاكرم به من خلة تضمن سعادة الدنيا وسعادة الآخرة ، عز الدنيا ومجدها وعز الآخرة ونعيمها . وهل هنا كم اتعس من فرد أمي ، وأحط من أمة جاهلة فى هذا العصر ،عصر النور والعلم ، عصر المعرفة والرقي ، وقد أصبح الفرد الجاهل والأمة الأمية لامكان لهما اليوم بين الأمم وأنتم تشاهدون أن لاحياة للأمة الجاهلة المنحطة الا حياة الذلة والعزلة حياة الهوان والاستعباد .

لقد فهم أسلافنا العظام هذه الحقائق فأقبلوا على العلم بجميع فنونه وتهافتوا على مناهله العذبة يكرعون منها فسادوا فى الدنيا وقادوا الأمم وفتحوا – مع البلدان – القلوب والعقول ورفعوا مشعل الحضارة والمدنية ، فأناروا الطريق أمام الانسانية وأدوا لها خدمات جلى يوم كان العالم فى ظلال من الجهل وظلام من العمى ، وبذلك بنوا لنا مجدا لانزال الى اليوم نعيش على ذكراه ، ولكن ليت شعرى ! ماذا تنفعنا الذكرى وحدها ؟ وما يجدى بنا الحديث عن أولئك الأمجاد وقد خلف من بعدهم خلف أضاعوا المعرفة ، وزهدوا فى الثقافة ، وتعلّلوا بشتى العلل لقتل العلم وقبر العلماء.

وتعاون على ذلك جهال وصلوا الى منصب الرئاسة فى العلم وهم منه خلاء وهو منهم براء ، وأمراء سفلة أنذال وصلوا الى منصة الحكم ، والكفاءة والعدل منهم بريئان

فبلغ بهم الأمر الى اضطهاد العلماء ومطاردة العلم ، وانحطوا الى تشريد بعضهم وتحريق كتبهم وتقتيلهم والافتاء بإلحادهم وكفرهم ، وبذلك انحطت المدارك العلمية كما انحطت الأخلاق وانعدمت المقاييس الصحيحة للفضائل والأشياء ، وبذلك هبطنا الى الحضيض وانحرفنا عن مناهج الدين القويم ، وقد زاد الطين بلة ان صحب هذا الانحطاط فى العلم والأخلاق تحريف فى الدين وزيغ فى العقائد ، ثم كانت خاتمة المصائب التدخل الأجنبيُّ الذى سيطر على مصائر الأمم الإسلامية ، واستبد بمقدراتها ، فأفسد عليها حياتها بجميع مناحيها : العلمية والاجتماعية والسياسية ، وقرر بالخصوص افساد الأخلاق واختلاس الدّين وقعدوا بكل صراط يوعدون ويصدون عن سبيل الله من آمن به ويبغونها عوجا .

وقد كانت أمتنا شعبة من الأمة الإسلامية يصيبها مدها وجزرها ترتفع بارتفاعها وتنحط بانحطاطها ، وقد ازدهرت فيها المدن العلمية مثل تلمسان ، بجاية ، المسيلة قسنطينة ، الجزائر ، كما نبغ فيها فطاحل أمجاد فلا يظنن أن أمتنا ذات جدب فى الميدان العلمي أو ذات تاريخ خلا من عظماء فى هذا الميدان ، وقد اشتركت الجزائر فى تكوين الإمام ابن خلدون فخر التفكير العربي على الإطلاق ، فإنه انتفع كثيرا ببقائه فى الجزائر ومعاشرة علمائها وفيها بدأ تأليف كتابه الخالد ووضع مقدمته العظيمة ، وهل يجهل أحد اليوم الونشريسي ومعياره ، والمقري ونفحه ، وابن رشيق المسيلي وعمدته ؟

ان الجائحة التى أصابت أمتنا كانت كافية أن تقضي على أعظم الأمم وأوفرها حظا من العلم والثقافة والأخلاق والقوة ، كيف وقد أصابتها وهي فى الحضيض الأوهد من كل ذلك غير أن رحمة الله أدركتها .

وقد هب نسيم هذه الريح شرقيا منعشا فأحيا ميت الآمال ، انها الطائفة التى نفرت الى تونس غالبا أو الى معاهد الشرق أحيانا – لتتفقه فى الدين وتتضلع فى العربية وتفتح أعينها على آفاق المعرفة الفسيحة وتصحب معها بذور النهضة الصحيحة والاصلاح الديني والدنيوي وتربط بينهما برباط متين .

وإننا لنكون ناكرين للجميل اذا لم ننوه بالزيتونة ورجالها وتونس وعلمائها على الجزائر ، ففى الجامعة الزيتونية تفقه رجالنا فى الدين وعلى جلة شيوخها الميامين تلقوا تعاليمهم ، واذا أنصف التاريخ فسيذكر أن النهضة فى المغرب العربي بجميع مناحيها : الاجتماعية والدينية والسياسية مدينة للزيتونة وان بذورها الاولى منها ، واذا ذكرنا تونس فمن الغبن أن ننسى فضل مصر ورجالها المصلحين وصحافتها الصادقة على تونس والجزائر والمغرب .

وقد كان فى الطليعة الأولى التى نفرت لطلب العلم ، ثم رجعت لتنذر قومها : الأستاذ الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله ورضي عنه ، فبعد أن أخذ بالزيتونة على فطاحل أمجاد مثل : محمد النخلى ، وعثمان بن الخوجة ، والصادق النيفر ، والطاهر بن عاشور ، رحل الى المشرق فالتقى بجلة رجاله أمثال : أبي الفضل الجيزاوي ، ومحمد بخيت المطيعي بمصر ، والشيخ حسين الهندي ، والشيخ حمدان الونيسي القسنطيني بالمدينة المنورة ، ثم رجع الى قسنطينة وانتصب للتدريس فيها ، ورغم المقاومات العنيفة التى كان ينظمها (بتحالف مقصود أو حاصل غير مقصود) الجمود والجحود وينسج خيوط كيدها الجهل والظلم الاستعماري والكيد الاداري ، فانه صبر وصابر ، وثبت وثابر، فما وهن لما أصابه فى سبيل الله وما ضعف وما استكان، وكانت عاقبته جزء الصابرين كما وعدهم رب العالمين .

وما إن انتهت الحرب العالمية الأولى حتى كانت معالم التغير الطارئ على العالم، والروح الجديدة تهب على الجزائر ، وعقبها رجع الى الجزائر أفواج من متخرجي الزيتونة تلاميذ الأستاذ ابن باديس السابقين أو زملائهم ، وأبرز أولئك أخى الأعز وزميلى أثناء الطلب الأستاذ مبارك الميلى - رحمه الله - وأكرم مثواه ، كما رجع من الشرق فضيلة الأستاذ الامام الرئيس الجليل محمد البشير الابراهيمى والداعية المصلح الشيخ الطيب العقبى ، ثم من بعدهم فضيلة الأستاذ العلامة الشيخ العربى التبسى، وبذلك انتعش القطر الجزائري بأفكار جديدة أخذت تسرى فى أمته فتجمع شتاته وتنظم أطرافه ليجد نفسه من بعد أمة كاملة المقومات متميزة الذاتية مسفهة لتلك الأحلام الفاسدة التى طالما داعبت أخيلة المستعمرين باقتطاع الجزائر من الجسم العربي واذا بالقائد ينشـــد :

شعــب الجــزائر مسلم والى العروبــة ينتســب

من قــال حــاد عـن اصله أو قال مـات فقـد كـذب

أو ورام إدماجــا لــه رام المحــال مــن الطلــب

فيردد انشاده بصوت قاصف ، ونبرات منسجمة ملايين أبناء الجزائر ، ولم يكن عبد الحميد وحده فى الميدان ، ولكن كان زملاؤه واخوانه يؤدون مثل مهمته الابراهيمي بسطيف ثم بتلمسان ، والعقبي ببسكرة ثم بالعاصمة ، والميلي بقسنطينة ثم بالأغواط ثم بميلة ، والتبسى بسيق ثم بتبسة ، وخير الدين ببسكرة ، ومن هؤلاء تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فجمعت خلاصة الأمة النقية ، ونخبتها الواعية ، وعاهدت الله أن تكون حامية الذمار ، ذمار الاسلام والعروبة فى الجزائر، وقد صدق رجالها ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا .

وانى لأذكر على لسانهم جميعا – الأحياء منهم والأموات – أننا لانذكر هذا تفاخرا وتكاثرا واعجابا ونستغفر الله من ذلك ، وانما نذكره تاريخا وتذكيرا وعبرة ، ونذكره تحديثا بنعمة الله وشكرا على أفضاله «وأما بنعمة ربك فحــدث» .

وقد صادفت الجمعية فى سبيلها صعابا تدك الرواسى ، وعقبات يحجم عن اقتحامها أصعب الناس مراسا وأشدهم جراءة ، ولولا فضل الله ، ولولا الايمان الشديد بالله ثم بالمبدأ العظيم ، لزلزلوا زلزالا شديدا ، وما كانت هذه الصعاب لتزيدهم إلا إدراكا للخطر الشديد الذى تستهدف له المقومات الثلاثة : الاسلام والعربية والجزائر ، فما يزيدهم ذلك الاصلابة فى الحق وثباتا عليه ، وان هذا لهو الذى بلغ بالجمعية اليوم أن تشرف على نحو 150 مدرسة بلغ كثير منها حد الروعة ، وضم بعضها أكثر من ألف تلميذ ، ثم توجت أعمالها بتأسيس معهد يتلق فيه أبناء الأمة التعليم الثانوي ، ووفاء للرئيس العظيم سمي المعهد «معهد عبد الحميد بن باديس» ، وقد جعل المعهد فرعا للجامعة الزيتونية من أول أيامه اعترافا بفضل الزيتونة واشعارا بأن تونس والجزائر

تربطهما أمتن الصلات وأوثق الروابط ، وتسهيلا على المتخرجين منه ليمكن لهم أن يتمموا دراستهم بالزيتونة دون أن يعترض طريقهم من الاجراءات ما كان يبهظ التلميذ الجزائري الذى سبق له أن تعلم بالجزائر .

وقد أم أبناء المعهد المتخرجون منه المدارس والجامعات العليا فى الشرق ، ويوجدون اليوم بالجامعة الزيتونية بتونس ، وبجامعة القاهرة ، ودار العلوم ، والأزهر بمصر ، وبكليتي دمشق وحلب بسوريا ، وبدار المعلمين وكلية الحقوق بالعراق، وبالكويت ، وكان أبناؤنا – والحمد لله – عنوان فخر أمتهم ومعهدهم معرفة وتحصيلا ، ولا ننكر أن بعضهم قد وجد عقبات فى طريق التحاقه ببعض المعاهد لنقص فى المعلومات ، لكن تلك المعلومات لم تدرس بالمعهد لأنها ليست فى برنامج الدراسة الزيتوني ، وقد نبهنا ذلك الى تجديد النظر فى منهج التعليم فأدخلنا تحسينات على المقرر ، ونقرر ما لا يدرس ، وقد اتصلنا أخيرا من فضيلة الأستاذ الرئيس محمد البشير الابراهيمى بمنهاج محكم يؤهل التلميذ للدخول الى المعاهد الشرقية السابقة : وهذا البرنامج لم يطبق بتمامه وان كنا قد شرعنا – حسب امكانياتنا – فى التطبيق .

ومن نعم الله علينا – ثم بفضل مساعى الأستاذ الرئيس – أن اعترفت المعاهد الشرقية اعترافا رسميا بالشهادات التى تعطيها جمعية العلماء ومؤسساتها لتلاميذنا، وجعلتها مساوية لمثيلاتها من المعاهد الرسمية التى تشرف عليها الحكومات الاسلامية : تونس ومصر وسوريا والعراق ، واننا لنرجو ملحين أن تعترف الجامعة الزيتونية رسميا بشهادة المعهد فتخفف عنا وقر مانجده من إجراءات كثيرة تطول وقد تتعقد ، ولابد أن يتساءل بعضكم : لم لانؤسس بوطننا معهدا يأوى تلاميذ المعهد الباديسى المتخرجين ، ويروي غلتهم ، ويقضى حاجتهم ، ومن الحق أن يوجه مثل هذا السؤال، والجواب ان هذا لم يغب عن أذهاننا ، ولا نبخس حقه من مجهوداتنا ، والأمر اليوم تحت الدرس ، وأصرح لكم ان هذا الأمر ليس من السهولة بالدرجة التى قد يبدو بها، اذ إنه يحتاج الى إنشاء ثلاث سنوات دراسية : خامسة وسادسة وسابعة ، وكل سنة تحتاج الى أقسام للدراسة وشيوخ للتعليم وحجرات للمبيت ومع ذلك فقد عودناكم أننا لا نبالى بالصعاب ، ولذا أعدكم أننا سنتمكن من بعض ذلك فى أمد ليس ببعيـــد .

وقد كانت السنة الدراسية : 1953-1954 م أوفر السنوات اقبالا ، اجتمع بالمعهد فيها من التلاميذ (841) تبع السنة الرابعة (82) والسنة الثالثة (202) والثانيــة (298) والأولى (259) شارك فى الامتحان الانتقالى (484) رسب (98) ونجح الباقون ، وتخلف عن المشاركة الى الدورة الثانية لأعذار مختلفة نحو (300) أغلبهــم من عمالتي الجزائر ووهران ، لانقطاع الدراسة فى رمضان وتعذر الرجوع لبعد الشقة وباهظ المصاريف .

أما الشهادة الأهلية فقد رشح لها (82) تلميذا شارك فى الدورة الأولى (73) نجح فى الكتابى (32) ونجح نهائيا (21) ، وقد نجح اثنان بملاحظة (أحسن) و(15) بملاحظة (حسن) و(13) بدون ملاحظـــة .

واننا لنهنئ أبناءنا الفائزين ، ونتمنى أن يكون نجاحهم بداية حياة علمية حافلة، ونتوجه الى أبنائنا الراسبين بالنصيحة والارشاد : ألا يدخل اليأس قلوبهم من عثرة الحظ بهم ، فرب نجاح باهر وليد هزيمة مرة ، وليست دورة أكتوبر عن المجدّ منهم ببعيدة .

ثم نتوجه بالشكر الجزيل الى ادارة الزيتونة والى الأستاذ الجليل العلامة علي النيفر على تلبيته طلبنا واجابته رغبتنا ، ثم الى أعضاء لجنة الامتحان فقد بذلوا مجهودات عظيمة وتعبوا تعبا شديدا من مواصلة العمل ليل نهار ، وكانوا مثال النزاهة والدقة والمثابرة بارك الله فيهم وأحســن جزاءهــم .

ثم الى اخوانى المدرسين معلمى المعهد على مابذلوه من جد وأهنئهم بأبنائهم الفائزين فهم ثمرة جهادهم .

ثم بالشكر الأعظم الى الأمة الجزائرية الكريمة التى عودتنا الاستجابة لداعى الخير والاقبال على مجالس العلم وتلبية نداء الدين والبذل فى سبيل ذلك بسخاء ونخوة .

وقبل الختام أوجه تحياتى وتحيات الأمة الجزائرية الى فضيلة الأستاذ الامام الرئيس الجليل محمد البشير الابراهيمى سائلا من المولى أن يمده بروح منه حتى يقضي كامل حقوق العروبة والاسلام والجزائر التى عليه ، ثم الى فضيلة الأستاذ الجليل العربى التبسى نائبه ومدير المعهد الذى أم الأماكن المقدسة لأداء فريضة الحج سائلا المولى أن يبلغه مأمله من حجه المبرور ويرجع سالما الى الوطن .

ثم الحمد والشكر لله على ما أولى وأنعم ولي التوفيق .

البصائر العدد 281 (محمد خير الدين)

السنة السابعة (نائب رئيس جمعية العلماء ونائب مدير المعهد .)

خطاب نائب مدير المعهد

فى حفلة ختم الدروس بالمعهد سنة 1955 م

الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيآت أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، وكيف يضل وقد شملته رعاية الله ، وأظلته رحمته ، ولحظته عنايته ، ورحمته قوته وسدد خطاه توفيقه ، انه - سبحانه - ولي التوفيق ، نعم المولى ونعم النصير .

من يضلل الله فلا هادي له ، كيف يهتدى وقد جعل الله صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السمـــاء .

فلا ولي لمن لم يكن الله له وليا ، ولا مولى لمن لم يكن الله له مولى ، ولانصير لمن لم يكن الله له نصيــرا .

اللهم اننا نسألك الاعانة والتوفيق ، ونستلهمك السداد والرشاد ، ونستمنحك الحماية والرعاية ، ونستنجزك العزة والنصر الذى وعدت (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) (وكان حقا علينا نصر المؤمنين).

اللهم لا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا انك القوي العزيز ، الجبار المتكبر سبحانك وتعاليت .

أما بعد فان خير الحديث كتاب الله ، وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وانه لينبوع الحكمة ، ومصدر كل رحمة ، أنزله الله على نبينا ليخرجنا به من الظلمات الى النور ، فمن قبل أحكامه فاز ورشد ، ومن ابتغى غير سبيله ضل وغوى .

وان خير الهدي هدي محمد ، نبي الرحمة وراعى الأمة ، حريص عليها بالمؤمنين رؤوف رحيم ، فاللهم صل عليه وعلى آله ، كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ، وبارك عليه وعلى آله ، كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيـــد .

أيهـــا الأخـــوان :

لقد أقمنا هذا الحفل بمناسبة ختم السنة الدراسية بمعهد عبد الحميد بن باديس ، واننا لنحمد الله على قضاء سنة من سني حياتنا فى خدمة العلم ، وتيسيره لطلابه ، وحضور مجالسه فان العلم أفضل المطالب ، وأسنى الرغائب ، به ترتقى الأمم الى أعلى الدرجات، وتصل الى أبعد الغايات ، وتفوز بالمجد والعز والسؤدد ، وتسعد فى الدنيا قبل الآخرة ، وبالجهل تنحط الى أسفل الدركات ، وتفقد كل مكانة فى صفوف الأحياء : حياة الكرامة والعزة ، وتستأهل حياة الهوان : حياة البؤس والشقاء والاستعبـــاد .

ولقد أرشدنا الله معشر الأمة الاسلامية – الى مابين العالم والجاهل من فروق اذ قال فى كتابه العزيز «هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ انما يتذكر أولوا الألباب» وقال جلت قدرته «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» ومن ثم أوجب الله على هذه الأمة طلب العلم ، ولو كلف الرحلة الطويلة ، والمشقة البالغة والنفقات الباهظة ، وجعل منه فرض الكفاية الذى اذا قام به بعضنا سقط عن الباقين ، وفرض العلم الذى لابد لكل مسلم أن يعرفه ، ولم يعذر الجاهل بجهله ،



بل أمره بتحصيله « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » كما فرض على العالم أن يبذل للسائل مماعلمه الله ، فان كتم علمه دخل فى عموم وعيد قوله تعالى : « ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » .

واذا كان طلب العلم على الأمة الاسلامية يشمل علوم الدين وعلوم الدنيا – لأن من كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا – فان من أوكد العلوم المطلوبة منا الفقه فى الدين (من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين) ، ولا شك أن الفقه فى الدين لا يتيسر الا بدراسة كتاب الله ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتمكن من كل العلوم اللسانية والعقلية والكونية التى أصبحت تفسر كثيرا من سنن الله فى خلقه وآفاق عوالمه (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) .

لقد فهم سلف هذه الأمة من دينهم هذه الحقيقة فأقبلوا على حياض العلم يعلون منها وينهلون ، فأخذوا الدين من كتاب الله وسنة رسول الله ، وتقبلوا تفاسير الصحابة والتابعين وفطاحل العلماء المجتهدين ، وتآويلهم الصحيحة ، ومذاهبهم السديدة ، وقد تأدب كل أولئك رضوان الله عليهم بأكمل الآداب ، فلم يحملوا الأمة الا على كتاب الله وسنة رسوله ، أما أقوالهم النظرية ومذاهبهم الاجتهادية ، فلم يلزموا بها أحدا ولا منعوا مخالفتها ، وقد قال امام الأئمة مالك بن أنس « كلكم راد ومردود عليه الا صاحب هذا القبر » يشير الى قبر رسول الله (ص) .

وأخذوا علوم الدنيا عمن سبقهم من أهلها فترجموا عن السريانبة والفارسية ، والهندية واليونانية ، واتخذوا من فلاسفة الهند وأثينا أساتذة لهم ، لأن المؤمن يلتقط الحكمة أنى وجدها ويطلب العلم ولو بالصيـــن .

ثم كانت دالتهم ، وتمكنت دولتهم فصار المسلمون – أثناء عصور الظلام – أساتذة أوروبا بل أساتذة العالم ، وشع نور العلم من قرطبة وطليطلة واشبيلية وفاس وتلمسان وبجاية والقيروان وتونس والقاهرة ودمشق وبغداد ، وتتلمذ الأوروبيون لابن رشد وابن زهر والباجى وابن الطفيل وابن الجزار والخوارزمى وابن سينا والغزالى وكثير غيرهم .

ثم خلف من بعد اولئك خلف زهدوا فى العلم وجمدوا على القشور وتركوا اللباب ، فدالت دولتهم العلمية ، وتبعتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وصارت الأمة الاسلامية عالة على أوروبا بل آل بها الأمر الى أن صارت أسيرة لها تابعة للمرزوؤ الضعيف لمتبوعه القوي اللئيـــم .

إن الأمة الجزائرية – كجزء من أجزاء الأمة الاسلامية – أصابها ما أصاب الجميع ، ففى أيام الرقي ازدهرت ديار العلم بوطننا فى تلمسان وبجاية وقسنطينة والجزائر ومازونة ولما آن أوان الانحطاط جرت عليها سنة الله .

ويوم أن نزلت بها الجائحة المبيدة : جائحة الاستعمار كانت مدارس بالعلم مزدهرة بكل أنحاء القطر – فى بداية نهضة – تخرج الأفواج من علماء الدين والعربية ، ولكن المكر الذى دبر لهذه الأمة كان من برامجه القضاء على كل مقوماتها تمهيدا لادماجها وابتلاع شخصيتها ، فأخذ يحارب – بكل فنون الحرب – كل المؤسسات العلمية بالهدم والاغلاق ، أوبسلب الأحباس والأمداد أو بالترغيب للراغب حتى يصده عن مهمته ، أو بالترهيب والابتلاء للثابت الصابر ، أوبنزع اختصاصات خريجيها وسد كل أبواب الحياة فى وجههم حتى كاد يبلغ مراده وينفذ جريمته ، ولولا أن الله قد أدرك برحمته هذه الأمة التى طالما قدمت خدمات جليلة للاسلام والمسلمين ، فكلأها بعنايته وأنقذها برحمته .

لقد كان ميلاد جمعية العلماء بشيرا بهذه النهضة العلمية المزدهرة ، وقد ولدت – بعد ارهاصات واستعداد عصيب – سنة 1931 م يوم ظن الأفاكون انهم قبروا شخصية هذه الأمـــة الى الأبد ، ولذا فانهم بعد ثلاث سنوات (1933) قرروا رسميا أن العربية لغة أجنبيـــة بالجزائر ، وأن المساجد محرمة على العلماء الأحرار ، بعد أن كان كل هذا منفذا بالفعل دون استناد الى قانون ، ومن يومئذ أصبح تعليم العربية فى عداد الجرائم ، يحاكم عليها قانونيا ويقضى القاضى بتجريم مقترفهـــا .

وكان رد الأمة – بواسطة جمعية العلماء – ماقاله الخليفة لمستفزه «الجواب ماترى لا ماتسمع». فأقبلت على تأسيس المدارس وتشييد المعاهد للعربية والدين ومبادئ العلوم،ولا أظن أنه كان بالجزائر يوم اصدار هذا القانون أكثر من خمس أو ست مدارس ، أما اليوم فانها تبلغ ماينيف على 160 مدرسة ، تاجها هذا المعهد العظيم .

لقد قررت جمعية العلماء تأسيس المعهد ليكون المدرسة الثانوية التى يكمل بها أبناء مدارسها معلوماتهم الأولية ، ويستعدوا لدخول المعاهد الراقية ، ومن أجل هذا وصلناه بأقرب المعاهد الينا ، وأجلها فى قلوبنا ، وأكبرها تأثيرا على نهضتنا الحديثة وتاريخنا الثقافى : معهد الجامعة الزيتونية فوجدنا من ادارتها ، ومن شيوخها استجابة وحسن استعداد ، وقد تم هذا أيام كان يشرف على هذه الجامعة العظمى فضيلة الأستاذ الحبر العلامة محمد الطاهر بن عاشور ، أمد الله فى أنفاسه ، ومتع بحياته واننا لنشهد أننا – منذ تم الوصل ما وجدنا الا صدق النية ، والتعاون على البر ، وأننا ماطلبنا شيئا – وكان فى الطاقة والوسع – الا استجيب لنا ، على أننا ننتظر فى المستقبل أجل وأخطر مما وصلنا الى اليوم ، فان تونس العزيزة – مهد الجامعة الزيتونية – على عهد جديد ولا شك أنها ستمد اليد – وخصوصا فى الميدان العلمي والثقافي – اليد السمحة الكريمة التى اعتاد الشقيق أن يقدمها للشقيق ، والولي الحميم أن يسعف بها وليه الحميم .

لقد تأسس المعهد فى ظروف عصيبة وسار بخطى وئيدة لكنها ثابتة ، وفى كل سنة نخطو به خطوة جديدة نحو الأمام . ومن أبناء المعهد من أتم دراسته به ثم التحق بالزيتونة أو معاهد الشرق ، ومنهم من قعد به العذر عن اتمام الدراسة أمام المعاهد التى استقبلت تلاميذنا ، وفيهم من أنهى دراسته بها ، وهو اليوم فى سلك معلمى المدارس .

واننا لنتوجه بالشكر والثناء الى هذه الأقطار الاسلامية المضيافة باسم الأمة الجزائرية التى لن تنسى أبدا من يمد اليها العون ، ويساعدها على النهوض من كبوتها ،

ويواسى جراحها ، كما نتوجه بالثناء والشكر لأبنائنا البررة الذين شرفوا معهدهم ورفعوا رأس أمتهم عاليا ، بمعاهد الشرق ، فقد كانوا فى تحصيل كل ما قرؤوه بمعهدهم المثال الكامل ، وكل نقص انما كان فى فنون لم تكن فى برامج دراستهم ، ونحن فى الطريق الى تكميل كل نقــص .

كما نتوجه باللوم والعتاب الى طائفة قليلة منهم فاجأتنا بمالم نكن ننتظره منها ، وزين لها أعمالها ماكنا ننزه جميع أبنائنا عنه ، وان من واجبنا أن نتذكرهم فى مثل هذا الحفل ، وأن نذكرهم أن العقوق لا ينبغى أن يكون من خلق الكريم ، وان أمتهم لا تنتظر منهم الا الوفاء والمحافظة على العهد والرجوع الى الحظيرة ، والبر بمن لا يحمل لهم فى قلبه إلا حنان الأبوة الحادبة . واننا لنذكر – بحسرة – ونحن بصدد الكلام على البعثات اننا لم نتمكن من ارسال بعثات هذه السنة على الوجه الذى كان استعدادنا له ، فبفضل مساعى الرئيس الجليل محمد البشير الابراهيمي حفظه الله ، وزميله فى الكفاح الأستاذ الفضيل الورتلانى ، قبلت أمم الشرق أن تستقبل من تلاميذنا (109) (مصر ، سوريا ، العراق ، الكويت). لكن ظروف الحالة الحاضرة لم تسمح بارسال هذا العدد الضخم لفقدان جوازات السفر ، وقد بذلنا من المساعى هنا وفى الجزائر ، وبباريس كثيرا بواسطة النواب ، غير أن الرفض كان جوابنا ، ولم يكن الرفض صريحا ولكن المماطلة جعلتنا ننتظر الى الآن ، ومع ذلك فقد سافر 25 تلميذا ألحقهم الأستاذ الرئيس بمدارس مصر وسوريا والكويت .

أما سنتنا الدراسية الحالية فقد كانت أحفل السنوات اذ بلغ عدد تلاميذها 913 لايدخل فيهم من زاولوا قراءتهم دون تقيد بالنظام لمجيئهم متأخرين عن الميقات المعلوم أو لتجاوزهم السن المحددة . وبهؤلاء قد يصل العدد الى 1000 ، ولولا الضيق فى محلات السكنى لبلغ العدد الى الضعف .

واذا كنا نجد هذا الضيق فى المساكن فاننا نعانى ضيقا أشد منه فى محلات الدراسة، وهذا ماجعلنا نستقبل العدد الكبير فى القسم الواحد .

وقد كان سير الدراسة عاديا، وما اعترضنا من صعوبات عالجناه بقدر الامكان، فلم يفوت علينا ما لايتدارك، وكان عبرة لنا لنتخذ له – فى المستقبل – ما يمكننا من تلافيه .

كان تلاميذ هذه السنة موزعين كما يأتــى :

فى السنة الاولــى : 310

فى السنة الثانيــة : 284

فى السنة الثالثــة : 227

فى السنة الرابعــة : 92

وقد شارك فى الاختبارات الانتقالية 652 نجح منهم 384 وتأجل الى دورة أكتوبر فى بعض المواد أو كلها 159 ، ورسب 109 ، وبلغ عدد المتخلفين عن الاختبار 169 أغلبهم من عمالتي الجزائر ووهران أو من مناطق يعسر عليهم الانتقال منها ، وتفصيل المشاركين كما يلــى :

شارك فى السنة الأولى : 266 نجح منهم 160 وتأجل الى أكتوبر 61 ورسب 45 وتخلف 44 .

وشارك من السنة الثانية 232 نجح منهم 112 وتأجل الى دورة أكتوبر 76 ورسب 44 وتخلف 52 .

وشارك فى السنة الثالثة 154 نجح منهم 112 وتأجل 22 ورسب 20 وتخلف 73 .

أما الشهادة الأهلية (السنة الرابعة) فقد رشح اليها معهدنا من تلاميذ هذه السنة 92 تلميذا ، وأذنت المشيخة الزيتونية لاثنين من قدماء التلاميذ وحضر من القدماء واحد ، الجملة 95 تلميذا ، شارك بالفعل منهم 77 تلميذا وتخلف 18 لمرض أو لأعذار مقبولة بسبب الحالة الحاضرة وتعسر الانتقال فيها . نجح فى التحرير الكتابى 43 ونجح نهائيا 40 نال الجوائز منهم 9 .

واذا نظرنا بانصاف إلى هذه النتيجة وجدناها باهرة ، وذلك أن نسبة النجاح فيها فاقت الخمسين فى المائة ، وذلك أننا فى امتحان شهادة ، لافى اختبار انتقالى ، ومن جادل فليقارن هذه النسبة بالمعاهد الاخرى . ولله الحمد والمنة .

ثم إننا نتوجه بالثناء والشكر الى ادارة الجامعة الزيتونية العامرة ، والى الأستاذ الجليل العلامة الشيخ علي النيفر المشرف على سيرها ، فقد كان دائما عند ظننا به

يبذل لنا من العون والارشاد كل مانحن فى حاجة اليه . كما نتوجه بالثناء الى لجنة الامتحان المبجلة ، والى رئيسها الكريم فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد القادر الزيانى ، والى كل أعضائها الفضلاء الأساتذة : الحبيب بن الخوجة وصالح بن عبد السلام ومحمد التوزرى .

ونشكرهم على ما بذلوه من جهد وما تحملوه من مشقة ، ونشهد لهم أنهم باشروا مهمتهم بكل جد وحزم ونزاهة واخلاص ، فكانوا نعم السفرة لجامعتهم وأمتهم ببلادنا .

ثم الثناء والشكر الى جميع مشائخ المعهد الذين باشروا مهمتهم الشاقة فى ظروف عصيبة متحملين كل تضحية ، باذلين غاية الجهد منتظرين الجزاء الموفور من الله .

ثم الى الأمة جمعاء التى آوت ونصرت وأيدت وبذلت المال والعون ، واعتبرت بحق المعهد معهدها ، وحمايته حماية شخصيتها : دينها ولغتها وقوميتها ، والى جميع رجالنا من أساتذة مدارسنا ومديريها ، فقد كانوا دائما عند استجابة دعاء معهدهم ، ثم الى أخينا وزميلنا فى الكفاح مدير المعهد الأستاذ العلامة الشيخ العربي التبسي الذى قاد السفينة سفينة المعهد فى أيام عصيبة وما يزال البر به الحادب عليه .

وقبل الختم نتوجه باسم الأمة الجزائرية بالتحيات الخالصة ، والعواطف الصادقة والاخلاص المكين الى رئيسنا وأستاذنا الجليل ورمز كفاحنا فضيلة الشيخ محمد البشير الابراهيمى ، والى أخينا وصديقنا الأستاذ الفضيل الورتلانى زميله فى الغربة والكفاح .

ثم الى روح فقيدنا وامامنا عبد الحميد بن باديس والى روح أخينا وعزيزنا مبارك الميلى رحمهما الله ورضي عنهما مُجدِّدين لهما العهد والايمان : أننا على المبدإ الذى عاهدنا عليه الله جميعا ، عليه نحيا وعليه نموت .

والعاقبة للمتقين ، ولاعدوان الا على الظالمين ، والحمد لله رب العالمين .

البصائر العدد 326 – السنة الثامنة

دار الطلبة بقسنطينـــة

وفد على معهد ابن باديس عدد كبير من الدّارسين جاءوا من مختلف عمالات القطر الجزائرى وخارجه ايضـــا (1) .

افترحت على ادارة المعهد اقامة دار تجمع الطلبة تهيئ لهم الحياة الكريمة التى تعينهم على مواصلة دراستهم فى ظروف حسنة فوافقوا ، واشترينا ارضا وأقمنا عليها دارًا ضخمة زودناها بالمرافق الضرورية : من مطعم وحمام وقاعة للمراجعة ، زيادة عن اماكن النوم ، وأثثنا كل ذلك بما يلزم ، وأعلناهُ للطلاب وأولياء التلاميذ . وفيما يلى صورة توضح أسباب بناء هذه الدار ونظام القبول بها والحياة فيها :

بــلاغ شروط قبــول التلاميذ بدار الطلبـــة

محافظة على صحة أبنائنا وأخلاقهم وأموالهم أسست ادارة المعهد (دار الطلبة) وجهزتها بجميع المرافق العصرية من أسرّة وفرش وحمامات وغير ذلك ، ثم احدثت بها مطعما كبيرا يسع جميع التلاميذ لتمكنهم تحت رعاية ادارتهم من تناول طعام صحي ذى فائدة عظيمة وثمن زهيد ، ولتحميهم من تبذير اموالهم وصرفها فيما يضر بصحتهم لقلة الطعام أو لرداءته ، وقد نوعت اشتراك التلاميذ فى ذلك الى ثلاثة أصناف :

1) داخلى كامل (مبيت وأكل) .
2) نصف داخلى (مبيت) .
3) نصف داخلى (أكل) .

وهذه كيفية الاشتراك فى كل قسم :

1) القسم الاول : داخلى كامل : له حق السكن والأكل من فطور وغداء وعشاء يدفع لمدة السنة الدراسية (45000) خمسة وأربعين ألف فرنك منها : (10000) عشرة آلاف عند الدخول ضمانا لدفعتي الشهرين الاخيرين من السنة ، ويدفع الباقى مقسطا على سبع دفعات : (5000) خمسة آلاف فى مفتتح كل شهر .

---

(1) منهم بعض التلاميذ من افريقيا الغربية : سنغاليين ، وماليين ، ومنهم الذى أسس مدرسة اسلامية فى بلاده بعد انهاء دراسته بقسنطينـــة .

2) القسم الثانى : نصف داخلى (أكل) له حق الفطور والغداء والعشاء دون السكن، يدفع لمدة السنة الدراسية (36000) ستة وثلاثين ألف فرنك منها : (10000) عشرة آلاف فرنك عند الدخول والباقى يجزأ على سبع دفعات : (3800) أول كل شهر.

3) القسم الثالث : نصف داخلى (سكن) له حق السكن فقط يدفع (10000) عشرة آلاف فرنك مقدما عند الدخـــول .

تبتدئ الدراســـة بالمعهـــد

يوم 12 صفر 1374 هـ - 10 أكتوبـــر 1954 م

فعلى عموم التلاميذ أن يحضروا يوم فاتح أكتـوبر لاجراء الاختبارات للمتخلفين ، وللتسجيل فى نظام التعليم والسكن والمطعم ، ونحذرهم من أن يتقدموا الموعد المحدد أو يتأخروا عنه .

شروط القبول فى هذه الأقسام

1) على كل تلميذ يرغب فى الالتحاق بقسم من هذه الأقسام أن يضع مبلغا ماليا قدره عشرة آلاف فرنك ، فى شيك جمعية العلماء وأن يرفق مطلب انخراطـــه بوصل الحوالة - المائدة - ورقم الشيك هو 48006 .

2) كل تلميذ لا يسدّد ما عليه مقابل أكله فى الخمسة أيام الأولى من كل شهر يطوى قيده من سجل المطعـــم .

3) على كل تلميذ يرغب فى السكنى أن يحضر معه مطرحا من الصوف طوله 180 سم فى عرض 70 سم وأزرا وأغطية كافية من الصّوف .

4) الطبخ ممنوع فى جميع دور المعهد ، والأمكنة التابعة له ، لما فى ذلك من الاخلال بشروط الصحة والنظافة ، وما قد يكون فيه من خطر على الجميع .

5) كل تلميذ ينقطع عن الدراسة لا حقّ له فى استرجاع مادفعه مقابل سكناه أو مأكلـــه .

6) آخر أجل لقبول الطلبات هو يوم : 30 سبتمبر 1954 م .

7) كل مطلب لا تتوفر فيه الشروط المذكورة آنفا يرفض .

البصائر العدد 383
السنـــة السابعة

إدارة المعهد
نائب المدير محمد خير الدين

الاحتفال بفتح دار الطلبة

أقمنا احتفالا عظيما بمناسبة افتتاح هذه الدار ، وألقيت فيه كلمة الشيخ البشير الابراهيمى التى بعث بها من القاهرة مسجلة .

سجّلت هذه الكلمة للعلامة الجليل حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ محمد البشير الابراهيمى حفظه الله بمكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالقاهرة ، مشاركة من المكتب ورجاله للأمة الجزائرية فى أفراحها بفتح (دار الطلبة) التابعة لمعهد خالد الذكر الأستاذ الامام عبد الحميد بن باديس رضي الله عنه ، أحيا الله الأمة الجزائرية مسلمة عربية مجاهدة ، وتحية لها عاطرة زكية مباركة طيبة من ابنها الدّاعى لها بالتوفيق .

(الفضيل الورتـــلانـــى)

كلمة الأستاذ الرئيس المسجّلة

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وآله وأصحابه أجمعين .

أيها الاخوان من مشايخ وتلاميذ وأنصار ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وتحياته الطيبات تغشاكم ، وتعطر موقفكم فى هذا المشهد الكريم وممشاكم ، والدعوات الصالحات ترتفع الى الله جل جلاله ، أن يصل توفيقكم ، ويجعل السداد رفيقكم ، وأن يجعلكم دائما بهذه الخطا فى الصالحات ، سراع الأيدى الى البذل فى الباقيات ، مجتمعى الكلمة على الخير والنفع مسددى الرأي فيما تأتون وما تذرون .

أيها الاخوان : مازالت تلوح فى خيالى تلك الصور المشرقة من ماضيكم فى الاحتفالات بفتح المدارس ، فأنتزع منها صورة مكبرة للاحتفال بفتح «دار الطلبة» وما زلت أنثر الأزهار من ذكركم الطيب فى المجالس والأندية ، ومن أعمالكم الجليلة فى ميدان العلم ، ومازلت أقرن هذه المعجزة بالتحدى ، هذه المعجزة التى أظهرها الله على أيديكم ، بل هذه المنقبة التى خصكم الله بها ، فما رأى الناس قلبكم أمة فى مثل

حالكم من الضعف والفقر والجهل والهوان تثب هذه الوثبة ، بباعث من ايمانها ، وتستيقظ فجأة على صوت الدعاة المخلصين من أبنائها فتبنى نهضتنا من أول يوم على أساس من الاسلام مكين ، وحائط من العروبة متين ، وعلى سبب من الحكمة رزين ، وسند من العقل رصين ، وتطوى العصور طيا . لتتّصل بالقرآن فتتّخذه دليلا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم فتتّخذه إماما ، وبالشرق فى روحانيته النقية فتتخذه موئلا ، وبالتاريخ المحمدي فى صحائفه الطاهرة فتتخذ منه مرشداً ، وما رأى الناس قبلكم أمة فى مثل حالكم من ظلم الغريب، واضلال الهادى ، وبغي العادى ، ثم تكوّن فى عشرين سنة من الحصا جبلا شامخا ، ومن الأوشال بحرا زاخرا ، وتبنى بالفلس المقدر ، والعيش المقتر ، هذا العدد العديد من المدارس الضخمة ثم تتوجه بهذا المعهد الفخم الذى تلوح عليه من مخائل عبد الحميد بن باديس سمات ، وتهب عليه من روحه الطاهرة نسمات ، ثم تهزكم أريحية العرب ، وسماحة الإسلام ، ونخوة الأجداد فتكملون المفخرة بهذه الدار التى تجمع روعة الحرم ، الى قوة الهرم .

أيها الإخوان الكرام ، ان لهذه الدار على قرب العهد من تشييدها لتاريخا متصل الحلقات ، ومن حلقاته التفكير والتقدير والرأي والتدبير واليد واللسان وان من عجائب الدهر تتابع هذه الحلقات بسرعة ، وأن أظهر صنع الله فى هذا البلد ، ولولا صنعه لما تم شيء من هذه الأعجوبة التى لم تستند على شيء من الوسائل المادية يوم تكوينها وانما صحبها الايمان والارادة والعزيمة والحزم والتصميم ، وهي وسائل مااجتمعت فى شيء الا أتت بالعجائب وما تعاونت على شيء الا أظفت عليه الوجود والخلود .

هذه الدار ذات تاريخ . بل أصبحت اليوم فاصلا بين تاريخ وتاريخ ، بين تاريخ مؤلف من حالة الطالب البائسة المضطربة التى كان عليها بالأمس ، وبين تاريخه اليوم وقد أصبح شمله جميعا ، وحياته منظمة ، وأحواله مرتبة ، وسكنه نظيف ، وستصبح هذه الدار تاريخا قائما بنفسه ، يوم يؤتى النظام والاطمئنان اثرهما فى حياة التلميذ .

ان بدايتكم هذه ، وأنتم الضعفاء ، هي نهاية الأقوياء ذوى الطول والحول ، والدولة والصولة ، والعراقة والأصالة فى العلم وأسبابه ، فما بدأوا فى التفكير والإهتمام بحال التلميذ واقراره فيما يناسب شرفه ، الا منذ عقود قليلة من السنين ، واذا كانت الغاية هي راحة طالب العلم ، وتسهيل السبيل فى طريقه الى العلم ، وتمهيد الوسائل له فانهم لم يصلوا الى تحقيق هذه الغاية الا بعد مرور قرون على نهضتهم العلمية .

أما أنتم فقد حقّقتم شيئا منها فى أوائل النهضة وإن نهضة تقترن مباديها بتحقيق بعض الغايات منها لنهضة جديرة بالتمجيد والاحترام .

افخروا أيها الإخوان الشاهدون ماشئتم بهذه الدار ، فقد بنيتم بأيديكم وبمالكم لوطنكم ودينكم ، ولغتكم ، ولأبنائكم ونرجو أن يرزقكم الله شكران هذه الأيادى ويجنبكم كفرانها . افخروا فقد حزتم الفخار من أطرافه ، انكم لم تبنوا دارا وانما بنيتم أجيالا ، وأقمتم دينا ، وكتبتم تاريخا ، وثبتم نهضة ولا منة عليكم الا الله .

ان النهضات أيها الاخوان ، كيفما كان لونها هي بناء وتعمير ، وهذا لعمرى هو البناء ، وهذا هو التعمير ، وفى مثل هذا فليتنافس المتنافسون ، ان نهضة تبتدئ بمثل مابدأتم لحرية أن تنتهي الى الأمد الذى تنتهى إليه النهضات الخالدة .

هذا هو البناء الذى فيه من كل كبد فلذة ، وفيه من كل كيس فلس ، وفيه من كل عقل رأي ، وفيه من كل فكر شعبة من شعب الفكر ، وفيه من كل عزيمة أثر من آثار العزائم .

أعيذكم أيها الاخوان الكرام ، أن تقنعوا فى نهضتكم بغاية ، أو تقفوا عند حد ، أن القناعة انما تحصل فيما يقيم الجسم لافيما يقيم الأمة ، وان آية الأمة المهيأة للخير : أن لاتفرغ من مأثرة ، الا لتبدأ مأثرة ، ولا تنفض أيديها من عمل الا لتضعها فى عمل ، فكونوا دائما مستعدّين ، واجعلوا هدفكم دائما العظائم لا الصغائر ، وقد جربتم الإيمان وماذا يصنع ، وجربتم التعاون وانه ينفع ، وجربتم الثقة بالله فأتت بالعجائب ، شدّوا الحيازم واعتمدوا على الله وثقوا بعونه ، وماأنفقتم من خير فهو يخلفه وهو خير الرّازقين .

الحاجة يااخوانى الى العلم ملحة والخصم فى القضية لدود ، فلا ترهبوا الظالمين ، ولا تسمعوا للمرجفين ، ولا تلتفتوا الى الناعقين ، فان فيهم الحسود وفيهم الحقود وفيهم المسخر، وكلهم عدولكم ، فأغيظوهم بالعمل الصالح واحذروهم كما تحذرون الشيطان .

أيها الإخوان الكرام عهدتكم مستجيبين لدعوة الحق ، لبيتموها يوم كانت دعوة الى توحيد الله ، ويوم كانت تثويبا بتوحيد الصفوف فى سبيله ، ويوم كانت ترغيبا فى العلم، ويوم كانت أذانا بتشييد المدارس ، ويوم كانت حداء بالأجيال الناشئة إليه ، ويوم أصبحت سباقا الى التغالى فيه والتعالى به ، ويوم أمست مساعى حثيثة فى قطع مراحله وصعود درجاته الى هذا اليوم الذى استحالت الدعوة فيه الى بناء العظائم والآثار وتمهيد العقبات فى طريق طلابه .

أيها الاخوان فى العلم ، اليوم قضيت الحاجة واطمأن المشفقون ، فلتهنأ جمعية العلماء بهذا النجاح ، وليهنأ المعهد العظيم بهذه التكملة بل بهذا الكمال ، ولتهنأ الأمة بهذه الثمرات لجهودها الخالصة المخلصة ، وليهنأ التلاميذ بهذا القرار المكين الذى أعدته لهم الأمة ، وليجعلوا حمد الله على هذه النعمة اجتهادا فى العلم واخلاصا لله فيه واعترافا للجمعية بالجميل ، وموثقا يعطونه على أنفسهم للأمة ليخلصنّ فى خدمتها ونفعها، ولينصرنّ دينها ، وليقيمنّ عقائده وعباداته وأحكامه وفضائله ولغته، وليصدقن الله ماعاهدوه عليه فى ذلك كله .

أيها الاخوان ، يعزّ علي أن أكون غائبا عنكم بشخصى ويسليني أن أشاركم بصوتى فاعجبوا للغائب الحاضر ، واعجبوا للعلم الذى قرب البعيد ، وأتى بالعجيب ، ونقل الصوت اليكم فى سلك ، اما روحى فهي حاضرة معكم فى كل حين ، واما سمعى فهو مرهف دائما لتلقف أخباركم حتى كأنى معكم أرى وأسمع ، وماأنا بالناسى ولا أنا بالجاحد .

وحيا الله اخوانى أعضاء جمعية العلماء وقد وفّوا بالمعهد وأدوا الأمانة وأحسنوا المناب ، وما كنت يوم كنت بينهم الا بهم ، وما أنا اليوم الاناشر فضلهم، ومذيع مفاخرهم فجزاهم الله عن دينهم وأمتهم ووطنهم أفضل مايجزى عاملا عن عمله .

أيها الاخوان ، كأنني أراكم بعيني كعهدى بكم تتسابقون الى البذل فى سبيل العلم وتجودون بالغالى فى سبيل الأغلى ، وبالثمين قيمة للأثمن ، وبعرض الدنيا قيما لما عند الله من منازل الكرامة ، فحققوا ظني أيها الاخوان ولا تفترقوا الا والدّار داركم ودار أبنائكم حسّا ومعنى ، وقولا وفعلا ، واعرفوا قيمة صفقة ، الله فيها هو البائع فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيـــم .

أيها الاخوان الشاهدون ، عطّروا سمعتكم فى الداخل بمثل هذه الأعمال ، ومكّنوا صلتكم بجمعية العلماء بامدادها بالعون المادي وطاعتها فى المعروف ، والائتمام بها فى العلم والدين والفضيلة .

أما فى الخارج وأعنى بالخارج الشرقين : العربى والاسلامى ، فالله أرحم بالجزائر من أن يتركها نهبا للظنون وغرضا لقالة السوء ، فقد رزقها الرحمن الرحيم ابنا شرفها بعد الضعة وعرفها من التنكير ، وصرفها عن الجمود ، وكان عليها عنوانا مطرّزا ، ولها رمزا موشى ، وعليها دليلا هاديا ، ذلكم فاعرفوه هو الاستاذ العبقري الفضيل الورتلاني الذى خدم الجزائر ولم يمن عليها ، وأعطاها من دون أن يأخذ منها ، والذى عرف الشرق كله عجمه وعربه قيمته وفضله ، واعترف باستحقاقه للأستاذية واستكماله لشرائط الزعامة ولعمر الحق إنه لأذكى نبات جزائرى جنى الشرق ثمراته حينما حرمته الجزائر ، وانه لأزكى زهر ضوع شذاه فى الشرق بعد ماتفتح فى الجزائر ، وان مواهبه وتجاربه تجاريا فيه الى غاية واحدة ، فجاء منه رجل أي رجل ، وتظافرتا على أحلامه مقاما تقصر عـــنه أعناق المتطاولين للزعامة ، وانى حين أهنئ به الجزائر صادقا مخلصا أحجم عن تهنئته بالجزائر ، لأننى أعتقد صادقا مخلصا أنها لم تعرف ماعرف الشرقان له من مكانة وتقدير .

انى أحييكم باسمه وباسمى تحية تكافئ مانكنه للجزائر معا من حب وما نحمله معا لجمعية العلماء من إعظام ، وأشهد لنفسى وله اننا لم نمن عليها ذكرا لها رفعناه ، ولا فضلا لها كان كامنا فأذعناه .

وتحياتنا العاطرة بأنفاس الريحان تهب على جمعكم هذا ، ودعواتنا الى الله فى مظان الاجابة تتنزل وتصعد الى معارج القدس بالتوفيق ، وبسلوك أحسنِ طريق ، وتنصر دين الله فى أرجائها ، ولينصرن الله من ينصره ، والسلام عليكم ورحمو الله وبركاته .

(البشير الابراهيمى)

البصائر العدد 250 – السنة السادسة
1953/12/11 م – 5ربيع الثانى 1373 هـ

قصيدة الأستاذ مفدي زكرياء

من يشترى الخلد ؟... ان الله بائعه ...

من بين القصائد التى ألقيت فى الاحتفال بافتتاح دار الطلبة هذا القصيد الخالد

ياشاعر الخلد حق اليوم تخليد ... وخالد الشعر قم ، أين الاناشيد ؟
ضعها على المحفل الجبار قافية ... يسمع لها فى فم الاجيال ترديد
وانزل بدارات (سيرتا) مطرقا ادبا ... فبين اضلعها آباؤنا الصيد
وامش الهوينا ، ففى احشائها أمم ... وفى جوانحها أسد معاميد
دم الصحابة معجون بتربتها ... قد خلدته على الدنيا الأسانيد
تياهة تزدهى عجبا بشاهقة ... من الجبال ، لها لله توحيد ..
وادى الهوا . بالهوى نشوان خاصرها ... وخاصرته ، كأن الأمر مقصود ..
لدى خرير من الأمواه تحسبها ... لحنا من الخلد قد غناه داوود
الكوثر العذب يحكيها ويحسدها ... وحوضها الحلو مثل (الحوض) مورود
ونسمة مثل انفاس الحسان سرت ... لطفا ، يراقصها فى الروض أملود
وندوة الفجر بالتقبيل قائمة ... تدغدغ الورد ، والشحرورُ غريد
والقوس يحكى جلابيبا مطرزة ... تجرها صلفا فى عرسها خود
وأخت يوشع فى الاجواء حالمة ... نشوى مرنحة والكون عربيد
والليل يكتم من أسراره عجبا ... يخشى الصباح كأن الليل بارود
نهر المجرة قد ضمت كواكبه ... كأن انجمه الحيرى عناقيد
مناظر من صنيع الله قد ملئت ... سحرا وشعرا بها الخلاق معبود

وكل شيء بسرتا اليوم مغتبط   وكل شيء بسرتا اليوم محسود
مرعى الضبا وعرين الاسد لا عجب   كلاهما فى جبال الوحش موجود
فكم تحرق عود فى مقاصرها   وكم تحرك فى افيائها عود
وكم ترقرق علم فى مدارسها   وكم تدفق من ابنائها جود
فى كل ما حرم من أرضها رجم   وكل شبر بها للحرب أخدود

وفتية أخلصوا لله أمرهم   والشعب ، لم يثنهم عسف وتهد يد
قاموا وفى الشعب كَذَّابون ليس لهم   غير المناصب والالقاب مقصود
وفى الجزائر نصابون همهم   على الدراهم مقصور ومحدود
وللزعامة دجالون ليس لهم   من الزعامة الا الخمر والغيد
وللشعائر هداجون قد جثموا   حول المقاصر أحلاس قنافيد
وفى المجالس أصنام تحركها   يد المعمر تحميها التقاليد
رموا بها الشعب كالبهتان تحسبها   شهادة الزور ترويها المناكيد
وفى القيادة ابقار معممة   للعار تدفعها غربانها السود
وفى الوظائف أخشاب مسندة   لايستجيبون للحسنى اذا نودوا
وفى الثياب ذئاب ليس يشبعها   الا دم الشعب مسفوح ومفصود
وما السياسة ضرب فوق مائدة   إن السياسة إنشاء وتجديد
وما الزعامة أقوال وشقشقة   ان الزعامة اصلاح وتشييد
وما النضال احتجاجات على ورق   ان النضال كفاءات ومجهود
وما الجهاد (جدار انت تكتبه)   ان الجدار كبعض الناس جلمود
هذى المدارس كالاعلام قائمة   للعلم ، يحرسها قوم مناجيد
وهذه بعثات العلم شاخصة   للشرق يكلؤها فى الشرق تأييد
جاء «البشير» فزكاها وأرسلها   فصائلا كلها عزم وتأكيد

(جمعية العلماء المسلمين) ومن   للمسلمين سواك اليوم منشود ؟
خاب الرجا فى سواك اليوم فاضطلعى   بالعبء مُذْ فَرَّ دجال ورعديد
سيروا ولا تهنوا فالشعب يرقبكم   وجاهدوا فلواء النصر معقود
أمانة الشعب قد شدت بعاتقكم   فما لغيركم تلقى المقاليد

فابنوا المدارس فى عرض البلاد فما … غير المدارس للتحرير تمهيد
والاقتصاد ، فما والله دونهما … تنال فى هذه الدنيا المقاصيد
وراقبوا الله والتاريخ فى غده … وعهد باديس إن العهد موجود

يادار أنت على التقوى مؤسسة … مبناك بالطهر مرصوص ومشدود
يادار ، حملت آمال البلاد ففى … أحشائك اليوم أشبال صناديد
دار ابن باديس فى سيرتا يظللها … نصر ، الا ان نصر الله موعود
مابين جدرانها تحي الجزائر لا … من فوق جدرانها تتلى التهاجيد
شتان مابين بانيها وكاتبها … فابنوا الجدار ففى البنيان تخليد

هذا احتفال بطه ام بناشئة … من هدي طه لها دين وتوحيد
محمد فى ربيع الكون مولده … وبيتكم فى ربيع الدهر مولود

يانشأة العلم يافخر البلاد ويا … روح الجزائر تقديس وتمجيد
يانشأة العلم لا تقعد بكم همم … عن الجهاد فان الوقت محدود
كونوا الخلاص لشعب لا نصيب له … ممن يعذ به الا المواعيد
وحطموا القيد والاغلال ان له … فما وجسما : فموصود ومصفود
وطهروا النفس بالاخلاق واتحدوا … ففى اتحادكم للخصم تبديد

يامهرجانا بأهل الله مزدهرا … الله أكبر ، هذا اليوم مشهود
اليوم ياناس ، يوم البعث فاستبقوا … للصالحات فما فى الخير تحديد
ياجيرة الله مدوا للعطاء يدا … ياجيرة الله فى سبيل العلا جودوا
ياجيرة الله لبوا صوت امتكم … ياجيرة الله عن اوطانكم ذودوا
من يشترى الخلد ؟ ان الله بائعه … فاستبشروا ، أسرعوا فالبيع محدود
والربح ياناس ، مضمون ومُدَّخَرٌ … ففى مصارف الله لا فى البنك مرصود
ان تبذلوا المال فى الجلى يُردُّ لكم … الخير بالخير : مزروع فمحصود
أو تبخلوا فمعانى البخل أربعة : … جهل ، وفقر ، وتعذيب ، وتشريد

من يكنز المال لم يسعد به وطنا – ويل امه – فهو فى الاموات معدود
جودوا به قبل أن تكوى الجباهُ به المال يفنى ويبقى الفضل والجود

هذا نشيدى – بى امى سكبت به روحى ، قوافيه أنات وتنهيد
وهذه كلماتى صغتها حكما يحلو بها اليوم انشاد وتغريد
ميزانها خفقات القلب نابضة ولحنها فى فم الدنيا زغاريد
قطرتها من شرايينى ومن كبدى فى ذمة الله والتاريخ ياعيد

البصائر العدد250 – السنة السادسة **مفدى زكريا .**

البعثات العلمية

لم يكن فى مقدورنا خلال هذه المرحلة من تاريخنا أن نمارس نشاطا تعليميا أعلى ممّا وصل اليه مستوى التعليم فى معهد ابن باديس ، فرأت ادارة جمعية العلماء أن تبعث بتلاميذها خارج البلاد لمتابعة دروسهم فى مختلف البلدان الشقيقة ، وقد وجدوا صدورا رحبة من المسؤولين فى البلدان العربية والاسلامية ففتحوا لهم أبواب المدارس والمعاهد والجامعات ، وانطلق تلاميذنا يتابعون دراستهم فى الخارج .

وكان جامع الزيتونة من أقرب دور العلم الينا ، وأوثقها صلة بنا ، حيث كان طلابنا الذين يتمّون دراستهم بمعهد ابن باديس يتّجهون اليه لمتابعة دروسهم ، وقد سبق أن أشرت الى التعاون بين معهد ابن باديس وجامع الزيتونة فى مناهج التعليم والاشراف على امتحان الشهادة التى يمنحها المعهد لتلاميذه ، وكانت لجنة التعليم تعلن لتلاميذها عن شروط الالتحاق بالبعثات للبلاد العربية على نحو الصورة التالية :

بلاغ لجنة التعليم

الالتحاق بالبعثات للبلاد العربيـــة .

يعلم المكتب الدائم لجمعية العلماء جميع من تتوفر فيهم الشروط المذكورة فى هذا البلاغ من تلاميذ مدارس الجمعية والمعاهد ممن يرغبون فى الالتحاق ببعثات الجمعية الى الشرق سواء منهم الذين قدموا مطالب قبل اليوم والذين لم يقدموا بأن عليهم أن يكاتبوا مركز جمعية العلماء بالجزائر ابتداء من اليوم الى : 1954.9.15 م باستعدادهم والتزامهـــم .

شـــروط الالتحـــاق

- لا يقبل الا خريجو مدارس الجمعية أو المعهد .
- أن يكون خريج المدرسة متحصلا على الشهادة الابتدائية وأن لاتتجاوز سنه (16 سنة) .
- يلحق بخريج المدرسة تلاميذ السنتين ، الأولى والثانية من المعهد على أن لا يتجاوز السن (16 سنة) .
- أن يكون خريج المعهد متحصلا على الشهادة الأهلية غير متجاوز (20 سنة) .
- أن يعد الطالب تسعين ألف فرنك (90 000) مع جواز السفـــر.

تنبيهات : (أ) فى الأيام الأخيرة اذا لم يتحصل الطالب على جواز سفره فعليه أن يتصل بنا مع تقديم أوراقـــه .

(ب) على من يبعث بطلبه الينا أن يكتب على ظهر الرسالة كلمة (بعثات)

(ج) على مديرى المدارس التى نجح تلاميذها الذكور فى امتحان الشهادة الابتدائية العربية أن يعلموا أولياء التلاميذ بهذا البلاغ ، ونرغب منهم أن يتولوا بأنفسهم عمل طلبات التلاميذ ، مع ملاحظة المدير فى كل طلب على سيرة التلميذ وأخلاقه ومدى استعداده .

البصائر : العدد 283 – السنة السابعة

محمد خيرالدين

(نائب المدير)

وقد تعددت بعثات جمعية العلماء الى الشرق . فى مصر والكويت والعراق وسوريا وغيرها وزاد عدد أفرادها زيادة مطردة سنة 1954 وهذه صورة إحدى البعثات وأماكن أفرادها .

بعثة مصر :

الرقم	الاسم	السنة	المعهد
1)	تركى رابح عمارة	الثانية	كليمة دار العلوم (جامعة القاهرة)
2)	يحى خليفـة	الثانية	كلية دار العلوم (جامعة القاهرة)
3)	محمد الهادى حمدادو	الأولى	كلية دار العلوم (جامعة القاهرة)
4)	رشيد نجـار	الأولى	كلية دار العلوم (جامعة القاهرة)
5)	أرزقى صالحى	الأولى	كلية دار العلوم (جامعة القاهرة)
6)	سعدى عثمان	الثانية	كلية الآداب جامعة القاهرة
7)	محمد شيوخ	الأولى	كلية الآداب جامعة القاهرة
8)	سعد الدين نويوات	الأولى	كلية الآداب جامعة القاهرة
9)	التارزى شرفى	الأولى	كلية الآداب جامعة القاهرة
10)	المبروك بن سعد	الأولى	كلية الآداب جامعة القاهرة
11)	عيسى بوضياف	الأولى	جامعة ابراهيم بالقاهرة
12)	المدنى أبو رزق	الأولى	كلية اللغة (الأزهر)
13)	محمد قصوري	الثالثة	كلية أصول الدين (الأزهر)
14)	مسعود خليلى	الثالثة ثانوى	معهد القاهرة الدينى (الأزهر)
15)	المنور مروش	الباكالوريا (2)	مدرسة فؤاد الأول الثانوية
16)	البشير عمر كعسيس	الباكالوريا (2)	مدرسة حلوان الثانوية
17)	محي الدين الهلالى عميمور	الباكلوريا (1)	مدرسة خليل آغا الثانوية
18)	أحمد الدخيلى	الثانية ثانوى	مدرسة النهضة المصرية
19)	محمد الطاهر زعرورى	الباكالوريا (1)	مدرسة الفجالة الثانوية
20)	حسن محفوف	أولى ثانوى	مدرسة الفجالة الثانوية
21)	عبد الحميد بوذن	الثانية ثانوى	مدرسة محمد على الثانوية
22)	محمد التواتى	الباكالوريا (2)	مدرسة فاروق الثانوية
23)	المدنى حواس	الثانية ثانوى	مدرسة ليلية حرة لأنه تأخر ولم ينجح فى الامتحان

بعثة الكـــويت :

الرقم	الاســم	السنـــة	المعهـــد
1)	محمد الشريف سيسبان	الرابعة ثانوى	مدرسة الشويخ الثانوية
2)	الصديق قشـى	الثالثة ثانوى	مدرسة الشويخ الثانوية
3)	الجيلالى حمانى	الثالثة	مدرسة الشويخ الثانوية
4)	خريبط	الثالثة	مدرسة الشويخ الثانوية
5)	عبد الرحمن الأزعر	الثالثة	مدرسة الشويخ الثانوية
6)	أيوب الربيعى	الثالثة	مدرسة الشويخ الثانوية
7)	حسن ونوس	الثانية	مدرسة الشويخ الثانوية
8)	الصالح تلايليه	الثانية	مدرسة الشويخ الثانوية
9)	الهاشمى قدورى	الثانية	مدرسة الشويخ الثانوية
10)	الأخضر ادريس	الثانية	مدرسة الشويخ الثانوية
11)	محمد الصالح باوية	الثانية	مدرسة الشويخ الثانوية
12)	محمد امعمرى	الثانية	مدرسة الشويخ الثانوية
13)	محمد الشريف جواد	الثانية	مدرسة الشويخ الثانوية
14)	عبد العزيز سعد	الثانية	مدرسة الشويخ الثانوية
			مدرسة الشويخ الثانوية

بعثة العـــــراق :

الرقـم	الاســم	السنـــة	المعهـــد
1)	مسعود محمد العباسى	الثانية	كلية الحقوق ببغداد
2)	المولود شرحبيـل	الثانية	دار المعلمين العالية بغداد
3)	رابح منصر	الثانية	دار المعلمين العالية بغداد
4)	دودو أبو العيد	الثانية	دار المعلمين العالية بغداد
5)	الزروق موساوى	الثانية	دار المعلمين العالية بغداد
6)	بشير كاشـا	الثانية	دار المعلمين العالية بغداد
7)	عبد المجيد بوذراع	الثانية	دار المعلمين العالية بغداد
8)	الجموعى المشرى	الثانية	دار المعلمين العالية بغداد
9)	الأخضر أبو الطمين	الثانية	دار المعلمين العالية بغداد
10)	عبد العزيزخليفة	الثانية	دار المعلمين العالية بغداد
11)	عبد القادر قريصات	الثانية	دار المعلمين العالية بغداد
			دار المعلمين العالية بغداد

بعثة سوريـــا :

رقم	الاســم	السنـــة	المعهـــد
1)	أبو القاسم نعيمى	الاولى	دار المعلمين دمشق
2)	عبد السلام العربى	الاولى	دار المعلمين دمشق
3)	علي الرياحـــى	الاولى	دار المعلمين دمشق
4)	عبد الرحمن	الاولى	دار المعلمين دمشق
5)	العربى طوقان	الاولى	دار المعلمين دمشق
6)	مرتضى يقـــاش	الاولى	دار المعلمين بحلب
7)	عبد الرحمن زناقى	الاولى	دار المعلمين بحلب
8)	حنفى بن عيسى	الاولى	دار المعلمين بحلب
9)	محمد خمـــار	الاولى	دار المعلمين بحلب
10)	بنعبد الله ولد عوالى	الاولى	دار المعلمين بحلب

البصائـر العدد 362 - السنة السادســة

من جمعيــة البعثة بتونــس

هنيئا للجزائــر بأبنائهـــا

يسرنا اليوم أن نقدم للبصائر عقدا فريدا من نوعه نحلى به جيدها ، يحق لها أن تفخر به لأنه ثمرة جهادها المتواصل الذى لا تنفك - وهي تصول وتجول - تدعو اليه، حتى كلل هامتها النجاح باحرازها على ماتصبو اليه من نشر العلم واخراج عدد لابأس به من أبناء الجزائر الحبيبة ليكونوا مصابيح البلاد الجزائرية المنكوبة فى عربيتها واسلامها ، وكفى الجزائر فخرا أن شارك من أبنائها فى شهادة التحصيل لهذا العام ماينيف عن (86) طالبا عدا الذين تخلفوا لأسباب ....

فبشرى للجزائر وبشرى لجمعية العلماء بهذه الفئة المتخرجة من تونس وهنيئا لهما وللاخوان المتخرجين وذويهم وأهلهـــم .

وبعثة جمعية العلماء بتونس لا يسعها الا أن تزف أخلص التهانى للاخوان ، وترجو من الله أن يسدد خطى الاخوان الذين كبا بهم الجواد فيلتحقوا بالقافلة فى الدورة الثانية فيزدان بهم الركب وتقوى الصفوف والله المستعان .....

المشاركون (86) طالبا الناجحون منهم (43) طالبا وهم :

الشيوخ السادة :

1) ابن عيسى محمد
2) سعد الله بلقاسم
3) آيت السعيد عمر صدقاوى
4) بلاحى محمد
5) ساحلى قيوش
6) حمروش زيدان
7) سفسوف عمار
8) ابن عباس بشير
9) أبو نعاس محمد
10) دحيمن بلقاسم
11) أبو الصوف محمد
12) أبو ذراع عبد الحفيظ
13) عبد الرزاق زواوي
14) ابن زيان السعيد
15) عجرود يوسف
16) ابن العابد المولود
17) الأزهر زرفاوي
18) بوقجوطة الأخضر
19) أبو شعيب الحسين
20) بورويس الدراجي
21) بوصبيعات محمد
22) معروف اعريبى
23) مهرى عبد الرحمن
24) سعيد ابراهيم
25) بركات أحمد
26) محمد بن عقيلة
27) خيارى ابراهيم
28) خليفة الجنيدى
29) جدي محمد
30) منصور بزة
31) المنصور اسماعيل
32) ابن رابح اسماعيل
33) جحيق السبتى
34) أبو الذهب محمد
35) خطراوي محمد العيد
36) طيبة العربى
37) ابن موسى صالح
38) سلطانى الطيب
39) سحرى رشيد
40) العيد مصطفى
41) ركيبي عبد الله
42) كافى علي
43) عشول علي

البعثة الزيتونة

و«البصائر» تشارك بدورها جمعية البعثة فى تقديم تهانيها الخالصة لهؤلاء الناجحين من أبناء الجزائر البررة ولذويهم راجية من الله أن يسدد خطاهم فى ميدان نشر العلم والدين واحياء مجد العربية فى هذه الربـــوع .

البصائر العدد 294 – السنـــة 7

نجاح علمى مشرف

البعثة الجزائرية الزيتونية لجمعية العلماء

لا تزال البشائر تترى على الشعب الجزائري المتطلع الى نتائج كفاحه المرير فى الميدان الثقافي .

فلقد سبق أن زفت اليه بشرى تخرج ثلاثة وأربعين طالبا جزائريا بتحصيلهم على شهادة "التحصيل الزيتونية" فى امتحان الدورة الأولى – واليوم يسرنا أن تلمع فى أفقه بشارة أخرى تزيده ايمانا برجاحة المستقبل وبهائه وجلاله ، وتدفعه قدما الى التفانى فى حب العلم والتضحية فى سبيله .

فهذه قائمة أخرى للناجحين نهائيا فى شهادة التحصيل بالـدورة الثانيـة – وللمتحصلين على الشهادة الأهلية فى الدورتين – نقدمها بين يدي الأمة الجزائرية ورجال جمعية العلماء مع أحر التهانـــى .

الناجحـــون بشهادة التحصيـــل

1) الدراجـى شابـــو

2) عاشورى حـــودة

3) معاش عمـــار

4) بوالصوف المولـــود

5) بوعويش عمـــر

6) بوخبزة محمـــود

7) عقال عبد الحميـــد
8) رحمون عبد الله
9) عياط محمـــود
10) كرام محمد علـــي
11) عبادة علـــي
12) شابى محمـــد البشيـــر
13) الجيلالى بن العربى كينة
14) ترعـــة الطيب
15) كافـــى محمـــد

المتحصلون على الشهادة الأهلية في الدورة الأولى

1) سى عابد علي الشريف
2) خالدى الطاهر بن العربى
3) الصغير لاعلام
4) مصقالجى محمـــد توفيق
5) حمادى بن البشير بخريش
6) سفسوف محمـــد
7) زبادية عبد القادر
8) عبد اللاوى أحمـــد
9) بوروح بلقاسم
10) بغدادى بلقاسم
11) شابى محمـــد بن أحمد
12) درياس أحمـــد
13) برناوى عميرة بن أحمـــد
14) أبو القصيبات محمد الصالح
15) وزانى بلقاســـم
16) عمرات الحسين
17) مخلوفى محمد بن عمار
18) أبو النعيجة محمد بن عبد الله
19) زرفاوى محمد بن الأمين
20) سايح دراجى بن سعيد
21) محمد بن أحمد بن سعيد

الدورة الثانيـــة

1) عاشورى عمـــار
2) درياس محمـــد
3) بوليطة أحمـــد
4) موساوى عمـــر
5) عمادة عبد الحميـــد
6) اقروفة محمـــد وعلي
7) الاخضرى بن محمد الصغير
8) بكة علي بن محمد الصالح
9) الوارث أحمـــد

المراسل (دريدى محمـــد)

جمعية العلماء المسلمين والمساجـــد

عمل الاستعمار على محو الشخصية الجزائرية وتذويبها ، فاتجه الى الدين الاسلامي يحاول إفساده فى شتى الميادين وبمختلف الوسائل لأنّه أدرك تماما بأن إفساده يعنى محو شخصيتنا التى يمثل الدين أهم وأغلى وأعز مقوماتهـــا .

وجاهر بعدائه حينا فاستولى على المساجد وأوقافها ، وحول بعضها الى كنائس والى أشياء اخرى ، وأخفى السّم فى الدسم حينا آخر متستّرا وراء الطرقية وأرباب الزوايا ، واستغل بعضهم فى إفساد عقول العامة وتفريق كلمة المسلمين ومسخ العقيدة الاسلامية وتشويهها ، وذلك بالعمل على فصلها عن الحياة وجعلها ديانة طقوس ومظاهر عبادة حتى يحقق أطماعه فى البقـاء هانئا مطمئنـــا .

وقد فطنت جمعية العلماء المسلمين لكلّ أساليب المستعمرين وأخذت على عاتقها مهمة إصلاح الدين بمحاربة المفسدين وتحريك الخاملين وتبصير المخدوعيـــن .

ومن هنا قامت بأعباء متعددة المسارات فهي تعمل على نشر مبادئ الدين على الطريقة السلفية ، وتبنى وتعمر ، وتطالب الحكام أن يرفعوا أيديهم عن التدخل فى شؤون المسلمين الدينيـــة .

وقد تعرض رجال الاصلاح فى سبيل تحقيق هذه الدعوة للاضطهاد والتعذيب والسجن والاعتقال والنفي والقتل ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافـــرون .

وسأكتفى فى هذه المذكرات بذكر بعض المواقف التى تبصّر بدور الجمعية فى هذا المجال وغيره ومشاركتى فيـــه .

منع الحجاج من الاجتماع العام فى الجامع الكبير بقسنطينة عام 1934 م

من وسائل الاصلاح التى اضطلعت بها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الحفاظ على أموال المسلمين ، والعمل على راحتهم ، وتوحيد صفوفهم فى كل مظهر من مظاهر حياتهم .

ولذلك كان ابن باديس يودع الحجاج عند رحيلهم من عنابة حيث يركبون الباخرة لأداء فريضة الحج ، ويستقبلهم فيها عند الرجوع ، ويقترح عليهم عند العودة أن يجتمعوا فى الجامع الكبير بقسنطينة لاستقبال من يأتون للسلام عليهم ، وبذلك يوفر لهم من الأموال مايبذلونه فى اقامة الولائم والاحتفالات ، كما يوفر لهم الراحة وقد جاءوا متعبين من رحلة الحج ، وكما هي العادة يستغل الامام ابن باديس مثل هذه الفرص للحديث الى المسلمين ونشر مبادئ الاصلاح .

وفى سنة 1934 م منعت السلطة المسلمين من الاجتماع فى الجامع الكبير وحالت دون لقاء الحجاج مع الشيخ ابن باديس ورفاقه من رجال الاصلاح ، وتدخل المجلس البلدي بقسنطينة وأوفد ثلاثة من نواب المسلمين وهم : الأستاذ بن الأبيض المحامى ، والدكتور محمد زرقين ، والسيد حسين بن شريف لمقابلة عامل العمالة بقسنطينة وطلبوا منه تمكين الحجاج من الاجتماع فى الجامع الكبير ، فرفض وصمّم على رفضه ، ولكن المسلمين لم يرضخوا لهذا القرار واجتمعوا فى الجامع الكبير وأرسلوا الى الشيخ يدعونه الى الحضور واللقاء بهم ، وتعهدوا بالدفاع عن أنفسهم فى مسجدهم . فحضر الشيخ ، وحضرت معه هذا الاجتماع مع جمع من العلماء المصلحين.

تحدّث الامام فهنأ الحجاج على ماوفّقهم الله اليه من أداء فريضة الحج ، وبين لهم فى حديث قصير فضائل الحج وآثاره فى المجتمع الاسلامي ، ثم أمرهم بالخروج من الجامع متفرقين ، وانتهى هذا اللقاء فى هدوء ، ولم تتعرض السلطة لهم بفضل تدبير الامام الحكيم وحسن تصــرفــه .

حوادث أوت 1934 م بقسنطينـــة :

جرت حادثة خطيرة وقعت بين المسلمين واليهود من سكان قسنطينة فى صيف عام 1934م وسبب هذه الحادثة احتكاك بدأه جندي فرنسي يهودي ، اعتدى على حرمة المسلمين بالجامع الأخضر وهم يتوضؤون لاداء الصلاة . فردّوا عليه بألسنتهم ، فأخرج مسدسه وأطلق النار عليهم ، فثارت ثائرة المسلمين فى المدينة وتبادل الفريقان الصراع المسلح ، مما أسفر عن مقتل اثنين وعشرين من اليهود واستشهاد اثنين من

المسلمين وسقوط عدد من الجرحى بين الفريقين ، دامت الفتنة أسبوعا كاملا فى شوارع المدينة ، ردّ المسلمون فيها على عدوان اليهود بما يناسب طغيانهم ، فألقوا بثرواتهم فى النّار ولم تمتد اليها أيدى المسلمين ترفّعا واعتزازا ، وقد تناولت الصحافة العربية والأجنبية ذكر تفاصيل هذه الحوادث التى لم تستطع السلطة السيطرة عليها ، والتى لم يسبق لها مثيل فى الجزائر منذ الاحتلال الفرنسي ، مما دعا وزير داخلية فرنسا (رونى) الى الحضور بنفسه ليطلع على ماحدث ، ويهدئ من روع اليهود ، ويقدّم لهم التعويضات المالية .

استدعى وزير الداخلية الفرنسي لمقابلته بدار العمالة الأعيان والنواب والعلماء المسلمين . فحضر الامام ابن باديس ، وحضرت معه أنا والشيخ مبارك الميلى ، وبعد تبادل التحية . أعرب وزير الداخلية الفرنسي عن أسفه لما وقع بالمدينة من أحداث مؤلمة ، ووعد بايجاد حل لها حتى لايتكرّر مثل هذا فى المستقبل ، وطلب من رئيس جمعية العلماء المسلمين أن يقوم بدوره فى تهدئة الحال والعودة الى حياة الاستقرار .

فقال ابن باديس :

ياجناب الوزير : إن المسلمين تحمّلوا غطرسة اليهود وطغيانهم واستيلاءهم على خيرات البلاد وتجارتها ، وهم الى جانب ذلك يتمتعون بما يتمتع به الفرنسيون من حقوق فى الادارة وحمل السلاح بدون ترخيص . حتّى موزعو البريد وعددهم اثنان وعشرون موزعا من بينهم عشرون من اليهود واثنان فقط من المسلمين .

كل هذا الحيف قد يصبر عليه المسلمون ولكن وبكل تأكيد لايتحمّلون انتهاك حرمة دينهم أو المساس بشعائر مقدّساتهم ، وهم فى سبيل الدّفاع عنها يفضّلون الموت على الحياة .

وفود الوعظ والارشاد

كان المجلس الادارى للجمعية فى حياة ابن باديس ، قد قرر فى جلساته المنعقدة فى ربيع الأول عام 1354 هـ الموافق لشهر جوان 1935 م. قيام رجال من جمعية العلماء بالوعظ والارشاد فى أنحاء البلاد . وتعين حينئذ المشائخ : الطيب العقبى وعلي اوالخيار لعمالة الجزائر ، والابراهيمى وابن زيان والزموشى لعمالة وهران ، وابن باديس والتبسى وخير الدين لعمالة قسنطينة .

أما الشيخ مبارك الميلى فقد اعتذر لمرضه وللازمته حمية فى مأكله ومشربه أمره بها الطبيب ، والسفر البعيد لايسمح له بذلك ، واكتفى بزيارة القرى القريبة من مقره (ميلة) .

وكان نادى الترقى قد أقام لهم حفلة ومأدبة بتلك المناسبة ، تكلم فيها الأساتذة : ابن باديس العقبى الابراهيمى التبسى ، وكان مما ألقي فيها من الشعر قصيدة عصماء لشاعر الاصلاح الغريد الاستاذ محمد العيد ، نثبتها هنا لما اشتملت عليه من معان سامية وعواطف نبيلة :

بـراك الله للذكـرى حسـاما

أقـم مـاشئت فى دعـة ورزق ... فـانك قـد حللت محل صـدق

تُصـاخ إليـك آذان لسمـع ... وتُـرجَعُ فيك أبصـار لرمـق

وتُكرَم حـول مائـدة عليهـا ... يرف الحسن مـن خلـق وخلـق

رأيت بـك الوجـوه تُحِـفُّ بشرا ... بها وتَصِفُّ طلـعـا عـنـد طلق

يطـوف عليـك شبـان بشتى ... مـن الألـوان فى أدب وحـذق

وجـاءوا بالفنـاجن مترعـات ... ببنـت البن ماجـاءوا بمـذق

أقم ياوفـد ضيف نـدى ورفـد ... وسر يـاضيف وفـد هـدى ورفق

بـراك الله للـذكرى حسامـا ... وهـل يبقى حسـام دون مشـق

فبشر بالهدى فى الارض بشر | وطف جنباتها غربا لشرق
ومن رزق الهدى لم يخش شيئا | فليس لغير خالقه برق
ألست ترى نفوس القوم حيرى | وتأبى الرشد من سفه وخمق ؟
ألست ترى سلوك القوم فوضى | من الاخلال يفقد كل نسق
فعالج كل ذى كسر بجبر | وعاجل كل ذى فتق برتق
يكاد الخلق فى الملكات يبلى | فأبق عليه بالبركات أبق
أرى داء الشقاق بنا تفشى | فكيف يكون منه لنا التوقى؟
بنى الاسلام خلوا الخلف انا | الى الاسلام نعزى دون فرق
عدمنا الرشد فى الدنيا كأنا | فلول معارك وغواة طرق
ولو أنا على الحق آتفقنا | لكنا قادة الدنيا بحق
أتسبقنا الشعوب الى المعالى | ألسنا قبلهم أحرى بسبق ؟
ألسنا بينهم خير البرايا | سماحة ملة وزكاء عرق ؟
أرى الأنفاس مرهقة بجو | كمثل الغاز يوسعها بخنق
يدوى بالوعيد دوي رعد | ويومض بالردى ايماض برق
أيوثق بالأداهم كل كفّ | ويوطأ بالمناسم كل عنق!؟
فمهلا يازمان البغي مهلا | لقد أعيا كواهلنا التلقى
رحى المهجات انت فكم تقاسى | بك المهجات من سحق ومحق
ورفقا منك بالانسان رفقا | فما هو للهوان بمستحق
لماذا توضع الأسداد ضربا | على فمه ألم يخلق لنطق ؟
رجال العلم معذرة فمن ذا | اليه سواكم بالبث ألقى ؟
وروحوا بيننا بالخير وآغدوا | كمثل السحب جائدة بودق
ألا فلينعم العلماء بالا | وحالا وليدم (نادى الترقى)

وخرجت الوفود فى أواسط جويلية للقيام بمهمتها ، وتوالى خروج الوفود بعد ذلك فى كل صائفة إلى قيام الحرب العالمية الثانية وموت ابن باديس ، وماتبع ذلك من سجن الاشخاص وغلق المحلات وتعطيل الصحف والمشاريع .

ثم استأنفت الجمعية نشاطها وأعمالها بعد الافراج عن المساجين ، وفتح المدارس والنوادى ، وتحرك الحركات والمنظمات .

وكان الرئيس الابراهيمى دائم التنقل والتجول لتفقد مشاريع الجمعية التى كثرت ، واتسعت أعمالها ، وكثر أتباعها ، عدة سنوات بعد ذلك ، ولم يعد يكفيه وقت للإطلاع عليها جميعا ، فرأى المجلس الاداري ومكتبه الدائم أن يعززه بمن يساعده ويشد أزره .

وسأعرض مثالا لتلك الوفود مما أشرفت عليه أو شاركت فيه من وفود الوعظ والارشاد فى عطلة الصيف او فى شهر رمضان المبارك من كل سنة .

بيـــــان

من المكتب الدائم لجمعية العلماء سنة 1953

اعتبارا لما كان قرره المجلس الادارى من قبل ، وعملا بالبيان الذى نشره الرئيس الجليل العلامة الأستاذ الشيخ البشير الابراهيمى ، حفظه الله ، فى العدد 136 من «البصائر» قرر المكتب الدائم لجمعية العلماء تجديد المهمة التى كان اسندها المجلس الاداري لكفاءة العالم الجليل ذى المواقف المشهورة فى الحركة الاصلاحية الشيخ العباس بن الشيخ الحسين العضو الاداري فى جمعية العلماء – ليقوم بما عهد فيه من اقتدار وحزم ونشاط – خير قيام مما هو مبين فى البيان المذكور وملخصه :

«ان اعمال جمعية العلماء تشعبت وتكاثرت واصبحت تستدعى تنقلات متوالية قد تستغرق العام كله ، وهذه الاعمال كان يقوم بها الأستاذ الرئيس ، ونظرا لكثرتها رأى المجلس الاداري ان يشد عضده بعون ينتدبه لبعض ماكان يقوم به من الاعمال ، وليكون نائبه فى كل ما يوجهه اليه من شئون المدارس والجمعيات والشّعب والمعلمين والجمهور الخ .» .

وفى اجتماعات المجلس الاداري الأخيرة نوه الأستاذ الجليل العلامة الشيخ العربى التبسى الرئيس الثانى لجمعية العلماء – بالمجهودات التى بذلها الشيخ العباس فى سبيل الحركة الاصلاحية وبمواقفه المشرفة .

فجدد ثقته فيه وثقة اخوانه أعضاء المجلس الاداري ورجاله أن يستأنف أعماله بما عرف فيه من أمانة واخلاص وحزم .

لهذا وجب اصدار هذا البيان ليعلم ذلك جميع أعضاء الشّعب والجمعيات والمعلمون وليمدوا له يد المعونة ويعتبروه نائبا عن الرئيس فيما يكلف به من مهام .

المكتب الدائـم

البصائر العدد 203 السنة الخامسة

بلاغ من جمعية العلماء
عن سفر المعتمدين الى جهات القطر

يعلن المكتب الدائم لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين أن المجلس الاداري قد انتدب طائفة مختارة من العلماء العاملين الذين جعلوا حياتهم وقفاً على خدمة الاسلام ورفع شأن العروبة فى هذا الوطن للتجول خلال شهري : أوت وسبتمبر 1954 فى جهات القطر الجزائري ، وحدد لكل منهم منطقة يعمل فيها العمل الجدي المثمر لصالح الجمعية وفائدتها المالية والأدبية حتى نستطيع بحول الله الاقدام على السنة الدراسية الجديدة فى المعهد وفى سائر مؤسسات الجمعية وهي مطمئنة الى حالها مستقرة فى أمورها لاتهتم الا بأداء رسالتها العظيمة فى سبيل الدين والعلم وما يرضى الله ورسوله وصالح المؤمنين .

ونظرا لثقل المسؤولية الملقاة على عاتق الشيوخ المعتمدين ، وبما أن مستقبل الجمعية يتعلق بنجاح هذه المهمة السنوية ، فالمكتب الدائم يهيب بسائر رؤساء الشعب ورجالها وكرام المصلحين المؤمنين ، وكل رجال التعليم أن يلتفوا فى كل جهة حول هؤلاء الشيوخ المعتمدين وأن يمهدوا لهم سبل النجاح ، وأن يكونوا قلبا وقالبا فى اعانتهم اعانة فعالة ، حتى تبوء مهمتهم بالنجاح العظيم المنتظر ، وتتحقق غاية الجمعية من نظامها الجديد وتتأكد هذه الرابطة القوية الاسلامية بين رجال الجمعية وبين سائر أفراد الامة الجزائرية المكافحة ، وعلى الله جزاء المحسنين .

عن المكتب الدائم - نائب الرئيس
محمد خير الدين

البصائر عدد 282
السنة السابعة

فى عمالـة قسنطينـة .

الشيخ أحمد حمانى – مدينة قسنطينة ، سيدى مبروك ، رأس الواد ، الغابة ، المنية، جنان التشينة ، جبل الوحش .

* * *

الشيخ محمد كحلوش والشيخ يوسف القلى

الحامـة – الخروب – روفـاك – أقطـار العيش – بيزو – سيقوس

الشيخ معمر حنى والشيخ محمد بن المكى .

عين البيضاء – أم البواقى – مسكيانة – صدراتة – أمداوروش – قصر الصبيحى .

* * *

الشيخ ابراهيم بن عمار .

خنشلة – ببار – قايس – بوحمامة – الزوى – النمامشة – العمامرة .

* * *

الشيخ أحمد السرحانى .

أوراس ودائرته .

* * *

الشيخ عبد الحفيظ الجنان والشيخ محمد بن المكى .

تاملوكة – واد الزناتى – روينة – قالمة – راس العقبة – عين عبيد – رقادة – الركنية .

* * *

الشيخ علي المغربى .

سكيكدة – عزابة – سان شارل – الحروش – سيدى مزغيش – مجاز الدشيش – القل – السمندو – قاسطونفيل – الاربعاء – أم الطوب – تامالوس – عين قشرة – عيون بوزيان .

* * *

الشيخ نعيم النعيمى .

سطيف – عموشة – العين الكبيرة – عين أزال – عين ولمان – اولاد حجاز ، اوريسية – خراطة – قصر الطير .

الشيخ علي مرحوم .

العلمة – جميلة – بيضة برج – بنى عزيز – سيلاق – البلاعة .

* * *

الشيخ محمد الميلى والشيخ المولود النجار .

ميلة – القرارم – سيدى مروان – عين الكرمة – اولاد صالح – عين التين .

* * *

الشيخ الأمين سلطانى والشيخ محمد الابراهيمى .

عين مليلة – عين كرشة – عين الفكرون – لافاسور – عين ياقوت .

* * *

الشيخ الطاهر الحركاتى والشيخ أحمد السعودى .

باتنة – بريكة – مروانة – المعذر – انقاوس – راس العيون – عين التوتة ،
تحمامت – تازولت .

* * *

الشيخ أحمد حسين .

برج بوعريريج – برج الغدير – راس الواد – مجانة – القلعة – المنصورة – بوندة –
ثنية الخميس .

* * *

الشيخ الحملاوى بو الزرد والشيخ أحمد بن ذياب .

عنابة – مندوفى – القحموصية – بوليس – بلاندال – القالة – عين العسل ،
بارال – بوشقوف – الباردة – مرداس – بوحجار – عين أم الرخا – تاكوش .

الشيخ أحمد بوروح والشيخ محمد بن العوادى .

سوق اهراس – تاورة والضواحى – والأعراش .

* * *

الشيخ الطاهر حراث والشيخ العيد مطروح .

تبسة – الشريعة – الكويف – الونزة – العوينات – مرسط – يكس – المريج ، واد الكبريت .

* * *

الشيخ بلقاسم مزهود والشيخ سليمان بشنون .

فج مزالة – ريشليو – اراس – بينان – تامنونت – تسالة .

* * *

الشيخ الصغير قارة والشيخ الحفناوى هالى .

شاطودان – تلاغمة – تاجنانت – العثمانية – السمارة – عين الملوك .

* * *

الشيخ عبد الرحمن شيبان والشيخ الصادق عيسات .

بجاية وضواحيها

* * *

الشيخ محمد الطاهر الجيجلى والشيخ أحمد بوروح .

مدينة جيجل – المنصورية – تاكسنة – الطاهير – الشقفة – الجناح – اولاد علال – اعوانة – الميلية – سوق الجمعة – بنى فرقان .

الشيخ باقى بوعـــلام .

مسيلـــة ودائرتهـــا .

* * *

فى عمالة الجزائر .

الشيخ عبد اللطيف سلطانى .

مدينة الجزائر - بلكور - سانطوجين - الحراش - حسين داي - الرويسو ، القبة - بئر الخادم - الأبيار - تيليملى - نوتردام .

* * *

الشيخ الجيلالى الفارسى .

الأصنام - مجاجة - بوقادير - عين مراد .

* * *

الشيخ محمد الطيب العلوى .

مليانة - خميس مليانة - عين الدفلة وماحول ذلك من القرى .

* * *

الشيخ علي شنتير .

شرشال - القليعة - تنس - مارانقو - وما حولها من القرى .

* * *

الشيخ الطاهر طاهرى .

سيدى عيسى والأعراش - بوسعادة والأعراش - سور الغزلان .

* * *

الشيخ أحمد بوزيد قصيبة .

المدية - البرواقية - البخارى - شلالة - الجلفة - الأغواط - مسعد .

* * *

الشيخ علي الشرفى .

برج منايل - ابو - دلس - بغلية - تادمايت - عزيب زعموم - خميس يسر ، فليكس فور - ثنية بنى عائشة - بودواو - رويبة - رغاية .

الشيخ سعيد صالحــى .

بويرة – عين بسام – ذراع الميزان – اصنام البويرة .

* * *

الشيخ محمد الصالح بن عتيق .

البليدة – باقالم – عين طاية – بئرتوتة – بوفاريك – خميس الخشنة – الاربعاء – بنى موسى .

* * *

فى عـمـالـة وهــران .

الشيخ عبد القادر الياجورى والشيخ السعيد الزموشى .

وهران – المرسى الكبير – أرزيو – بطيوة – المساعدة .

* * *

الشيخ عبد الوهاب بن منصور والشيخ محمد مخيلف .

مستغانم – واد الخير – مازونة – وما اتصل بذلك من الأعراش .

* * *

الشيخ محمد العدوى .

سيق والأعراش المحيطة بها – تليلات – باريقو .

* * *

الشيخ عبد الباقى بوعلام .

معسكر – تيغنيف – غيليزان – زمورة – واد رهيو .

* * *

الشيخ العباس بن الشيخ الحسين .

تلمسان – ندرومة – الحنايا – الغزوات – مغنية – سبدو – بنى هذيل – اولاد سيدى الحاج – صبرة – اولاد ميمون – بنى صاف – عين تموشنت – بلعباس – المساعدة .

الشيخ عبد الحفيظ الثعالبى .

تيارت - سوقر - فرندة - تيسمسيل (فيالار)

البصائر عدد 282 - السنة 7

عن المكتب الدائم ، نائب الرئيس .

محمد خير الديـــن

وفود الوعظ فى شهر رمضـــان

الدعـــوة

ومن الأنشاطة التى سلكتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فى سبيل تبليغ الدعوة الصّحيحة ، احياء شهر رمضان بالدروس والمواعظ التى يقوم بها علماء الجمعية الذين تنتدبهم للقيام بهذه المهمة فى جميع مراكز الجمعية ومدارسها ومساجدها وهذه صورة لتوزيع العلماء على مختلف أنحاء الوطـــن .

قائمة الوعّاظ لشهر رمضان

عمالة قسنطينة : المشائخ :

- العربى التبسى	تبســة
- محمــد خير الدّين	قسنطينة بالجامع الكبير
- عبد القادر الياجورى	(المعهد)
- أحمد بن ذياب	العلمة
- الصغير قارة	شاطودان
- محمد بن الشيخ بن المكى	تاملوكة
- الصادق عيسات	اغيل علي
- يوسف القلى	بيزو
- الأخضر علوانى البادسى	سيدى مزغيش

- محمد بن شيروف	فج مزالة
- عيسى مرزوقى	نقاوس
- محمـد التركى	أقبو
- محمد الشريف الثعالبي	بنى يخلف
- محمد الطيب داود	تازايرت
- أحمد زوزو	تازولت
- أحمد الميمونى	غسيرة
- الحفناوى هالى	قمار
- محمد الطاهر البوجليلى	قندوز
- محمد بن أحمد الديلمى	سيدى ابراهيم (البيبان)
- محمد بوكعباش	بنى فرقان
- علي بن المغربى	بسكرة
- حسن الأعور	قاسطونفيل
- العربى خطراوى	منعة
- محمد الدرنونى	إينوغيسن
- محمد الصالح شيخى	المعذر
- محمد الامير	أريس
- أحمد بوعروج	ميلة القديمة
- محمد الصالح الغسيرى	غسيرة
- محمد الصالح مدورى	أولاد منصور
- المولود السعدونى	تلاغمة
- حامد روابحية	سوق اهراس
- بوجمعة الزكراوي	وانزة
- معمرحنى	مداوروش
- بلقاسم اللجانى	صدراتة
- عيسى اليحياوي	بريكة

- المولود النجار	القرارم
- مصطفى الجيجلي	أولاد علال
- يوسف اليعلاوي	قمون بني خيار
- مرزوق بن الشيخ الحسين	عزابة
- محمد الأحباسي	زيامة منصورية
- علي هــوام	اعوينات
- علي الشرفي	عين البيضاء
- أحمد السرحاني	مشونش
- عيسى المعتوقي	طولقة
- بلقاسم بن عمار الميموني	آراس
- الأكحل شرفـة	اغيل علي
- بلقاسم بن مزهود	سيدي مروان
- الكامل الحناشي	مسكيانة
- محمد الطاهر الجيجلي	جيجل
- الأمين السلطاني	القنطرة
- عبد المالك فضلاء	تازمالت
- محمد الطاهر التليلي	برج بوعريريج
- عبد الرحمن شيبان	سيدي مبروك
- محمد الغسيري	سكيكدة
- الصادق حماني	التربية والتعليم (قسنطينة)
- محمد الصالح بن عتيق	الميلية
- محمد الصالح طيار	المسجد (ميلة)
- محمد بن الشيخ مبارك الميلي	ميلة (النادي)
- محمد بن علي الابراهيمي	عيـن مليلة
- الطاهر الحركاتي	باتنة
- أبو القاسم الجبالي	خنشلة (نادي)
- علي مرحوم	سطيف (المدرسة)

– محمد الشبوكى	الشريعة
– أحمد بن عثمان	عين التوتة
– بلقاسم بن صالح	تاورة
– صالح مسعودى الصغير	عين أزال
– العربى السعدونى	قلعة بنى عباس
– الطاهر سعدى	عنابة
– عبد المجيد حيرش	سطيف (النادى)
– محمد الهادى	عين ولمان
– أحمد بوروح	الطاهير
– ابراهيم مزهودى	يوكس الحمامات

عمـــالـــة الجـــزائـــر

– عبد اللطيف سلطانى	مركز جمعية العلماء بالعاصمة
– أحمد سحنون	جامع سانت أوجين
– أحمد حسين	جامع بلكور
– مكى النعمانى	عين طاية
– محمد البجاوى	بقالم
– عبد الكريم العقون	تيليملى (الجزائر)
– محمد الطاهر الأطرش	بنى منصور
– محمد الطيب القاسمى	القصر
– محمد السعيد عدنان	آيت يوسف وعلى
– محمد الطاهر طلبى	أولاد ابراهيم (مايو)
– صالح صالح	أكفادو عزازقة
– ابراهيم بن سليمان	سلام باي
– الربيع بوشامة	الحراش
– الجيلالى الفارسى	الأصنام

- رابح بونار	تيزى وزو
- أبو بكر الأغواطى	الأغواط
- أحمد شطا	الأغواط
- النعيمى	بوسعادة - المسيلة
- أحمد بن عاشور	البليدة
- علي بن سعد	بوفاريك
- علي شنتير	شرشال
- اسماعيل حيرش	القليعة
- الطاهر طاهرى	سيدى عيسى
- ابو الأعراس	تنس

عمـــالة وهــــران

- العباس بن الشيخ الحسين	تلمسان
- محمد العدوى	مستغانم
- السعيد الزموشى	وهران
- سعيد العدوى	المرسى الكبير
- محمد الهبرى الجاوى	الرمشى
- محمد رضا بن الشيخ الحسين	بنى صاف
- محمد بن عبد الرحمن المسعدى	تيارت
- عبد الباقى بوعلام	البيض
- محمد الأغواطى	الحمرى (وهران)
- عمر حمانى	عين تموشنت
- محمد الطاهر المداحى	المساعدة
- العربى الرميلى	صبرة
- محمد بوجمعة	أرزيو
- الجيلالى حجاج	الغزوات

وفود جمعية العلماء

من الأساليب التى سلكتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فى نشر مبادئها الاصلاحية : ارسال وفود من اعضائها تجوب البلاد شرقا وغربا ، تلتقى بمختلف طوائف الشعب ، وتزور المساجد والمؤسسات التعليمية والفرق الكشفية وتنشئُ الشُّعَبَ والفروع التى تمثل الجمعية فى المدن والقرى وتستجلب الى دعوتها طوائف الشعب وأفراده من الذين تتوسم فيهم القدرة على العمل من أجل نصرة الدين ورفعة البلاد ، الى جانب ماتقوم به من وعظ وارشاد ، ودعوة الى الخير ، واصلاح ذات البين وفتوى ، وغير ذلك .

الوفود الأولى :

كان ذلك فى السنة الثانية من عمر الجمعية عام 1933م حيث بدأت بارسال ثلاثة وفود :

الوفد الأول : الى الشرق الجزائري ويتألف من المشائخ :

عبد الحميد بن باديـــس

مبارك الميلـــى

محمد خير الديـــن

الوفد الثاني : الى الغرب الجزائري ويتكون من المشائخ :

محمد البشير الابراهيمـــي

العربي التبســـي

سعيد الزموشـــي

الوفد الثالث : الى الوسط الجزائري من الشيخين :

الطيب العقبـــي

فرحات الدراجـــي

والذى يهمنى من هذه الوفود ، الوفود التى شاركت فيها أو التى قمت فيها بانفرادى

إلـــى الشرق الجزائـــري :

فى هذه الجولة الأولى التى شاركت فيها ، زرنا مدينة (بجاية) فهرعت إلينا وفود الناس فى الشوارع واستقبلتنا استقبالا حافلا ، وهيئت داراً للسنيما فسيحة اجتمعنا فيها وألقينا الخطب واكتظت القاعة بالناس ، وكانت ليلة تاريخية .

وفى صباح اليوم التالى جاء وفد من قرية (برباشة) وهي تبعد حوالى ثلاثين ميلا عن بجاية تقع فى سفح جبال جرجرة طالبين من الوفد زيارتهم ، وفى الغد زرناهم ووجدنا القرية كلها تستقبلنا ، واستدعى الرئيس امام المسجد وطلب منه فتح باب المسجد لإلقاء الدرس فأجابه معتذرا ، بأن الحاكم أمره بغلقه . وراجع الرئيس نائب العامل فأخبره بأن الوالي العام هو الذى أمر باغلاق المسجد ، فخرج الرئيس الى الشعب الذى تجمع خارج الجامع ، وأمر الناس بأن ينظّفوا مبنى واسعاً أمام المسجد كان فيه بعض الحيوانات ، فأخرجوا مافيه من البقر والحمير ، وفرشوه ، ودخل الوفد الى المكان ، ودخل الشعب خلفه وألقيت الدروس والخطب فى هذا المكان ، وكان يوما مشهودا ازداد فيه الحماس وتوافد الى دعوتنا العديد من الناس ، واشتدّ ساعد حركة الاصلاح .

ثم تابعنا السّير الى (جيجل) تلك البلدة التاريخية التى كان لها مواقف عظيمة فى الدفاع عن البلاد ضد هجمات الصليبيين الأسبان تحت قيادة البطل التركي المجاهد « عروج » الذى طردهم منها وسار الى (بجاية) وانتزعها من أيديهم .

مضينا فى هذه الجولة نزور مختلف بلدان الشمال القسنطينى ونلتق بطوائف الشعب نعظهم وننظم مسيرة الحركة الاصلاحية واتجهنا بعد جيجل الى (ميلة) و (القرارم) .

وكان من أهم المدن التى زرناها فى هذه الجولة مدينة (سطيف) مقر الشيخ البشير الابراهيمي الذى أسّس أول جمعية دينية بها ، وجامعا حرا لاقامة الصلاة والتدريس فيه ، وهي المدينة التى شهدت نشأة الحركة السياسية الحديثة التى بدأها « عباس فرحات » وأنشأ بها حزب « البيان » ، والمدينة التى يتردد اسمها كرمز للبطولة والتضحية فى مقاومة الغاشمين والاستعمار كلما ذكرت أحداث 8 ماي 1945م ...

زيارتى لمدينة ورقلة :

فى أواخر سنة 1934 تلقيت دعوة مستعجلة من الأمام عبد الحميد بن باديس فتوجهت إليه فى قسنطينة ، وبعد السلام عليه ناولنى رسالة وردت من رئيس شعبة جمعية العلماء بمدينة ورقلة فى تخوم الصحراء الجزائرية (السيد ابراهيم بعرة) ، يستغيث بجمعية العلماء ، ويحثها على الاسراع قبل فوات الأوان ، للدفاع عن الاسلام، وحماية المصلحين وأبنائهم ويقول فيها :

«إن الحاكم قد خوّل السلطة لقساوسة الآباء البيض ، فى منع المسلمين من الصلاة فى المسجد ، ونقل التلاميذ من المدارس القرآنية الى مراكز التبشير باشراف رجل جزائري يدعى يوسف صالح ، كان (درارا) يعلم أبناء المسلمين فى الكتاتيب القرآنية حسب العادة المتبعة ، ثم تنصر وصار يدعى (جوزيف الأعور) ، كلفه القساوسة بتنشئة التلاميذ على الدين المسيحي وتلقينهم الأناشيد الدينية المسيحية».

طلب منى الرئيس ابن باديس السفر فورا الى ورقلة ، والاتصال بالشعبة هنالك وكتابة تقرير مفصّل عن الاوضاع كما هي ، حتى يتسنى للجمعية أن تقوم بواجبها فى

الاتصال بالمسؤولين فى العاصمة وخارجها ، وبالصحافة الوطنية والاجنبية لكي تقاوم هذه الظاهرة الخطيرة بكل ماتستطيع من وسائل وتحول دون انتشارها .

قلت له : انك تعلم بالقرار الذى أصدره الوالى العام فى الجزائر منذ سنة الذى يقضى بمنع أعضاء جمعية العلماء من الدخول الى الصحراء .

فأجابني : يجب أن تصل الى عين المكان ، ودعهم يردونك تحت الحراسة مقيدا بالاغلال .

رجعت الى بسكرة ثم ركبت منها القطار متوجها الى مدينة (توقرت) حيث ينتهى خط السكة الحديدية ، وهي تبعد عن بسكرة بحوالى 200 كلم ، كنت متنكرا فى زي تاجر بسيط ، ومن (توقرت) ركبت حافلة عمومية لنقل الركاب ، وصلت الى (ورقلة) فى الساعة الرابعة مساء بعد قطع مسافة تقدر بحوالى 200 كلم أخرى وعند مغادرتى السيارة ، وجدت شرطيا يراقب المسافرين القادمين الى المدينة ليقود كل اجنبي عن المدينة الى مكتب الحاكم العسكري قبل دخول المدينة .

سألنى الشرطى : من أين أتيت ؟ قلت من بسكرة ـ فقال : اتبعنى لمقابلة الحاكم ، فقلت له : اننى جئت لزيارة صديق (الأب جوزيف) رئيس الآباء البيض « شارل دوفوكو » فقال لي : أصديقك (الأب جوزيف) ؟ قلت نعم .

قال : اسمح لى اذن ياسيدى ، وامض الى مقصدك ، فحمدت الله الذى ألهمنى إلى هذه الحيلة ودخلت المدينة ، واتصلت برئيس الشعبة فيها ، وتجولنا سويا فى المدينة فرأيت المساجد خالية من المصلين والكتاتيب القرآنية معطلة ، ومرّ بى على مركز المبشرين وكنائسهم لنرى ونسمع كيف يلقنون المئات من أبناء المسلمين مبادئ الدين المسيحي فى فضاء واسع يلتفون وقوفا حول رجل اسود يلقى عليهم الكلمة فيرددونها بأصوات شجية فى حماس .

وكان هذا الرجل هو الذى ذكرته آنفا استغله المبشرون للطعن فى الاسلام بايهام البسطاء : ان هذا الرجل الذى كان يعلم ابناءهم فى الكتاتيب القرآنية قد عشق المسيحية واعتنقها وترك دين المسلمين .

واصلنا التجول فى شوارع المدينة حتى حان وقت صلاة العصر ، فرأيت فى المكان الذى نسير فيه بناء له باب مطلي باللون الاخضر اللامع مكتوب عليه « نصر من الله وفتح قريب » .

قلت لرفيقى رئيس الشعبة : هيا بنا ندخل هذا المسجد لنؤدي صلاة العصر ، فانفجر الرجل بقهقهة عالية وقال : أتدرى ما هذا ياسيدى ؟ هذا معهر فساد ! هذا بيت من بيوت الدعارة . ولشدّ ماأحزنني مارأيت من استشراء الفساد ، وتحويل المسلمين عن دينهم بشتى الوسائل ومختلف الأساليب ، لكن ذلك لم يفتّ فى عضدى او يوهن من عزيمتى عن مواصلة مهمتى ، وطلبت من رئيس الشعبة بتلك الناحية أن يهيئ لى اجتماعا مع اعضاء الشعبة فى داره ليلا وتم الاجتماع ، وحصلت معهم على ماااحتاجه من المعلومات ، وأعدت تنظيم صفوفهم ، وشجعتهم على الصبر وعدم اليأس وطمأنتهم بأن الجمعية ستبذل قصارى جهدها فى الوقوف الى جوارهم ، وريثما يتم ذلك لابد من مواصلة الأعمال الاصلاحية ، والعودة الى الصلاة فى المساجد ، واعادة فتح الكتاتيب ، واتفقت معهم على طريقة سرية لنقل الأخبار وتبادلها مع مكتب الجمعية . ثم ودعتهم وعدت فى الصباح الباكر الى قسنطينة وتوجهت الى الامام ابن باديس وقدمت له تقريرا مفصلا عن المهمة التى كلفنى بها .

فبادر رحمه الله الى رفع الاحتجاجات الى الدوائر الرسمية فى الجزائر وفرنسا والصحافة المحلية والاجنبية ، وكان لهذا العمل صدى عميق فى شتى الاوساط ، وتحققت نتائج ايجابية ، حيث توقف المد الصليبي فى هذه الجهة وعاد المسلمون الى صلواتهم فى مساجدهم ، وعاد ابناؤهم الى الكتاتيب القرآنية يلهجون بالقرآن ترتفع حناجرهم بترديد آيات الله .

الى الغرب الجزائرى

فى مدينة سيدى بلعبـــاس :

كان من بين المشكلات التى تعرضت لها حركة الاصلاح فى الجهة الغربية وقمت بالعمل لحلها بإشارة من الرئيس الابراهيمي : مشكلة وقعت فى مدينة (سيدس بلعباس) ترجع جذورها الى الفترة التى كان فيها الشيخ البشير الابراهيمي قائما بأعماله فى تلمسان ، ويتردد على تلك المدينة التى يكثر فيها المعمرون لثرائها ، ولم يكن بها مدرسة من مدارس الجمعية غير جامع حكومي صغير ، فأخذ الشيخ البشير يتعهدها بالزيارة ، واختار عشرين رجلا كوّن منهم جمعية محلية شرعت فى الحصول على أرض لتأسيس مسجد كبير ومدرسة لتعليم أبناء المسلمين وممارسة الحقوق التى تمنحها القوانين لكل جمعية مدنية طبقا للقوانين الفرنسية المطبقة فى البلاد (وقد كان المسلمون لاينشئون مثل هذه الجمعيات لاستغنائهم عنها بالمساجد والزوايا). فاشترت الجمعية أرضاً وأقامت عليها مدرسة ومسجدا أشرف على بنائهما الشيخ البشير الابراهيمي بنفسه .

ولما اكتمل البناء تأسست جمعية محلية أخرى تحت اشراف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعينت اماما لصلاة الجمعة ، ومديرا للمدرسة فى نفس الوقت وهو (الشيخ محمد القباطى) كما عينت المعلمين ، ودبت حياة الاصلاح فى المدينة وبدأ المسجد يعمر بالمصلين والمدرسة بالتلاميذ ، وسارت الحركة سيرا حثيثا .

ثم بدأت الازمة تشتد بين جمعية العلماء وخصومها ، وأخذت السلطات المحلية تعمل على عرقلة هذه النهضة بغلق المدارس وتعطيل التعليم ، وتثبيط الحركة الاصلاحية فى شتى ميادينها ، فى ظل هذه الظروف اتخذت السلطات قرارها بعزل مدير المدرسة الشيخ محمد القباطي وهو امام الجامع المعين من طرف جمعية العلماء وعينت مكانه شخصا آخر هو الشيخ الهادى السنوسى الذى كان من تلاميذ الامام ابن باديس السابقين ومن اوائل الذين كتبوا فى صحف جمعية العلماء ، ومع ذلك

رضي بهذا التعيين وقبله لانه كان على خلاف مع الجمعية فاعتزل ، واشتغل بالتجارة فى (سيدى بلعباس) ومارس نشاطه بصفة فردية .

وقد ترتب على هذا الموقف أن حيل بين جمعية العلماء المسلمين واشرافها على حركة الاصلاح فى مدينة بلعباس ، لذلك اتصل بى الشيخ البشير الابراهيمي وكلفنى بالحضور من بسكرة لمقابلته فى العاصمة ، فأخذت القطار ليلا وقابلته صباحا فى مقر جمعية العلماء ، وأخبرنى بخطورة الامر فى مدينة سيدى بلعباس وكلفنى بحل هذه المشكلة .

فكرت فى اتخاذ موقف يمكّن رجال جمعية العلماء المسلمين فى هذه المدينة من الرجوع الى ممارسة نشاطهم فى مسجدهم ومدرستهم ، فاقترحت أن يكتب اعضاء الجمعية المحلية عقد ايجار المدرسة والمسجد لإقامة الشعائر الدينية والتدريس مدة (99) عاما لجمعية العلماء المسلمين ، كتبنا هذا العقد فى العاصمة وسافرت به إلى مدينة سيدى بلعباس سرا ولتقيت برئيس الجمعية المحلية ، وهو تاجر تلمسانى من المصلحين المثقفين يدعى السيد (عبد السلام بن الطالب) وأطلعته على العقد وطلبت منه توقيعه وتوقيع جميع أعضاء الجمعية التى اشترت الارض وأقامت عليها البناء ، فوقّع وطفنا على جميع الاعضاء لأخذ توقيعاتهم فردا فردا ، ولم يبق سوى شخص واحد عضو فى الجمعية هو الحاج محمد المغربى المتعاون مع المدير والامام الآخر ، وكانت فكرتهما ممارسة النشاط الدينى بعيداً عن الاستعانة برجال يأتون من الشرق الجزائري أو العاصمة (يعنى من جمعية العلماء) والاستعانة بالعلماء الموجودين فى الغرب الجزائري .

توجهت صحبة ابن الطالب رئيس الجمعية لزيارة الحاج محمد المغربي فى منزله وكان مريضا وبلغته تحية الشيخ البشير الابراهيمي ، وأخبرته بأن الشيخ البشير يلفت نظركم الى أن الحكومة عازمة على الاستيلاء على جميع مدارس جمعية العلماء المسلمين ومؤسساتها ، واننا بصدد احباط هذه المحاولة ، لذلك قمنا بتحرير

هذا العقد ، وقد وقعه جميع أعضاء الجمعية ونطلب توقيعك ، فوقّع عليه .

وبعد ذلك استدعيت أعضاء شعبة جمعية العلماء والتقينا فى الجامع وشرحت لهم كل الظروف ، وجددت جمعية المدرسة ، ورجع الشيخ محمد القباطي الى إمامة المسجد وادارة المدرسة وصلّى الجمعة اماما بالناس بحضورنا .

لم أتصل بالهادى السنوسى على الرغم من علاقتى السابقة به ، ولحسن الحظ أنه كان غائبا بالجزائر ، فلم أتصل به ولا بأخيه الذى كان نائبا عنه خلال هذه الأيام فى نائب ادارة حانوته ، وقبل أن أعود الى الجزائر مررت بالحانوت وقلت لأخيه أبلغه منى السلام . وقد امتلأ الهادى السنوى غيظا اثر عودته ومعرفته بما حدث ، وقال عنى لقد فعل معى موقفا يشبه موقف بنى اسرائيل مع موسى ، اذ ذهب يناجى ربه فرجع إليهم فوجدهم يعبدون العجل من دون الله !

أما أنا فقد عدت الى الشيخ البشير الابراهيمي وأخبرته بما حدث ، فتهلل وجهه فرحا - رحمه الله - وردد لى مقولته التى أعتزّ بها :

« الـدّين خيرٌ كلـه وأنـا أرى   من خير هذا الدين (خير الدين) ».

فى ندرومــــة

ومن الوفود التى ساهمت بالمشاركة فيها ، وفد للغرب الجزائرى عام 1948 وقد رافقنى فيه الشيخ السعيد الزموشى ، وزرنا فى هذه الجولة مدينة (ندرومة) وهي مدينة تاريخية نشأ بها عبد المؤمن بن علي خليفة المهدى بن تومرت ورئيس دولة الموحدين الكبرى ، تقع بالقرب من مدينة تلمسان (عاصمة الزيانيين) ، وعلى الرغم من أن مدينة تلمسان كانت عامرة بالحركة والنشاط والتجاوب مع دعوتنا الاصلاحية ، فإن مدينة (ندرومة) القريبة منها كانت ساكنة لايتحرك فيها نبض الحياة الاصلاحية ، ولم تغذها عروق الدم المتدفق من نبع الحركة فى البلاد الاخرى المجاورة لها او البعيدة عنها ، فلم تنشأ بها شُعْبَة لجمعية العلماء المسلمين ، ولم تفتح

بها مدرسة لتعليم القرآن واللغة العربية ، بل كان بها سبع زوايا للطرقية تنشر البدع والخرافات .

دخلنا المدينة ونحن لانعرف مقرا نقصده من الأماكن التى تعودنا الاتصال بها فور دخولنا أي مدينة بها نشاط لحركتنا ، فاتجهنا الى حلاق وطلبنا إليه أن يدلنا على مكان أي جمعية دينية ، فدلنا على جمعية دينية يرأسها ، الحاج محمد بن رحّال شقيق النائب المالى عبد القادر بن رحال المعروف ، فقصدناه والتقينا به وعرّفناه بأنفسنا وطلبنا منه أن نلتقي بأعضاء هذه الجمعية لنتعرف على احوالهم وما يعترض طريقهم من مشكلات ، ورأيت أن أتعرف على الأعمال التى قاموا ويقومون بها من خلال سجل محاضر جلساتهم ، فطلبت دفتر التسجيل لجلسات انعقاد الجمعية فهالنى مارأيت حيث لم يدون بهذا الدفتر غير موضوع واحد منذ خمس سنوات ، وكان هذا الموضوع هو التصريح بدفن أحد الموتى بالمسجد ، فقلت لهم : من الأجدر بكم أن تطلقوا على جمعيتكم أسم جمعية (دفن الموتى).

وحدثناهم عن انتشار حركة الاصلاح فى سائر عمالات القطر الجزائرى وكيف تغلغلت فى كل مكان وتكاثر انصارها ، وضربت لهم مثلا بقرية (الحنايا) الواقعة على بضعة كيلومترات من تلمسان وكيف استطاع سكانها أن يفتحوا نهضة دينية قوية على الرغم من انهم يعملون بالزراعة وفلاحة الارض عند كبار الملاك من المعمرين الذين عرفوا زراعة العنب وصناعة الخمور ، فقد استطاع سكان هذه القرية بقيادة ابنها البار محمد الأبلق أحد كبار المصلحين النشيطين بها أن يقيموا مسجدا ويؤسسوا مدرسة وناديا لإقامة الصلوات وتعليم البنين والبنات وإلقاء الخطب والمحاضرات ، وذكرتهم بماضى بلدتهم التاريخى وقلت لهم أنه من العار على مدينتكم ألا يوجد بها شيئ من دور النهضة الاصلاحية ، وألا تصلوا ماضيكم المجيد بحاضركم .

وتبادلنا معهم الحديث فى طريقة العمل لتسلك هذه المدينة الكبيرة مسلك المدن الأخرى فى نشر الدعوة الاصلاحية ، واقترحنا بناء مسجد كبير يسع اعداد المصلين

الذين يسكنون المدينة واختيار امام يقوم بأداء الصلوات وإلقاء دروس الوعظ والارشاد .

وبدأنا فى هذا اللقاء بتنفيذ اتفاقنا ، فجمعنا التبرعات لتأسيس صندوق الجمعية وكان الشيخ ابن رحال قد قدم لنا مبلغا من المال (حوالى خمسة آلاف فرنك) تحية لنا فبادرنا بالتبرع بها ووضعها فى صندوق جمعيتهم ، وتبرع الحاضرون حتى بلغ جملة ماتبرعوا به فى هذا اللقاء حوالى اربعين الف فرنك ، وطلبنا منهم ان يهيئوا لنا لقاء عاما فى مسجد عبد المؤمن بن علي يحضره الناس جميعا لسماع درس الوعظ فنشطوا بالدعوة الى هذا الاجتماع والتقينا .

وفى هذه المرة ألقيت درسا واقفا وقلت لهم : جرت عادتى أن أجلس وألقي الدرس لكننى لما وجدتكم جميعا جالسين متقاعسين عن العمل آثرت أن أقف وألقي هذا الدرس واقفا ، وقد أثمر هذا اللقاء فى هذه الليلة ثمرات طيبة وجمعنا تبرعات بلغت (ثلاثة ملايين فرنكا) أشرف على جمعها لجان ثلاث من الحاضرين ، وقبل مغادرة المسجد سألناهم عن وجود مكان يصلح لإقامة مسجد ، وهدانا الله الى مكان ، وفى الصباح سرنا إليه وقررنا البدء فى البناء وانصرفنا .

وأخذت بذور الحركة فى هذه البلدة تنمو بسرعة فلم تمض أيام طويلة حتى فرغ أهلها من بناء المسجد ، وقد قام الأستاذ عبد الوهاب بن منصور بالإشراف على البناء واقامة الصلوات وإلقاء الدروس وتجلت أعماله العظيمة فأصبح عضوا اداريا نشيطا فى جمعية العلماء ، وظل يعمل بحزم وعزم فى اطارها حتى قامت ثورة التحرير وأشتدّ الامر وأحدق به الخطر فرحل الى المغرب وانضم إلينا فى مؤسسات الجبهة بالرباط ، ثم التحق بالتعليم فى مدارس الحكومة المغربية كبقية إخوانه الجزائريين وظهر نشاطه العلمي ولا سيما فى كتابه تاريخ المغرب العربى فأسند إليه جلالة الملك محمد الخامس رحمه الله منصب الكتابة فى ديوانه ، ومايزال مقيما بالمغرب حتى يومنا هذا ، ويشغل منصبا مرموقا بالديوان الملكى .

فى المحمديـــة :

وفى المدن التى زرناها خلال جولتنا هذه بالغرب الجزائري « بريقو » (المحمدية حاليا) وهي من المدن الغنية بتربتها ومياهها ، ومن أجل ذلك كانت مركزا هاما من المراكز التى كثر بها المعمرون ، وقد دعانا الى زيارتها السيد (معبد) وهو معلم بالمدرسة الفرنسية يمتاز بشخصية دينية قوية ويمارس نشاطه فى إطار جهوده الذاتية، فأسس جمعية دينية وأقام مسجدا ، ولم تكن يد الاصلاح قد تغلغلت فى هذه المدينة ولم ترتبط حتى ذلك الحين بالسير المنتظم فى دائرة جمعية العلماء المسلمين ، فأسسنا بها شعبة وتولى رئاستها السيد (معبد) وشرعنا فى جمع الاموال لبناء مدرسة ، ثم تابعت الشّعبة نشاطها برئاسته وقد شارك هذا الرجل فى المؤتمر الاسلامى الجزائري الذى شارك فيه النواب الجزائريون المسلمون وكان عضوا فى اللجنة المركزية للمؤتمر الاسلامي الجزائري سنة 1936 .

وبانضام هاتين المدينتين الى لواء الاصلاح الديني الذى تمارسه جمعية العلماء المسلمين أصبح الغرب الجزائري كله خلية نحل تعمل فى حركة دائمة .

الى الجنوب الشرق

وفد الصحراء (عام 1938م)

انتشرت وفود جمعية العلماء المسلمين فى كل مكان ، ومن الوفود التى شاركت فيها : وفد الصحراء الذى تكوّن من الشيخ : عبد الحميد بن باديس ، والشيخ الفضيل الورتلاني ، والشيخ مبارك الميلي ، زار هذا الوفد وادى سوف ، وكانت معقلا من معاقل الطرقية التى تناهض حركتنا الاصلاحيـة ، ولكن الحركة الاصلاحية سرت فى كل مكان وأصبح لها أتباع ينتصرون بها وتنتصر بهم ، ومن جملة الشخصيات التى انضمت الى حركتنا وأصبحت عضوا عاملا فى ادارة الجمعية : الشيخ عبد العزيز بن الشيخ الهاشمى رئيس الطريقة القادرية ، فقد زرنا (الرقيبة) وهي بلدة صغيرة تتنازعها طريقتان هما : القادرية والتجانية ، وقد بلغ الشقاق بينهما شأوا بعيدا فحرّموا التعامل والتزاوج بينهما ، وقسموا المسجد الجامع

شطرين ، أقاموا فى وسطه جدارا فاصلا جعل من المسجد مسجدين مسجداً لهذه ومسجداً لتلك ، وقد دعانا الشيخ عبد العزيز الى زيارة هذه الناحية واستقبلنا استقبالا حافلا فألقينا الدروس وعقدنا الاجتماعات ونظمنا الشعبة ومضينا .

وكان من آثار زيارتنا لهذه الناحية ان قوي ساعد الشيخ عبد العزيز ، وكان عصبي المزاج حاد الطبع ينفعل ويندفع بسرعة فى تهور وطيش أحيانا ، فأثار تصرفه غضب الحاكم الفرنسي فى هذه الناحية حيث قاد مايشبه المظاهرة أمام دار الحاكم ، وتطاول على الحاكم فألقى القبض عليه ، ووضع فى سجن باتنة مع بعض رفاقه ، ثم نقل الى سجن قسنطينة وعزل من رئاسة الطريقة القادرية .

وكلفت من طرف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالسعي للدفاع عنهم وتخليصهم من السجن فاستعنت بالمحامين والحقوقيين للدفاع عنهم ، وزودتهم بما يحتاجون إليه فى سجنهم من نفقات لرعايتهم ورعاية أسرهم ، وقد بقي الشيخ عبد العزيز عاما كاملا فى السجن ، ثم أفرج عنه وبقي فترة فى الجزائر ثم سافر الى تونس وتوفي هنالك رحمه الله .

نا فى هذه الجولة عدة مناطق اسسنا بها الشُّعَب وألقينا فيها دروس الوعظ والارشاد ، منها بلدة « قمار » التى انجبت عددا من المصلحين ، وإليها ينتسب العالم الجليل الفقيه الشيخ (خليفة بن حسن القمارى) ناظم متن الشيخ خليل فى فقه المالكية .

وغيره من الفقهاء والأدباء والمؤرخين قديما وحديثا .

فى مدينة صدراتـــــه :

ومن المساعى الفردية التى أنجزتها فى اطار نشاطى فى حل المشاكل التى تتعرض لها حركة جمعية العلماء المسلمين ، مشكلة وقعت فى مدينة (صدراته) سنة 1947م

وصدراته من المدن الغنية بخصوبة تربتها ولها تاريخ قديم ، ففى هذا العام ترشح بهذه الدائرة فى انتخابات المجلس المالي شخصان : أحدهما مرشح الحكومة والآخر مرشح الشعب ، وهو السيد (عزاق) من الأثرياء وهو رئيس جمعية المسجد والمدرسة ، ومن أنصار حركتنا الاصلاحية ، له عصبية فى قبائل هذه الناحية ، وعلى عادة الانتخابات فى هذه البيئة نشأت خصومة بين أنصار الرجلين ، وأراد السيد (عزاق) أن يقوى عضده بالتفاق الموالين للحركة الاصلاحية حوله ، فطلب من الشيخ البشير الابراهيمي والشيخ العربي التبسي زيارته ليتأثر الناس بهذه الزيارة ويناصروه ، وكانت الإدارة الحاكمة قد جندت كل طاقاتها لمناصرة مرشحها ، وهكذا اشتد الصراع .

لبّي الشيخ البشير الإبراهيمي والشيخ العربي التبسي الدعوة وزارا مدينة صدراته فاستقبلهما السيد (عزاق) رئيس الشعبة وأعوانه من القبائل الموالية ، وشرعوا فى الاتصال بالرجال المصلحين ودعوهم لمساندة السيد عزاق فى هذا الانتخاب .

ولمّا أحست الادارة الحاكمة بتأثير زيارة الشيخ البشير فى سير الدعاية الانتخابية ، أرادت أن تمنع ذلك فأرسلت الى الشيخ البشير ورفيقه سراً من أوعز إليهما بأن بقاءهما فى هذا المكان محاط بالمخاطر لأن الادارة الفرنسية تنوى التخلص منهما والقضاء عليهما ، ثم تعلن أنهما اغتيلا فى معركة انتخابية بيد مجهولة ، وكان مقتل الشيخ كحول مفتى العاصمة قد تمّ بمثل هذه الصورة الغامضة واعتُبر الجانى مجهولا ، فلما علم بعض رجال الاصلاح بذلك نصحوا الشيخين بالخروج من المدينة فخرجا ، وانتهزت الادارة الفرنسية هذه الظروف فأغلقت المدرسة وطردت الامام .

اتصل بي الشيخ البشير وأنا فى بسكرة وطلب منى الحضور وقصّ عليّ الخبر ، فانطلقت الى صدراته ، وتبين لى أن خصوم السيد عزاق كثيرون من بينهم كاتب عام جمعية المدرسة ، فاتصلت بأعوان الحركة من الرجال العقلاء وأقنعتهم بأن الخلاف الانتخابي لاينبغى أن يمس التعليم أو يعطل حركة الاصلاح الديني ، ولم أطلب منهم

مساندة أحد المرشحين ، وانما طلبت منهم أن يعودوا الى مواصلة النشاط الديني فى المسجد ، والى تعليم أبنائهم فى مدرسة الجمعية وأن يختاروا فى الانتخاب الأصلح والأنفع لجماعة المسلمين .

فهداهم الله الى قبول نصحى واقتنعوا ، وعادوا الى فتح المدرسة والمسجد فى هدوء وكأنهم عادوا من تلقاء أنفسهم ، وكان كاتب عام المدرسة من خصوم السيد عزاق ، ومن الذين بادروا بطرده من ادارة المدرسة واغلاقها .

وعندما رآنى بعد أن عادت الأمور الى مجراها الطبيعى قال لي فى هدوء : لقد أحسنت الخدمة وحيّانى برفع يده بما يشبه التحية العسكرية .

صدام مع السلطة فى بسكرة :

فى الظروف التى تأسست فيها جمعية العلماء وما واكب ظهورها من صراع بين رجال حركة الاصلاح الناشئة وأعوان الحكومة وأذنابها تناقل الناس أخبارها وتناولت الصحافة أنباء ما حدث من صراع فى الاجتماع العام الثانى بنادى الترقى بالعاصمة ، وكان اسمى قد نشر ضمن قائمة أعضاء مجلس ادارة الجمعية .

فى هذه الظروف زارنى السيد الحاج الحفناوى دبابش رئيس (جمعية الإخاء) التى كانت أولى ثمرات جهودى فى مجال الاصلاح بمدينة بسكرة وقدم إلي أمرا من شيخ بلديتها الفرنسى يخيّرنى بين أمرين هما : الاستقالة من (جمعية العلماء) أو الاستقالة من (جمعية الإخاء) ومن ادارتها ، فأجبته بأن هذا أمر يقيد حريتى ويمس كرامتى ولن أقبله أبدا وليكن مايكون .

وفى سنة 1932 ، صدر مرسوم عن (لجنة البحر الابيض المتوسط الفرنسية) يقضى بمنع التعليم العربى فى المدارس الحرة والمساجد ، وعلى اثر اعلان هذا المنشور أصدر الاستاذ الامين العمودى رحمه الله عددا خاصا من جريدته (الدفاع) التى

يصدرها باللغة الفرنسية فى العاصمة الجزائرية مجللا بالسواد يهيب فيه بالشعب الجزائري أن يقدم الاحتجاجات وينظم المظاهرات فى عموم الوطن تعبيرا عن سخطه تجاه هذا القانون الجائر .

وانتهزت هذه الفرصة وقمت بتوجيه ضربتين : احداهما لشيخ المدينة والأخرى لرئيس جمعية المدرسة ، فكتبت رسالة الى رئيس المدرسة تتضمن استقالتى منها وأخبرته فيها بأننى سأشارك فى المظاهرة التى ستنطلق فى هذا الصباح لتجوب شوارع المدينة احتجاجا على مرسوم (لجنة البحر المتوسط) بمنع التعليم العربي الحر من المدارس الحرة والمساجد .

ثم اتصلت بالدكتور سعدان لما أعرفه فيه من الوطنية والشجاعة والعطف على الحركة الاصلاحية وأقترحت عليه أن يرشح نفسه للانتخابات العمالية ، وكان قد حدّد لها الشهر القادم فأجابنى بقوله : شريطة أن تقف معى جهارا نهارا فقبلت شرطه وواعدته بالوقوف الى جانبه بكل ما أملك من قوة ونفوذ ، وقلت له : وأنا أشترط عليك شرطا آخر أن تقف معى وتسير جنبا الى جنب صباحا فى مظاهرة ضخمة احتجاجا على مرسوم (لجنة البحر الأبيض المتوسط) ، فقبل واتفقنا على تحديد موعد المظاهرة وأعددنا العدة لذلك .

مظاهرة احتجاج فى بسكرة :

شاركت طبقات الشعب بحماس لم يسبق له نظير وسرت أنا والدكتور سعدان أمام المتظاهرين ، وعبرنا شارع الحرية بمدينة بسكرة حتى دخلنا الى مكان فسيح وسط دار البلدية ، وتحدثت الى الشعب وخاطبتهم بالعربية وتكلم الدكتور سعدان وخاطبهم بالفرنسية ، وكان يوما مشهودا لم تبد فيه السلطة معارضتها لنا أو تحول دون رغبتنا فى التعبير عن رأينا ، ثم رفع المتظاهرون برقيات الاحتجاج الى المسؤولين الفرنسيين فى الجزائر وفرنسا .

سياسة الوعد والوعيـــد :

وللشاعر محمد العيد خليفة قطعة شعرية حول (لجنة البحر) هذه وجريدة (الطان) أي الوقت - التى أقامت الأمة وأقعدتها بانذارها وتهديدها ، نشرها فى مجلة (الشهاب) وجريدة البصائر بعنوان (هل من جديد) يقول فيها :

يــا (لجنــة البحر) خبّرينــا | هــل فيك للشعب مــن مفيــد ؟
جريــدة (الطــان) أنذرتنــا | بحــادث السوء مــن بعيــد !
وأنــت تدعيننــا لنــوم | مُنَعَّــم بــالرؤى سعيــد
الى متى تنشــدين فينــا | أنشــودة الأم للوليــد
يــا (لجنــة البحــر) لاتحيفى | عن جــانب العــدل أو تحيــدى
هل مــن جديــد لــديك يعطى | للشعــب فى عامــه الجديــد
هل من جديــد فقــد سئمنــا | سياســة الوعــد والوعيــد

مساندتى للدكتور سعدان

وفى عام 1934م حل موعد انتخاب المجالس العمالية بدائرة باتنة فترشح الدكتور سعدان وكنت على استعداد للوفاء بعهده ، والوقوف الى جانبه جهارا كما وفى بعهده معى ، ووقف الى جوارى يوم المظاهرة التى سبق الحديث عنها .

وكان خصمه المنافس له فى الانتخاب هو الحاج الحفناوى دبابش الذى يسانده صديقه الحميم شيخ مدينة بسكرة (كازناف) وشيخ العرب (بوعزيز بن قانة) وهما دعامتا فرنسا فى صحراء الواحات ، فتحولت المجابهة التى كانت بين شخصين متنافسين على النيابة الى مجابهة بين المناضلين المخلصين والاستعمار وأعوانه .

فى هذا الجو المضطرب حل ببسكرة وفد من جمعية النواب المسلمين لعمالة قسنطينة برئاسة الدكتور ابن جلول لمساندة الدكتور سعدان والوقوف الى جانبه فى الحملة الانتخابية ، فخرج الشعب لاستقبالهم على مشارف المدينة ، وكنت مع الدكتور سعدان فى مقدمة المستقبلين ، وأثناء رجوعنا الى المدينة رفقة وفد النواب ، اعترضت طريقنا عصابة مسلحة يقودها الحفناوى دبابش وأنصاره تساندهم فرقة من رجال الشرطة المسلحين ، وصادمونا فتحولت المعركة الانتخابية الى مجابهة مسلحة بين الفريقين سقط فيها من الطرفين عدد غير قليل من الجرحى وأصبت أنا وأصيب الدكتور سعدان فى هذه المواجهة ولكن اصابتنا لم تكن خطيرة .

وبعد المعركة ارتد المعترضون على أدبارهم خاسئين خوفا من الحشود الوافدة ، ودخل وفد جمعية النواب مدينة بسكرة ، وبعد تناول طعام الغذاء ، عقد اجتماع فى بطحاء بسكرة القديمة خطب فيه الدكتور ابن جلول وبعض رفاقه من النواب وسط الحشود الحاشدة وكان اجتماعا مشهودا لم تشهد لـه بسكرة نظيرا فى الاجتماعات السياسية .

دورى فى هذه القضيـــــة :

شاء الله أن تلق على عاتق مسؤولية القيادة والتنظيم لهذه الحملة الانتخابية الأولى من نوعها فى الصحراء ، فاخترت فريقا من المناضلين الأكفاء ، وعهدت الى كل واحد منهم القيام بالاشراف على ناحية فى المدينة ، يتولى احضار سكانها وتسجيل أسمائهم وعناوينهم ويكون مسؤولا عن احضارهم حيث يدلون بأصواتهم فى صناديق الانتخاب ، وكلهم مسؤولون عن حراسة مكاتب الاقتراع ، وحث المواطنين على الادلاء بأصواتهم ، بحيث أصبح كل مناضل مسؤولا عن سير العمل ونجاحه .

وبمناسبة هذه الحملة الانتخابية أصدرنا صحيفتين احداهما باللغة العربية واطلقنا عليها اسم (تغنّانت) (1) وأخرى باللغة الفرنسية اطلقنا عليها اسم (الكو دو بانبو) (2) أي ضربة الخيزران .

ونظرا للجو المكفهر الذى خيم على المدينة فى هذا الانتخاب رأى المناضلون أن يستعينوا بعدد من الرجال فاستقدموا ستين نفرا من البادية مسلحين أقاموهم حول البساتين خارج المدينة احتياطا لما عسى أن يحدث أثناء سير الاقتراع ، واستعانوا بطائفة من الشبان فى المدينة يركبون الدراجات ويتصلون بالرجال المسلحين لينقلوا إليهم الطعام والشراب ويستقدموهم عند الحاجة ليردوا على القوة بالقوة اذا لجأت السلطة - حسب عادتها - الى تزييف الانتخاب .

أما أنا فبصفتى مسؤولا عن التنظيم وقيادة الحملة الانتخابية فقد أقمت سبعة أيام بلياليها فى (نادى الاخاء) لا أبرحه ، اراقب من خلاله سير الاحداث ، وقبل اغلاق مكاتب الاقتراع بساعتين جاءنى أحد المكلفين بالحراسة من طرفنا وأخبرنى بأن أعوان البلدية أحضروا ثلاثين رجلا مسلحين من المأجورين وأدخولهم البلدية من الباب الخلفي لارهاب المكلفين بالاشراف على عملية الاقتراع من طرفنا ، والحيلولة دون مراقبتهم سير عملية فرز الاصوات حتى تتاح لخصومنا فرصة تزوير الاصوات ،

---

1) كلمة بربرية معناها : على الرغم من أنف الخصوم .

2) (le coup de bombou) : ومعناه ضربة الخيزران .

وتكون النتيجة لغير صالح الدكتور سعدان ، ولو أجمع المنتخبون على اختياره ، وعلى الفور أمرت شبان الاتصال باحضار الحراس المسلحين الى النادى فجاؤوا يخفون أسلحتهم تحت برانيسهم وسرت أمامهم وهم خلفى الى أن وقفنا أمام باب البلدية ونظمتهم بمرأى ومسمع من الشعب وأعوان الشرطة فى صفين ووقفت أمامهم وقوف من يتهيأ للمعركة غير متستّر عازما على خوضها بالسلاح بلا تردد اذا اقتضى الحال ذلك .

شاهدنا أحد شيوخ الزوايا (محمد الطاهر بن الشيخ المختار) - على هذه الحال - فسارع الى ابلاغ نائب شيخ البلدية وهو رجل ايطالي الاصل فرنسي الجنسية يجيد اللغة العربية يعرفنى حق المعرفة ، فخرج اليّ وحدثنى باللغة العربية قائلا : أنت شيخ من علماء الدين أرجوك أن تصرف هؤلاء الناس وتعيننا على الهدوء وحفظ النظام، فأجبته : لن نغادر هذا المكان حتى يخرج الثلاثون رجلا المسلحون الذين أدخلتموهم خفية من الباب الخلفي ، ويقفوا هنا أمامى ، فاذا لم يخرجوا فسوف تدور معركة أكون أنا وأنت وكل مافى دار البلدية من أناس وأثاث ووثائق ضحية هذه المعركة ، وبعد أن أيقن أن الأمر جد لا هزل فيه انطلق مسرعا وأخرج الرجال المسلحين وأوقفهم أمامى وقال لى : ها أنا أخرجتهم ، وأرجوك أن تصرف هؤلاء الرجال الذين معك وأعدك بأنه سيتم فرز الأصوات فى ظل الأمن والعدالة ، فالتفتُ الى المسلحين من حراسنا ، وأشرتُ لهم بيدى أن ينصرفوا فانصرفوا ثم اغلقت أبواب البلدية وتم فرز الأصوات كما نحب ، وفاز الدكتور سعدان فوزا ساحقا ، وصدق الله فى قوله « ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل »

لقد اراد الحاج الحفناوى دبابش رئيس جمعية الاخاء أن يخرجنى من جمعية المدرسة فشاء الله أن أخرِجه من نيابة العمالة .

ردود الفعـــل :

بعد اسبوع من فوز الدكتور سعدان أعلن شيخ بلدية بسكرة حربا شعواء علينا وعلى أنصارنا من المناضلين المقيمين فى القطاع المدنى ببسكرة ، فأخرج قانونا قديما كان نائما فى خزانة البلدية منذ سنتين يقضى بعدم إلزام مواليد القطاع الخاضع للحكم العسكرى بأداء الخدمة العسكرية الاجبارية مادامو فى هذا القطاع ، فاذا انتقلوا الى قطاع خاضع للحكم المدنى وأقاموا به سنة أو أكثر أصبحوا ملزمين بأداء الخدمة العسكرية مالم تتجاوز اعمارهم ستة وثلاثين عاما .

ومن العجيب أن هذا القانون لم يطبق على أحد منذ صدوره ، ولم يفكر المسؤولون فى تنفيذه إلا بعد فوز الدكتور سعدان فى الانتخاب .

ولما كانت مدينة بسكرة خاضعة للحكم المدنى وكان مايحيط بها من الزيبان خاضعا للحكم العسكري فان كل من أقام سنة فأكثر ببسكرة وهو من قطاع الزيبان استدعي لأداء الخدمة العسكرية .

وتطبيقا لهذا القانون استدعيت وإخوتى الاربعة لأداء الخدمة العسكرية فى الجيش الفرنسي حيث لم يتجاوز عمر أي واحد منا ستة وثلاثين عاما كما استدعي ابناء الزيبان من انصار الدكتور سعدان لذلك .

وانها لكارثة مابعدها كارثة أن نترك كل شؤوننا الخاصة والعامة ونصبح فى خدمة جيش الاحتلال الفرنسي ، موقفٌ مهين ، وله ابعاد خطيرة قد تفضى الى القضاء المبرم على حركتى الشخصية وعلى مسؤولياتى فى الميدان الوطنى .

ولكن الله جل جلاله ألهمنى فكرة خرجت بها من هذه الازمة ـ كما عودنى ـ بعونه وتيسيره فى كثير من الازمات الحالكة التى صادفتنى فى الحياة .

اتصلت ـ سرّاً ـ بالسيد الحاج اسماعيل القسنطينى ، الكاتب الأول بمكتب الشؤون العربية فى ادارة الحاكم العسكري ببسكرة والمسؤول عن الوثائق فى الدوائر

التى تخضع للحكم العسكري فى الصحراء ، ومنها الشؤون المتعلقة بالأحوال الشخصية ، فوقف معى موقفا وطنيا لا أنساه ، حيث غير تاريخ ميلادى وزاد فى عمرى عشر سنوات وفعل مثل ذلك مع إخواتى جميعا ، وبذلك نجونا من طائلة تطبيق هذا القانون علينا ، وبعثت الى شيخ البلدية رسالة بها نسخة من عقد الميلاد لكل واحد منا تحمل التاريخ الجديد وكفى الله المؤمنين القتال .

صلاة العيـــــد :

وفى ليلة عيد الفطر من نفس السنة 1934م استدعانى رئيس الشرطة بمدينة بسكرة واستقبلنى فى مكتبه ثم سلم لي أمرا بمنعى من الصلاة اماما يوم العيد ، وأخبرنى بأن شيخ البلدية (كازناف) عين الشيخ الطاهر دالى كاتب ادارة الشؤون الأهلية ببسكرة وكلفه بالصلاة اماما بالناس يوم العيد بدلا منى ، كما بلغنى أن المسؤولية تقع علي وحدى فيما لو حدثت اضطرابات أو فتن فى المدينة أثناء الصلاة ، فأجبته بكل حزم : كما بلغتنى هذا الامر من شيخ المدينة أرجوك أن تبلغه احتجاجى بالإصالة عن نفسى وبالنيابة عن سكان بسكرة المسلمين الذين قدمونى لصلاة العيدين منذ اربع سنوات ، وأخبره بأنى أعتبر قراره هذا اعتداء على الاسلام وحرماته ، وتدخلا لامبرر له فى شؤون الصلاة التى تخص المسلمين وحدهم ، ثم اذا حدثت فتنة نتيجة تصرفه هذا ، فهو المسؤول عن ذلك وحده ، كما أنه بحكم وظيفته مسؤول عن الأمن وحماية المواطنين.

ثم توجهت مباشرة الى منزل الدكتور سعدان واستدعينا بعض الاخوان المسئولين عن السكان ورويت لهم ، مادار بينى وبين رئيس الشرطة وحدثتهم بالموقف الحازم الذى وقفته ، فأيدوا موقفى وعزموا على الاستمرار فى أداء الصلاة معى كما هي العادة وعلى تحملهم كل مايترتب عن ذلك .

جاء المصلون من شتى اطراف المدينة رافعين اصواتهم بالتكبير والتهليل ، احياء لسنة العيد ، وانتظموا صفوفا انتظارا للصلاة ، وكنت جالسا فى وسط الصف الأول، فلاحظت عددا غير عادي من اعوان الشرطة قد انتشروا حول المصلى ولم يبال بهم

المصلون ، واستمروا رافعين أصواتهم بالتكبير والتهليل ، وبينما نحن فى هذا الجو الروحى نستعد للشروع فى الصلاة اذ توقفت سيارة قرب الصف الأول ، فنزل منها الحاج الحفناوى دبابش ماسكا بيد الشيخ الطاهر دالى حتى أوقفه أمامى ، وطرح فراشا كان يحمله قائلا للإمام الذى عينه شيخ البلد : تقدم للصلاة بالناس ، ولعلهم كانوا يظنون أن نشتبك فى عراك ومشاجرة وتقع الفتنة التى يريدونها .

ألهمنى الله فى هذا الموقف الحرج فنهضت قائما ، وقلت بصوت مرتفع : أيها الناس ان هؤلاء الظالمين ومن وراءهم يريدون الفتنة فى يوم عيد مقدس عند المسلمين فمن كان يريد الصلاة خلفى فليتبعنى ، وسرت وسار خلفى المصلون بضع خطوات ثم اعيد تنظيم الصفوف مرة أخرى ، وقمنا لأداء صلاة العيد ، وكان موضوع الخطبتين بعد الصلاة الهجوم العنيف على الاستعمار واذنابه ، ثبت به قلوب المؤمنين وكان ذلك الموقف انتصارا رائعا للحركة الاصلاحية ، انتشرت اخباره فى ربوع الصحراء.

النفي الى مجانـــة :

وذات يوم من نفس السنة 1934 حضر الى منزلى عميد الشرطة ببسكرة وأبلغنى أن عامل العمالة أمر بابعادى من بسكرة الى الإقامة الجبرية بمجّانة فى دائرة برج بوعريريج وطلب منى الاستعداد للرحيل فورا ، فخرجت تحت الحراسة الى مجانة ، وما كاد الخبر يصل الى سمع سكان هذه الناحية حتى سارعوا الى زيارتى والجلوس معى .

وكان أول من زارنى السيد الحواس بن اشناف أحد اعضاء جمعية النواب المسلمين بعمالة قسنطينة ، والسيد مصباح الصديق اليعلاوى الذى تولى منصب قاضى المالكية فى العاصمة بعد الاستقلال ، ثم تتباعت زيارات شباب البلدة وشيوخها ، وتبادلوا معى الأحاديث حول بلدتهم وسكانها والمقيمين حولها ، وعن أبناء عائلة المقرانى وعائلة الشيخ ابن الحداد ، وعن أمراء رياح ومساكنهم الصيفية التى ينتقلون إليها من الصحراء ، وديوان حكمهم ، وخزائن كتبهم أيام الأمير محمد

ابن الصخرى الرياحى الذى يجمع بيننا وبينه الجد الرابع فى سلسلة نسبنا ومصاهرتهم مع عائلة المقرانى وعائلة الشيخ ابن حداد .

وممن سعدت بزيارتهم فى هذا المنفى العلامة الشيخ البشير الابراهيمى نائب رئيس جمعية العلماء ، وقد أثار نفيي هذا : الاحتجاجات الشعبية والتنديد فى الصحف الوطنية وفى خارج الوطن مما دفع عامل عمالة قسنطينة الى الحضور إلي فى شهر افريل من عام 1934 للاطلاع على حقيقة أمرى والاستماع منى مباشرة لمعرفة الاسباب التى ادت الى هذا النفي وسألنى عن نشاطى فى اطار جمعية العلماء وأعمالها التربوية والثقافية ، فأجبته عن كل مايريد .

وبعد شهرين أطلق سراحى ، ورجعت الى بسكرة لمتابعة مهمتى الاصلاحية بها .

حـــادث بسكـــرة المريـــــع

فى فتنة من فتن الانتخابات النيجلانية المعروفة بالجزائر ، وقعت معارك دامية فى (بسكرة) عاصمة الزيبان يوم الأحد الخامس من ذى الحجة 1356هـ الموافق لـــيوم 6 / 2 / 1938م أي قبل عيد الأضحى بأسبوع. فقد تدخلت الشرطة بالقوة فى الانتخاب الجارى بالمدينة لتوجهه كما تحب ، وأسفر تدخلها عن قتيلين وأربعة جرحى من المسلمين المسالمين .

وكان البوليس ومن ورائه كل قوى الحكومة هو المهاجم وهو المقاتل للشعب الأعزل من كل سلاح .

وشيعت جنازة الشهيدين فى حفل خاشع رهيب ، حضرته شخصيات من داخل المدينة وخارجها مع الجموع الغفيرة من الشعب .

وأبّن الشهيدين الشيخ عبد الحميد بن باديس بخطاب ارتجالى مؤثر. وأرسل برقية احتجاج باسم جمعية العلماء إلى الوالى العام بالعاصمة جاء فيها :





قصــة شهيديــن

شهمــان فى الخطب لــم يهابا ... ناداهمــا الخلــد فاستجابــا
تلقيــا فى الحشــا رصاصــا ... مفرَّغــا للــردى مذابــا
فمــن رأى عندمــا أصيبــا ... رأى شهابــا تــلا شهابــا
خــرا الى الأرض فى مصــاب ... لم نحتمــل مثلــه مصابــا
يــا مــودع الشهب فى تــراب ... الشهــب لا تــودع الترابــا
أخطــط لهــا فى السماء قبرا ... ووار أجرامهــا السحابــا
ان (العــزيلات) قــد أنــارت ... لاريــب واستــأنست رحابــا
وجــدّ فيهــا البلى كــأن لم ... تمــض الدهــارير والحقابــا
ان الشهيــدين قــد ألمــا ... بظلهــا فــازدهى وطابــا
ياتربــة اشرقــت قبــورا ... وأشرقــت كــالربى قبابــا
ريح مــن الخلــد فيك هبــت ... وعــارض منــه فيك صابــا
ياواديــا غبّ كــل غيــث ... يسق ربى حولــه وغابــا
أطفىء على حــافتيك نــارا ... أتــت على الانفــس التهابــا
واغســل على حــافتيك أرضــا ... مــن الدمــاء اكتست خظابــا
كــانت مثابــا لكل أمــن ... فــأصبحت لــلأذى مثابــا
ان انتخابــا جــرى بحيــف ... فى دورهــا أعقــب انتحابــا
تبت يــدا حــاكم غشــوم ... يجــر للأمــة التَّبابــا
بغير جــرم مــن الأهــالى ... عليهــم ينزل العقابــا
فهــو الــذى بالغُثــاء يُلقى ... وهو الــذى يوقــد الثقابــا
يــا شــاهرا للأذى حرابــا ... هــل آن أن تغمــد الحرابــا
أشبهت وحــش الفــلا افتراسـا ... وفقتــه مخلبــا ونابــا
أخشى الأذى يُــوقِعُ انفجــارا ... عليــك أو يحــدث انتقلابــا
يادولــة يعتزى ذوُوهــا ... للعــدل والرحمــة انتسابــا
نشكــو الى حكمــك المُــؤاخى ... من حــاد فى حكمــهٍ وحابــا
مُمَهّــدَ السلم شــبّ حربــا ... لــو ابتلاهــا الصبيُّ شابــا
وحَــارس الأمن عــاث فيــه ... وزاد فى حبلــه اضطرابــا
(الشرطــة) استكبرتْ وجــارتْ ... وأصبحــتْ تُعــدِم الرقابــا
أبَتْ لِفَــرطِ العُتُــوِّ منهــا ... أن تسمــع اللــوم والعتابــا

فجَـدَّلَتْ مـن رَمَتْ ومَـرَّتْ كأنما جـدَّلَتْ ذُبابـا
«بسكـرة» اليـوم فى حـداد أمسـت كأطلالهـا خرابـا
القَتْـلُ والجَـرْحُ فى حماهـا خطبـان بـاسم السلام نابـا
أخـاف آرامهـا البـواكى تهيـج آسادهـا الغضابـا
دَمُ الشهيـدين لـم يعتم يستصرخ الأهْـلَ والصحابـا
فـأنصفى المشتكين فيهـا وأرشـدى السلطـة الصوابـا
العـدل للأمـن خيرُ بـابٍ فـلا تحلى سـواه بابـا
ويـا شبابـا بظلِّ نـادٍ على الهـدى يجمـع الشبابـا
إعمل حكيمـا تصـل سليمـاً ولا تهب مـن يقـول هابـا
بـالصبر والحلـم والتـأنِّي والرفـق فـاستقبل الصعابـا
لا تقـذف النفـس فى مجـال من يقـذف النفس فيـه خابـا
فى شرعـة الله لايـزكى مـن كـان لايملك النِّصابـا
ياقومنـا للنـدى دُعيتم ياقومنـا أحسنـوا الجوابـا
أهـل الشهيـدين فى عـذاب فخففـوا عنهـم العذابـا
وأيـدوا لجنـة الضحايـا ووفـروا كيسهـا اكتتابـا
آوُوا يتامـاهم إليكـم واكفـوهم القـوت والثيابـا
إن الـذى بـاليتيم أوصى أعـد للمحسـن الثوابـا

« نبدى لكم تألّم الأمة الجزائرية كلها عن حادثة بسكرة الفضيعة الواقعة فى يوم 6 فيفرى الأخير ، التى انجلت عن موت اثنين وجرح أربعة من الأبرياء ونحتج على تسرع رجال الأمن فى إزهاق الأرواح ، وهذه ظاهرة جديدة تفزعنا عواقبها... » (1)

وأرسل برقية تعزية ومواساة لأقارب الشهيدين وأهالى بسكرة إلى نائبهم الوطنى الدكتور سعدان هذا نصها :

« كل الجزائر حزينة غضبى لمصرع أولئك الشهداء الذين ذهبوا ضحية الحقد والتهور . فظيع جدًّا استعمال سلاح الأمن فى إزهاق نفوس العزل البريئة . تعازينا لأقاربهم ولأهل بسكرة » الرئيس **عبد الحميد بن باديس** (2).

وجاشت قرائح الشعراء لهذا الحادث المريع بقصائد بليغة خلدت الحادث الاجرامى الفضيع للتاريخ . منها قصيد رائع مؤثر للشاعر الكبير محمد العيد خليفة

(1) و (2) جريد البصائر عدد 100 من السلسلة الأولى .

بعنوان (قصة شهيدين)، وقصيد آخر للطالب الشاب محمد الصالح رمضان التلميذ بالجامع الأخضر بعنوان (الأضحى والتضحية) ألقاه فى احتفال (مدرسة الهدى) بعيد الأضحى فى (نادى الشباب) ببلدة (القنطرة) القريبة من بسكرة ، نثبتهما فيما يلى للعبرة والذكرى :

الأضحـــى والتضحيـــة !... (1)

تَضَوّع مسكاً فى الجزائـر كلهـا ... دم طـاهر مـن مسلمين تخرمـا
وأربعـةٍ جرحى جراحـا ثخينـة ... كلـومهم تجـرى إلى الآن بالدمـا
إلى عـالم الأفلاك طـار نشيدهـا ... فكبرت الأمـلاك فى أفـق السما
وفى العـالم الأرضي سـارت جرائد ... تخبر من فى الأرض طـرًّا ترحمـا
وفى الشرق بل والغرب فاج أريجها ... وراح بها المذيـاع يشـدو ترنمـا

هو الدم مـاأدرك ماالـدم يـافتى ... إذ أنت لم تجـر الدمـاء تكرمـا
هو الـدم يعطى للـذليل مهابـة ... وللحر إعـزازا وفخـرا ومغنمـا
هو الحـق إذ لاحـق إلا لمن طغى ... هو العدل والإنصاف وهْو لنا حمى
هو السلم فى ذا العصر والعلم والعلا ... هو الدين والدنيا لمن قـد تقدمـا

هنيئا لكم بالعيـد إذ عـاد بالدمـا ... تـراق على حـق لنـا وعلى الحمى
هو العيد (عيد النحر) قد نحرت له ... نفـوس أبيـات أبين المظالمـا
هنيئـا وبشرى للجزائـر كلهـا ... بمستقبل سعـدٍ أغـرّ وأفخمـا

سلام على تلـك الدمـاء وأهلهـا ... بعاصمـة الزيبـان «بسكرة» الدمـا
سلامى عليكم يـا ضحايا حقوقنا ... ويـا رافعى ألويـة الـدم للسما
فللـه مـا أجريتم من دم ومـا ... لقيتم من الأعدا اعتـداء ومظلمـا

....

ومنهـا :

ونحن أناس قـد ظَّلمنـا ولم يزل ... علينـا ظلام الظلم دومـا مخيمـا
(ألا) يوثر الانسـان ظلمـة رمسـه ... على ظلمـة الظلم الذى قد تجسما

محمـــد الصـــالح رمضـــان

---

(1) مجلة الشهاب ج 12 م 13
عدد ذى الحجة 1356 وفيفرى 1938

جمعية العلماء والصحافة

تعتبر الجمعيات مظهرا من مظاهر الحياة الفكرية والروحية فى الامم والشعوب ، والجمعيات الدينية كغيرها من المؤسسات بحاجة الى منبر تعلن من فوقه مبادئها للرأي العام وبواسطته تتصل بكافة افرادها وتجعله لسان حالها وهمزة وصل بينها وبين الشعب بجميع هيئاته ومؤسساته سواء كانت مناصرة أو معادية لها .

من أجل ذلك كان لابد أن تتخذ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الصحافة وسيلة من وسائل التعبير عن رأيها وبث فكرتها الاصلاحية وتبليغ دعوتها الى كل مكان ، وكانت الصحافة قد خطت خطوات واسعة فى طريق ذيوعها وانتشارها بين مختلف بلدان العالم ومن بينها فرنسا التى كانت تعتبر الجزائر جزءا منها .

وظهرت فى الجزائر صحف بالفرنسية والعربية قبل أن تتأسس جمعية العلماء ، لذلك كان طبيعيا أن تستعين الجمعية بالصحافة وتجعلها وسيلة من أهم الوسائل لنشر حركتها الاصلاحية .

وكان الامام ابن باديس قد استعان بوسيلة الصحافة لمتابعة نشاطه الفردي فى بعث الأمة ونهضتها قبل تأسيس جمعية العلماء ، فكوّن جريدة (المنتقد) سنة 1925م (1)وبعد 18 عدداً عطلت فخلفتها (الشهاب) فى نفس السنة ، لتكون لسان حال المدرسة الاصلاحية .

ثم قررت جمعية العلماء خوض ميدان الصحافة ، فأنشأت صحيفة باسم (السنّة)، فلما أوقفتها الحكومة كوّنت أخرى باسم (الشريعة) ، فلما صدر قرار بتوقيفها عوضتها بثالثة تحمل عنوان (الصراط) ، فلما ادركها المنع خلفتها (البصائر) ، وكانت الجمعية تحتج دائما على هذا الحيف .

---

1) صدر العدد الاول منها يوم 2 / 7 / 1925 بقسنطينة.

جريدة السنة النبوية

وهي جريدة اسبوعية صدرت باسم جمعية العلماء تحت اشراف رئيسها الاستاذ عبد الحميد بن باديس ، وكان يرأس تحريرها الاستاذان : الطيب العقبي ، والسعيد الزاهري .

وقد صدر العدد الاول منها فى 8 ذى الحجة عام 1351م وتوقف صدورها فى شهر ربيع الاول عام : 1352 هـ ـ 1933 م .

جريدة الشريعة المحمدية

اسبوعية كذلك لسان حال جمعية العلماء ، صدر العدد الاول منها يوم الاثنين 24 ربيع الاول عام 1352 هـ و 7 / 7 / 1933م ، بعد أن أوقفت جريدة السنّة ، وكانت تصدر أيضا تحت اشراف الاستاذ عبد الحميد بن باديس ويرأس تحريرها الاستاذان : الطيب العقبي والسعيد الزاهري ، ثم صودرت فى 28 / 08 / 1933م .

جريدة الصراط السَّوِيِّ :

اسبوعية ايضا لسان حال جمعية العلماء ، صدرت بتاريخ 11 / 9 / 1933 ، وعطلت فى بداية جانفى 1934 م يديرها عبد الحميد بن باديس ، وصاحب امتيازها أحمد بوشمال ، وهكذا فى مدى سنة واحدة فقط أنشأت الجمعية ثلاث جرائد وأوقفتها لها الحكومة تباعا .

جريدة البصائر

جريدة اسبوعية كان مديرها ورئيس تحريرها الشيخ الطيب العقبي ، والسعيد الزاهري وصاحب الامتياز فيها ، الشيخ محمد خير الدين ، وقد صدر العدد الأول منها فى شوال عام 1354 هـ الموافق لـ 27 ديسمبر 1935م ، واستمر صدورها حتى قيام الحرب العالمية الثانية ، حيث أوقفت الجمعية صحفها وكذلك اجتماعاتها ، فى

الإجتماع الذى قررت فيه السكوت وقت الحرب ، كما قررت ايضا رفض طلب فرنسا من الجمعية أن تعلن باسمها وتكتب فى صحافتها تصريحات ومقالات ضد دول المحورة : المانيا و ايطاليا .

وهكذا عاشت (البصائر) الاولى (بصائر ماقبل الحرب) نحو خمس سنوات ، نصفها الاول بإدارة الشيخ الطيب العقبي ، ونصفها الثانى بادارة الشيخ مبارك الميلى رحمهما الله تعالى .

صحف اصلاحية أخرى

وكان لبعض أعضاء جمعية العلماء نشاطهم الصحفي ، فأصدروا صحفا طال زمن صدورها أو قصر من ذلك : جرائد لابى اليقظان ، كلما عطلت له جريدة عوضها بأخرى وهي : « ميزاب - وادى ميزاب - النور - النبراس - الامة - المغرب - البستان »، وجريدة « المغرب العربى » للزاهري ، و(الاصلاح) للعقبي ، و(الليالى) لعلي بن سعد ، و(الدفاع) للامين العمودى بالفرنسية ، و(المرصاد) و(الثبات) لمحمد عبابسة ، زيادة عن (الشهاب) لابن باديس .

ونظرا لان تأسيسَ الجمعية جاء فى الوقت الذى كانت فيه (الشهاب) تصدر ، فانها واكبت حركة التأسيس وعبرت عن أخبار الجمعية وأهدافها وبياناتها ، وبلاغاتها ، وانشطتها ، قبل أن تتخذ الجمعية جريدة لها ، وبهذا تكون (الشهاب) الصحيفة الاولى التى أهتمت - بالتعبير عن جمعية العلماء المسلمين والتعريف والتنويه بها وبنشاطها .

بدأت تصدر جريدة أسبوعية ثم نصف اسبوعية ثم مجلة شهرية ، وقد دام صدورها من يوم بدأت جريدة الى أن توقفت مجلة مدة خمسة عشر سنة من عام 1925م الى قيام الحرب العالمية سنة 1939 م .

البصائر الثانية : وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عادت المنظمات والحركات الوطنية للظهور من جديد ، ومنها (جمعية العلماء) برئاسة العلامة الشيخ البشير الابراهيمى ، فأحيت جريدتها السابقة (البصائر فى سلسلة ثانية)، وكانت باشراف وادارة رئيس الجمعية الشيخ محمد البشير الابراهيمي ، واستمر صدورها قرابة عشر سنين متوالية (1947 ـ 1956) وتوقفت فى حرب التحرير الجزائرية ، عندما طلبت (جبهة التحرير) من كل المنظمات والاحزاب والحركات الوطنية أن تتوقف وتنضم إليها فكان ذلك .

جمعية العلماء والاحزاب السياسية

واكب نشاط جمعية العلماء المسلمين نشاط الاحزاب السياسية التى تدعو الى التحرير والاستقلال والرقي ، ولكل حزب مبادئه وأسلوبه الخاص به ، وقد حرص الامام عبد الحميد بن باديس ان يبعد عن حركة جمعية العلماء كل مامن شأنه أن يجعلها حزبا أو يصبغ نشاطها بطابع سياسي ، وان كان الهدف الذى كانت تسعى اليه هو الاستقلال ، لكنها لم تعلن ذلك صراحة ايمانا بمبدأين :

أولهما :

ان العمل السياسي الواضح يجعل نشاط الجمعية معرضا لبطش الفرنسيين فى المهد قبل أن يشتد ساعد الحركة فتموت قبل أن تثمر ثمارها .

ثانيهما :

ان بناء الدعامة الوطنية الاصيلة يتمثل فى عودة الشخصية الجزائرية ، وبعدها يأتى الاستقلال الذى يقوم على أعمدة متينة الاركان ، وهذه هي خطة العمل من أجل الوصول الى الاستقلال ، فنشر الوعي الديني بكل الوسائل الممكنة وعدم الصدام مع السلطة حتى لاتعوق هذا العمل وخاصة فى السنوات الاولى لنشأة الجمعية تخطيط حكيم سارت عليه الجمعية فى سنواتها الاولى .

وقد ترتب على ذلك أن الجمعية لم تقف مساندة أو معارضة لحزب من الاحزاب الوطنية على حساب حزب آخر ، ولم تهاجم حزبا لمنع دعوته أو اسلوبه فى العمل السياسي ، وان كان لبعض مواقف رجال الجمعية قضايا معينة محلية ووطنية سواءمع بعض الاشخاص أو بعض الاحزاب ، فذلك على مسؤولياتهم الخاصة وسأذكر هنا بعض تلك المواقف التى شاركتُ فيها شخصيا ، حفاظا على الجمعية ومشاريعها الدينية .

مساع حميدة

من المساعى الحميدة بين جمعية العلماء والاحزاب السياسية تلك المقابلة التى سعيت فى تدبيرها بين الشيخ الامام ابن باديس ، ومصالى الحاج رئيس حزب الشعب، وقد سمحت له فرنسا بدخول الجزائر سنة 1936م عندما نشطت حركة الاصلاح وبدأت الاحزاب السياسية تقوى وتظهر فى المجتمع الجزائري ، وبدأ الرأي العام يتكون ويتفتح وكأن فرنسا أرادت بالسماح لمصالى أن ينظم صفوف حزبه وينافس الاحزاب الاخرى والجمعيات لتتوقف الجهود وتضرب فرنسا حركات النهضة بعضها بالبعض الآخر .

كان نزوله بفندق ابن الحفاف بالعاصمة الذى كان ينزل فيه ابن باديس وجماعة العلماء بالقرب من نادى الترقى ببطاء الحكومة ، وعلمنا بوجوده ، فطلب منى الشيخ ابن باديس أن اذهب الى مقابلة (مصالى الحاج) وأبلغه تحيته ورغبته فى أن يتحدث اليه .

وفى صبيحة الغد لبى (مصالى الحاج) دعوة الشيخ ابن باديس وحضرت أنا المقابلة ، ومن جملة ماقاله الامام ابن باديس فى هذا اللقاء لمصالى الحاج :

ان فرنسا متربصة بحركاتنا الوطنية كلها ، وتود القضاء عليها بأيدينا فتزرع فينا الخلاف والشقاق حتى يأكل بعضنا بعضا ، ولذلك فانى اشجعك فى الدعوة الى الحرية والاستقلال والعمل بأي دستور حزبي تراه ولا اعتراض لنا على ذلك ، ولكننى احذرك من الصدام مع الهيئات والأحزاب السياسية الوطنية ، فأبدى قبولا حسنا ، وشكر الشيخ على نصحه واهتمامه .

وبعد عدة ايام رأينا المعمرين الفرنسيين يهيئون الوسائل لمصالى الحاج ليتابع نشاطه الحزبي ويمكنوه من اللقاء بالجماهير فى وقت كانت فيه الاندية والمشاريع معطلة ، ومن مظاهر اهتمامهم به أنهم أعدوا له مكانا رحبا بمدينة البليدة كان

مخزنا لتجفيف محصول الدخان لبعض المعمرين ، ومن مظاهر اهتمامهم به ايضا أنهم احاطوا نشاطه بالحراسة من طرف رجال الأمن حتى لايتعرض له احد بسوء ، الى حد جعل نائب الوالى لمدينة سطيف يخاف من دخوله هذه المدينة ويرى أنه ليس لديه الامكانيات الكافية والضمانات المطلوبة لحمايته فى بلد يكثر فيه أنصار فرحات عباس .

ومقابلة أخرى مع (مصالى الحاج) تمت بمحل إقامته فى (بوزريعة) بمناسبة انتخاب النواب عام : 1947م : وقد توجهت مع الشيخ البشير الابراهيمي والشيخ العربى التبسي وتحدثنا معه ، ومن جملة ماقاله الشيخ البشير الابراهيمى فى هذه المقابلة أود أن تتحد كلمتكم فى الانتخابات وأرجو أن لاتفوتوا الفرصة على النواب المسلمين المخلصين باختلافكم ، فان المعمرين قد وحدوا كلمتهم وقدموا قائمة واحدة بأسماء مرشحيهم وراحوا يبثون دعاياتهم متحدين ، فيجدر بكم أن تفعلوا مثلهم ولا تنازعوا فتفشلوا وتضيع جهودكم ويفوز أعداؤكم ، وقد أبدى (مصالى الحاج) قبولا حسنا للنصيحة لكنه لم يوف بالوعد وأصدر الشيخ البشير فى ذلك البلاغ التالى باسم جمعية العلماء :

(بلاغ) من المجلس الاداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائرين الى الامة العربية الجزائرية

أيتها الأمة العربية :

ان الدستور الذى وضعته الحكومة الفرنسية للجزائر ووافق عليه برلمانها فى أكتوبر 1947م هو دستور ناقص من جميع جهاته لم يحقق رغبة واحدة من الرغائب الوطنية للجزائر ، وآفته أنه فرض عليها فرضا ، ولم يؤخذ رأيها فيه ، والدستور النافع هو الذى يكون للأمة رأي فى وضعه واختيار منهاجه ، ويد فى تشريعه ، ويكون ناشئا عن إرادتها ليكون محققا لرغائبها ، ولتلك الآفة لم يرضه

حزب من أحزاب الامة ولا نائب من نوابها على اختلاف مشاربهم الحزبية ، وعلى تفاوت حظوظهم فى الوطنية ، بل قابله جميعهم بالاستنكار .

والمجلس الجزائري الذى ينفذ ذلك الدستور هو مجلس ناقص أيضا من جهات كثيرة ، بعضها فى أصل وضعه كعدم اعتبار النسبة العددية فى السكان ، وبعضها فى وسائل تشكيله كاستبداد الحكومة بتخطيط الدوائر الانتخابية وتدخلها فى توجيه الانتخاب الى جهاتها وضغطها على حرية المنتخبين كما عهدنا ذلك منها فيما هو أقل من هذا الانتخاب قيمة وأحط منه اعتبارا .

ومع تلك النقائص كلها فان مصلحة الامة الحقيقية توجب عليها أن تجاري الظروف وأن تستغل مافى هذا الدستور من خير ولو كان قطرة من بحر .

وجمعية العلماء التى هي جمعية الامة كلها تفرض عليها حقيقتها ووضعيتها أن تكون فوق الطوائف والاحزاب لتكون حَكمًا بينهم اذا اختلفوا على مصلحة ، وهي لاتستمد حكمها الا من منطق الواقع والحكمة والمصلحة العامة والنظر البعيد .

وعليه فهيَ تتقدم الى الامة العربية الجزائرية بأحزابها وهيئاتها وأفرادها بالحقائق الآتية :

أولا : ان اختلاف الاحزاب ، وما جرّه الخلاف من سباب ، وما جرّه السباب من احقاد ، وما جرته الاحقاد من تضييع للمصلحة ، كل ذلك استنكرته الجمعية بالاعتقاد ، وانكرته بالقول الصريح ، وسعت فى ازالته بالعمل الجدي ، لأنها تعلم أن عواقبه وخيمة ، وأن ادنى عواقبه تمزيق الشمل واضعاف القوة ، وأنه ـ أولا وأخيرا ـ ليس من مصلحة الوطن والامة ، وانما هو من مصلحة خصوم الوطن وأعداء الأمة وقد قامت الجمعية فى أوقات ومناسبات شتى بمساع جدية صريحة للتقريب بين الاحزاب وإقرار روح الأخوة والتسامح فى النفوس لتصل من ذلك الى اتحاد متين يوجه الجهود والكفاءات الى خدمة المصالح الحقيقية للوطن ، وآخر جهودها ماقامت به فى هذه الاسابيع الاخيرة المتصلة بكتابة هذه السطور وهي ـ وان لم تصل

الى غايتها من جمع الكلمة - لم تيأس من ذلك ولم تفشل ، وما زالت تفترض الفرص لتجديد السعي فى جمع الكلمة على الحق وتوحيد الأحزاب على المصلحة العامة للوطن ، وهي تعتقد ان الاتحاد الذى تنشده الامة وتعلق آمالها على جمعية العلماء فى تحقيقه اذا لم يتم اليوم فسيتم غدا .

والجمعية تعلن أنه ليس من مصلحة الامة ولا من مصلحة الاحزاب ولا من مقتضيات الذوق أن تشرح مساعيها للاتحاد فى هذه الظروف .

ثانيا : يجب على الهيئات الداعية للانتخاب باسم الحزبية أن تجرد دعايتها من السب والقدح وجرح العواطف واثارة الاحقاد .

وأن تبني تلك الدعاية على أشرف ماتبنى عليه الدعايات فى الامم الحية وهو المبادئ والبرامج ووسائل تحقيقها .

وعلى القادة والمترشحين ان لايقولوا ولا يعملوا الا مايبقى على الأخوة ويعين فى المستقبل على جمع الكلمة ، وعلى عقلاء الامة أن يلزموا أولئك الدعاة عند حدود الاعتدال ، ويفهموهم أنّ فى مكافحة الاستعمار مايستنفد أقوال القائلين وأعمال العاملين ، وليعلموا جميعا أن هذه النقطة من اسس تربية الامة تربية رشيدة .

ثالثا : يجب على الاحزاب التى تجعل رائدها مصلحة الوطن العليا أن تجري فى الدورة الثانية على قاعدة متبادلة وهي أن تسلم الأقلية منهم للأكثرية وأن يتعاونوا على الفوز لكي يسدوا الطريق فى وجه الحكوميين والانتفاعيين الذين لايمثلون الا أنفسهم .

رابعا : يجب على الناخبين أن يقدروا هذه الانتخابات حق قدرها ، وان لا يستخفوا بها ، ولا يقاطعوها ، وأن لايتخلف أحد عن الانتخاب ، وأن لايتأثر بتهديد الادارة وتخويفها ، وليعلم ان إعطاء ورقته شهادة للوطن أو عليه ، فليعرف أين يضع ورقته ولمن يعطى شهادته ، وان المقاطعة واعطاء الورقة لغير الرجال العاملين هو تضييع

لحقوق الوطن يعود عليه بأشأم العواقب .

خامسا : يجب على الامة أن تميز بين اصحاب المبادئ وأصحاب الاغراض والمنافع الشخصية ، وأن تفرق بين من يقدمه حزب أو جماعة من الامة وبين من يقدم نفسه، والواجب عليها بعد أن تميز هؤلاء من هؤلاء أن تعطى أصواتها لاصحاب المبادئ وتنبذ الفريق المستغل المستعمر المفتون بكراسي النيابة لا ليخدم الامة بل ليخدم نفسه ، وقد جربت الامة هذا النوع من النواب ، ولا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين ، وان أخزى الرجال رجل يتوصل الى النيابة عن الامة بوسائل سخيفة واوراق مسروقة وحريات مغصوبة .

سادسا : يجب على الامة أن تحذر كل الحذر من (المرشحين المستقلين) فان هذا الوصف خداع يلوذ به كل حكومي وينتحله كل انتفاعي ولا يصدق منه الا القليل واذا وجد من هذا القليل مترشح فأهل دائرته أعلم به فليستوثقوا منه ومن صلاحيته للمصلحة الوطنية .

أيتهـــا الامـــة

انا نعرف الادارة الجزائرية الاستعمارية ، ونعرف أنها لم تغير شيئا من عاداتها القـ ، ونعلم أنها تجهد جهدها لتقيم من هذا الانتخاب دليلا على أن نواب الجزائر لايطلبون لها الا الخبز والثياب ، وأن هذا هو كل ما تطلبه الامة الجزائرية وكل ما تستحقه، فقد بلي هنا الدليل بدليل يدحضه بحسن اختيارك للرجال ذوى المبادئ المطالبين بحقوقك السياسية المثبتين لاستحاقك للحرية الكاملة التى ترفعك الى المكانة العالية بين الامم الحية .

عن المجلس الادارى الرئيس

محمد البشير الابراهيمي

عن البصائر العدد 29 السنة الثانية

18 جمادى الأول 1367 هـ

و 29 مارس 1948 م

السياســة فى الشمــال الافريقــى

وحتى تتضح لنا معالم الحركة السياسية التى عشناها ببلادنا فى مقاومة الاستعمار الفرنسى ، اريد أن أوضح بايجاز المقاومة التى خاضها اخواننا وجيراننا فى المغرب وفى تونس .

مشيرا بذلك الى المراحل التى قطعناها جميعا ، تونسيين ومغاربة وجزائريين فى مسيرتنا الطويلة من عام 1936م الى عام 1954م فلما انسنا من شعوبنا القدرة على الكفاح المسلح قطعنا المطالبة بالحقوق السياسية التى كانت ممنوحة بالقول والاستجداء ، وشرعنا فى اعداد الرجال وتعبئة الصفوف وجلب السلاح من كل نوع بعد اليأس من نيل الحق بالطرق السلمية ، ثم اعلناها ثورة عارمة ضد الحكم الاستعماري أخذا بالمبدأ المنطقي السليم (ماأخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة) .

دام الكفاح المسلح سنوات عديدة الى أن أخرجنا المحتلين من الشمال الافريقي واستردنا سيادتنا كاملة على بلداننا .

ولزيادة توضيح هذا الرأي أعرض فى الصفحات التالية بعض المراحل التى قطعها قادة الحركات الوطنية الثلاث فى شمال افريقيا (المغرب - تونس - الجزائر) ، ولا ريب عندى أن كل وطني برئ من مركب الغرور والحقد سيعترف لهؤلاء القادة بالصدق والنزاهة والقدرة على قيادة السفينة المحفوفة بالعواصف الهوجاء حتى أوصلوها الى شاطئ الحرية والاستقلال - بالتضحيات الجسام لا بالاكاذيب المبهرجة التى تذاع فى لوائح وفى نشرات ومذكرات أو تلق فى خطب الانتخابات والمناسبات ، فهؤلاء قوم يكثرون فى مواطن الكلام ويقلون فى مواطن العمل ومثلهم مثل قول الشاعر الحكيم :

- كالهر يحكى انتفاخــا صولــة الاســد -

بلاغ وفتوى لجمعية العلماء حول شرعية سلطان المغرب

بسم الله الرحمــــن الرحيــــم .

ان العلماء الجزائريين بعد دراسة عميقة لحوادث المغرب الأقصى المزعجة وبعد عرض القضية على لجنة الافتاء المختصة بدراسة القضايا من حيث وجهتها الدينية الصرفة يفتون :

1) باستمرار امامة سيدي محمد بن يوسف ولزوم طاعته لجميع المغاربة .

2) بطلان امامة (السلطان) المفروض محمد بن عرفة .

3) بمروق العصابة القلاوية والكتانية من الدين ، وتبرئ الاسلام منهم لخيانتهم ونكثهم العهد ورفعهم السلاح فى وجه امامهم الشرعي .

4) ويستنكرون موقف الحكومة الفرنسية المخالف لتعهداتها ، ويعتبرون عملها يوم اجتماع المسلمين فى مناسك الحج بمكة احتقارا لعواطف جميع المسلمين ومحاربة للاسلام .

أقدمت العصابة القلاوية المفسدة على تنفيذ مؤامرتها الدنيئة تحت اشراف السلطة الفرنسية الاستعمارية الغاشمة وبواسطة حرابها ، وكان من جملة افتراءاتهم: أنهم ينفذون ارادة أغلبية الشعب ، ويدافعون عن الشرع الاسلامي ، ويخلعون سلطانا لم يبق له حق فى ولاية الدين أو سلطة الدنيا ، وكل هذا افتراء على الدين وبهت وتزوير للحقائق الثابتة .

ولجنة الافتاء تعلن باسم علماء الجزائر المسلمين مايلى :

1) إن إمامة سيدي محمد بن يوسف الدينية والدنيوية إمامة شرعية ، وطاعة تلزم كل مسلم مغربي أنى يوجد ، وهذه الامامة والطاعة مستمرتان رغم مافعله المبطلون .

2) إن إمامته كانت بمبايعة علماء المغرب واجماعهم على تنصيبه - والاجماع من مصادر التشريع الأربعة عند المسلمين - ومن المعلوم أن العلماء هم أولوا الاختصاص فى هذا الشأن لقوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) وأولوا الأمر من المسلمين هم الأمراء الشرعيون والعلماء الصالحون كما قرره الامام مالك عندما سأله خالد بن نزار عن أولى الأمر منهم ؟ فأشار الى العلماء وكانوا هم الحاضرين مجلسه ، فالعلماء المسلمون فى النظام الاسلامي لهم من سلطة اختيار الامام للمسلمين دينا ودنيا ماللجمعية الوطنية الفرنسية المؤلفة من أعضاء مجلسي النواب والشيوخ . فاذا انتخب الامام من مجموع علماء المسلمين فى وطن ما ، صار الامام الشرعي للمسلمين ، وصار أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، كأنه هو الذى سمّاه وعينّه وصارت سلطته من سلطة الله ورسوله ، كما قال صلى الله عليه وسلم « من أطاع أميرى فقد أطاعني ، ومن أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصى أميرى فقد عصاني ومن عصاني فقد عصى الله »، وبهذا وجب على الأمة السمع والطاعة للامام المنتخب وحرم على أي فرد من أفراد الأمة نكث العهد والخروج على الطاعة .

ان امامة سيدي محمد بن يوسف يقل مثلها فى الصحة والشرعية بين أمراء المسلمين اليوم لمطابقتها تمام المطابقة لنصوص الشرع ورضاء جميع المذاهب الاسلامية عنها ، وكل فرد خرج على الامام - بعد عقد البيعة له من أولى الأمر - فللامام أن يؤاخذه بجريمته مجتهداً فى عقوبته مالم يرفع سلاحا أو يؤلف عصابة للفتنة والفساد ، فان هو فعل ذلك فهذا نَصَّ على عقوبته القرآنُ الكريم ، وليس للإمام اجتهاد الا فى اختيار نوع العقوبة التى خيره الله فى واحدة منها لقوله تعالى « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعدون فى الأرض فساداً ، أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ».

وقد قال علماء الاسلام : اذا امتنعوا عن الامام العدل المقيم للشرع وعثوا فسادا فى الأرض أي مفسدين لما صلح من أمور الناس - كان جزاؤهم ماذكر فى الآية بنص قوله تعالى :

«ويسعون فى الارض فسادا» ويتحقق الفساد ولو لم يصحبه حمل السلاح، فالعصابة القلاوية بامتناعها عن الامام وحملها السلاح فى وجه الامام العدل الشرعى قد سعت فى الفتنة وأفسدت ماصلح من امور المسلمين فجزاؤها هو ماذكر فى الآية .

ولو فرضنا ان افراد هذه العصابة مسلمون صالحون لكانوا غير ذوى اختصاص فى أمر التولية والعزل للامام لأنهم وكلاء عنه أمناء على مهمتهم ، فان غدروا وخانوا فهم معزولون عن وكالتهم ، وقد غدر كل منهم وخان امامه بمجرد اشتراكه فى المؤامرة ولولا مظاهرة السلطة الاستعمارية لهم وتسخيرها إياهم لنفذ فيهم العزل وأقيم عليهم الحد، على أن هذه العصابة القلاوية والكتانية قد تولت الكافرين واتبعت غير سبيل المؤمنين ، وكما ناصرت الظهير البربري الذى أعلنته السلطة الفرنسية لتنصير المغرب سابقا وضعت نفسها الآن كآلة فى يد السلطة الاستعمارية لخلع أمير المؤمنين الذى ضحى بعرشه فى سبيل الدفاع عن بيضة الاسلام « ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا »، « ومن يتولهم منكم فانه منهم »، هذه نصوص خص بها أعداء الاسلام ومن شايعهم من الخونة المسلمين .

أما غير المسلمين من اهل الاديان المسالمين لهم فقد قال الله فيهم : (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ، انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم).

ولذا فاننا نقر علماء المغرب على فتواهم ونعتبر العصابة القلاوية والكتانية مارقة من الاسلام يجرى عليهم من الاحكام مايجرى على المارقين وليس لهم من صفة تخولهم الكلام باسم الأمة التى نبذتهم .

ونعلن ان الولاية الوحيدة الصحيحة المستمرة انما هي ولاية سيدى محمد بن يوسف وأن طاعته مستمر لزومها لكل مسلم مغربى يؤمن بالله ورسوله ، وأن كل

ولاية فى المغرب باطلة مالم تكن مستمدة من ولايته .

كما نقر أن كل فعل أو قول يصدر عن اي انسان فى المغرب تحت الضغط والتهديد والاكراه باطل لا يلزمه ولا يلزم الامة المغربية كما قرر الاسلام (ان كل افعال المكره لا تلزمه).

كما نقرر أن كل مايفعل باسم الامام المفروض الجديد باطل غير شرعي لأن ولايته باطلة ، وانما هو آلة مسخرة فى يد عصابة الفساد والاستعمار .

ونحن نعلم اليوم كما يعلم العالم أجمع أنه لا سلطة اليوم بالمغرب الا للادارة الفرنسية الاستعمارية ، فهي التى تعمل وحدها باسم المغاربة وباسم فرنسا ، وهي الخصم والحكم ، وكان فعلها فى خلع الامام الشرعي يوم العيد احتقارا لعواطف المسلمين ومحاربة للاسلام ، واننا لنحي فى أمير المؤمنين وامام المسلمين سيدى محمد بن يوسف العزة الاسلامية والشهامة العربية فقد قاوم الضغط والاكراه واختار مايختاره كل بطل شهم غيور ، فلم يطاطئ الرأس ولم يذل أمته ولا دينه ، فله من الله النصر والتأييــــد .

عن لجنة الافتاء وباسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريــــين

نائب الرئيس **محمد خير الدين**

و حرر يوم 13 ذى الحجة 1373 هـ

العدد ٢٣٩ السنة السادسة من السلسلة الثانية N 239 ثمن النسخة ٣٠ فرنكا

بعد فتوى شيخ الازهر وعلماء مراكش، علماء الجزائر يقولون كلمتهم !..

الوفاء لاهل الغدر غدر عند الله والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله
« علي بن أبي طالب »

المدير وصاحب الامتياز المسؤول
محمد البشير الابراهيمي
عنوان الجريدة:
البصائر ١٢ نهج بومبي
الجزائر
الهاتف رقم ٢٧٨،١٧
الحساب الجاري ٥٣٩،٧٣

البصائر
لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

« EL-BASSAÏR »
Journal hebdomadaire
Organe de l'Association des Oulemas d'Algérie
12, Rue Pompée — ALGER
Téléph. : 278-17
C.C.P. 539-73
R.C. Alger 7124

يوم الجمعة ٢٥ ذي الحجة ١٣٧٢ هـ — تصدر يوم الجمعة من كل اسبوع — الموافق ليوم ٤ سبتمبر ٩٥٣

بـلاغ من جمعيـة العلمـاء المسلمـين الجزائريـين

بسم الله الرحمن الرحيم

ان العلماء الجزائريين بعد دراسة عميقة لحوادث المغرب الاقصى المزعجة وبعد عرض القضية على لجنة الافتاء المختصة بدراسة القضايا من حيث وجهتها الدينية الصرفة يفتون :

١- باستمرار امامة سيدي محمد بن يوسف ولزوم طاعته لجميع المغاربة .

٢ - بطلان امامة (السلطان) المفروض محمد بن عرفة

٣- بمروق العصابة القلاوية والكتانية من الدين وتبرئ الاسلام منهم لخيانتهم ونكثهم العهد ورفعهم السلاح في وجه امامهم الشرعي .

٤ - ويستنكرون موقف الحكومة ...

٢ - ان امامته كانت بمبايعة علماء المغرب واجماعهم على تنصيبه - والاجماع من مصادر التشريع الاربعة عند المسلمين — ، ومن المعلوم ان العلماء هم اولوا الاختصاص في هذا الشأن ، لقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم » واولو الامر من المسلمين هم الأمراء الشرعيون والعلماء الصالحون كما قرره الامام مالك عند ماسأله خالد بن نزار عن اولى الامر من هم ؟ فأشار الى العلماء ...

فتوى شيخ الازهر

سأل مندوب المصري فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر عن موقف فضيلته وعلماء مصر من الجلاوي باشا المراكشي لخروجه على السلطان وقوله ان فرنسا تحمي الاسلام فقال فضيلته :

ان الجلاوي باشا خارج على الاسلام فعلا لخروجه على السلطان الشرعي وان فرنسا لاتحمي الاسلام لأنها هي عدوة الاسلام ولا سلطان لها عليه مطلقا وانما الذي يحمي الاسلام هو سلطان مراكش نفسه .

يؤيد علماء مراكش

وانا وعلماء مصر نؤيد علماء مراكش في فتواهم بأنه خارج على الاسلام ونؤيدهم كذلك في كل آرائهم وما يتخذونه من قرارات ضده وضد اتباعه والمتعاونين معه وضد فرنسا المعتدية — وقد اشرنا امس الى فتوى علماء مراكش في هذا الموضوع — ومضى فضيلة شيخ الأزهر يقول : ونطلب من العلماء المراكشيين وشعب مراكش ان يعملوا على تمكين السلطان من اعماله الوطنية الاسلامية ونحن نستنكر افعال الجلاوي باشا وفرنسا اشد الاستنكار .

يقول الله تعالى « لايتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين » ويقول: « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » .

عن صحيفة المصري عدد ٥٦٤٥ .

احتفال - جامعة القرويين بذكراها المائة بعد الالف

(كلمة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ألقاها الشيخ محمد خير الدين نائب رئيس الجمعية)

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله .

سادتى الافاضل نحييكم تحية العروبة والاسلام ، نحييكم تحية الأخوّة التى تترقب النصر وتبذل قصارى الجهد ، نحييكم ونرحب بكم وأنتم عند اخواننا واشقائنا إن جاز الترحيب بالاخ عند أخيه ونتمنى أن يلتئم شمل العروبة فى هذا الشمال ، وحتى لاتبقى حدود تمنع بيننا وتحول بين اتصالنا وحتى تصير أقطار العروبة فى افريقيا سلسلة متصلة الحلقات من المغرب الاقصى الى مصر والسودان ، وحتى نسعى جميعا الى فتح ما أغلقته ربيبة الاستعمار اسرائيل ونطهر نقطة الاتصال بين العروبة فى آسيا والعروبة فى افريقيا وما ذلك بعزيز وما ذلك ببعيد ان شاء الله .

أيها السادة :

لاشك اننا حين نحتفل بذكرى المائة بعد الالف لتأسيس جامعة القرويين المباركة انما نحتفل باشعاعها الذى كان ولا يزال يعم هذا الشمال الافريقي بل يتعداه الى أواسط افريقيا وتخوم اوروبا .

انما نحتفل بهذه الوحدة الثقافية التى تتمثل فى معاهدنا العلمية بكل اقطار العروبة والاسلام والتى تجعلنا الآن أكثر سعيا الى تحقيق وحدتنا القومية والدينية .

سيداتى سادتى :

ان لهذه الجامعة فضلا علينا معشر الجزائريين ، فضلا لايمكن ان يعدد أو يحدد ، ويكفى أن يعلم جمعنا الحافل بأن كثيرا من علمائنا وأرباب القلم عندنا واهل الحل والعقد من رجالنا ، كثير منهم قد استقى من معين هذه الجامعة وتغذى بلبانها قديما وحديثا ، فى القديم يوم أن كانت معاهدنا تزخر بالاساتذة والعلماء ، ومساجد الجزائر

مدارس للإشعاع العلمي ، فى كل مدينة علم يلوح وفى كل ناحية زهر يفوح يوم أن كانت تلمسان تنافس وتغالب فاس ، ويوم أن كانت بجاية قبلة الثقافة والحضارة ، ويوم أن كانت بسكرة والمسيلة والقلعة وقسنطينة وأشير وتيهرت والعاصمة مراكز للعلوم والمعارف .

نعم للقرويين فضل وأي فضل يوم أن كنا نرحل من بلدنا للاستزادة والاستبحار فى العلوم ونحن فى هذه الحقبة الطويلة من التاريخ كلما نستعرض شخصياتنا الا ونجد منهم من له صلة بالقرويين حيث تعلم واغترف منها ، أو درس فيها وبذر المعارف فى اروقتها ، أو خطب على منبرها ، أو تولى القضاء فى فاس أو فى غيرها .

فهذا الشاعر الاديب الفقيه العلامة أبوزيد عبد الرحمن وأخوه أبو موسى عيسى (ابنا الامام) اللذان كانا من أكبر علماء الجزائر فى أوائل القرن الثامن وأصبحا استاذين فى الجامع الاعظم جامع الزيتونة ، قد أخذا معارفهما بفاس من الشيوخ : السطى والطنجى واليفرنى ، وتلامذة ابى عبد الله شعيب الدكالى ، ثم رجعا الى الجزائر ودرسا فيها ثم وليا قضاء (مليانة) الى ان تغلب أبو حمو موسى على تلمسان فبنى لهما مدرسة بناحية المطهر فنشرا فيها معارفهما .

وهذا ابو الحسن الخزاعى التلمسانى تلميذ ابن مرزوق الذى برز فى التاريخ والادب وصاحب المؤلف الاول عن الصناعات والحرف فى العصر الاسلامى الاول ، وهو كتاب نفيس وجليل لم يسبق لأحد أن كتب مثله ، وقد اختلسه عبد الحي الكتاني من مكتبة الزيتونة وأدمجه فى كتابه (التراتيب الادارية)، هذا العالم الكبير كان استاذا بالقرويين الى أن مات .

كذلك نجد العلامة ابن مرزوق الخطيب أخذ معارفه بالقرويين ، وقد تولى الخطابة فى القرويين ودرس فيها ، وكذلك العلامة محمد الآبلى التلمسانى الذى نزل فاس فذاع صيته وعرف فيها ونعت بالمجمع على امامته ، درس بالقرويين ثم رجع الى الجزائر ، وارتحل الى تونس فدرس بالزيتونة ، ثم عاد ودرس ببجاية وأخيرا رجع الى فاس فمات فيها ، وقد تتلمذ عليه ابن خلدون والصباغ المكناسى والسلطان أبو عنان والرهونى وابن عرفة.

وكذلك الشريف التلمسانى الذى أخذ من علماء القرويين حتى تبحر فى العلوم والمعارف فعين مدرسا بها الى ان استدعاه ابو حمو الزيانى فرجع الى تلمسان ،

وبنى له مدرسة اشتهرت باسمه وقد تخرج عليه الشاطبي وابن عبّاد وابن السكاك والميورقى ، وقد وصفه ابن خلدون بأنه فارس المعقول والمنقول ، وقال عنه السراج بلغ مرتبة الاجتهاد .

ولا نستطيع أن نذكر عالما من علمائنا الأجلاء كا بن مرزوق الحفيد ، وأبي العباس أحمد المقرى الذى درس فى القرويين وولي الخطابة بفاس وامامة مسجدها ثم صار مفتى فاس سنة (1022) ، ولا الونشريسي ، ولا أبا الوليد قاضى بسكرة ، ولا محمد بن حمّاد الصنهاجى ، الا ونجد له اتصالا بالقرويين يتزود منها ويغترف من علمائها أو تنشر فيها معارفه وتدرس مؤلفاته وكتبه حتى الآن .

هكذا كانت القرويين فى القديم ملاذ علمائنا ومنهل رجالنا الى ان حرمنا من نعمة الحرية والاستقلال وجاءنا الاستعمار الفرنسى بوحشيته وصلبيته يهدم المدارس ويحول المساجد كنائس ويرغمنا على الجهل والتفرنس ، ففى عام 1831 اي بعد عام واحد من احتلال فرنسا للجزائر صدر مرسوم استعماري جائر يقضى بمصادرة جميع الاوقاف المحبسة على المعاهد الدينية من عقارات واراضي ومنحها للمعمرين ، لأن السلطة الاستعمارية رأت فى بقاء هذه الاوقاف خطرا على سياسة التجهيل والتفقير التى قررت اتباعها ، حيث ان المساجد العلمية والحركة الثقافية متوقفة على تلك الموارد الدائمة وعلى ذلك الغذاء الحيوي الذى يعتمد عليه كأداة فعالة لنشر الثقافة ، وإذ ذاك عجزت المساجد العلمية عن اداء رسالتها الخالدة ، ولكن ورغم محاولة الاستعمار هذه ابى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون اذ بقيت عدة مساجد حاملة لواءها الثقافي معتمدة على نفسها رغم أنف العدو .

لقد حرم التعليم فى المعاهد والمدارس ، ولم يبق الا على المكاتب القرآنية التى لا يسمح بتعليم القرآن فيها الا برخصة من السلطات الاستعمارية حتى اصبح الجهل بالعربية عاما وصار شبابنا لا يستطيع أن يتعلم ما يصلى به الا بعد أن يكتبه بالحروف اللاتينية .

عندئذ ايها السادة والسيدات وجدنا فى جيراننا واخواننا فى مشرق العروبة ومغربها ملاجئ ومآوي يلجأ اليها طلاب العلم فغصت جامعة القرويين بعشرات من

طلاب العلم وامتلأت الزيتونة بمئات من أبنائنا يأخذون المعارف ثم يرجعون الى الجزائر ليكافحوا الاستعمار وينشروا العربية والاسلام .

ومن خريجى القرويين والزيتونة والازهر الشريف تكونت جمعية العلماء التى حملت راية العروبة والاسلام بالديار الجزائرية ودافعت عن ثقافتنا ووجهت شبابنا الى جامعات المشرق العربي والمغرب العربي ، وكانت هذه الجمعية لا تجد من القرويين والزيتونة الا السند القوي فى كفاحها ، وكان للقرويين فضل كبير عليها حيث أمدتها بشباب متحمس مثقف ، وكان لصاحب الجلالة الملك الوطنى محمد الخامس (وهذا سر نذيعه بعد أن تعمدنا كتمه أيام الاستعمار) كان له اتصال وثيق بحركتنا العلمية يؤيدها ماديا وادبيا، ويرسل الرسل فى الخفاء ليتصلوا بقادتها مشجعين لهم ومبلغين تأييد الملك العظيم لكفاحهم فى سبيل نشر الاسلام والعربية فى الجزائر .

أيها الســــادة :

ان صلة القرويين بالجزائر كانت صلة كفاح ايضا ، فما ان هاجمت فرنسا بلدنا حتى نهضت أقلام الكتاب وهمم العلماء تستنكر العدوان وتحث اخواننا على مساعدتنا فى كفاحنا المرير الذى خاضه شعبنا ولا زال منذ عهد الامير عبد القادر الى اليوم .

لقد صرح أحد القساوسة الفرنسيين فى احتفال اقامته السلطات الاستعمارية سنة 1930 احتفاء بمرور قرن على احتلال الجزائر قائلا « اننا لا نحتفل بمرور مائة سنة على احتلال الجزائر ولكن نحتفل بقبر الاسلام ورجوع المسيحية الى هذا الوطن »، نعم نكم هي مقاصدهم وخاب ظنهم ، فقد تحركت همم المكافحين من العلماء فى الجزائر وأسسوا جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد ذلك ببضعة أشهر فحملت لواء العروبة والاسلام ، تنشر العربية وتبشر بالاسلام الصحيح وتبعث فى النفوس الايمان بعروبتها وقوميتها ، ونادى رئيسها المرحوم عبد الحميد بن باديس بأن الشعب الجزائري ما كان فرنسيا ولا يحب أن يكون فرنسيا ولن يكون فرنسيا ابدا .

وقد دخلت هذه الجمعية مع حركاتنا الوطنية الاخرى غمار المعارك العنيفة مع الاستعمار ، فكان الشعب من الغالبين وكانت جامعة القرويين فى هذه المرحلة لا تنفك تتصل بنا وترسل أبناءها يمثلون علماءها فى حفلات تدشين المدارس وحضور مؤتمرات الجمعية من بينهم الاستاذ ابراهيم الكتانى الذى زارنا متنكرا باسم علماء القرويين وجازف بنفسه ليحضر مؤتمر الجمعية وليزور فروعها ويتصل برجالها مبلغا رسالة اخوانه الوطنيين ببلده وحاملا رسالة أشقائه المناضلين .

ويكفى أن نعلم أن بالقرويين الآن ما يقارب المائتين من طلابنا ، وقد تخرج منها عشرات ، وفى الزيتونة ما يقارب الألف وفى الازهر الشريف ما يقرب من المائة وفى كل بلد عربي طلاب من ابناء الجزائر قد احتضنهم اخوانهم يثقفونهم فى جامعاتهم على حساب حكوماتهم ، شكر الله للجميع اعمالهم ومساعيهم .

بعد ان سجن الاستعمار اساتذة المعاهد ومعلمى المدارس بالجزائر وشرد التلاميذ، وأقفل المدارس وحولها ثكنات ، وبعد أن خاض الشعب الجزائري هذه الحرب الضروس التى دخلها مؤمنا بالنصر مسترخصا النفس والنفيس فى سبيل اسلامه وعروبته وفى سبيل عزته واستقلاله ، بقيادة ابطال الثورة وقادة جبهة التحرير وجيش التحرير الوطني الجزائري الباسل الذى سينتصر باذن الله .

أيها الســـــادة :

اننا الآن فى حرم العلم ومبعث النور نهيب برجال الفكر وأنتم من صفوتهم وبالعلماء وأنتم من أفاضلهم ان تبذلوا فوق مابذلتم فى سبيل استنهاض الهمم والعمل على ايقاظ الضمير العالمي الذى لا يزال يشاهد منذ ست سنوات حربا ضروسا تقضى على أمة وتفنى شعبا لا ذنب له الا انه ابى أن يبقى مستعمرا فى عصر تحرر فيه كل شيء، ورفض ان يعيش ذليلا فى زمن عز فيه كل ضعيف .

ايها السادة نحن الآن لا نقاوم فرنسا وحدها بل نقاوم معها استعمارا غربيا يتمثل فى الحلف الاطلسي ، ولو تركت فرنسا وحدها لما استطاعت الصمود امام ابطالنا

الميامين ، ولكنها تقاومنا بسلاح أمريكا ودولاراتها وطائرات الاطلسي ودباباته ، ونحن لا قوة لنا الا قوة الحق وقوة الايمان ، ولا معين لنا الا الاحرار فى كل مكان .

فكونوا لنا رسل الحق ودعاة الحرية ، واصرخوا فى وجه المتخاذلين واكشفوا مأساة هذه الحرب التى يقترفها غلاة الاستعمار ، فاننا لا نعتمد بعد الله الا على انفسنا، وعلى امثالكم من أرباب الفكر الحر فى العالم .

وختاما نحيي باسم الشعب الجزائري وحكومته المكافحة صاحب الجلالة الملك المجاهد محمد الخامس صاحب الأيادى البيضاء على الاسلام والعروبة ، ونحييه على مواقفه المشكورة من كفاح الشعب الجزائري ، كما نحيي ولي عهده صاحب السمو الملكي مولاي الحسن الثانى وحكومته والشعب المغربى الكريم ، ونحملكم تحياتنا جميعا الى حكوماتكم وشعوبكم والى اللقاء فى أرض الجزائر المستقلة ان شاء الله . والسلام عليكم ورحمة الله . (1)

1) عن الكتاب الذهبي لجامعة القرويين فى ذكراها المائة بعد الالف 245 ـ 1379 هـ 859 – 1960 م طبع ونشر وزارة التربية الوطنية بالمملكة المغربية ص 52 وما بعدها .

الحركـــات الوطنيـــة فى شمال افريقيـــة

ونذكر فى الصفحات التالية بعض المراحل التى قطعها قادة
الحركات الوطنية الثلاث فى شمال افريقيا : المغرب - تونس - الجزائر

جلالـــــة محمد الخامس

قال الاستاذ عبد الله كنون فى مقال له بمجلة (دعوة الحق) :

« قبل اعلان الحماية الفرنسية على المغرب بسنة واحدة كان قد استهل بالقصر الملكي بفاس المولود السعيد الذى سيطيح بنظام الحماية بعد انتصابه وترسيخ جذوره ، ويعيد للبلاد حريتها واستقلالها : وكان هذا المولود هو (محمد الخامس) الذى قدر الاستعمار أنه سيكون لعبة فى يده ، ولذلك أخر ولي العهد الامير ادريس وقدمه لصغر سنه ، ولكنه كان غير ماظن الاستعمار الذى كان تدميره فى تدبيره ، واعادة التاريخ قصة آل فرعون فى تبنى موسى عليه السلام وتربيته ليكون لهم عدوا وحزنا » .

وقال الاستاذ الجرارى فى رسالته (الكتلة الوطنية) وتجليها فى المطالبة بالاستقلال سنة 1944م :

« ولا ينسى التاريخ الصادق لمشعل النهضة وموقد جذوة التحرير عاهلنا المفدى: التصريح الذى فاه به بعد مبايعته بيومين سنة 1927م لما اقيمت حفلة فاخرة بالقصر السلطاني العام بالرباط وخطب فيها مقيم فرنسا بالمغرب المسيوستيق قال جلالته فى خطابه : (ان الشعب المغربي ينتظر منا مجهودا مستمرا لا من أجل تنميته وسعادته المادية وحدها ولكن لنكفل له الانتفاع من تطور فكري يكون متلائما مع احترام عقيدته ويستمد منه الوسائل التى تجعله يرتقى درجة عليا فى الحضارة باكثر ما يمكن من السرعة) .

لوائــح ومذكــرات ووثائــق :

هذه لائحة توجيهية خالدة يرسم بنودها العاهل الكريم لاول عهده بتسلمه عرش المغرب العزيز تلق فى بداهة ضوءا كشافا على مايحمله الملك الشاب من حيوية

وطموح للنهوض بامته الى ماتصبو اليه من تقدم ورقي ، ولا شك سيكون لهذه الكلمات الاساسية اثر حميد فى سقي بذور الوطنية ورعيها بالتشذيب والتهذيب، وبعث فى فئتها القليلة العدد والحيلة الى العمل على هذا المبدأ الشريف الذى أصبح عقيدة راسخة فى نفوس الكتلة الوطنية دفع بها الى محاولات شتى منها :

مذكرة بتاريخ 1934م قدمها وفد باسم الشعب المغربي الى صاحب الجلالة محمد الخامس ، وقدم نسخة منها الى ممثل فرنسا (المقيم العام) بالمغرب .

وبعد تعيين المسيو (نوقيس) مقيما عاما بالمغرب وجهت اليه (كتلة العمل الوطنى) دفتر المطالب المغربية ، ومعه جميع الوثائق التى وجهت للحكومتين المغربية والفرنسية وكان ذلك الملف مصحوبا بهذه الرسالة :

الرباط 17 سبتمبر 1936م

سعادة المقيم العام للحكومة الفرنسية بالمغرب تتشرف (كتلة العمل الوطنى) بأن تلتمس منكم باحترام قبول تهنئتها الصادقة على ما خولتكم اياه حكومة الجمهورية من الثقة حيث رشحتكم لهذا المنصب العالى ، منصب المقيم العام بالمغرب ، وانه ليسرنا ان نرى دواليب ادارة الحماية بين يدي رجل حريص على انشاء روابط الصداقة والنهوض بالمصالح الادبية والمادية ، لهذا فاننا نقدم لكم بقصد درس الوثائق التى رفعناها للحكومة المغربية ولحكومة الجمهورية فى مناسبات مختلفة ، ومن اهم تلك الوثائق : مطالب واقتراحات لاشك عندنا فى انكم ستعيرونها الاهتمام الذى تستحقه ، وستعملون على تطبيقها كما تقتضيه الحالة واننا لننتظر مقابلتكم للترحيب بكم مشافهة ، كما ننتظر المشاركة فى العمل مع دواوينكم فى جو تسود فيه الثقة المتبادلة من اجل تحقيق المطالب المغربية تحقيقا تدريجيا ، والآن نود منكم بكل وقار أن تتقبلوا يا سعادة المقيم العام دلائل اعتبارنا الفائق .

لجنة العمل الوطنى .

ثم عقدت (الكتلة الوطنية) مهرجانا يضم ازيد من ثلاثة آلاف شخص تحت رئاسة الاستاذ علال الفاسى ، وقبل انتهائه صادق الحاضرون على مذكرة رفعتها الكتلة بطريق البرق يوم 13 غشت 1936م الى اصحاب السعادة : رئيس الوزراء - وزير الخارجية ومسيوفينو ووزير الفلاحة - ووزير المستعمرات ، والكاتب العام للحزب الاشتراكى - ورئيس مجلس النواب ورئيس لجنة الامور الخارجية بمجلس الشيوخ والنواب - والمسيو كشان زعيم الحزب الشيوعى ومسيو كيمان زعيم النواب الراد يكاليين هذا نصها :

ان كتلة العمل الوطني التى مابرحت تعلق آمالها على حكومة الجبهة الشعبية ترى من حقها ان تلاحظ بعد مرور شهرين على تولى الحكومة زمام الامر بفرنسا - ان حالة الامة المغربية لم يدخل عليها تحسين حقيقي ، وانا لنعلم انها ليست المسؤولة على اهمال شعبنا فالمسؤولية كلها تقع على سياسة الاقامة العامة ، لان الشعوب التى فى حماية فرنسا او تحت انتدابها توصلت كلها الى تحقيق قسم مهم من مطالبها ماعدا المغرب .

اما المغرب فلا يزال محروما من حرية الصحافة وحرية الاجتماع وحرية الثقافة. ولا يمكنه ان يتوصل الى رخصة لاصدار جريدة عربية بسبب العراقيل الشديدة الموجودة فى سبيلها ، كالحصول على الاذن من الادارة قبل اصدار الجريدة ، والحق الذى للادارة فى سلب هذا الاذن بدون محاكمة عربية ، واختصاص المحاكم العسكرية بالنظر فى شؤون الصحافة العربية ، وبعد هذا البيان نؤمل من حكومة الجبهة الشعبية ان تتخذ من اجل امتنا التدابير الناجعة ، وان تنظر فى اصلاحات اساسية تدخلها على حالتنا ، حتى تتحقق فيها آمالنا ، وتبرر رسالة فرنسا بالمغرب .

وانا لنطالب باستعجال للجائعين بالخبز ، وللطبقات العاملة بالشغل وبتطبيق القوانين الاجتماعية الفرنسية لعموم الشعب كالمدارس ، وحرية الصحافة وحرية الاجتماع .ا.هـ

الكتلة الوطنية

اجتمــاع الدستوريــين فى تونــس

يقول احمد توفيق المدنى فى كتابه (حياة كفاح) :

« اجتمع أعضاء الحزب الدستوري القديم وتداولوا فى الامر ، وطالت مداولاتهم، انما قرروا أخيرا تعديل صيغة المطلبين الاساسيين ، فقد حوروا مطلب المجلس التشريعى بمطلب مجلس تفاوضي ، مؤلف من ممثلى التونسيين والفرنسيين ، على قاعدة التساوى المطلق بينهما ، وحوروا المطلب الثانى المتعلق بمسؤولية الحكومة أمام المجلس، باستثناء ممثل فرنسا الذى هو وزير الخارجية ، وقائد جيش الاحتلال ، الذى هو وزير الحربية ، والاميرال قائد الاسطول الفرنسى ببنزرت ، الذى هو وزير البحرية (1) من تلك المسؤولية أمام المجلس ، وهكذا أصبحت المطالب الدستورية المعدلة كما يلى :

أولا : مجلس تفاوضى مشترك بين التونسيين والفرنسيين ، يملك حق وضع منهاج اعماله .

ثانيا : حكومة مسؤولة امام هذا المجلس باستثناء المقيم العام الفرنسي والجنرال قائد جيش الاحتلال ، والاميرال قائد البحرية .

ثالثا : الفصل بين السلط التشريعية والقضائية والتنفيذية .

رابعا : قبول التونسيين فى جميع الوظائف العامة إذا استوت الكفاءات .

خامسا : التساوى المطلق فى المرتبات بين التونسيين والفرنسيين .

سادسا : انتخاب حر للمجالس البلدية .

سابعا : حرية الصحافة والاجتماع والمؤسسات .

ثامنا : التعليم الاجباري العام .

تاسعا : مشاركة التونسيين فى ابتياع الارض المخصصة للمستعمرين .

ثم قال بعد ذكر هذه المطالب :

« فى هذا الاجتماع وفى هذا اليوم التعس المنكود رأيت ان التونسيين الاحرار قد وأدوا الثورة وأعدموا الاستقلال وبطشوا بالحرية بطش ألدّ الخصام ، كل ذلك

---

(1) لعل المقصود نواب هؤلاء الوزراء لا الوزراء أنفسهم ، لأن الوزراء يقيمون فى فرنسا لا فى تونس ، ولهم مندوبون وممثلون عنهم فى تونس .

بدعوى الاعتدال وسعيا وراء الاحراز على حقوق بسيطة ، ومحاولة الخروج من الحكم المباشر الضيق ، الذى فرضه الفرنسيون على البلاد ، تحت غائلة الاحتلال والعنف والقهر الذريع .

ثرت يومئذ ثورة عارمة تحدث الناس عنها كثيرا (1) وقابلت الجماعة وخاصة الاساتذة : الصافى ، حمودة ، المستيرى ، محمد بن عمار ، أحمد التليلى ، صالح بن يحي ، محمد الرياحى ، علي كاهية ، وقلت لهم فى حدة وفى عنف (وكنا فى مطبعة التليلى): انكم قد خنتم الوطن اذ اعطيتم الفرنسيين طوعا واختيارا حق التشريع فى بلادكم، وسمحتم لهم بأن يكونوا معكم فى الحكومة ، بل مكنتموهم من الحكم الاستبدادي ، اذ اخرجتموهم من المسؤولية الحكومية ، أهذه هي الامانة التى حملتكم الامة اياها ؟ أهذا هو الشرف الذى قمتم تنادون به وتعلنون عنه ؟ أهذه هي بداية الاستقلال وقد زدتم قوة فى اغلال الاحتلال ؟ أصبحتم أذل وأحقر من مصطفى بن سماعيل والصادق باي عندما قبلا الحماية تحت تهديد العنف والقوة ، اذ مكنتم الفرنسيين مما لم يمكنهم منه لا مصطفى الطاغية البليد ، ولا الصادق الملك الأهوج ، وقلت لهم وكأننى صاحب شأن عظيم: هذا فراق بينى وبينكم لن أعمل معكم فى المستقبل أبدا ولن تمتد من الآن يدى الى ايديكم ، وخرجت غاضبا وكأن الدنيا قد خرجت يومئذ معى ...(2).

ومن الغد جاءنى الشيخ حمودة المستيرى مبكرا ، وبعد سلام كان فاترا من الجهتين ابتدرنى قائلا : اترى أنك بالامس قد جاوزت الحد واغلظت القول واهنت جماعة هم خيرة الامة واحرار الوطن ؟ وهل تعتقد ان وطنيتك اكبر من وطنيتهم وان ايمانك اقوى من ايمانهم وان شرفك اسمى من شرفهم ؟ لا ياسى احمد ماكنا نظن أن يكبح بك الجواد اطلاقا كما كبح بك بالامس ، ان السياسة تطورات متتالية من قديم الزمن ، تسمو أحيانا وتنحط أحيانا حسب الظروف والمواقف فما مطالبنا هذه الا مرحلة من مراحل الكفاح الطويل ، حتمتها علينا ظروف الزمان والمكان .

---

(1) مادح نفسه يقرئنا السلام .

(2) عاش من عرف قدره وجلس دونه .

وفى ذلك المساء جاءنى كاتب الاستاذ احمد الصافى يقول لى ان الاستاذ يود ان تتفضل بزيارته الى المكتب فله امر هام يريد أن يحادثك فيه ، فذهبت فى الموعد المحدد ووجدت الاستاذ الصافى فى مكتبه ، وقام لى واحتضننى وجلست امامه فقال : أوصيك يا احمد بشيء خذه عنّى كما تأخذ الكلمة الطيبة من ابيك : ان السياسة هي علم الممكنات فليس من السياسة الجري وراء الخيال دون دراسة الظروف المحدقة به ، والامكنيات المتوقعة من ذلك الجري وقد قال آباؤنا « عصفور فى اليد أحسن من عشرة فوق الشجرة » .

وقال الشاعر العربى بيتا مشهورا :

على قـدر الكسـاء امـد رجلى فان طال الكساء مددت اخرى (كذا)

فقلت له اشكرك شكرا جزيلا على درسك المفيد ، وقد اقتنعت من كلام السيد حمودة المستيرى صباح اليوم ومن حديثك الآن بأن وحدة العمل خير من الانكماش وان يد الله مع الجماعة . (1)

المؤتمر الاسلامى الجزائرى سنـــة 1936 م

حالة البلاد قبيل انعقاد المؤتمر

منذ وطئت اقدام المستعمرين الفرنسيين بلادنا ، وهم حريصون على تشتيت اهلها بمختلف الطرق وشتى الاساليب لتحقيق اهدافهم الكبرى فى السيطرة على موارد البلاد ، وتسخير طاقة العباد ، فمنحت فرنسا ـ عددا من الاوروبيين ذوى

(1) الجزء 1 ص 186 من (حياة كفاح)، ونحيل القارئ الكريم على ماكتبه هذا المؤلف فى الجزء 2 من (حياة كفاح) عن المؤتمر الاسلامى الجزائرى ورجاله وعن ابن باديس (بطمه وطميمه) كما قال ، ليعقد مقارنة بسيطة بين ماقاله وفعله فى تونس وما قاله وفعله فى الجزائر ليزن أقوال وأفعال هذا الرجل قديما وحديثا ثم يحكم له او عليه .

الجنسيات المختلفة - الجنسية الفرنسية - وأمدتهم بالمال والعتاد ، ومكنتهم من الاستيطان والاستيلاء على ثرواتنا الزراعية ، وبعد مرور قرن من الزمان على الاحتلال ، بلغ عدد هؤلاء المعمرين مليونا من الافراد ، يمثلون (عشر) سكان الجزائر فى ذلك الحين طبقا لما تفيده الاحصائيات الرسمية لتعداد السكان .

وليس هناك وجه للمقارنة بين حياة اولئك المعمرين وحياة تسعة ملايين من المواطنين الجزائريين ، فقد عاش المعمرون فى رغد العيش يتمتعون بالخير الوفير ، بينما يعانى اصحاب الحقوق الشرعية من ابناء الوطن الجزائري الحرمان والفقر وكل ما يورثه الفقر والحرما من البلاء والامتهان ، فكثر بينهم عملاء المستعمرين ، وأجراء المعمرين المستغلين .

وحسبت فرنسا ان اطماعها قد تحققت ، وأن أقدامها قد توطدت ، وراح الغرور يسول لها من نفسها أمرا ، فأقامت بالجزائر احتفالا صارخا مستفزا بمناسبة مرور مائة سنة على احتلال الجزائر ، ودعت الى ذلك الاحتفال وفود القساوسة وحشود المسيحيين من الاقطار المسيحية ، وأعلنتها صليبية من جديد ، وتوافدت الوفود من كل فج ليشهدوا - فى زعمهم - غروب شمس الاسلام فى الجزائر كما غربت عن الاندلس فى الماضى القريب .

اثار ذلك التحدى الصليبي شعور المسلمين المستضعفين فهبوا غاضبين ، يطالبون بحقوقهم المغتصبة وانعقدت لذلك الندوات ، وتتابعت المظاهرات ، وتكونت الاحزاب والهيئات والتنظيمات الدينية والوطنية ، ورد الله شماتة الشامتين ، فكان تحديهم حافزا للعقيدة الدينية وباعثا للروح الوطنية ، وتعددت الجبهات التى مارست نشاطها فى هذا الميدان واختلفت وسائلها وبرامجها ، وامتدت فى ربوع البلاد ، وأصبح لكل جبهة دعاتها وأنصارها ووسائل اعلامها من احاديث وخطب وصحافة ناطقة باللغة العربية واخرى ناطقة باللغة الفرنسية ، وكان من آثار قوة هذه الحركات ان الصحافة الحزبية فى فرنسا لم تستطع تجاهل مايدور بالجزائر فتحدثت طويلا عن ذلك وأصدرت البيانات المتوالية وكشفت للمجتمع الفرنسى حقيقة

غفل البعض عنها ، وهي ان الشعب الجزائري المسلم ما يزال حيا فى بلاده ، على الرغم من مضيّ السنين واحكام قبضة المستعمرين .

واستجابة لذلك كله خاضت بعض الاحزاب الفرنسية مع الخائضين فى هذه الحركة ، وأعلنت الواجهة الشعبية فى فرنسا على لسان قادتها عن عزمها فى منح بعض الحقوق السياسية والاجتماعية لشعوب المستعمرات الفرنسية فى دائرة السيادة الفرنسية .

وكان الشعب الجزائري قد التف حول قيادات تبلورت فى الاتجاهات المختلفة التالية :

الاتجاهــات المختلفــة :

1) **الاندماج التام فى فرنسا**

كان من اخطر هذه الاتجاهات ، وابعدها عن فهم حقيقة الشخصية الجزائرية، اتجاه يدعو الى نبذ وتزييف الشخصية الجزائرية ، وقطع كل صلة بأهم مقوماتها الاساسية من العقيدة الاسلامية والحضارة العربية .

وادماج الشعب الجزائري فى الامة والحضارة الفرنسية ليصبح جزءا لا يتجزأ منها، وقد تبنى هذا الرأي جماعة من الجزائريين الذين تجنسوا بالجنسية الفرنسية دينيا ومدينا يقودهم رجل منهم يدعى الربيع الزناتى - ويعبرون عن وجهة نظرهم السابقة من خلال جريدة (الصوت الاهلى) الاسبوعية التى يديرها الزناتى المذكور ، الصادرة باللغة الفرنسية من مدينة قسنطينة .

2) **اعتناق الجنسية الفرنسية واطلاق الحرية الدينية**

وعلى الرغم من أن هذا الاتجاه الثاني يقترب من الاعتدال أكثر من الرأي الأول ، لكنه ما يزال بعيدا كل البعد عن اهداف وحقيقة ومتطلبات الشعب الجزائري ، وقد دعا أصحاب هذا الاتجاه الى اعطاء الشعب الجزائري الجنسية الفرنسية ليتمتعوا بالحقوق التى يتمتع بها الفرنسيون بالجزائر ، وفى الوقت نفسه يطالب اصحاب هذا

الاتجاه بترك الحرية الدينية مكفولة للجزائريين ، فيختار كل انسان عقيدته التى يرتضيها كما هو الحال فى فرنسا .

وقد مثل هذا الاتجاه عدد من المعلمين الجزائريين من خريجى مدرسة اعداد المعلمين الجزائريين يتزعمهم السيد العربى طاهرات أحد كبار الاشتراكيين الجزائريين فى الحزب الاشتراكي الفرنسي، ومدير مجلة (صوت المستضعفين) الصادرة باللغة الفرنسية بقسنطينة .

3) تأسيس حكومة وطنية

يقترب اصحاب هذا الاتجاه من مطالب الشعب الجزائري ، ولكنهم يرون أن الانفصال التام عن فرنسا امر عسير فذهبوا يطالبون بتأسيس حكومة وطنية جزائرية ذات سيادة تضم تحت لوائها سكان الجزائر من المتمسكين بشخصيتهم العربية الاسلامية ، والمستوطنين من اليهود والمسيحيين وترتبط هذه الحكومة الجزائرية بالاتحاد الفرنسي ارتباط دولة مستقلة بدولة اخرى مستقلة ـ يمثلهم حزب البيان بزعامة عباس فرحات .

4) الاستقلال التام

وظهر من بين الاتجاهات السياسية فى تلك الفترة اتجاه ينادى بالاستقلال التام والانفصال عن فرنسا من غير اعداد ولا استعداد ، ويمثل هذا الاتجاه (حزب انتصار الحريات الديمقراطية).

5) الجمود والولاء

وكان من بين الاتجاهات اتجاه يهدف الى الحفاظ على مصالح فئة معينة هم اصحاب هذا الاتجاه الذين يسعون الى الابقاء على مناصبهم وارضاء الادارة الفرنسية الحاكمة، ويمثل هذا الاتجاه القسم الاكبر من اعضاء جماعة النواب المسلمين الجزائريين فى العمالات الجزائرية الثلاث وهؤلاء النواب هم : نواب البلديات ـ نواب العمالات ـ نواب المجلس المالى الجزائري ، وأغلبهم يفوزون بالتزكية من قبل الوالى العام الفرنسى، ويتمتعون بثقة المعمرين الفرنسيين الذين يعتبرونهم طبقة ممتازة ، ويسمونهم القسم الاول، وباقى الجزائريين القسم الثانى .

6) الاصلاح الدينـــــى

فى خضم هذه التيارات المضطربة ما بين دعوة الى الجمود والاستطانة ودعوة الى الاستقلال التام قبل مجىء الاوان ، تبلورت فكرة الحرية والاستقلال فى حركة الاصلاح الديني والحفاظ على مقومات الشخصية الجزائرية والسير بالنهضة الاصلاحية خطوة خطوة حتى بلوغ الغاية المنشودة ، وقد تبنى هذا الاتجاه رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقيادة الامام ابن باديس الذى صاغ هذه المبادئ فى نشيد وطني رددته الافواه وما تزال تردده :

شعــب الجزائــر مسلــم والى العروبــة ينتســب
من قــال حــاد عــن أصلــه او قــال مات فقد كـذب
أورام إدماجــا لــه رام المحــال مــن الطلــب

فكـــرة المؤتمـــر والدعوة الى عقـــده

كان الاستاذ الرئيس الشيخ ابن باديس قد دعا أعضاء المكتب الدائم لجمعية العلماء المسلمين لحضور اجتماع طارئ فى أواخر سنة 1935م ، فلبى الدعوة الشيوخ: الطيب العقبي ، البشير الابراهيمي ، الامين العمودي ، محمد خير الدين ، واعتذر الشيخان : الميلي و التبسي ، الاول لمرضه والثانى لقيامه بمهمة تخص الجمعية ، وقالا : إننا موافقون على كل ما تقررون .

وفى الاجتماع قال الشيخ الرئيس : نظرا لتدهور الحالة العامة فى الجزائر ، والبلبلة السياسية السائدة ، واختلاف الاحزاب والهيئات الوطنية وتشتتها ، رأيت أن أدعو الى مؤتمر اسلامي جزائري عام ، يجمع الشمل ويوحد الصف ، ويحدد الهدف ، لأن المرجع فى أمور الامة يعود الى الامة ، والواسطة لذلك هي المؤتمرات والندوات التى تفحص فيها الامور وتحصحص النتائج ، والإجماع أصل من أصول تشريعنا الاسلامي ، فلماذا لانعمل به فى السياسة ؟

لهذا جمعتكم لأستطلع رأيكم ، وأطلب منكم الموافقة على توجيه الدعوة باسم رئيس جمعية العلماء الى مثقفى العربية والفرنسية والنواب والأحزاب ، وكل من

يهمه أمر البلاد والعباد من الطوائف والمنظمات الوطنية ، لعقد هذا المؤتمر فى العاصمة لمناقشة الحالة الراهنة وتدارس أبعادها ونتائجها السلبية والايجابية .

فوافقه الحاضرون على الفكرة وعلى توجيه الدعوة باسمه ونشرها فى جريدة الدفاع (لاديفانس) للاستاذ العمودي ، وظهرت فى العدد الصادر بتاريخ 1936/01/03م ، وفيها آراء قيمة صائبة لابن باديس فى السياسة الجزائرية ، ومنها عقد هذا المؤتمر الذى لم يسبق له مثيل فى تاريخ الجزائر ، فكان لآرائه تلك وقع عظيم وصدى واسع فى المجتمع الجزائري كله ، وفى الاوساط الاستعمارية الفرنسية .

المؤتمر الاسلامى الجزائري

لا يبنى مستقبل الامة الا الامة

بقلم الاستاذ محمد البشير الابراهيمى

اي ابنائى :

انى أنا الأم الولود المنجبة للطرف الغر الحسان المعجبة
فلم غدت محاسى محجبة ؟

ولدت الغر الميامين من آبائكم الاولين ، فأوسعونى برا وتكرمة وكافؤونى وفاء واحسانا .

وفد علي الاسلام فكنت له حصنا ، ووفدت معه اللغة العربية فقلت لهما حسنا . ثم اتخذتهما مفخرتى دهرى ، ووضعتهما بين سحرى ونحرى ، وأقسمت أن اتلقب بهما طول عمرى ، ألا لستم لى حتى ترعوا عهدى ، برعاية عهدهما ، وتحققوا وعدى، بالاستماتة فى سبيلهما .

انا الأم ، ومن حق الام ان تسمى ولدها ، وقد سميتكم العرب المسلمين ، وأشهدت التاريخ فسجل ، فلستم مى ان عققتمونى بتبديل الاسم او تفريق المسمى.

انى قريرة العين بيومكم هذا إذ وسمتموه بوسمى وسميتموه باسمى وشرفتموه بالاسلام وزنتموه بالعربية

« لسان حال الجزائر »

* * *

هبت الامة الاسلامية الجزائرية بجميع طبقاتها على تلك الدعوة الجامعة التى اذاعها الاستاذ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والدكتور ابن جلول رئيس جمعية النواب بعمالة قسنطينة الى عقد (مؤتمر اسلامى جزائرى) عام تعرض فيه مطالب الامة وحقوقها ، وتتبادل فيه الآراء بين علماء الامة ونوابها وذوى الرأي منها ، فيما يتفق من هذه المطالب والحقوق مع الاوضاع الحكومية الحاضرة .

هبت الامة كلها على صوت الداعى ، فأعلنت يقظتها وشعورها واستعدادها وتضامنها واتحادها ، وساعدها (اعتدال الزمان) على اظهار قواها الكامنة ، وعلى اطلاق ألسنتها بالتعبير الواضح عن آلامها فتجلت جزائريتها واسلامها للعيان فى يوم مشهود هو يوم 7 ربيع الاول سنة 1355 الموافق ليوم 7 جوان 1936 وفى مدينة تاريخية هي مدينة الجزائر وفى صالة (الماجيستيك) الفسيحة .

لم يمض على الجزائر الاسلامية فى تاريخ ارتباطها السياسي بفرنسا يوم أغر محجل مثلت فيه الامة روحا وجسما ، وتلاشت فيه الفوارق الاعتبارية كهذا اليوم - ففيه التقى - عن فكرة وعقيدة الجزائري بأخويه القسنطيني والوهراني وفيه اجتمع - على تلك الفكرة - المصلحون والطرقيون - وعلماء الدين ورجال السياسة والشيوخ والشبان والتجار والفلاحون والعمال ، جمعت الكل صفتا الاسلام والجزائرية ، ووحدتهم قسوة الايام ، وألفت بينهم المحن والهموم ، فاندفعت ألسنتهم تعبر عن رغائب الدين بلغة الدين وعن رغائب الدنيا بلغة السياسة .

والنقطة التى يلتقى عندها الكل هي الاسلام والجزائر ، لذلك كان ضروريا أن يكون مدار البحث على الاسلام ولسانه والمسلم وحقوقه فى الحياة .

انعقد المؤتمر برئاسة الزعيم السياسي الدكتور ابن جلول نائب قسنطينة المالى ومستشارها العمالى ، ورئيس جمعية نوابها ، ومثّل فيه نواب العمالات الثلاث جميع منتخبيهم ، ومثلت فيه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المعنى العالي الذى هو سمة المؤتمر ، وهو الاسلام ، فحق ان يقال : ان الامة الجزائرية كلها حشرت فى هذا المؤتمروان قدرت الجرائد الفرنسوية من ضمتهم قاعة المؤتمر بخمسة أو ستة آلاف شخص وحزرناهم نحن بسبعة آلاف أو يزيدون .

سبق يوم المؤتمر ، يوم تمهيدي بنادى الترقى اجتمع فيه انصار المؤتمر من شبان العمالات الثلاث قدموا فى شكل جمعيات مفوضة من طبقات الشباب الراقى العامل ليمثلوا عنصر التجديد فى الامة ولينصروا المؤتمر ويؤيدوا النواب ويعينوهم بالقول والعمل ، وشاركهم فى هذا الاجتماع كثير من نواب العمالات الثلاث ايضا ، وكم كان جميلا من اولئك الشبان ومن اولئك النواب ان يلوذوا بجمعية العلماء المسلمين ويسترشدوا بها ويمزجوا رأيها برأيهم ، ويظهروا مجتمعين ، على معنى الوفاء لها والاخلاص لمبادئها والاعتراف بفضلها على هذه الامة فيما أيقظت من مشاعر ، ونبهت من احساسات وجمعت على المصلحة العامة من قلوب .

وكانت الليلة التى اسفر صباحها عن المؤتمر تمهيدية ايضا تقاربت فيها وجوه النظر المختلفة حتى اتفقت ، وكانت ليلة بهيجة اجتمعت فيها عناصر القوة الثلاث العلماء - النواب - الشباب - وتمثلت فيها العمالات الثلاث اكمل تمثيل .

وخلاصة ما استقر عليه الرأي فى هذه الليلة أن المطالب الجزائرية تنقسم الى قسمين :

- قسم لا يختلف فيه نظر ولا يتشعب فيه رأي ، لانه عبارة عن مظالم صريحة وأوضاع شاذة ، كانت تعامل بها الجزائر بصورة استثنائية كحرية القول والفكر والكتابة والاجتماع والتنقل والتعليم العربى والمساجد وكرفع القوانين الاستثنائية الشاذة ...الخ .

انعقد المؤتمر برئاسة الزعيم السياسي الدكتور ابن جلول نائب قسنطينة المالى ومستشارها العمالى ، ورئيس جمعية نوابها ، ومثّل فيه نواب العمالات الثلاث جميع منتخبيهم ، ومثلت فيه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المعنى العالي الذى هو سمة المؤتمر ، وهو الاسلام ، فحق ان يقال : ان الامة الجزائرية كلها حشرت فى هذا المؤتمروان قدرت الجرائد الفرنسوية من ضمتهم قاعة المؤتمر بخمسة أو ستة آلاف شخص وحزرناهم نحن بسبعة آلاف أو يزيدون .

سبق يوم المؤتمر ، يوم تمهيدي بمنادى الترقى اجتمع فيه انصار المؤتمر من شبان العمالات الثلاث قدموا فى شكل جمعيات مفوضة من طبقات الشباب الراقى العامل ليمثلوا عنصر التجديد فى الامة ولينصروا المؤتمر ويؤيدوا النواب ويعينوهم بالقول والعمل ، وشاركهم فى هذا الاجتماع كثير من نواب العمالات الثلاث ايضا ، وكم كان جميلا من اولئك الشبان ومن اولئك النواب ان يلوذوا بجمعية العلماء المسلمين ويسترشدوا بها ويمزجوا رأيها برأيهم ، ويظهروا مجتمعين ، على معنى الوفاء لها والاخلاص لمبادئها والاعتراف بفضلها على هذه الامة فيما أيقظت من مشاعر ، ونبهت من احساسات وجمعت على المصلحة العامة من قلوب .

وكانت الليلة التى اسفر صباحها عن المؤتمر تمهيدية ايضا تقاربت فيها وجوه النظر المختلفة حتى اتفقت ، وكانت ليلة بهيجة اجتمعت فيها عناصر القوة الثلاث العلماء - النواب - الشباب - وتمثلت فيها العمالات الثلاث اكمل تمثيل .

وخلاصة ما استقر عليه الرأي فى هذه الليلة أن المطالب الجزائرية تنقسم الى قسمين :

- قسم لا يختلف فيه نظر ولا يتشعب فيه رأي ، لانه عبارة عن مظالم صريحة وأوضاع شاذة ، كانت تعامل بها الجزائر بصورة استثنائية كحرية القول والفكر والكتابة والاجتماع والتنقل والتعليم العربى والمساجد وكرفع القوانين الاستثنائية الشاذة ...الخ .

- وقسم يحتاج الى تأمل ودقة نظر وهو الحقوق السياسية ، وأشد مسائل هذا القسم تعقيدا مسألة النيابة فى البرلمان .

وقد كانت تغمر المحافل الجزائرية اسماء برامج عتيقة فى وضعها او فى معناها ولكل برنامج أشياع وانصار ، وكان من رأي كاتب هذه الاسطر وجماعة من المفكرين إلغاء تلك البرامج كلها ، لانها وضعت فى ظروف ضيقة وبنيت على اعتبارات فردية ، وفى بعضها ما لا يتفق مع الرغائب الاسلامية ، وفى بعضها ما يتصادم مع الذاتية الجزائرية الاسلامية ، ووضع برنامج اسلامي جزائري روحا ومعنى واسما ، ينتزع من حالة المسلم التى هو عليها الآن ، وكان من حسن التوفيق ان رجعت الآراء الى هذا الرأي فاجتمع الحاضرون فى تلك الليلة التمهيدية على تسمية المؤتمر باسم « المؤتمر الاسلامي الجزائري ».

وعلى عدم اعتبار البرامج القديمة أساسا له ، وعلى المطالبة بحقوق المسلم الجزائري السياسية تامة غير منقوصة مع المحافظة التامة على احواله الشخصية الاسلامية تامة غير منقوصة ، مع اصلاح الخلل الواقع فيها الآن ، وعلى إعطائه حق النيابة فى البرلمان على اساس الانتخاب المشترك المتحد بحيث ينتخب المسلمون مع الفرنسيين نائبا واحدا سواء كان مسلما او فرنسيا ، وكل مسلم له حق الانتخاب اليوم فى المجالس الجزائرية من بلدية وغيرها ، وله حق الانتخاب فى النيابة البرلمانية .

ثم المساواة فى الحقوق التى تتبع هذا التساوى فى الانتخاب النيابى البرلمانى ، وتفاوض الحاضرون فى جميع المسائل التى يجب عرضها فى المؤتمر وتقديمها باسمه وفى نظام المؤتمر ومكتبه وخطبائه ، فوقع الاتفاق الاجمالي على اسناد رئاسة المؤتمر للزعيم السياسي الدكتور ابن جلول ، وتأليف المكتب من النواب والعلماء والشبان .

فمن النواب على الجزائر : الدكتور تامزالى النائب المالى ، والدكتور البشير عبد الوهاب النائب العمالى ، والسيد محمد الطاهر طيار ، والصيدلي عبد الرحمن بوكردنة النائبان البلديـــان .

وعن قسنطينة : السيد عبد الرحمن بن خلاف ، والدكتور سعدان ، والصيدلي عباس فرحات النواب العماليون .

وعن وهران : السيد محمد بن سليمان النائب البلدى بتلمسان ونائب رئيس جمعية النواب بوهران ، والدكتور الجيلانى بن التهامى ، والسيد محمد لالوت النائبان البلديان .

وعن العلماء الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والشيخ محمد البشير الابراهيمى ، والشيخ الطيب العقبي .

وعن الشبان والهيئات الاجتماعية جماعة منهم ، ووقع الاتفاق على أن يتكلم باسم وهران الدكتور ابن التهامى ، فيعلن للمؤتمر تضامن وهران مع العمالتين فى جميع المطالب ويتكلم باسم الجزائر الدكتور عبد الوهاب بمثل ذلك ويتكلم باسم قسنطينة الصيد لى فرحات عباس ، ثم يتعاقب الخطبـــاء .

يوم المؤتمر

ماكادت الساعة المقررة لافتتاح المؤتمر تدق حتى كانت قاعة (الماجستيك) الفسيحة وايوانها الفخم وشرفاتها كلها مكتظة بالوافدين من الاقطار الثلاثة ، فكان منظرا مؤثرا ، وان الناظر ليدرك لاول نظرة ان طبقات الامة كلها تمثلت فى المؤتمر .

فترى العامل ، والتلميذ ، والفلاح ، والغني ، والفقير ، والوجيه ، والخامل ـ والفتى ، والشيخ ممتزجين متلاصقين ، فتحكم بالبداهة كيفما كان سنك وحظك من شهود المجتمعات أنه اول مشهد من نوعه شهدته فى عمرك بهذا الوطن .

انتظم المكتب بهيئته التى اسلفنا القول عنها واستقر رجال الصحافة فى المقاعد التى خصصت لهم ، وافتتح المؤتمر الدكتور عبد النور تامزالى النائب المالى والبلدى بكلمة رحب فيها بالمؤتمرين وتمنى لهم النجاح باسم مدينة الجزائر التى هو عضو فى مجلسها البلدى ونائب شيخها .

ثم قال رئيس المؤتمر الدكتور صالح بن جلول فخطب خطبة طويلة وصف فيها حالة الامة ، وبين الاسباب الداعية لعقد المؤتمر والمقاصد التي ستعرض عليه .

وأعلن في الاخير أن النواب كلهم مجمعون على المطالبة بالحقوق السياسية ومنها التمثيل في البرلمان لا على أسس البرامج الشخصية الرائجة ، بل على أسس المساواة التامة والتعليم التام ، والمحافظة التامة على الاحوال الذاتية الاسلامية ، بحيث ينتخب الجزائريون على اختلاف أجناسهم نائبا واحدا ، ويكون حق الانتخاب البرلماني حقا لكل مسلم جزائري له حق الانتخاب المحلي ، مع المحافظة والاعتراف للمسلم الجزائري بذاتيته الشخصية الاسلامية وأحكامه الاسلامية .

ثم قال بعده الدكتور الجيلالي بن التهامي النائب البلدي بمستغانم متكلما باسم اتحاد نواب عمالة وهران ، فأعلن للمؤتمرين تضامن جمعيته مع جمعيات النواب على هذه المطالب .

وقام بعده الدكتور البشير عبد الوهاب نائب البليدة العمالي ، فأعلن باسم نواب عمالة الجزائر تضامنهم مع اخوانهم على تلك المطالب .

وتكلم بعده الصيدلي عباس فرحات نائب سطيف العمالي ، فأعلن ما أعلنه زميلاه من قبل وعلم شاهدو المؤتمر أن كلمة النواب مجمعة على المطالب ومتفقة في النقطة التي كانت محل نزاع وهي نقطة التمثيل البرلماني وكيفيته .

ثم تكلم الدكتور سعدان نائب بسكرة العمالي عن سكان القسم العسكري الجنوبي ، فاقترح على المؤتمر المطالبة بحذف المحاكم العسكرية الشاذة ، وتصير الاقسام الجنوبية مدنية فوافق المؤتمر بالاجماع على هذا الاقتراح .

ثم انتهى دور الخطابة الى العلماء ، فخطب الاستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خطبة مؤثرة نوه فيها بقيمة هذا المؤتمر في تاريخ الجزائر ، فعلا الهتاف والتصفيق ، ثم تخلص الى ذكر المطالب الخاصة بالدين

واللغة العربية ، فشرحها للناس شرحا وافيا ، وأعلن أنه قدم بخلاصة تلك المطالب تقريرًا لمكتب المؤتمر ليظمه مع المطالب الجزائرية ، وتقدم للحاضرين بأن يرفعوا أيديهم ان كانوا موافقين على هذه المطالب فارتفعت فى لحظة واحدة سبعة آلاف يد وعلا الهتاف : تحيا الجزائر العربية المسلمة .

مطالب جمعية العلماء فى المؤتمـــر

نص المطالب التى قدمها لمكتب المؤتمر رئيس جمعية العلماء خاصة بالدين واللغـــة العربيـــة .

اللغـــة العربيـــة : تعتبر اللغة العربية رسمية مثل اللغة الفرنسية وتكتب بها مع الفرنسية جميع المناشير الرسمية ، وتعامل صحافتها مثل الصحافة الفرنسية ، وتعطى الحرية فى تعليمها فى المدارس الحرة مثل الفرنسيـــة .

الديانـــة

1) **المساجد :** تسلم المساجد للمسلمين مع تعيين مقدار من ميزانية الجزائر لها يتناسب مع اوقافها ، وتتولى امرها جمعيات دينية مؤسسة على منوال القوانين المتعلقة بفصل الدين عن الحكومة .

2) **التعليم الدينى :** تؤسس كلية لعلوم الدين ولسانه العربى لتخريج موظفى المساجد من أئمة وخطباء ومدرسين ومؤذنين وقيمين وغيرهم .

3) **القضـــاء :** ينظم القضاء بوضع مجلة أحكام شرعية على يد هيئة اسلامية يكون انتخابها تحت اشراف الجمعيات الدينية المشار اليها فى الفصل السابق ، وادخال اصلاحات على المدارس التى يتخرج منها رجال المحاكم منها تدريس تلك المجلة ، والتحقيق بالعلوم الشرعية الاسلامية ، وطبع التعليم بطابعها لتكوين رجال يكونون من اصدق الممثلين لها انتهى .

هذه هي النقط الاساسية التى تنبنى عليها المطالب الدينية التى قدمها رئيس جمعية العلماء باسمها للمؤتمر لتكمل بها مطالب الامة الجزائرية فى نواحى حياتها الاخرى ، وقد وافق المؤتمر عليها بالاجماع .

فليخرص المتشدقون الذين لم تزل بقاياهم تقول بلا خجل ولا حياء ان جمعية العلماء طلبت الاندماج فى فرنسا .

سفـــر الوفـــد الى فرنســـا ورجوعـــه

سافر الوفد المنبثق عن هذا المؤتمر الى فرنسا ليقدم المطالب المتفق عليها ، وكان من بين أعضائه بعض رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وهم : الشيخ عبد الحميد بن باديس - الشيخ محمد البشير الابراهيمى ، والشيخ الطيب العقبى - والاستاذ الامين العمودى .

والتقى الوفد بالمسؤولين الفرنسيين ، وشرح لهم مطالب الشعب الجزائري التى قررها المؤتمر الاسلامي ، وعاد الوفد الى الجزائر ليجد جموع المواطنين فى استقباله استقبالا حافلا ، وانعقد اجتماع عظيم فى الملعب البلدى بالعاصمة تحدث فيه الامام ابن باديس الى جموع الحاضرين فقال :

خطاب ابن باديس فى الملعب البلدى :

أيها الجزائري التاريخي القديم ، المسلِم الصميم ، كلمته من كلمة الله ، وارادته من ارادة الله ، وقوته من قوة الله ، أو لست منذ شهر كوّنت مؤتمرا كما ينبغى أن يكون جلالا وروعة ، فذلك مجلى ارادتك ومظهر قوتك ، ثم كوّنت هذا الوفد الكريم ، فحملته مطالبك فاضطلع بها ، وأدى الأمانة فى ثمانية أيام ، وهي لا تؤدى الا فى أضعاف ذلك من الأيام وقد - لعمر الله - مثلك فى قوتك وارادتك وحياتك وكرمك وفد متّحد متعاون متساند ، زار الوزارات والاحزاب وأرباب الصحف ، فعرفك اليها ورفع اليها صوتك ، ولقد كدت تكون أيها الشعب مجهولا عندهم تمام الجهل ، لكن

بأعمالكم العظيمة وبما قام به الوفد صرت معلوما لدى من يعرف الحق ويحترم الكريم وينصف المظلوم .

أيها الشعـــب ...

انك بعملك العظيم الشريف ، برهنت على أنك شعب متعشق للحرية هائم بها ، تلك الحرية التى ما فارقت قلوبنا منذ كنا الحاملين للوائها ، وسنعرف فى المستقبل كيف نعمل لها ، وكيف نحيا ونموت لأجلها .

اننا مددنا الى الحكومة الفرنسية أيدينا ، وفتحنا قلوبنا ، فان مدت الينا يدها ، وملأت بالحب قلوبنا فهو المراد ، وان ضيعت فرنسا فرصتها هذه ، فاننا نقبض أيدينا ونغلق قلوبنا فلا نفتحها إلى الأبد .

أيها الشعب ....

لقد عملت وأنت فى أول عملك ، فاعمل ودم على العمل ، وحافظ على النظام ، وأعلم أن عملك هذا على جلالته ، ماهو إلا خطوة ووثبة ، ووراءه خطوات ووثبات ، وبعدها إما الحياة وإما المماة .

اللجنة التنفيذية للمؤتمــر

اجتمعت اللجنة التنفيذية للمؤتمر الاسلامي الجزائري باستدعاء من نائب الرئيس الدكتور البشير عبد الوهاب يوم الاحد الخامس شوال 1355 هـ المطابق للعشرين ديسمبر 1936 م، على الساعة العاشرة صباحا بنادى الترقى .

وبعد بحث اجمالي فى الحالة العمومية تصدت اللجنة لانتخاب الرئيس ، فانتخب لهذا المنصب الدكتور « البشير عبد الوهاب » النائب العمالى عن دائرة البليدة ورئيس وحدة النواب لعمالة العاصمة .





أما السيد (بلحاج) الكاتب العام المستعفى فانه سحب استعفاءه بطلب من زملائه .

وعلى هذا فان اللجنة التنفيذية مؤلفة الآن من الاعضاء الآتية أسماؤهم :

- **الرئيـــس** : الدكتور البشير عبد الوهاب .

- **نواب الرئيس** : الامين العمودى - فرحات عباس - الجيلالى بن الطالب .

- **الكاتب العام** : بلحاج - **نائباه** : ابن شنب - اوزقان .

- **أمين المال** : بوكردنة - **نائبه** : عمارة فرشوخ .

الدعـــاة : ابن حورة وعاشور (عمالة الجزائر) طاهرات وخير الدين (عمالة قسنطينة)، الزاهرى وبوشامة (عمالة وهران) .

الاعضاء المستشارون : الشيخ ابن باديس - الدكتور سعدان - الشيخ الابراهيمى - الدكتور بن جلول - الدكتور الاخضرى - معبد - شرقى محي الدين - قاضى محمد - قاضى الطاهر - باش تارزى - كامل بوخدمى - حسنى عبد الله - موهوبى محمود - ابن القلعية .

عمـــل اللجنـــة التنفيذيـــة :

من جملة الاعمال التى قامت بها اللجنة التنفيذية أنها أرسلت الى الحكومة عريضة شرحت فيها الحالة الحاضرة شرحا وافيا ، واستنجزتها وعودها المتعلقة بالمطالب التى قدمها الوفد الاسلامي الجزائري ، كما أنها وجهت نداء الى الامة أوصتها فيه بالاتحاد والالتفاف حول رجال المؤتمر ومؤازرتهم وتأييدهم فى سائر الظروف وبكافة الوسائل .

مكائــد لاحبــاط المؤتمــر

ضاق الاستعمار وأذنابه ذرعا بجمعية العلماء والمؤتمر الذى دعت إليه وصارت احدى دعائمه ، وتبرموا بمطالب الامة ، وبالوفد الذى ذهب بها الى كبار المسؤولين فى فرنسا ، فخافوا أن تتحقق فيتضعضع سلطانهم ، كما ضاقوا ذرعا بالاجماع الشعبى الذى تحقق فى المؤتمر ، وبالامة التى أصبحت تعلق على الجمعية والمؤتمر آمالاً كبيرة فسيحة ، فدبروا المكائد لعرقلة هذا الزحف فكان الاغتيال الفضيع ، وكان الاعتقال الشنيع ، وكان الغلق والمصادرة ، وكان الاستفزاز والاثارة ، وحرشوا صنائعهم فكانت كما قال الابراهيمي « صحف تتأوّل ، وألسن تتقوّل ، تقابلها من جهتنا عقيدة لا تتحوّل ، وثبات لا يتزلزل ، وتقة فى الله لا تتبدل » وهذا موجز لتلك المكائد :

1) - فى العاصمة قتل المفتى ابن دالى كحول فى رابعة النهار وهو مار بشارع لالبير المزدحم بالمارة فى الوقت الذى كان الشعب فى الملعب البلدي يستمع ويستمتع بما يصرح به خطباء الوفد العائد من فرنسا فارحا مستبشرا بما قام به من أعمال ، فترتب عن ذلك الاغتيال : (تطويق نادى الترقى) بالجند والشرطة والدرك ، وهو مركز جمعية العلماء ومقر دروس الشيخ الطيب العقبى أكبر داعية لجمعية العلماء فى العاصمة ، وإسماع من فيه الكلمات الجارحة المهينة ، ثم طردهم منه وغلقه ، واخراج الشيخ العقبي منه مسلسلا مهاناً أمام الناس ، ثم زجه فى السجن مع عباس التركى بتهمة تحريضهما على قتل المفتى ، وغلق (الجمعية الخيرية) التى يرأسها العقبي، و (إدارة البصائر) التى يرأس تحريرها ، وانطلقت « الجرائد اليومية الفرنسية » بعد ذلك تكتب الفصول الطويلة المهولة بعناوين ضخمة وصور مثيرة تصف الاغتيال بأنه مؤامرة واسعة النطاق ، يدبرها الوهابيون ، وتصف العلماء بالاجرام والقتل ، والمراد بالوهابيين المصلحون هنا .

ولكن العدالة برأت ساحة العقبي وعباس التركى وأطلقت سراحهما بعد أيام .

2) - فى قسنطينة محاولة قتل الشيخ أحمد الحبيباتى فى ذلك الاسبوع لاتهام الشيخ ابن باديس أو بعض اتباعه بقتله ، وغلق جمعية التربية والتعليم التى يرأسها ،

ولكن الله سلّم فطاشت الرصاصات التى اطلقت على الحبيباتنى فى نهج (زواف)
بقلب المدينة ولم تصبه بسوء ، ولم يعرف الجانى ، واكتفت الشرطة باجراء بحث مع
المجني عليه لمعرفة أعدائه لاتهامهم بتلك المحاولة الفاشلة ، ولكن الشيخ أصر بأنه لا
عدوّله، فطوي البحث وأسدل الستار على هذه اللعبة .

3) - وفى تلمسان رواية تقول بأن أحد كبار الموظفين المسلمين وثيق الصلة بالحاكمين علم بما يدبر فى الخفاء هنالك ، فتحرك ضميره وأوعز لمن يبلغ الشيخ الابراهيمى فى العاصمة : الا يدخل المدينة هذه الايام إن كان يريد السلامة والأمن ، ففعل وأحبطت المحاولة وخابت المكيدة .

فاغتيال المفتى بالعاصمة ، ومحاولة قتل الحبيباتنى بقسنطينة ، وما تبع ذلك من حوادث وأحداث ، دلت على أن الاستعمار وأذنابه لا يرون عدوًّا لهم فى الجزائر أخطر من جمعية العلماء ، فهم يخشون منها على نفوذهم ومخططاتهم أكثر من خشيتهم من النواب والاحزاب .

اضطراب وتصدع الحركة فى العاصمة وضواحيها

فى صيف عام 1937م استدعانى من بسكرة الامام عبد الحميد بن باديس فقدمت الى العاصمة ، وقابلته هناك وكان من عادته - رحمه الله - أن يداعبنى ويشد من أزرى كلما اشتدت الأزمات بترديد هذه العبارة (قضية ولا أبا حسن لها) فأدرك على الفور أنه متى ذكر هذه العبارة أن الامر جد خطير ، وقد كان ذلك حقا .

اضطربت الاحوال فى العاصمة وضواحيها ، ولم تتمكن شعب الجمعية الموجودة بها من أداء مهمتها ، وأغلق نادى الترقى ببطحاء الحكومة ، ونادى بلكور بالعاصمة ونادى شرشال فى البليدة ، وشلت حركة الاندية الاخرى فى منطقة الوسط الجزائرى، وأصبح الشيخ الطيب العقبي مقيّد الحركة ، نظرًا لما يلاقيه من شبيبة (حزب الشعب) من معارضة له بلغت حد التعرض له بالاهانة والشتم سواء فى الطريق العام أو فى أثناء أدائه مهمته فى الوعظ والتدريس .

ولكن الله سلّم فطاشت الرصاصات التى اطلقت على الحبيباتى فى نهج (زواف) بقلب المدينة ولم تصبه بسوء ، ولم يعرف الجانى ، واكتفت الشرطة باجراء بحث مع المجني عليه لمعرفة أعدائه لاتهامهم بتلك المحاولة الفاشلة ، ولكن الشيخ أصر بأنه لا عدوّ له، فطوي البحث وأسدل الستار على هذه اللعبة .

3) - وفى تلمسان رواية تقول بأن أحد كبار الموظفين المسلمين وثيق الصلة بالحاكمين علم بما يدبر فى الخفاء هنالك ، فتحرك ضميره وأوعز لمن يبلغ الشيخ الابراهيمى فى العاصمة : الا يدخل المدينة هذه الايام إن كان يريد السلامة والأمن ، ففعل وأحبطت المحاولة وخابت المكيدة .

فاغتيال المفتى بالعاصمة ، ومحاولة قتل الحبيباتى بقسنطينة ، وما تبع ذلك من حوادث وأحداث ، دلت على أن الاستعمار وأذنابه لا يرون عدوًّا لهم فى الجزائر أخطر من جمعية العلماء ، فهم يخشون منها على نفوذهم ومخططاتهم أكثر من خشيتهم من النواب والاحزاب .

اضطراب وتصدع الحركة فى العاصمة وضواحيها

فى صيف عام 1937م استدعانى من بسكرة الامام عبد الحميد بن باديس فقدمت الى العاصمة ، وقابلته هناك وكان من عادته - رحمه الله - أن يداعبنى ويشد من أزرى كلما اشتدت الأزمات بترديد هذه العبارة (قضية ولا أبا حسن لها) فأدرك على الفور أنه متى ذكر هذه العبارة أن الامر جد خطير ، وقد كان ذلك حقا .

اضطربت الاحوال فى العاصمة وضواحيها ، ولم تتمكن شعب الجمعية الموجودة بها من أداء مهمتها ، وأغلق نادى الترقى ببطحاء الحكومة ، ونادى بلكور بالعاصمة ونادى شرشال فى البليدة ، وشلت حركة الاندية الاخرى فى منطقة الوسط الجزائرى، وأصبح الشيخ الطيب العقبي مقيّد الحركة ، نظرًا لما يلاقيه من شبيبة (حزب الشعب) من معارضة له بلغت حد التعرض له بالاهانة والشتم سواء فى الطريق العام أو فى أثناء أدائه مهمته فى الوعظ والتدريس .

رأيت ذلك فأقمت فى العاصمة ثلاثة أشهر ، وأعددت العدة لاصلاح مسيرة حركتنا الاصلاحية من جديد وشرعت فى العمل على تجديد نشاط الشعب والفروع، وأستعنت بالشيخ حمزة بوكوشة والشيخ فرحات بن الدراجى للجولان فى عمالة الجزائر لتجديد نشاط الشُّعب ، ونظمت العمل بالاندية ، فشاركت بالقاء دروس فى الفقه كنت ألقيها يوميا بنادى الترقى الذى أعيد فتحه بعد سبعة أيام من اغلاقه بسبب حوادث اعتقال الشيخ الطيب العقبى المحاضر الدائم به اثر مقتل الشيخ كحول مفتى الجزائر ، وقد شرحت أثناء دروسى الفقهية (رسالة ابن ابى زيد القيروانى) فى فقه الامام مالك .

ونظمت زيارات اسبوعية للاندية فى عمالة الجزائر ، أقوم فى كل اسبوع بالقاء محاضرة بنادى بلكور ، وأخرى بنادى شرشال ، وثالثة بنادى البليدة ، وفى كل مرة ألقى محاضرة عامة يختلف موضوعها باختلاف الظروف ، وكان من أهم ما وفقنى الله إليه فى اصلاح الموقف المضطرب فى تلك الفترة هو البدء بتكوين شباب المؤتمر الذى انضم له عدد غفير من الشباب الممتلئ حماسا .

وكانت فكرة تكوين (شباب المؤتمر) من أهم الاسباب التى حالت دون تنفيذ اغراض المعوقين من شباب الاحزاب السياسية ، فعندما قويت شوكة شباب المؤتمر المكون من شباب الاصلاح الدينى ، اصبحوا حراسا على مؤسساتهم ودعما وسندا لقياداتهم ، فانفض المثبطون ولم تقع صدامات او مشاكل وسارت الحركة الاصلاحية سيرها الطبيعى .

جمعيـــة العلمـــاء والسياســـة

كانت الاعمال السالفة الذكر فى جميع الجهات ناقوسا يجلجل فى آذان الناس قاطبة يوقظ النوام وينبه الغافلين ويجتمع على صوته المستيقظون ، فعمت النهضة وتيقظ الشعب وبذلك تكونت الدعائم الاساسية لبناء أمة تستطيع ان تلبي نداء الجهاد وتحمل راية الكفاح وتخوض غمار المعارك الحربية وتحقق النصر والاستقلال.

وما قامت ثورة فى الشرق أو الغرب فى التاريخ القديم أو الحديث ، إلا سبقتها حركة بعث فكري وايقاظ قومي يعبئ الشعور ويوضح الأهداف ويرسم الطريق ، ولنا فى جهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة ، فانه لم يبدأ جهاده المسلح إلا بعد أن هيأ النفوس وملأها بنور الايمان ، وتاريخ الثورة الفرنسية فى الغرب ليس ببعيد ، فقد هيأ له المفكرون والمصلحون من أمثال (ميرابو) و (جان جاك روسو) وغيرهما.وتاريخ الثورات والحركات التحريرية فى بعض بلدان المشرق العربي مدين لحركة الاصلاح الفكري والديني التى قادها موقظ الشرق جمال الدين الافغاني ومن بعده الامام (محمد عبده) ثم تلميذه (رشيد رضا) ومن التف حولهم من رجال الفكر والسياسة ، ولم تكن هذه الحركة بعيدة عنا بل كان مددها متصلا ببلادنا فجريدة (العروة الوثق) التى كان يصدرها جمال الدين الافغانى ومحمد عبده ، و (المنار) التى كان يصدرها رشيد رضا ، ومجلة (الفتح) لمحب الدين الخطيب من الصحف التى كانت تغذى نفوس المصلحين ، وقد زار الامام محمد عبده تونس والجزائر سنة 1903م وكانت آراؤه وأفكاره وخطته فى الاصلاح نصب أعين المصلحين .

ونحن نجد من ينكر دور (محمد عبده) الاصلاحي فى تحرير بلاده أو تأثيره الواضح فى الثورات الشعبية التى قام بها شعبه فى حياته وبعد وفاته . وفى سنة 1919 على أيدى بعض الزعماء السياسيين من تلاميذه مع ان الامام محمد عبده ، لم يلجأ الى اسلوب المجابهة والهجوم ولم يعلن الحرب الساخنة ولا الباردة ضد الحاكمين كما فعل الافغاني ، ولكنه راح يصلح أمته ويعلم شعبه ويصفى عقيدة الشعب من الشوائب والأباطيل ويفتح باب الاجتهاد لتنطلق العقول من عقالها الى حمل السلاح فى ميدان الجهاد ويتحاشى العمل السياسى المباشر - ويركز على التعليم والتربية ويوصى بعدم الاشتغال بالسياسة فى بداية النهضة .

هذا ما أدركه أولوا الرأي فى بلادنا من رجال الاصلاح وعملوا به قبل تأسيس جمعية العلماء فقد طلب الشيخ عبد الحليم بن سماية والشيخ مصطفى بلخوجة من الامام محمد عبده أثناء لقائهما به سنة 1903م بالجزائر أن يبلغ رغبتهما للاستاذ

(رشيد رضا) صاحب مجلة (المنار) فى عدم التعرض من قريب أو بعيد لسياسة فرنسا فى الجزائر ، حتى لا تمنع السلطة الفرنسية دخول (المنار) الينا وهي المدد الذى يغذينا فى ذلك الوقت بالعلم والمعرفة والعقيدة الصحيحة ، ولذلك فان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فى عهدها الاول (قبل الحرب العالمية الثانية) لم تهادن الاستعمار الفرنسي ولم تهاجمه صراحة بحرب سافرة ، واختارت الطريق الشاق ، طريق الإعداد الدائم والحركة المستمرة والمد الزاحف الراسخ المتصل .

لم تكن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حزبا سياسيا ، ولم تعمل فى ميدان السياسة الحزبية التى تكونت فى بلادنا خلال فترة تأسيس الجمعية ، وانما عملت فى ميدان السياسة العامة التى تهدف الى توعية الامة وتكوين المواطن الصالح وتبصيره بحقوقه فى الحرية والاستقلال .

ومواقف رجالها سواء مع المستعمرين أو الحكام الفرنسيين او الاحزاب السياسية تشهد بدورها الكفاحي الجرىء الشريف الواعى ، والامثلة على جرأة رجالها ووعيهم كثيرة سواء فى حياة مؤسسها ابن باديس أو بعد وفاته ، وأكتفى بذكر الامثلة التالية :

امثلــة من مواقــف جمعيــة العلمــاء

1) رفضت جمعية العلماء ارسال برقية تأييد لفرنسا سنة 1938م وسنة 1939م عند قيام الحرب العالمية الثانية ، وأحداث هذه الواقعة يعرفها الكثير من الذين يتساءلون عن دور جمعية العلماء فى السياسة وتحرير الجزائر .

لقد طلبت السلطات الحاكمة فى بلادنا من جميع الهيئات والاحزاب والمنظمات ان تبعث برقية ولاء واخلاص وتأييد لحكومة فرنسا ضد دول المحور ، وتسابقت الاحزاب السياسية والهيئات والشخصيات الى تنفيذ مطالب السلطة ، وبعضهم انتهز فرصة انعقاد الجمعية وبعث إلينا يعرض هذا الطلب واستحسنه نفر قليل من زملائنا حرصا على مصالح شعبنا ومداراة لبطش فرنسا بحركتنا ، ولكن القرار الاخير

والحاسم هو ما اختاره اغلب الاعضاء مؤيدين جرأة وشجاعة رئيسهم الذى راح يردد قولته المشهورة فى هذا الاجتماع بصوت عال : **(والله لو طلبت منى فرنسا ان اقول لا اله الا الله محمد رسول الله ما قلتها).**

2) رفض مطلب الوالى العام بالجزائر عندما أراد التدخل فى اختيار رئيس للجمعية بعد وفاة رئيسها ومؤسسها ابن باديس .

وقد تلقيت استدعاء من الشيخ ابن باديس قبل وفاته بشهر تقريبا وأنا فى بسكرة، فتوجهت إليه فى قسنطينة ، وقد هيأت نفسى للقيام بمهمة من المهام التى تعود ان يكلفنى بها ، فحضرت عنده بمدرسة التربية والتعليم وسلمت عليه وسألته عما يريد فقال لى : استدعيتك لأراك وأطلع على نشاطك وأحدثك عما يجول بخاطرى من افكار طارئة ، تحادثنا فترة طويلة حتى حان وقت انصراف تلاميذ المدرسة فى منتصف النهار ، فاقترحت عليه استدعاء الاساتذة : بلعابد ، الجنان ، ابن حافظ ، بوشمال ، نغتنم هذه الفرصة السعيدة لنتناول فيها طعام الغداء معك على شرط أن تكونوا جميعا ضيوفى ، ولك أن تختار ما تريد بنفسك من طعام وفاكهة فاستدعى - رحمه الله - قيّم المدرسة وكلفه باحضار ما اختار من طعام وفاكهة وبعد الغداء قضيت بجانبه أمسية طيبة ثم عدت الى بسكرة ، وبعد رجوعى بقيت قرابة شهر يتردد على لسانى بيت المتنبى :

هنيئا لهم فليأمنوا كل صائح   لقد سكت الصوت الذى كان صاديا

وأقسم بالله انى كنت لا اعرف سببا لورود هذا البيت على لسانى بصفة دائمة ودون قصد او مناسبة تدعو الى ترديده .

وذات يوم اتصل بى هاتفيا السيد أحمد بوشمال وأخبرنى بأن الشيخ ابن باديس يحتضر فركبت على الفور الحافلة متوجها الى قسنطينة ، وحين توقفت فى باتنة أسرع إلي أخونا اسماعيل شيخى وأخبرنى وهو يجهش بالبكاء قائلا : ان الشيخ ابن باديس قد لحق بجوار ربه ، وهكذا (سكت الصوت الذى كان صاديا)، وكان ذلك مساء الثلاثاء 8 ربيع الاول 1359 هـ الموافق لـ 16 افريل 1940م .

والحاسم هو ما اختاره اغلب الاعضاء مؤيدين جرأة وشجاعة رئيسهم الذى راح يردد قولته المشهورة فى هذا الاجتماع بصوت عال : **(والله لو طلبت منى فرنسا ان اقول لا اله الا الله محمد رسول الله ما قلتها).**

2) رفض مطلب الوالى العام بالجزائر عندما أراد التدخل فى اختيار رئيس للجمعية بعد وفاة رئيسها ومؤسسها ابن باديس .

وقد تلقيت استدعاء من الشيخ ابن باديس قبل وفاته بشهر تقريبا وأنا فى بسكرة، فتوجهت إليه فى قسنطينة ، وقد هيأت نفسى للقيام بمهمة من المهام التى تعود ان يكلفنى بها ، فحضرت عنده بمدرسة التربية والتعليم وسلمت عليه وسألته عما يريد فقال لى : استدعيتك لأراك وأطلع على نشاطك وأحدثك عما يجول بخاطرى من افكار طارئة ، تحادثنا فترة طويلة حتى حان وقت انصراف تلاميذ المدرسة فى منتصف النهار ، فاقترحت عليه استدعاء الاساتذة : بلعابد ، الجنان ، ابن حافظ ، بوشمال ، نغتنم هذه الفرصة السعيدة لنتناول فيها طعام الغداء معك على شرط أن تكونوا جميعا ضيوفى ، ولك أن تختار ما تريد بنفسك من طعام وفاكهة فاستدعى - رحمه الله - قيّم المدرسة وكلفه باحضار ما اختار من طعام وفاكهة وبعد الغداء قضيت بجانبه أمسية طيبة ثم عدت الى بسكرة ، وبعد رجوعى بقيت قرابة شهر يتردد على لسانى بيت المتنبى :

هنيئـا لهم فليـأمنوا كل صـائح لقد سكت الصوت الذى كان صاديا

وأقسم بالله انى كنت لا اعرف سببا لورود هذا البيت على لسانى بصفة دائمة ودون قصد او مناسبة تدعو الى ترديده .

وذات يوم اتصل بى هاتفيا السيد أحمد بوشمال وأخبرنى بأن الشيخ ابن باديس يحتضر فركبت على الفور الحافلة متوجها الى قسنطينة ، وحين توقفت فى باتنة أسرع إلي أخونا اسماعيل شيخى وأخبرنى وهو يجهش بالبكاء قائلا : ان الشيخ ابن باديس قد لحق بجوار ربه ، وهكذا (سكت الصوت الذى كان صاديا)، وكان ذلك مساء الثلاثاء 8 ربيع الاول 1359 هـ الموافق لـ 16 افريل 1940م .

تابعت السفر الى قسنطينة فى حزن وذهول ودخلت منزل ابيه وعائلته كذلك حيث رأيت الجسد الطاهر مسجى ، وفى الغد حضرت تشييع جنازته التى خرجت قسنطينة كلها تشيعه وتودعه بجميع طبقاتها فى موكب مهيب رهيب ، وكان على رأس المشيعين اخوانى فى حركة الاصلاح : الشيخ العربى التبسي والشيخ مبارك الميلى الذى ابنه وصلى على جثمانه الطاهر ، وبعد دفنه فى مقبرة أسرته توجهنا الى مدرسة التربية والتعليم لتلقى العزاء ، وأبلغتنا عمالة قسنطينة ان السيد (الكولونيل شال) ومرافقه السيد (ابن حورة) يريد لقاءنا لتبليغنا غزاء الوالى العام للقطر الجزائري فى وفاة الرئيس ابن باديس والتقينا وتلقينا تعزية الوالى العام (1) 3) واغتناما لهذه الفرصة النادرة اقترح علينا الكولونيل وابن حورة تقديم شخص معيّن لرئاسة الجمعية خلفا للشيخ ابن باديس ، نظرا لما يتمتع به من مرونة وبعد نظر ، وستجدون من السلطات كل عون ومساعدة لتحقيق اهدافكم الاصلاحية ، فأجاب الشيخ مبارك الميلي رحمه الله على اقتراحهما بأن الذى يملك تعيين الرئيس هو الاجتماع العام للجمعية ، وقد اخترنا من قبل الشيخ البشير الابراهيمي نائبا للرئيس فى حياته ، وهو مايزال منفيا فى مدينة (آفلو) فعندما تطلقون سراح الشيخ البشير الابراهيمى ستجتمع الجمعية وتختار من ينتخبه الاعضاء .

ورفضنا تدخل السلطة فى اختيار رئيس الجمعية بعد وفاة مؤسسها ابن باديس حتى اطلق سراح الشيخ البشير الابراهيمى ، فانتخبناه رئيسا لها ورفضنا تدخل الحكومة فى شؤوننا واختياراتنا .

وهناك مواقف كثيرة سبقت الاشارة الى بعضها فى ثنايا هذه المذكرات ، وقف فيها الامام ابن باديس وجمعية العلماء مواقف شجاعة وجريئة أمام السلطة الاستعمارية الحاكمة .

---

1) اما الشيخ توفيق المدنى الذى ادعى انه هو الذى سعى فى تكوين الجمعية وكتابة قانونها ، وأنه هو الذى يضع لها الخطط والبرامج ولو لم يكن عضوا رسميا فيها ، فلم يحضر الجنازة ولم يبعث بتعزيته للجمعية ولا لعائلة ابن باديس كما فعل العام والخاص والعدو والصديق !

4) لايستطيع مدع ان يقول ان واحدًا من رجال جمعية العلماء تعاون مع المستعمر او تجسس لحسابه أو هادنه ، ربما كانت التهمة التى ألحقت بأحد رفاقنا فى النضال وهو الشيخ العربى التبسى ، انما هي ضد فرنسا لا لحسابها ، فقد ألقوا القبض عليه بتهمة التعاون مع دول المحور ، ثم افرج عنه ولم يتصل رجالنا فى مسيرة دعوتهم الاصلاحية بالسلطة وأعوانها من رجال الشرطة ، بل كان هؤلاء مصدر ازعاجنا وقلقنا على الدوام .

5) اكدت جمعية العلماء وجودها كأمة لها كيانها ومعالمها وتاريخها ، فى وقت كان النداء فيه (بالامة الجزائرية) و (الوطن الجزائرى) أمرا خطيرا ، حتى تبدل العسر يسرا ، واعترف الصديق والعدو بأمتنا الجزائرية حرة مستقلة .

6) لم تقف جمعية العلماء المسلمين موقف العداء او المنافسة لاي حزب من الاحزاب السياسية ، مهما كانت وسائل هذه الاحزاب ومناهج عملها الوطني .

بل كان رجالها دائما دعاة وحدة ووئام وائتلاف بين هذه الاحزاب جميعا ، وأصحاب نصيحة يسدونها بين الحين والحين كلما دعت الضرورة الى ذلك ، على نحو ما سبق الحديث عنه .

7) فالسياسة فى نظر علمائنا هي التفكير والعمل والتضحية والتفانى فى الصالح العام وليست التشدق بالكلام ، ولا التظاهر بالمهام ، أمام الرأي العام ، وقد أكد هذا ابن باديس فى خطبه ومواقفه ، وخلده شعرا فى مثل قوله :

أشعب الجزائر روحى الفدا ... لما فيك من عزة عربية
بنيت على الدين أركانها ... فكانت سلاما على البشرية
خلدتم بها وبكم خلدت ... بهذى الديار على الأبدية
فدوموا على العهد حتى الفنا ... وحتى تنالوا الحقوق السنية
تنالونها بسواعدكم ... وإيمانكم والنفوس الابية
فضحوا وها أناذا بينكم ... بذاتى وروحى عليكم ضحية (1)

وفى قصيده المعروف الذى أصبح (نشيد الشعب الجزائري) نذكر منه قوله :

شعب الجزائر مسلم والى العروبة ينتسب
من قال حاد عن اصله أو قال مات فقد كذب
أورام إدماجا له رام المحال من الطلب

****

نحن الاولى عرف الزمان قديمنا الجم الحسب
ومعين ذاك المجد فى نسل العروبة مانضب
ندعو الى الحسنى ونو لى اهلها منا الرغب
من كان يبغي ودنا فعلى الكرامة والرحب
أو كان يبغي ذلنا فله المهانة والحرب

****

هذا نظام حياتنا بالنور خط وباللهب
هذا لكم عهدى به حتى أوسد فى الترب
فاذا هلكت فصيحتى: (تحيا الجزائر والعرب) (2)

---

1) مجلة (الشهاب) جزء 6 مجلد 13 لشهر جمادى (2) - 1356 هـ - أوت 1937 م
2) ألقى قصيده هذا الذى يبلغ أربعين بيتا فى احتفال جمعية التربية والتعليم الاسلامية ليلة المولد النبوي الشريف سنة 1356 هـ فى كلية الشعب بقسنطينة .

ومن اهداف الجمعيـــة

ومن الأهداف التى كانت حركة جمعية العلماء فى الجزائر تمد بصرها اليها هي : حركات الاصلاح والنهضة التى قامت فى البلاد الاخرى وخاصة فى المشرق العربي ، وارتفعت فى المغرب العربي شعارات الوطنية والحرية والاستقلال ، وظلت شعارات مرفوعة ترددها الافواه وتعلوها الاصوات وشتان مابين ترديد الاصوات ورفع الشعارات وممارسة العمل بها ، والكفاح بشتى الصور من أجل تحقيق هذا العمل وحده ، هو الطريق الذى يحقق رغبات الشعوب المتطلعة الى حريتها واستقلالها .

واذكر انه ذات يوم من عام 1933م التف نفر من الشباب المتحمس حول الامام ابن باديس بنادى الترقى ، وطلبوا منه أن يرفع صوته قويا مدويا عاليا مطالبا باستقلال الجزائر وحريتها ، فقال لهم رحمهم الله جميعا : وهل رأيتم أيها الابناء انسانا يقيم سقفا دون ان يشيد الجدران ؟ فقالو - كلا - ولا يمكن هذا ، فقال لهم :

إن من اراد ان يبني داره فعليه ان يبني الاسس ويقيم الجدران اولا،ثم يشيّد السقف على تلك الجدران ، ومن أراد أن يبني شعبا ويقيم أمة فإنه يبدأ من الأساس لا من السقف .

هذا هو التفكير السليم الذى يجب ان يفكر فيه العاملون فى سبيل رفعة الاوطان والنهوض بها ، ولنا فى رسول الله اسوة حسنة ، فقد اكرمه ربه بالرسالة وانزل عليه القرآن ، والوحي يرعاه وعناية الله تكلؤه فى الحل والترحال ، ومع ذلك أقام ثلاث عشرة سنة يبلغ رسالة ربه خطوة خطوة ويسير مع اصحابه على قدر طاقتهم فاخذوا يدعون سرا حتى اشتد ساعدهم ، ثم جهروا بالدعوة بأمر الله تعالى لنبيه بقوله : (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) الآية ، كان ذلك بعدما انتقل الى المدينة وكثر انصاره وكون الجيش فنادى بالجهاد فى سبيل الله ، هذه سنة طبيعية فى الكون. فهل يكفى ان ينادى بالاسلام فيصبح الناس مسلمين ، او ينادى بالاستقلال فيصير الشعب حرا مستقـــــلا ؟

إن طريقنا اذن هو أن نشيد البنيان ، ونرفع الجدران لنضع السقف عليها .

نربي ونعلم ونهيّئ الامة لتصير جديرة بالحرية وقادرة على أخذها بالقوة ، لان الاستقلال لا يطلب بالكلام او بالشعارات ، بل ينتزع بالقوة وبذل الدماء ، فلنوحد الصفوف ، ونجمع الامة على كلمة واحدة فتصبح فى منعة من بطش عدوها ، ونكوّن المجاهدين فيصبحوا قادرين على الجهاد ، ثم نتجه بعد ذلك الى تحقيق الاستقلال ولا نكون من الخياليين الذين عناهم الشاعر العربي بقوله :

لنـــا الآمـــال نبنيهـــا قصورا على عمـد الكلام فهـل تقـام ؟

وقد ركزت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فى المرحلة الاولى عملها على ثلاثة محاور أساسية هي :

1) تطهير الدين الاسلامي من البدع والخرافات التى رانت على الشعوب الاسلامية ، والعمل على إحيائه حسب فلسفة التجديد الاسلامي التى ظهرت فى العالم الاسلامي فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .

2) التعليم العربي الاسلامي للبنين والبنات .

3) المحافظة على الشخصية الجزائرية بمقوماتها الرئيسية : العروبة والاسلام .

سلكـ الجمعية طريقها لتحقيق هذه الاهداف بتكوين: المدارس الحرة، وبناء المساجد، وتأسيس النوادى، والكشافة الاسلامية الجزائرية، وبعض الهيئات والمنظمات: الفنية، والرياضية، والخيرية، لتربية الشباب المسلم ، وتحت غطاء هذه الانشطة كانت تخوض فى الامور السياسية من كل ما يتصل بالوطن ومستقبله ، ومقومات الشخصية الجزائرية العربية ، فحالت بذلك دون تحقيق اهداف المستعمر التى جاهد فى فرنسة الجزائر فرنسة كاملة ، وفرض التجنيس على الصفوة من رجالها ، والعمل على ادماج الجزائر فى فرنسا ادماجا كاملا بالتدريـــج .

قاومت جمعية العلماء اطماع ادارة الاحتلال الفرنسي بالجزائر ، ودار الصراع حول عدة محاور نحو خمسين عاما من الزمن منها :

1) مقاومة سياسة التجنيـــس .

2) مقاومة قانون 8 مارس 1933 ، الذى يقضى بمنع التعليم العربي ، او عرقلته باغلاق المدارس الحرة ، وسجن المعلمين الاحرار ، ومحاكمتهم مع المجرمين كمعتدين على القانون .

3) منع اعضاء الجمعية من إلقاء دروس الوعظ والارشاد فى المساجد التى حرموا منها بمقتضى قانون فبراير سنة 1933 م

4) مقاومة الجمعية لقانون 20 يناير 1935 الذى يقضنى بسلب حرية النوادى من الجزائريين وعدم الترخيص لهم بفتحها .

ثم وجهت الجمعية جهودها نحو مقاومة تذويب الشخصية الاسلامية العربية، وهزت المستعمرين عندما اصدر الامام ابن باديس فتواه التى اعتبر فيها المتجنسين بالجنسية الفرنسية اناسا مرتدين عن الدين الاسلامى لا تجوز الصلاة على موتاهم ولا دفنهم فى مقابر المسلمين ، وكان لهذه الفتوى آثارها لا فى الجزائر وحدها بل فى بلدان المغرب العربي الكبير الواقع تحت نير الاستعمار الفرنسي .

وكان من جراء ذلك ان اصدرت السلطة الحاكمة فى الجزائر عدة قرارات بمنع رجال جمعية العلماء القيام بمهامهم الدينية ، فأصدر الوالى العام للجزائر منشورا عاما على مستوى التراب الوطني الجزائري فى 13 فبراير 1933 هاجم فيه جمعية العلماء ، ثم أعقبه بقرار 16 فبراير 1933 م منع بمقتضاه العلماء من مزاولة نشاطهم الديني فى المساجد .

وفى سنة 27 فبراير من نفس السنة تشكلت الجمعية الدينية الاسلامية التى تشرف على مساجد العاصمة تحت رئاسة المسيو (ميشال) المسيحي الكاتب العام للعمالة المشهور بقراره المعروف (بقرار ميشال) .

ثم صدر قرار (لجنة البحر الابيض المتوسط 1933) للقضاء على التعليم العربي الحر .

فأصدر الاستاذ الامين العمودي الكاتب العام لجمعية العلماء عدداً خاصا من جريدته

(الدفاع) باللغة الفرنسية مجللا بالسواد احتجاجا على هذا القانون ، وقام الشعب فى كل أنحاء الجزائر بمسيرات الاحتجاج الصاخبة ، وكذا العالم العربي ، وندد الامام الرئيس بهذا القانون فى جريدة الجمعية (البصائر) وفى مجلته (الشهاب) .

ودامت القاومة المنظمة الهادفة ، والمعركة مستمرة كما قال : الامام ابن باديس - إما الحياة وإما الممات .

تجديـــد المجلـــس الاداري للجمعيـــة سنـــة 1938 وتعريـــف ابـــن باديـــس بأعضائـــه (مع ملاحضـــة غيـــاب العقبـــى قبـــل ظهـــور برائتـــه من قضيـــة كحـــول) :

أولئـــك آبائـــي فجئنـــي بمثلهـــم إذا جمعتنـــا يا جريـــر المجامـــع

أصبحت جمعية العلماء هي الصورة الصادقة للأمة الجزائرية فى دينها ولغتها وقوميتها . وقد وقفت - ومازالت - من الدفاع عن الشخصية الاسلامية ولغتها الدينية المواقف التى عرفها الناس حتى خصومها واضدادها . وان نظرة فى هيئة مجلس إداراتها وإلمامة بتراجم أعضائها كما كتبها ابن باديس كافيتان للعلم بصدق ذلك التمثيل وسر تلك المواقف .

وننشر مع هذا المقال رسما مشتملا على أعضاء المجلس الاداري للجمعية المنتخبين لعام 1938 ، ولم يغب عنهم الا الاستاذ عبد العزيز بن الهاشمي الشريف، الشيخ الأكبر للطريقة القادرية السجين بقسنطينة . ذلك العالم الذى أراد أن يعود بأتباعه الى اتّباع الكتاب والسنة مع بقاء انتسابهم للشيخ عبد القادر الجيلالى كعالم زاهد مرشد . فما كاد يشرع فى واجبه حتى فوجئ بالقبض عليه وإلقائه فى السجن،



صورة المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1938

كما هو معلوم من حوادث سوف ، والشيخ أبو اليقظان المعتذر عن الحضور لقيامه بأعمال ضرورية فى نواحى الجنوب ، ذلك الكاتب القدير والصحافي البارع الذى ما أصدر صحيفة الاختمت أيامها بالتعطيل .

فأول الجالسين من اليمين هو الشيخ علي أو الخيار أحد علماء جبال زواوة جبال الحديد ، تلك الجبال التى أنجبت عددا وافرا من فحول العلماء الذين خدموا الاسلام والعربية وامتلأت بذكرهم كتب التراجم فى الشرق والغرب وقد كان من أعضاء الجمعية من أول تأسيسها .

وثانيهم الشيخ عبد القادر آل زيان سليل الملوك الزيانيين المشهورين ، ومن فقهاء العمالة واهل السمعة الطيبة فيها .

وثالثهم الشيخ فرحات بن الدراجى من أعيان ليشانه بصحراء بسكرة ، والمعلم بمدرسة الشبيبة ، ومعتمد الجمعية بالعاصمة ، ونائب كاتبها ، وهو ذو استعداد للدرس والمحاضرة والخطابة لو اتسع له مجالها .

ورابعهم الشيخ العربى بن بلقاسم التبسى من بيوت النمامشة الماجدة ، والمعلم بمدرسة البنين بتبسة ، والمدرس والامام بمسجدها الحر ، ورئيس لجنة الفتوى، والرجل الصلب الشديد فى جميع مواقفه ، والكاتب العام للجمعية .

وخامسهم الشيخ البشير الابراهيمى الكاتب النابغ ، والمحاضر العبقري ، والداهية الهادئ ، محيي تلمسان ومؤسس دار الحديث بها ، ونائب رئيس الجمعية .

وأول الجالسين من اليسار الشيخ مبارك الميلي المعلم بمدرسة ميلة ، والمدرس والامام بمسجدها الحر ، وهو مؤرخ الجزائر الذكي الفؤاد ، العميق النظر ، الصائب التعليل ، ومدعم الدعوة الاصلاحية الدينية برسالته (الشرك ومظاهره)، وأمين مال الجمعية من أول يومها الذى خدمها بخبرته وأمانته ، وأنفق عليها من ذاته رغم مرضه وهو مدير جريدة الجمعية (البصائر) منذ السنة الماضية ، وقد قضت حالته الصحية

بالتخلى عن إحدى المهنتين فخيَّر إخوانه إبقاء إدارة « البصائر » لعهدته ، ورضوا آسفين بتخليه عن المالية محافظة على ما استرجعه - بعد طول علاج - من صحته ، أدام الله عافيته .

وثانيهم الشيخ السعيد صالحى ، المدرس والامام بمسجد قنزات ، وقرين الشيخ الفضيل الورتلانى فى تأسيس الحركة التهذيبية الاصلاحية بباريس وبعض مدن فرنسا، وأحد أركان الاصلاح والتعليم فى قبيلة بني يعلى المعروفة قديما بانتشار معرفة الفروع الفقهية بين عامتها ، وأحد أبناء المرابطين فى تلك الجبال الذين أرادوا أن يربطوا فيها رباطا شرعيا بحبس أنفسهم على نشر الهداية وتعليم الاسلام والعربية ، وخدمة عباد الله لوجه الله الكريم ، وهو نائب أمين مال الجمعية فى هذا العام .

وثالثهم الشيخ محمد خير الدين ، عميد الحركة الاصلاحية فى بسكرة وضواحيها، وهو - من بين إخوانه - ممتاز بحسن التدبير التجاري والفلاحي ، الذى قل أن لا يعود عليه بالارباح . لكنه كثيرا ما يترك ذلك كله فى سبيل خدمة الجمعية بذلك التدبير ، وهو مراقب الجمعية العام .

ورابعهم الشيخ أحمد بن معيزة ، من بيوت صابر الماجدة التى أنجبت رجالا فى القضاء والطب مثقفين باللغتين معتزين باسلامهم وعروبتهم ، وهو قاضى متقاعد عرف فى أيام ولايته كلها فى جميع البلدان التى ولي القضاء فيها بالعدل والنزاهة ، وهو أمين مالية الجمعية من هذا العام .

وأول الواقفين من اليمين الشيخ محمد بن منصور العقبى ، الامام والمدرس بجامع أم نائل الحر ، وهو ذو جد ورصانة وأخلاق رضية حببت فيه أهل قرية أم نائل وضواحيها وجمعتهم عليه من أول يوم حل فيه بين ظهرانيهم .

وثانيهم الشيخ محمد الطاهر الجيجلى ، المعلم بمدرسة الحياة بجيجل ، والمدرس بجامعها ، وعميد الاصلاح فيها وفى ضواحيها وما إليها من تلك الجبال الملأى بالرجال،

وأي الرجال ؟ وقد انتخب هذا العام لعضوية المجلس الاداري ، فلم يرجع إلى جيجل من العاصمة حتى وقف موقفا جليلا لا أعلنه اليوم ، وقد أعلنه فى وقت آخر - دل على يقينه وشجاعته وثباته فصدّق ظن إخوانه فيه وخيّب ظن قوم آخرين ...

وثالثهم الشيخ حمزة بوكوشة ، الكاتب المعروف ، والناقد اللاذع ، والذى كان أصدر جريدة (المغرب العربى) بمدينة وهران بتلك الروح العربية الاسلامية الصافية الوثابة ، فلم تلبث أن لقيت ما يلقاه أمثالها فتوارت بالحجاب .

ورابعهم الشيخ بلقاسم اللجانى ، الامام والمدرس بمسجد صدراته ، وعميد الاصلاح بها وبضواحيها ، وقد امتحن فى سبيل الجمعية فأظهر ثباتا وصلابة واحتسابا جديرة بمثله .

وخامسهم الشيخ مصطفى بن حلوش ، المعلم بمدرسة بلعباس والمحاضر بناديها والقائد لشبانها . وكثيراً ما طلع على القراء فى صفحات الصحف وشارك وفود الجمعية فى مواقف الخطابة .

والجالس بين الشيخ الابراهيمى والشيخ أحمد بن معيزة هو أنا :

عبد الحميد بن باديـــس

ما جمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان

الوحدة الجزائرية جزء من سلسلة الوحدة الاسلامية والوحدة العربية . اتصلت حلقاتها المتلاحقة فى إحكام وانسجام منذ مئات السنين ، ولا يمكن ان تنفصل عن بعضها الا بقوة الله الذى وحدها . فهل يتعظ فى هذا دعاة التفرقة والايديولوجية العصرية ؟

هذه هي الكلمة التى ختمنا بها الخطاب الذى ألقيناه إثر خطاب الشيخ يحي حمودى باللغة القبائلية ليلة مأدبة النادى لجمعية العلماء فاهتز لها الحفل ودوت القاعة بالهتاف والتصفيق . ووددت لو ذكرت الخطاب فنشرته كله ، ولكنى سأكتفى بالكلمة التالية فقد تكون أوفى منه فى المعنى وأجمل فى التنسيق :

إن أبناء يعرب وأبناء مازيغ قد جمع بينهم الاسلام منذ بضع عشرة قرنا ، ثم دأبت تلك القرون تمزج ما بينهم فى الشدة والرخاء ، وتؤلف بينهم فى العسر واليسر ، وتوحدهم فى السراء والضراء ، حتى كونت منهم فى أحقاب بعيدة عنصرا مسلما جزائريا ، أمه الجزائر وأبوه الاسلام .

وقد كتب أبناء يعرب وأبناء مازيغ آيات اتحادهم على صفحات هذه القرون بما أراقوا من دمائهم فى ميادين الشرف لإعلاء كلمة الله ، وما أسالوا من محابرهم فى مجالس الدرس لخدمة العلم .

فأي قوة بعد هذا يقول عاقل تستطيع أن تفرقهم ؟ لولا الظنون الكواذب

---

(1) مجلة (الشهاب) ج 11 م 11بتاريخ فيفرى 1936

والامانى الخوادع . ياعجبا لم يفترقوا وهم الأقوياء ، فكيف يفترقون وغيرهم القوي ؟ كلا والله ، بل لا تزيد كل محاولة للتفريق بينهم الا شدة فى اتحادهم وقوة لرابطتهم ذمتي بما أقول رهينة، وأنا به زعيم، والاسلام له حارس ، والله عليه وكيل .

نعم إننا نتحد لننفع أنفسنا ، وننفع اذا استطعنا غيرنا . ومعاذ الله والاسلام أن نتحد على أحد ، أو نتفق على باطل ، أو نتعاون على إثم أو عدوان .

« ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمَنَّكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقرى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ».

عبد الحميـــد بن باديـــس الصنهاجـــى

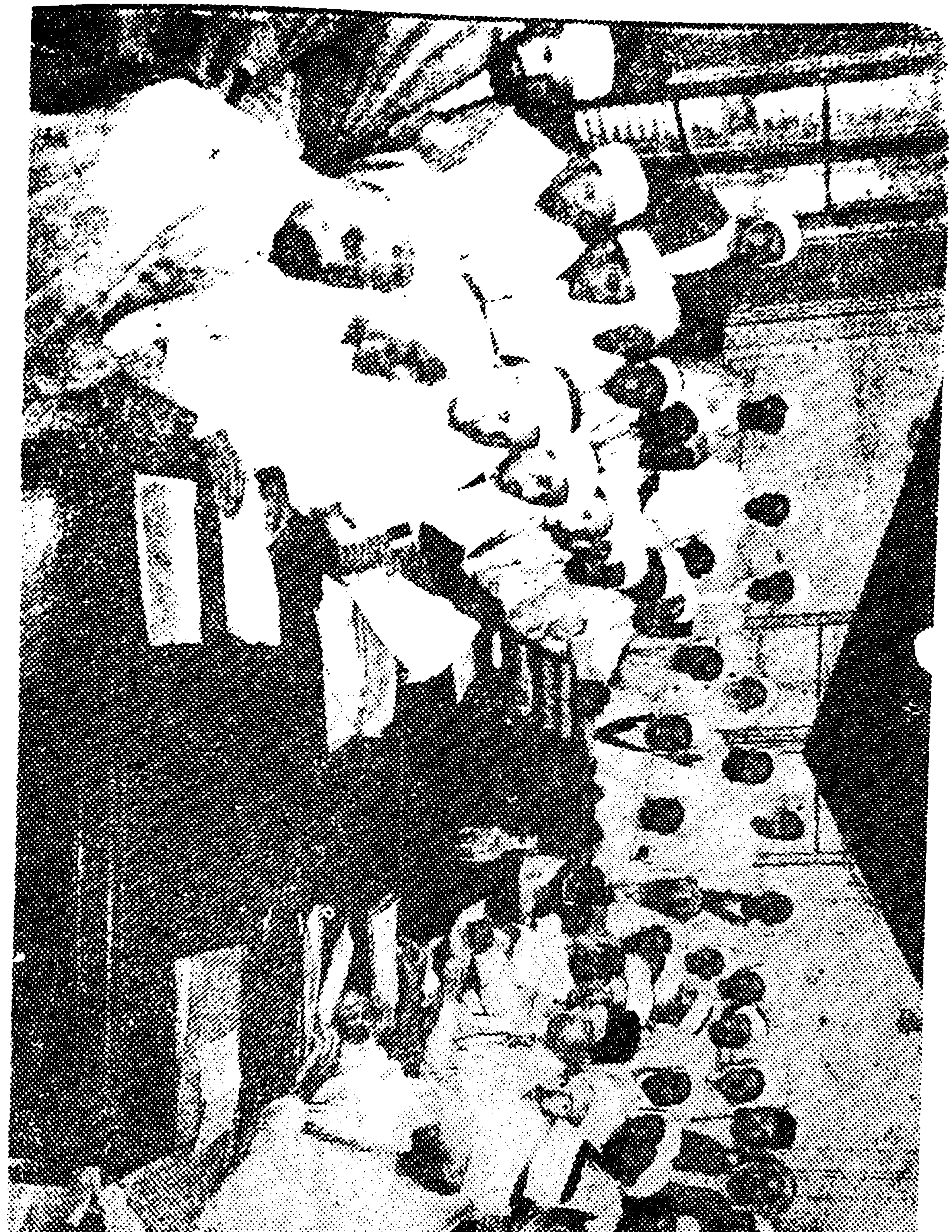
مؤتمـــر المعلميـــن الأحرار الاول

سينعقد مؤتمر رجال التعليم العربي الحر تحت اشراف جمعية العلماء بنادى الترقى بالجزائر يومي الاربعاء والخميس : الثانى والعشرين والثالث والعشرين من شهر سبتمبر الجارى سنة 1937 لتبادل الآراء فيما يهم التعليم العربي الحر ومدارسه ومساجده ونظمه وأساليبه ، والغاية المنشودة من ذلك هي التوصل الى توحيد مناهج التعليم العربي ، فعلى إخواننا الاساتذة القائمين بهذا النوع من التعليم أن يحرصوا كل الحرص على شهود هذا المؤتمر .

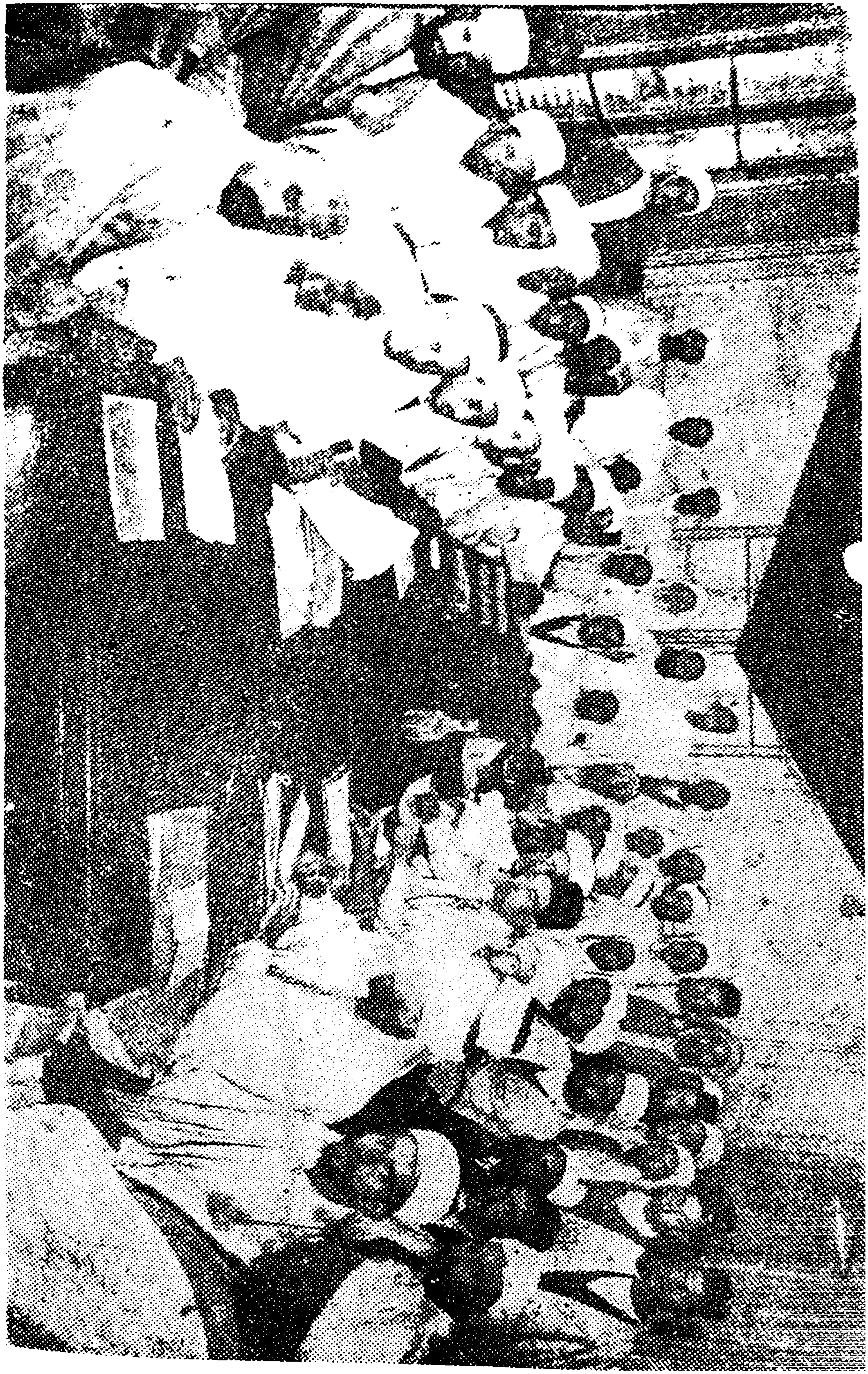
والواجب أن يعدوا من الآن خلاصة آرائهم ضمن تقارير تقدم للمؤتمر .

وها هي المسائل التى نرجوا منهم أن يتقدموا الى المؤتمر بآرائهم فيها :

1) وسائل توحيد التعليم .
2) أسلوب التعليم .
3) أسلوب تربية الناشئة .



صورة مؤتمر المعلمين الأحرار الأول



4) خلاصة تجاربهم فى التربية والتعليم .
5) الكتب وهل الأحسن اختيار كتب مصرية أو تأليف كتب تتفق مع الروح الجزائرية .
6) رأيهم فى تعليم البنت المسلمة ووسائل تحقيقه .
7) التعليم المسجدي ووسائل تنظيمه وترقيته
8) رأيهم فى الوسيلة التى نعيد بها للمرأة المسلمة سيرة سلفها من تلق العلم .
9) تقارير مفصلة لدرجة إقبال الأمة على التعليم بأقسامه السابقة (كل فى جهته).

والمجلس الادارى لجمعية العلماء يلح كل الإلحاح على الأساتذة القائمين بمهمة التعليم الحر فى أنحاء القطر الجزائري ، ألا يتأخروا عن الحضور لهذا المؤتمر العلمي النافع الذى ستكون روعته وفوائده على مقدار جهودهم ومباحثهم ، وسنكتب دعوات خاصة لكل من نعرف اسمه وعنوانه بالضبط ومن غاب عنا عنوانه فليعتبر هذه الكلمة دعوة خاصة ولهم الشكر .

خطـــاب الرئيـــس ابـــن باديـــس سنـــة 1937

الحمد لله الذى فضلنا بالعقل ، وكملنا بالعلم ، وجملنا بالفضيلة ، واسعدنا بالهداية والتوفيق .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الكامل بالفطرة المكمّل بالعصمة المبعوث الى الخلق رحمة ، الداعى بالحكمة والموعظة الحسنة ، الى أقوم طريق .

وعلى آله المنبثقين من أكرم نبعة والمتحدرين من أطهر مزنة ، والنابتين من أطيب تربة ، فنعم الفريق ذياك الفريق .

وعلى اصحابه الذين نشروا الملة فبينوها بأسلات الألسنة وحموها بأسل الأسنة ، حتى تبحبح الناس من الاسلام والسلام فى روض أنيق .

أما بعد فحياكم الله أبناء العروبة والاسلام ، وأنصار العلم والفضيلة .

حوربت فيكم العربية حتى ظن أن قد مات منكم عرقها ، ومسخ فيكم نطقها ، فجئتم بعد قرن تصدح بلابلكم بأشعارها فتثير الشعور والمشاعر ، وتهدر خطباؤكم بشقاشقها فتدك الحصون والمعاقل ، ويهز كتابكم أقلامها ، فتصيب الكلى والمفاصل .

وحورب فيكم الاسلام حتى ظن ان قد طمست امامكم معالمه ، وانتزعت منكم عقائده ومكارمه ، فجئتم بعد قرن ترفعون علم التوحيد ، وتنشرون من الاصلاح لواء التجديد ، وتدعون الى الاسلام كما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وكما يرضى الله لاكما حرفه الجاهلون وشوهه الدجالون ورضيه أعداؤه .

وحورب فيكم العلم حتى ظن ان قد رضيتم بالجهالة ، واخلدتم للنذالة ، و[illegible]سيتم كل علم الا مايرشح به لكم ، أو ما يمزج بما هو أضر من الجهل عليكم ، فجئتم بعد قرن ترفعون للعلم بناء شامخا ، وتشيدون له صرحا سامقا ، فأسستم على قواعد الاسلام والعروبة والعلم والفضيلة جمعيتكم هذه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

وحوربت فيكم الفضيلة فسمتم الخسف ، وديثتم بالصغارحين ظن ان قد زالت منكم المروءة والنجدة ، وفارقتكم العزة والكرامة فرئمتم الضيم ورضيتم الحيف وأعطيتم بالمقادة ، فجئتم بعد قرن تنفضون غبار الذل ، وتهزهزون أسس الظلم ، وتهمهمون همهمة الكريم المحنق ، وتزمجرون زمجرة العزيز المهان ، وتطالبون مطالبة من يعرف ان له حقا لابد ان يعطاه أو يأخذه بالقوة .

فبحق قلت : حياكم الله أبناء العروبة والاسلام وانصار العلم والفضيلة . نعم - أيها الاخوان - نهضنا بعد أن صهرتنا بنار الفتنة والابتلاء حوادث الزمان . وقارعتنا وقارعناها الخطوب ودافعتنا ودافعناها الأيام .

« ولـولا دفـاع الله النـاس بعضهم ببعض لفســدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين » .

نعم نهضنا بعد قرن ، بعدما متنا وأقبرنا وأحيينا وبعثنا ، سنة كونية فقهناها من القرآن ونعمة ربانية تلقيناها من الملك الديان قال تعالى : « ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ؟ فقال لهم الله : موتوا ثم أحياهم ! إن الله لذو فضل على الناس ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون » وقال جل وعلا : « أو كالذى مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها ، قال : أنى يحيي هذه الله بعد موتها ؟ فأماته الله مائة عام ثم بعثه ، قال : كم لبثت ؟ قال : لبثتُ يوما أو بعض يوم : قال : بل لبثت مائة عام ! فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتَسَنّه ، وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس ! وانظر إلى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما ، فلما تبين له قال : أعلم أن الله على كل شيء قدير » وقال عز من قائل : « وإذ قال إبراهيم : رب أرنى كيف تحيي الموتى ؟ قال : أو لم تؤمن ؟ قال : بلى ، ولكن ليطمئن قلبى ، قال : فخذ أربعة من الطير فصَرْهنّ إليك ، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ، ثم ادعهن يأتينك سعيا ، واعلم أن الله عزيز حكيم » **صدق الله العظيم**

نعن نهضنا نهضة :

(بنينا على الدين أركانها
فكانت سلاما على البشرية)

لا يخشاها والله النصراني لنصرانيته ولا اليهودي ليهوديته بل ولا المجوسي لمجوسيته، ولكن يجب ـ والله ـ ان يخشاها الظالم لظلمه ، والدجال لدجله ، والخائن لخيانته .

العروبة والاسلام ، والعلم والفضيلة ، هذه اركان نهضتنا.وأركان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التى هي مبعث حياتنا ، ورمز نهضتنا ، فما زالت هذه الجمعية منذ كانت تفقهنا فى الدين ، وتعلمنا اللغة ، وتنيرنا بالعلم ، وتحلينا بالاخلاق الاسلامية ، وتحفظ علينا جنسيتنا وقوميتنا السامية وتربطنا بوطنيتنا الاسلامية الصادقة ، ولن تزال كذلك باذن الله ثم باخلاص العاملين .

كانت جمعية العلماء فكانت نهضة الامة ، دَوَّى صوت العلم فأيقظها من رقدتها ، وكذلك عرفت الامم فى تاريخها ، لا تنهض الا على صوت علمائها ، فهو الذى يحل الافكار من عقالها ويزيل عن الابصار غشاوتها ، ويبعث الهمم من مراقدها ، ويدفع بالامم الى التقدم فى جميع نواحى الحياة ، ولهذا ترى أعداء النهوض فى كل عصر ومصر يبذلون لاخفاء هذا الصوت كل جهودهم ، ويكيدون له كل كيدهم « يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين » .

وما كانت جمعية العلماء حتى كان العلماء القرآنيون الذين فقهوا الدين والدنيا بفقه القرآن ، وعرفوا السّنن الأقوم بمعرفة سنة محمد عليه وآله الصلاة والسلام ، وهدوا واهتدوا بما كان عليه السلف الصالح ورجال الاسلام العظام .

هذه - ايها الاخوان - نهضتنا وأركانها ، وأسبابها واضحة للعيان ، محفوظة للتاريخ ، خالدة للاجيال ، نورثها أبناءنا الذين سيقولون إن شاء الله فينا مثلما قلنا فى أسلافنا :

إنـــا وان كـــرمت أوائلنـــا   لسنـــا على الأحســـاب نتكـــل

نبنى كمـــا كـــانت أوائلنـــا   تبنى ونفعـــل (فـــوق) مـــافعلوا

أيها الاخوان هذا يوم الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ولكننى اريد أن أسميه بعيد نهضة المسلمين الجزائريين ، فهل انتم موافقون ؟ (أصوات بالاجماع موافقون)

فلنتعاهد فى هذا اليوم العظيم ، والعيد القومي العلمي الكريم ، على خدمة مبادئ الجمعية وتوسيع نطاق أعمالها ونشر هدايتها ، ونصر كل عامل من رجالها بصبر وتضحية ونزاهة وثبات ، فهل أنتم معاهدون ؟ (اصوات بالاجماع معاهدون) (والله يعلم أعمالكم - ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم)

ايها الاخوان تنتظرون منى الآن أن أبين لكم موقف الجمعية من بعض الجهات التى تعاصرها وتلتقى بها فى محجة وميدان الحياة .

اما **موقفها مع الحكومة** فهو المطالبة والاحتجاج من ناحية الجمعية ، والصد والاعراض من الناحية الاخرى ، ولقد كنت فى خطاب السنة الماضية علقت رجاء الجمعية على الحكومة الشعبية وحسنت الظن بها ، وأنا أعلن اليوم - مع الأسف المر - خيبة ذلك الظن ووهن ذلك الرجاء ، فحسبنا إيماننا بالله وثقتنا بانفسنا ، فذلك - والله - اجدى لنا وأعود بالخير علينـــــا .

وأما **موقف الجمعية مع الاحزاب** فأعيد فيه نص ماقلته بالسنة الماضية :

« ان الاسلام عقد اجتماعي عام فيه جميع ما يحتاج اليه الانسان فى جميع نواحى الحياة لسعادته ورقيه ، وقد دلت تجارب الحياة كثيرا من علماء الامم المتمدنة على ان لانجاة للعالم مما هو فيه إلا باصلاح عام على مبادئ الاسلام (ومن أحدث ذلك ما قرره مؤتمر القانون الدولي فى حق الفقه الاسلامي وصلوحيته لأمور الحياة) فالمسلم الفقيه فى الاسلام غني به عن كل مذهب من مذاهب الحياة . فليس للجمعية اذًا من نسبة إلا الى الاسلام ، وبالاسلام وحده تبق سائرة فى طريق سعادة الجزائر ، والبلوغ بها إن شاء الله - إلى ارقى درجات الكمال ، والى هذا فنحن نشكر ونعترف بالجميل لكل من يؤيدنا فى سيرنا نصرة للمظلوم ومقاومة للظالم وخدمة للانسانية فى جميع أجناسها ».

وازيد اليوم أن الجمعية لا توالى حزبا من الاحزاب ، ولا تعادى حزبا منها ، وانما تنصر الحق والعدل والخير من اي ناحية كان ، وتقاوم الباطل والظلم والشر من اي جهة أتى ، محتفظة فى ذلك كله بشخصيتها ومبادئها ، محترسة فى جميع مواقفها ، مقدرة للظروف والاحوال بمقاديرها .

واما **موقفها مع المؤتمر** فقد أوكلته لمن شاء من رجالها ليحافظ فيه على اللغة والقومية والمطالب الدينية والعلمية . يعمل فيه على مسؤوليته لا على مسؤوليتها.

وأما **موقف الجمعية مع خصومها** فانها تعلم ان الامة اليوم تجتاز طورا من أشق اطوارها وأخطرها ، فهي تتناسى كل خصومة ، وتعمل لجمع الكلمة ، وتوحيد الوجهة ولا تنبذ الا اولئك الرؤوس رؤوس الباطل والضلال الذين لا تجدهم الامة فى أيام محنتها إلا بلاء عليها ، ولا يتحركون الا اذا حركوا لغايات عكس غاياتها ، فرقوا المسلمين بددا ، وصيروهم قددا ، وقد هدّ الله - والحمد لله - ركنهم المنهار ، وفضح أمرهم فى رابعة النهار ، وصيرهم أقل من ان يعتنى بهم ، وأحقر من أن يضيع الوقت فى الحديث عليهم .

هذه مواقف جمعيتكم - ايها الاخوان - عرضتها عليكم فى ايضاح وايجاز ، والله أسأل أن يثبت أقدامنا فى مواقف الحق كلها فى الدنيا ، وفى مواطن السؤال والجزاء فى الاخرى ، «يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ماعملت وهم لا يظلمون» آمين يارب العالمـــين .(1)

جمعيـــة العلمـــاء والاقتصـــاد الوطنـــى

من الدعائم التى تقوم عليها نهضة أمة تسعى الى الحرية والاستقلال بناء اقتصادها الوطني .

ولما كانت حركة الاصلاح التى تعهدتها جمعية العلماء حركة عامة شاملة لبعث الامة ونهضتها فكرت فى الجانب الاقتصادي ، وعهدت الى الشيخ البشير الابراهيمي سنة ١٩٤٢ رئيس جمعية العلماء أن يقوم بالدعوة الى توجيه جهود المسلمين وتجميع قوتهم وتكوين مؤسسة اقتصادية يساهم فيها المسلمون من التجار وغيرهم برؤوس أموال اسلامية تصبح نواة لانطلاق اقتصاد كبير فى المستقبل ، عوضا عن الاقتصاد الآخر المتركز فى أيدى كبار التجار من اليهود والنصارى .

---

(1) الخطاب السنوي العظيم الذى ألقاه الاستاذ الامام فى الاجتماع العام لجمعية العلماء ، فاهتزت له جوانب (الماجستيك) بالعاصمة واهتزت لاهتزازها أعراش الاستعمار بالجزائر وفرنسا ، نشر بمجلة الشهاب فى سبتمبر 1937 .

فلبى الدعوة جماعة من كبار الاقتصاديين المسلمين يمثلون العمالات الجزائرية الثلاث : وتمخضت عن ذلك فكرة تأسيس شركة « أمال » للشمال الافريقي ، أمل الجزائر فى الاتجاه نحو الناحية الاقتصادية لبناء الأمة الجزائرية الحرة تتلوها آمال فى نمو الاقتصاد الوطني واستغلاله واستخدامه فى رقي البلاد ونهضتها .

وهذه وثيقة توضح أسماء المساهمين فى هذه الشركة وتاريخ تأسيسها وتسجيلها لدى الموثق الرسمي فى 3 ديسمبر 1942 م

وكان عدد المساهمين مائة شخص وقيمة السهم الواحد نصف مليون فرنك ، فاجتمع المساهمون كلهم وانتخبوا مجلسا للادارة مسيرا وعلى رأسهم السيد الحاج محمد طيار ، والسيد عباس بن حسن التركي ، الاقتصاديان المعروفان بالنزاهة والمقدرة فى ميدان الاقتصاد .

ولأجل الاختصار نذكر بعض المساهمين من عمالة الجزائر وعمالة قسنطينة وعمالة وهران ، وفيما يلي أسماء المساهمين الأولين :

عمالـة الجزائـر : السادة :

طيار الحاج محمد بن الطاهر — الجزائر
عباس التركي بن حسن — الجزائر
بليلي محمد — الجزائر
قدور الزبير — الجزائر
ابن نوران مصطفى — الاصنام
موهوب محمد — بجاية
شكيكن عبد الرحمن — المدية
خطاب محمد الفرقاني الجزائرى - الفلاح بحد كرت - المغرب

عمالـة قسنطينـة : السادة

عمر بن شيكو — قسنطينة

قسنطينة

حسين بن شريف	شاطودان
آيت شعلال إدير بن مسعود	بسكرة
الحاج الشاوى	بسكرة
خير الدين عبد القادر	
الشيخ أحمد التجاني	
شيخ الطريقة التجانيــة	تماسيــن
باي العقون الحواس	عنابة
فاضلى صالح	باتنة

عمالــــة وهــران : السادة :

ابن ديمراد العربي	تلمسان
بخشي الغوثي	تلمسان
ابن قلفاط	تلمسان
ابن علي خالد	سيدى بلعباس
بوعياد العربي	تلمسان

وبعد أن اجتمع هؤلاء المذكورون ودرسوا المشروع ووضعوا قانونه الاساسي، استدعوا الاعضاء المشاركين كلهم للاجتماع العام للجمعية والمصادقة على القانون الاساسي وعلى مكتب التسيير ، ثم شرعوا فى تهيئة المراكز والموظفين من الكتاب والعمال ، واستيراد السلع المختلفة .

ميثــاق اتحــاد أحزاب الشمــال الافريقــي

بما أن الحالة فى افريقيا الشمالية أصبحت على جانب كبير من الخطورة تتطلب من الحركات الوطنية تبصرا ويقظة ، وتفرض عليها تقوية وحدتها ومضاعفة عملها .

وبما أن هذه الحركات مصمّمة على إنهاء النظام الاستعماري وتمتيع بلادها بأنظمة مبنية على السيادة والديمقراطية ، تحرر شعوبها سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ، وتضمن لجميع السكان دون تمييز حقوقهم وحرياتهم .

وبما أن افريقيا الشمالية تلعب دورا سياسيافى الظروف الدولية الحاضرة .

وبما أن شعوب افريقيا مهتمة قبل كل شيء بتحريرهم القومي ولذا فانهم يعتبرون أنفسهم أصدقاء ومشاركين لكل من يعترف بحقهم فى الحرية .

وبما أن تونس والجزائر والمغرب موحدة بروابط روحية وتاريخية وجغرافية وثقافية ولها أماني قومية واحدة ومصالح عليا مشتركة .

وبما أن النظام الاستعماري المفروض على شعوب الشمال الافريقي واحد فى أهدافه ووسائله رغم الفوارق القانونية الشكلية ، اذ الغاية التى يرمى اليها هي تحطيم كيان هذه الشعوب ، وتأييد سيطرة الاستعمار واستغلاله .

فلمواجهة هذه الحالة أصبح لازما على جميع الأحزاب والمنظمات الوطنية بشمال افريقيا أن تؤلف جبهة مشتركة لمقاومة قوات الاستعمار المتكتلة .

لهذا كله فان الأحزاب والمنظمات الوطنية بشمال افريقيا المجتمعة بباريس يوم : 2 فيفري 1952م المعبرة أصدق تعبير عن رأي شعوب الشمال الافريقي ، قد قرّرت عقد الميثاق الآتـــي :

((نص الميثـــاق))

أولا : تتعهد الأحزاب والمنظمات الوطنية بشمال افريقيا .

أ) بمتابعة الكفاح ومضاعفته فى سبيل تحرير افريقيا الشمالية من جميع أنواع الاستعمار والوصول بأقطارها - فى دائرة ميثاق الأمم المتحدة - الى نظام دولي ديمقراطي متمتع بسيادته .

ب) بتنسيق عملها لتحقيق هذه الأهداف داخل افريقيا الشمالية وفى الميدان الفرنسي والدولـــي .

جـ) بالبحث دوريا فى حالة الشمال الافريقي على ضوء الحوادث فى الداخل والخارج .

ثانيــــا :

لجنــة الاتحــاد والعمــل

تقرير تأليف لجنة اتحاد وعمل للشمال الافريقي ، وانشاء كل هيأة أخرى لازمة لتنفيذ هذا الميثاق :

وبما أن افريقيا الشمالية تلعب دورا سياسيافى الظروف الدولية الحاضرة .

وبما أن شعوب افريقيا مهتمة قبل كل شيء بتحريرهم القومي ولذا فانهم يعتبرون أنفسهم أصدقاء ومشاركين لكل من يعترف بحقهم فى الحرية .

وبما أن تونس والجزائر والمغرب موحدة بروابط روحية وتاريخية وجغرافية وثقافية ولها أماني قومية واحدة ومصالح عليا مشتركة .

وبما أن النظام الاستعماري المفروض على شعوب الشمال الافريقي واحد فى أهدافه ووسائله رغم الفوارق القانونية الشكلية ، اذ الغاية التى يرمى اليها هي تحطيم كيان هذه الشعوب ، وتأييد سيطرة الاستعمار واستغلاله .

فلمواجهة هذه الحالة أصبح لازما على جميع الأحزاب والمنظمات الوطنية بشمال افريقيا أن تؤلف جبهة مشتركة لمقاومة قوات الاستعمار المتكتلة .

لهذا كله فان الأحزاب والمنظمات الوطنية بشمال افريقيا المجتمعة بباريس يوم : 2 فيفري 1952م المعبرة أصدق تعبير عن رأي شعوب الشمال الافريقي ، قد قرّرت عقد الميثاق الآتـــي : ((نص الميثـــاق))

أولا : تتعهد الأحزاب والمنظمات الوطنية بشمال افريقيا .

أ) بمتابعة الكفاح ومضاعفته فى سبيل تحرير افريقيا الشمالية من جميع أنواع الاستعمار والوصول بأقطارها - فى دائرة ميثاق الأمم المتحدة - الى نظام دولي ديمقراطي متمتع بسيادته .

ب) بتنسيق عملها لتحقيق هذه الأهداف داخل افريقيا الشمالية وفى الميدان الفرنسي والدولـــي .

جـ) بالبحث دوريا فى حالة الشمال الافريقى على ضوء الحوادث فى الداخل والخارج .

ثانيـــا :

لجنـــة الاتحـــاد والعمـــل

تقرير تأليف لجنة اتحاد وعمل للشمال الافريقي ، وانشاء كل هيأة أخرى لازمة لتنفيذ هذا الميثاق :

الجزائـر :
حـزب البيـان الجزائـرى ، حزب انتصار الحريات الديمقراطية

تونـس :
الحزب الحـر الـدستوري الجديـد ، الحـزب الـدستورى التـونسى

المغـرب :
حـزب الاصـلاح المغـربي ، حـزب الوحـدة المغربيـة ،
حـزب الشـورى والاستقـلال ، حـــزب الاستقـــلال

دعا الى هذا الميثاق وسعى فيه وشهد به :
محمد البشير الابراهيمى رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

عن البصائـر العدد 185 السنة 5

« اسند الرئيس الشيخ البشير الابراهيمى الى : الشيخ محمد خير الدين والشيخ العباس ومعهما وفد من أحزاب شمال افريقيا للقيام بتسليم هذه الوثيقة الى السيد (تريفيلى) الكاتب العام لجمعية الامم فسلمها بالنيابة عنهم الشيخ محمد خير الدين .



صورة تسليم الوثيقة

زيارة الوفـــد لمصالى :

وفى تلك الفترة كان رئيس حزب الشعب (مصالى الحاج) فى إقامة جبرية بفرنسا فى منطقة تبعد بحوالى 50 كلم عن باريس اقترح بعض المجتمعين فى المؤتمر أن يذهب وفد لزيارته فى معتقله وتبليغه التحية من المؤتمرين ، وتوجهت أنا لزيارته وبصحبتى الشيخ العباس وممثلين عن كل حزب من الاحزاب المشتركة فى الاجتماع ، وتحدثنا معه وبلغناه التحية ، وفى اثناء هذا اللقاء اقترح بعض الحاضرين أن تسند رئاسة وفد أحزاب شمال افريقيا إلى (مصالى الحاج) بدلا من الشيخ البشير الابراهيمي رئيس جمعية العلماء ، واستحسن اقتراحه بعض الحاضرين ، فبادرت قائلا :

لقد جئنا الى هنا لكي نبلغ التحية باسم الاحزاب المجتمعة الى (مصالى الحاج) ونخبره بما اتفقنا عليه ، وما جئنا لنبحث قضية رئاسة الوفود ، لأن هذه القضية مفروغ منها، بحثت واختارت الاحزاب كلها رئيسا يمثلها هو الشيخ البشير الابراهيمي ، وفى طرح هذه القضية من جديد بلبلة للافكار ، ونقض لما أبرم وتمزيق للروابط التى نحتاج اليها فى هذه الآونة من تاريخ كفاحنا .

لو كنت أعلم أن هذه القضية ستطرح من جديد للمناقشة لما حضرت لان الاقلية لا تبطل عمل الاغلبية .

مأدبة جمعية العلماء لوفود الأمم الشرقية فى باريس

أقامت الشعبة المركزية بباريس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين مأدبة عشاء فخمة مساء الثلاثاء 29 فيفرى 1952 بنزل العالمين (ديموند) فى شارع الأوبرا بباريس دعت إليها وفود الدول العربية والاسلامية والشرقية ووفود الشمال الافريقي المتابعة لقضايا أوطانها بباريس . وهذه المأدبة أقيمت كما قال الداعون لها : تكريما لهذه الوفود العاملة لخير العروبة والاسلام ، وتمكينا لروابط الأخوة الصادقة بين الشمال الافريقي وبين أقطار الشرقين العربي والاسلامى ، وذلك بمناسبة وجود وفد جمعية العلماء بباريس وعلى رأسه الأستاذ الامام الشيخ البشير الابراهيمي .

وما إن أزفت الساعة المعينة حتى بدأت السيارات تقل الوفود الى مكان الحفلة ، وكان أبناء الجزائر البررة وفى مقدمتهم رئيس الشعبة بباريس الشيخ عبد الرحمن اليعلاوي مع نخبة من أبناء الهيآت الجزائرية يقتبلون ضيوفهم بكل تجلة واحترام.

كانت البناية من القصور الباريسية الفخمة التى تمثل المدنية فى عصر البذخ والترف ، عصر الملوك الذين كانوا يجمعون أموال الشعوب ، ويسخرون جهودها لوضع آيات الفن فى جميع أشكاله للترفيه على أنفسهم وللمباهاة والتفاخر ، جدران من رخام ملون تعلوها صور بارزة للزهور والطيور والحيوانات والأوادم فى معدن

مذهب ، وثريات الأضواء فى أبدع صورها وأجمل أشكالها ترسل أشعتها هنا وهناك وقد صفت تحتها المقاعد والمناضد ، وانتظمت الجماعات من المدعويين هنا وهناك يتجاذبون أطراف الأحاديث من مختلف الشؤون الاسلامية وأحداث افريقيا وما يجرى فى تونس بالخصوص .

هذا صاحب السعادة عزام باشا الأمين العام لجامعة الدول العربية والى جانبه الأستاذ الامام الشيخ البشير الابراهيمي وسعادة منصور نهوارة وسعادة الدكتور العنيزي من وفد ليبيا وسعادة صالح فرحات والشيخ محي الدين القليبي والسيد محمد الصالح ختاش من وفد تونس فى حلقة يتناجون ، وهذا وفد الباكستان وعلى رأسه ظفر الله خان ومن بينه الأستاذ بومنجل من حزب البيان الجزائري والأستاذ عبد القادر التعبوري ممثل الجبهة الوطنية بتونس ، وهذا الأستاذ أحمد مزغنّة من حزب الانتصار للحريات الديمقراطية يجلس الى وفد الهند وأندونوسيا ، وتوزع رجال الصحافة هنا وهناك يسترقون السمع ويلتقطون لصحفهم مايهم ، وهاقد أقبل الأستاذ محمد الحسن الوزاني والصحافي الممتاز الأستاذ أحمد بن سودة وزعيم حزب الوحدة المغربية الشيخ المكي الناصري مع شبان حزب الاستقلال يحيطون بوفدي سوريا والعراق ، وهذا فارس العرب الخوري ، وهذا بطل العراق فاضل الجمالي وقام لهما وفد تونس ووفد ليبيا ، وكانت تحيات وتبادل عواطف الأخوة ، وهاهم يحفون

جميعا بالأستاذ الامام الشيخ البشير الابراهيمي ويتذكرون الأيام الخوالي يوم كان الابراهيمي معهم وواحداً منهم فى الشرق فى فجر النهضة العربية أيام فيصل العرب ملك سوريا والعراق - رحمه الله .

ودخل الوفد الوزاري التونسي : سعادة محمد بدرة وسعادة صالح بن يوسف ولقيا الشيخ محي الدين القليبي ، فكانت تحيات الأخوة والصداقة القديمة ، وكذلك كان الموقف مع بقية رجال الوفدين الحكومي والشعبي وقد اجتمعا على الشكاية بفرنسا ، وهكذا تطوف الرجالات من حلقة لأخرى للتعرف والحديث حتى كأن هذا ندوة أمم شرقية وإنها لفرصة غالية أتاحتها جمعية العلماء لهذا الشرق المضطهد ليتعارف ويتحادث ويتصل الاتصال الفعلي بواسطة خلاصة أبنائه ورجاله وهذا نفع جمعية العلماء للخاصة فى صورة عامة ، وهو كما كان للعامة فى صورة خاصة هي التهذيب الاسلامي الصحيح .

وانتقل الناس بعد فترة الى قاعة الأكل حيث صفت الموائد ووضع على كل مقعد اسم صاحبه ، كان الأستاذ الإمام الشيخ الابراهيمي وسعادة عزام باشا وسعادة فارس الخوري وسعادة فاضل الجمالي ورئيس وفد الباكستان وممثل اليمن والوزيران التونسيان الأستاذان ابن يوسف وبدرة ، ورئيس وفد تونس الأستاذ صالح فرحات ، وقد استغرقوا فى الحديث عن تونس وما فيها ، وهاهو الأستاذ فرحات عباس زعيم حزب البيان الجزائرى والأستاذ أحمد مزغنة ممثل حركة الانتصار للحريات ورفيقه الأستاذ الحسين الأحول ، وهذه ناحية أخرى فيها رجال الصحافة يجلس إليهم الأستاذ بومنجل والأستاذ التعبوري والأستاذ مصطفاوي والشيخ القليبي والحكيم بن ميلاد والشيخ محمد خير الدين والشيخ العباس بن الشيخ الحسين ، وهكذا مما يعسر حدّه ويصعب وصفه وعدّه ، وبعد أن تناول الحاضرون مالذّ وطاب من مختلف الأطعمة والثمار أوصدت أبواب البطون وفتحت منافذ الأفئدة والعقول وصاخت الأسماع للخطيب الأول سعادة عبد الرحمن عزام باشا الأمين العام لجامعة الدول العربية ، وقام على اثره امام هذا الزمان المصلح المجدد مفخرة علماء الاسلام الشيخ البشير الابراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ثم تلاه فارس العرب رئيس الوفد السورى الشيخ فارس بك الخوري .

وهكذا انتهت الحفلة العظيمة بمنتهى النجاح والفلاح وخرج المدعوّون وكلهم متأثر الى أبعد حدّ مما رأى وسمع فحيّا الله الجزائر ورجالها العاملين لخيرها وحيا جمعية العلماء ورجال شعبتها الباريسية .

« محي الدين القليبي »

تهنئة الابراهيمي بالمجمع اللغوي المصرى

ياعالـم العلمـــاء

مهداة الى الشيخ علماء الجزائر سماحة السيد البشير الابراهيمي ، بمناسبة اختياره عضوا مراسلا بالمجمع اللغوي فى مصر

أشد على يدك فخورا بك ... وأهنئ مصر بتوفيقها إليك ... وأغبط وزير معارفنا حين ضاعف الفضل باختيارك .

إن نسبة المجمع اللغوي إليك فخر له وذخر ... تشد عضده وتقوي سنده فأنت موسوعة الموسوعات ... ومعهد العلماء ، وحسن الأدب وحقيقته . وما أرانى أحمل الكلمات أكثر من معانيها ... بل أشعر أننى أمي حين أريد تصوير ما انطبع لكم فى نفسى فلا أجد تصويره وتعبيره .

فليتنى من أصحاب الكشف لأنتقي من كنوز اللغة العربية نفائسها ، ومن ساحر التعابير عرائسها .

بل ليت (البشير) ساعف المبشر فأمده ببلاغته وفصاحته ... وأسعفه بالكلم الموفق فى طلاقته وبشاشته .

أنا أسعد الناس فى مصر ، فقد أُحِبُّ مصر حبا هو العبادة ذاتها وأتمنى أن توفق فى جميع مرافقها واتجاهاتها الى أفذاذ وعباقرة يصلحون مافسد ويقومون مااعوج .

فحمدًا بالغ الحمد لتوفيق العلي القدير لذلك الاختيار ياسيدى (البشير) .

المخلص محمود جبر
شاعر آل البيت وشاعر جمعية الشبان المسلمين
عن منبر الشرق بتاريخ 16 أبريل 1954

البصائر العدد 273
السنة السابعة

الشــاب المسلــم الجزائــرى
كما تمثلــه لي الخواطــر

أتمثله متساميا لمعالى الحياة ، عربيد الشباب فى طلبها ، طاغيا عن القيود العائقة دونها ، جامحا عن الأعنة الكابحة فى ميدانها ، متقد العزمات تكاد تحتدم جوانبه من ذكاء القلب ، وشهامة الفؤاد ، ونشاط الجوارح .

أتمثله مقداما على العظائم فى غير تهور ، محجاما عن الصغائر فى غير جبن ، مقدرا موقع الرجل قبل الخطو ، جاعلا أول الفكر آخر العمل .

أتمثله واسع الوجود ، لاتقف أمامه الحدود ، يرى كل عربي أخاله أخوة الدم ، وكل مسلم أخا له أخوة الدين ، وكل بشر أخا له أخوة الانسانية ، ثم يعطى لكل أخوة حقها فضلا أو عدلا .

أتمثله حلف عمل ، لا حليف بطالة ، وجليس معمل ، لا حلس مقهى ، وبطل أعمال ، لاماضع أقوال ، ومرتاد حقيقة لا رائد خيال .

أتمثله برا بالبداوة التى أخرجت من أجداده أبطالا ، مزورا عن الحضارة التى (رمته بقشورها) ، فأخرجت اعصابه وأنثت شمائله ، وخنثت طباعه ، وقيدته بخيوط الوهم، ومجت فى نبعه الطاهر السموم ، وأذهبت منه ما يذهب القفص من الأسد من بأس وصولة .

أتمثله مقبلا على العلم والمعرفة ليعمل الخير والنفع ، اقبال النحل على الأزهار والثمار لتصنع الشهد والشمع ، مقبلا على الارتزاق ، اقبال النمل تجد لتجد ، وتدّخر لتفتخر ، ولا تبالى - مادامت دائبة - أن ترجع مرة منجحة ومرة خائبة .

أحــب منــه مايحــب القائــل :

أحـب الفتى ينفى الفواحش سمعه ... كـأن بـه عن كل فاحشــة وقرا

وأهوى منــه مايهــوى المتنبــي :

وأهوى من الفتيـان كـلَّ سميـذع ... أريب كصدر السمهـريِّ المقــوم
خطت تحته العيس الفلاة وخالطت ... به الخيل كبات الخميس العرمـوم

ياشباب الجزائر هكذا كونوا ... أو لا تكونوا ... (1)

محمد البشيــر الابراهيمــي

نشيد الشباب

صوت بعيد المدى … هل يجاب
ناداكم للندى … بالرقاب
إلى الفدى إلى الفدى … ياشباب

كنتم أساطين البناء … في الوجود
بيعوا حياة الفناء … بالخلود
من لا يبالي الردى … لا يهاب

قولوا تقولوا السديد … في المقال
نحن الشباب العتيد … في النضال
سدنا وأنف العدى … في التراب

قمنا لأخذ الحقوق … من جديد
ما في تمادي الوثوق … ما يفيد
ضاع التشكي سدى … والعتاب

هيا نقاض الخصوم … للسماء
قد خضبتنا الكلوم … بالدماء
وحنّ فينا الصدى … للشراب

هيا الى الطيبات … في الخصال
سيروا على البينات … للكمال
وفقتم للهدى … والصواب

صوت بعيد المدى … هل يجاب
ناداكم للندى … بالرقاب
الى الفدى الى الفدى … يا شباب (1)

نشيد كشافة الرجاء بقسنطينة (1)

خضناك للمجد والعلاء يا أرض تيهي على السماء
فنحن (كشافة الرجاء) ونحن جوابة البلاد

إنا على ربنا اعتمدنا إنا بتاريخنا اعتددنا
إنا على الناس قبل سدنا وسيد الناس لا يساد

(سرتا) لنا معقل حصين ونحن جند لها أمين (2)
(سرتا) لأبنائها عرين وهم ليوث بها شداد

نطوف في أرضها الزكيه كالطير في الصبح والعشيه
لنسعد الانفس الشقيه وندني الاخوة البعاد

أخلاقنا : الصدق والأمانة والرفق والحذق والفطانه
والعلم والحلم والرزانة والعزم والحزم والرشاد

في عزمنا اليوم أن نعيدا تاريخنا الماضي المجيدا
ومن يكن عزمه شديدا لابد أن يبلغ المراد

محمد العيد خليفة

---

(1) مجلة الشهاب ج. 6 م 12

(2) سرتا : الاسم القديم لمدينة قسنطينة مقر (فوج الزجا) الذى يرأسه شرفيا الشيخ ابن باديس



صورة لفوج من الكشافة الاسلامية الجزائرية سنـــــة ١٩٣٩



صورة لفوج من الكشافة الاسلامية الجزائرية سنـــــة ١٩٣٩

بطـــل الجزائــر الخالــد

بمناسبة فتح معهد عبد الحميــد بن باديـــس

ان احسن ما نحيي به روح الزعيم عبد الحميد بن باديس بمناسبة ذكراه الخامسة عشرة - هو تقدينا عرضا مجملا لذ لكم الدستور الخالد الذى اعلنه للجزائر قبل وفاته بثلاث سنوات عندما كثر الحديث آنذاك عن اصلاح الحالة بالجزائر بمحاولة اد ماجها فى فرنسا ، كما يحاول عبثا اليوم ، الساسة الفرنسيون ، فما اشبه الليلة بالبارحة ، والسياسة السابقة باللاحقة .

ان هذا الدستور الذى اريد أن احدثك عنه ، ليس بعيدا عنك فانك ان لم تكن حفظته ، فقد سمعته ، ولا تزال تسمعه ما دامت دماء العروبة تجرى فى عروقنا وانوار الاسلام تنير بصائرنا ، اليك .. اليك نشيدك القومي الخالد الذى نطقت به المشيئة الالهية ، على لسان عبد الحميد فى ليلة الاحتفال بالمولد النبوي الكريم بقسنطينة عاصمة العلم والاصلاح : سنة 1937 ليكون دستورك فى الحياة أبد الدهر : فاليك البنود الاساسية لذ لكم الدستور الوطني العظيم :

1 - ماالجزائــر ؟

يقول الاستعماريون : ان الجزائر جزء من أجزاء التراب الفرنسي ويقول التاريخ والواقع على لسان عبد الحميد : « **ان الجزائر بعيدة عن فرنسا كل البعد فى لغتها واخلاقها وفى عنصرها وفى دينها : ولها وطن معين هو الوطن الجزائرى بحدوده الحالية المعروفة ، ككل قطر من أقطار الدنيا الاخرى** »

2 - اللغــة الجزائريـــة والجنسيـــة الجزائريـــة ؟

يقول الاستعمار : ان الجنسية الجزائرية فرنسية ، ولغات الجزائر أربع : الفرنسية وهي الرسمية ، أما العربية الدارجة ، والفصيحة والقبائلية وهي لغات القسم الثاني من سكان هذا الوطن .

بطـــل الجزائـــر الخالـــد
بمناسبة فتح معهد عبد الحميـــد بن باديـــس

ان احسن ما نحيي به روح الزعيم عبد الحميد بن باديس بمناسبة ذكراه الخامسة عشرة - هو تقدينا عرضا مجملا لذ لكم الدستور الخالد الذى اعلنه للجزائر قبل وفاته بثلاث سنوات عندما كثر الحديث آنذاك عن اصلاح الحالة بالجزائر بمحاولة اد ماجها فى فرنسا ، كما يحاول عبثا اليوم ، الساسة الفرنسيون ، فما اشبه الليلة بالبارحة ، والسياسة السابقة باللاحقة .

ان هذا الدستور الذى اريد أن احدثك عنه ، ليس بعيدا عنك فانك ان لم تكن حفظته ، فقد سمعته ، ولا تزال تسمعه ما دامت دماء العروبة تجرى فى عروقنا وانوار الاسلام تنير بصائرنا ، اليك .. اليك نشيدك القومي الخالد الذى نطقت به المشيئة الالهية ، على لسان عبد الحميد فى ليلة الاحتفال بالمولد النبوي الكريم بقسنطينة عاصمة العلم والاصلاح : سنة 1937 ليكون دستورك فى الحياة أبد الدهر : فاليك البنود الاساسية لذ لكم الدستور الوطني العظيم :

1 - ماالجزائـــر ؟

يقول الاستعماريون : ان الجزائر جزء من أجزاء التراب الفرنسي ويقول التاريخ والواقع على لسان عبد الحميـد : « **ان الجزائر بعيدة عن فرنسا كل البعد فى لغتها واخلاقها وفى عنصرها وفى دينها : ولها وطن معين هو الوطن الجزائرى بحدوده الحالية المعروفة ، ككل قطر من أقطار الدنيا الاخرى** »

2 - اللغـــة الجزائريـــة والجنسيـــة الجزائريـــة ؟

يقول الاستعمار : ان الجنسية الجزائرية فرنسية ، ولغات الجزائر أربع : الفرنسية وهي الرسمية ، أما العربية الدارجة ، والفصيحة والقبائلية وهي لغات القسم الثاني من سكان هذا الوطن .

والتاريخ والواقع يقولان بأن « الجزائر كانت مازيغية ثم لما جاء العرب وفتحوها فتحا اسلاميا لنشر الهداية لا لبسط السيادة دخل الأمازيغ فى الاسلام، كما أوصت بذلك الكاهنة أبناءها، وتعلموا العربية طائعين، فامتزجوا بالعرب بالمصاهرة وشاطروهم سياسة الملك وقيادة الجيوش فاقام الجميع صرح الحضارة الاسلامية يعبرون عنها وينشرون لواءها بلغة واحدة هي اللغة العربية الخالدة، فأصبحوا شعبا واحدا عربيا ممتزجا كل الامتزاج، فأى افتراق يبقى بعد ان اتحدث الافئدة بالاسلام، واتحدت الالسنة بالعربية، واتحدت الاجناس بالدم ».

هذه هي الجزائر العربية الاسلامية الحية التى لم تتنكر يوما لتاريخها واصلها مهما حاول عبثا المحاولون :

شعب الجزائر مسلم والى العروبة ينتسب
من قال حاد عن اصله أو قال مات فقد كذب
أورام إدماجا له رام المحال من الطلب

3 - النشء عماد النهضة :

ان الشباب كان، ولا يزال، عماد كل نهضة تحريرية وأساس كل بناء ايجابي فعلى ابتساماته المشرقة للحياة تنجلى الظلمات، وبقوة ساعده المفتول تتحطم القيود وتنهار السدود فأمة بلا شباب، غابة بلا اشبال، وحديقة بلا ازهار، كما قال خليفة ابن باديس الاستاذ الرئيس الابراهيمي، ولكن هذا الشباب لا يقوى على تحقيق أي شىء من ذلك الا متى أعد للكفاح عدته ورسم للنصر خطته وتزود بالعلم المفيد، وتحصن بالخلق المتين، فأحب العدل والاحسان وكفر بالظلم والظالمين وحارب الخيانة والخائنين، وصاح فى وجوه الجامدين صيحة تهزهم هزا وتبعثهم الى العمل قهرا وقسرا حتى يقف الجميع صفا واحدا ليصعدوا بالشعب نحو مقعده اللائق به بين الامم :

يانشء أنت رجاؤنا وبك الصباح قد اقترب
خذ للحياة سلاحها وخض الخطوب ولا تهب

والتاريخ والواقع يقولان بأن « الجزائر كانت مازيغية ثم لما جاء العرب وفتحوها فتحا اسلاميا لنشر الهداية لا لبسط السيادة دخل الأمازيغ فى الاسلام ، كما أوصت بذلك الكاهنة أبنائها ، وتعلموا العربية طائعين ، فامتزجوا بالعرب بالمصاهرة وشاطروهم سياسة الملك وقيادة الجيوش فاقام الجميع صرح الحضارة الاسلامية يعبرون عنها وينشرون لواءها بلغة واحدة هي اللغة العربية الخالدة ، فأصبحوا شعبا واحدا عربيا ممتزجا كل الامتزاج ، فأى افتراق يبقى بعد ان اتحدث الافئدة بالاسلام ، واتحدت الالسنة بالعربية ، واتحدت الاجناس بالدم ».

هذه هي الجزائر العربية الاسلامية الحية التى لم تتنكر يوما لتاريخها واصلها مهما حاول عبثا المحاولون :

شعب الجزائر مسلم	والى العروبة ينتسب
من قال حاد عن اصله	أو قال مات فقد كذب
أورام إدماجا له	رام المحال من الطلب

3 - **النشء عماد النهضة :**

ان الشباب كان ، ولا يزال ، عماد كل نهضة تحريرية وأساس كل بناء ايجابي فعلى ابتساماته المشرقة للحياة تنجلى الظلمات ، وبقوة ساعده المفتول تتحطم القيود وتنهار السدود فأمة بلا شباب ، غابة بلا اشبال ، وحديقة بلا ازهار ، كما قال خليفة ابن باديس الاستاذ الرئيس الابراهيمي ، ولكن هذا الشباب لا يقوى على تحقيق أي شيء من ذلك الا متى أعد للكفاح عدته ورسم للنصر خطته وتزود بالعلم المفيد ، وتحصن بالخلق المتين ، فأحب العدل والاحسان وكفر بالظلم والظالمين وحارب الخيانة والخائنين ، وصاح فى وجوه الجامدين صيحة تهزهم هزا وتبعثهم الى العمل قهرا وقسرا حتى يقف الجميع صفا واحدا ليصعدوا بالشعب نحو مقعده اللائق به بين الامم :

يانشء أنت رجاؤنا	وبك الصباح قد اقترب
خذ للحياة سلاحها	وخض الخطوب ولا تهب

وارفـع منـار العـدل والا حسـان واصـدم مـن غصب
واذق نفـوس الظـالمين السم يمـزج بـالرهب
واقلـع جـذور الخـائنين فمنهـم كـل العطـب
واهـزز نفـوس الجامـدين فربمـا حيي الخشـب
لنحـل مركزنـا الـذى بين الانـام لنـا وجـب

4 - كيف نعامـل الغيـر ؟

ان بالجزائر اجناسا مختلفة ، واحزابا متعددة ، وادیانا متباينة ، فمن الديمقراطية والحكمة أن نحترم الجميع ، ونعامل الجميع بالحسنى ، كما نريد أن نحترم ونعامل بالحسنى ، ونهضتنا لايخشاها - والله - النصراني لنصرانيته واليهودى ليهوديته ، بل ولا المجوسي لمجوسيته ولكن يجب - والله - أن يخشاها الظالم لظلمه ، والدجال لدجله ، والخائن لخيانته ، فنحن نور للمحسنين ، ونار للمعتديـن .

نـدعو الى الحسنىونـو لى اهلهـا منـا الـرغب
مـن كـان يبغى ودنـا فعلى الكرامـة والـرحب
أو كـان يبغـى ذلنـا فلـه المهانـة والحـرب
هـذا نظـام حياتنـا بـالنور خـط وبـاللهب

تلك أيها القارىء العزيز هي : العناصر الرئيسية لدستور الجزائر الذى وضعه رجل اختاره الله لنا منقذا واخترناه لانفسنا زعيما واماما ، وهو كما ترى دستور شامل لكل مظاهر الحياة فى الجزائر فهو لا يخص الدين وحده ولا السياسة وحدها ، وانما يتناول الكل ، ويدعو الى الكفاح فى سبيل الكل ، اذ لاسياسة بلا دين ، ولا دين بلا سياسة ، فالواجب يقضى ان لا نكتفي بترديد هذا الدستور العظيم فى الحفلات والمناسبات ، بل الحزم والوفاء يدعواننا الى أن نسعى جميعا لتحقيقه كاملا شاملا .

حتى يعـود لقومنـا مـن عـزهم ماقـد ذهـب

وبعـــــد :

فلعل فى هذا العرض مايذكر الناسين ، ويهدى الضالين ، ويوقظ النائمين ويطمئن قلوب الصادقين ولعل فيه ايضا مايقنع الساسة الفرنسيين بأن الجزائر العربية الاسلامية لا تقبل ابدا من يأتيها بوحي من غير تاريخها وقوميتها ودينها ، وان الجزائريين كلهم ورثة لعبد الحميد ، فانهم يعيشون للاسلام والعربية والجزائر كما عاش عبد الحميد ، مهما تفنن الطغاة العتاة فى التنكيل والتدجيل وفرض حالة الحصار أو الطوارىء فإن سيلنا لجارف لا توقفه الصخور وان شمسنا لساطعة لا تحجبها العناكيب :

ولنهتف جميعا بعهد عبد الحميد ، وصيحة عبد الحميد :

هــذا نظــام حياتنــا بــالنور خــطَّ وبــاللهب
هــذا لكم عهــدى بــه حتى أوسَّــد فى الترب
فــاذا هلكــت فصيحتى تحيــا الجزائــر والعــرب

عبــد الرحمــن شيبــان

البصائر العدد 314 السنة السابعة
22 شعبان 1374 - 15 / 04 / 1955

اليأس من الحكومـــة

تمهيــد :

وبعد أن أدرك رجال الاصلاح نجاح كفاحهم ، وأن الأرض التى ظلّوا أكثر من ربع قرن يمهّدونها للزرع والاخصاب أصبحت ممهّدة ، وأن الأساس الذى سيقوم عليه البنيان أصبح متين الأكان انتقلت الى مرحلة أخرى وأعلنت أن قضيتها لم تعد قضية المطالبة بحقوق دينية فحسب ، فهذه القضية جزء لايتجزّأ من مطالب الأمة التى هي الحرية والاستقلال ، ذلك الهدف الذى وضعته جمعيةالعلماء المسلمين نصب أعينها منذ اللحظة الأولى لتأسيسها ، وسلكت اليه سبيل الاصلاح الاجتماعى والسياسي ، وأعلنت بلاغها الآتى ذكره لطمة فى وجه الأعداء المستعمرين ، ودفعا للأحرار الثائرين ، وشرارة أولى فى طريق حرب التحرير التى انطلقت بعد هذا البيان بأربعة أشهر فحسب .

(بلاغ) المكتب الدائم لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

بعد بحث الموقف الحاضر من الناحية الدينية .

وبعد استعراض الألاعيب والدّسائس التى تحيكها الحكومة والمجلس الجزائرى للعبث بهذه القضية ، واستبلاه الأمة ، والاستمرار على العدوان الشنيع .

يعلن المكتب الدائم أن الأمة قد يئست من الحكومة ومن المجلس الجزائرى المدّلس ، ومن عدالة الدولة فى هذه القضية .

وأن المحاولات العديدة التى حاولتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قصد الوصول إلى حلّ موفق معقول لهذا المشكل لم تأت بنتيجة .

وأن الحكومة والمجلس الجزائرى المزيّف قد أظهرا من سوء النية أثناء دراسة هذه القضية ، ومن الرغبة الجامحة فى إبقاء الدين الاسلامي أسيرا والمساجد مغتصبة والأوقاف مسروقة مما جعل الاستمرار على السّعي معها فى ايجاد حلّ عادل ضربا من العبث والاستكانة .

والمكتب يعتقد على ضوء الحوادث ، وقياسا على كل ماوقع ، ان هذه القضية الدينية لاتجد حلاّ عادلا إلا ضمن حل كامل للقضية الجزائرية التى هي وحدة لا تتجزّأ .

وأن الأمة الجزائرية يجب عليها فى الساعة الحاضرة وفى مستقبل الأيام أن تتوجّه بكليتها لمحاولة حلّ قضيتها العامة ، حلاّ عادلاً يتناسب مع التطور العالمي الحديث .

الجزائر فى 18 جوان 1954م (1)

عن المكتب الدّائم ، نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريـــــن .

محمد خير الدين

---

(1) نشر قبل الثورة بأربعة أشهر فى البصائر عدد 276 السنة 7

رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

يوجه نداء الى الشعب الجزائرى

بمناسبة اندلاع الثورة يوم 1 نوفمبر 1954

نشر فى الصحف الشرقية وتحت يدى نسخة منه

أيها المسلمون الجزائريون :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

حياكم الله وأحياكم ، وأحيا بكم الجزائر ، وجعل منكم نورا يمشى من بين يديها ومن خلفها ، هذا هو الصوت الذى يسمع الاذان الصم وهذا هو الدواء الذى يفتح الاعين المغمضة ، وهذه هي اللغة التى تنفذ معانيها الى الاذهان البليدة ، وهذا هو المنطق الذى يقوم القلوب الغلف وهذا هو الشعاع الذى يخترق حجب الاوهام .

وكان العالم يسمع بلايا الاستعمار الفرنسى لدياركم ، فيعجب كيف لم تثوروا ، وكان يسمع أنينكم وتوجعكم منه ، فيعجب كيف تؤثرون هذا الموت البطىء على الموت العاجل المريح ، وكانت فرنسا تسوق شبابكم الى المجازر البشرية فى الحروب الاستعمارية فتموت عشرات الآلاف منكم فى غير شرف ولا محمدة ، بل فى سبيل فرنسا وتوسيع ممالكها وحماية ديارها ، ولوان العشرات من الآلاف من ابنائنا ماتوا فى سبيل تحرير الجزائر لماتوا شهداء ، وكنتم بهم سعداء .

أيهـــا الاخوة الجزائريـــــون :

احتلت فرنسا وطنكم منذ قرن وربع قرن وشهد لكم التاريخ بأنكم قاومتموها مقاومة الابطال ، وثرتم عليها مجتمعين ومتفرقين نصف هذه المدة فما رعت فى حربها لكم دينا ، ولا عهدا ، ولا قانونا ، ولا انسانية ، بل ارتكبت كل أساليب الوحشية ، من تقتيل النساء والاطفال والمرضى ، وتحريق القبائل كاملة بديارها وحيواناتها وأقواتها

ثم حاربتم معها فى صفها وفى سبيل بقائها نصف هذه المدة ، ففتحت بأبنائكم الاوطان وقهرت أعداءها وحمت بهم وطنها الاصلى ، فما رعت لكم جميلا ، ولا كافأتكم بجميل ، بل كانت تنتصر بكم ثم تخذلكم ، وتحيا بأبنائكم ثم تقتلكم ،

كما وقع لكم معها فى شهر مايو سنة 1945، وما كانت قيمة ابنائكم الذين ماتوا فى سبيلها وجلبوا لها النصر ، الا أنها نقشت أسماء بعضهم فى الانصاب التذكارية ، فهل هذا هو الجزاء ؟

طالبتموها بلسان الحق والعدل والقانون والانسانية من أربعين سنة ، بأن ترفق بكم وتنفس عنكم الخناق قليلا فما استجابت ، ثم طالبتموها بأن ترد عليكم بعض حقوقكم الآدمية فما رضيت ، ثم طالبتموها بحقكم الطبيعي الذى يقركم عليه كل انسان وهو ارجاع أوقافكم ومعابدكم وجميع متعلقات دينكم ، فأغلقت آذانها فى إصرار وعتو ، ثم ساومتموها على حقوقكم السياسية بدماء أبنائكم الغالية التى سالت فى سبيل نصرها ، فعميت عيونها عن هذا الحق الذى يقرره حتى دستورها ، ثم هي فى هذه المراحل كلها سائرة فى معاملتكم من فظيع إلى أفظع .

أيها الاخوة الجزائريـــون الأبطـــال :

لم تبق لكم فرنسا شيئا تخافون عليه أو تدارونها لأجله ، ولم تبق لكم خيطا من الأمل تتعللون به ، أتخافون على أعراضكم وقد انتهكتها ؟ أم تخافون على الحرمة وقد استباحتها ؟ أم تخافون على الأموال وقد تركتكم فقراء تلتمسون قوت اليوم فلا تجدونه ؟ أم تخافون على الأرض وخيراتها ، وقد أصبحتم فيها غرباء حفاة عراة جياعا أسعدكم من يعمل فيها رقيقا زراعيا يباع معها ويشترى ، حظكم من خيرات بلادكم النظر بالعين والحسرة فى النفس ! أم تخافون على القصور وتسعة أعشاركم يأوون إلى الغيران كالحشرات والزواحف ؟ أم تخافون على الدين ؟ ويا ويلكم من الدين الذى لم تجاهدوا فى سبيله ، ويا ويل فرنسا من الاسلام الذى ابتلعت أوقافه وهدمت مساجده ، وأذلت رجاله ، واستعبدت اهله ومحت آثاره من الأرض ، وهي تجتهد فى محو آثاره من النفوس .

أيهـــا الاخـــوة المسلمـــون :

ان فرنسا لم تبق لكم دينا ولا دنيا ، وكل إنسان فى هذا الوجود البشري انما يعيش بدين ويحيا بدنيا ، فاذا فقدهما فبطن الأرض خير له من ظهرها .

وانها سارت بكم من دركة الى دركة حتى أصبحت تتحكم فى عقائدكم وشعائركم وضمائركم ، فالصلاة على هواها ، والحج بيدها لا بأيديكم ، والصوم برؤيتها لا برؤيتكم ، وقد قرأتم وسمعتم من رجالها المسئولين عزمها على إحداث « إسلام جزائرى » ومعناه إسلام ممسوخ ، مقطوع الصلة بمنبعه فى الشرق وبأهله من الشرقيين .

إن الرضى بسلب الاموال قد ينافى الهمة والرجولة ، أما الرضى بسلب الدين والاعتداء عليه فانه يخالف الدين ، والرضى به كفر بالله وتعطيل للقرآن .

انكم فى نظر العالم العاقل المنصف لم تثوروا ، وانما أثارتكم فرنسا بظلمها الشنيع وعتوها الطاغى ، واستعبادها الفظيع لكم قرنا وربع قرن ، وامتهانها لشرفكم وكرامتكم ، وتعديها المريع على دينكم .

ان أقل القليل مما وقع على رؤوسكم من بلاء الاستعمار الفرنسي يوجب عليكم الثورة عليه من زمان بعيد ، ولكنكم صبرتم ، ورجوتم من الصخرة أن تلين ، فطمعتم فى المحال ، وقد قمتم الآن قومة المسلم الحر الأبي ، فأعيذكم بالله وبالاسلام أن تتراجعوا أو تنكصوا على أعقابكم ، إن التراجع معناه الفناء الأبدي والذل السرمدي.

إن شريعة فرنسا أنها تأخذ البرىء بذنب المجرم ، وانها تنظر اليكم مسالمين أو ثائرين نظرة واحدة وهي أنها عدوٌّ لكم وأنكم عدوٌّ لها ، ووالله لو سألتموها ألف سنة لما تغيرت نظرتها العدائية لكم ، وهي لذلك مصممة على محو دينكم وعروبتكم وجميع مقوماتكم .

إنكم مع فرنسا فى موقف لا خيار فيه ، ونهايته الموت ، فاختاروا ميتة الشرف على حياة العبودية التى هي شر من الموت .

إنكم كتبتم البسملة بالدماء فى صفحة الجهاد الطويلة العريضة ، فاملأوها بآيات البطولة التى هي شعاركم فى التاريخ ، وهي إرث العروبة والاسلام فيكم .

ماكان للمسلم ان يخاف الموت وهو يعلم انها كتاب مؤجل ، وما كان للمسلم أن يبخل بماله أو بمهجته فى سبيل الله والانتصار لدينه ، وهو يعلم أنها مبايعة مع الله ، وما كان له أن يرضى الدنية فى دينه اذا رضيها فى دنياه .

أخلصوا العمل لله ، وأخلصوا بصائركم فى الله ، واذكروا دائما وفى جميع أعمالكم مادعاكم اليه القرآن من الصبر فى سبيل الحق ، ومن بذل المهج والأموال فى سبيل الدين ، واذكروا قبل ذلك كله قول الله « وجاهدوا فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم » وقول الله « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » .

أيها الاخوة الاحرار :

إنى كلما ذكرت ما فعلت فرنسا بالدين الاسلامي فى الجزائر ، وذكرت فظائعها فى معاملة المسلمين - لا لشيء الا لأنهم مسلمون - كلما ذكرت ذلك احتقرت نفسى واحتقرت المسلمين وخجلت من الله ان يرانى ويراهم ، مقصرين فى الجهاد لاعلاء كلمته ، وكلما استعرضت الواجبات وجدت أوجبها وألزمها فى أعناقنا الجهاد المقدس ، فهو الذى يسقط علينا الواجب ويدفع عنا وعن ديننا العار ، فسيروا على بركة الله وبعونه وتوفيقه إلى ميدان الجهاد المقدس فهو السبيل الوحيد الى احدى الحسنين : إما موت وراءه الجنة واما حياة وراءها العزة والكرامة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمد البشير الابراهيمي

رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1)

(1) عن البصائر عدد 276 السنة 7

حوادث الليلـــة الليـــلاء .....
1 نوفمبـــر 1954 م

فوجئت البلاد الجزائرية بعدد عظيم من الحوادث المزعجة ، وقعت كلها مابين الساعة الواحدة والساعة الخامسة من صبيحة الاثنين غرة نوفمبر ، وهو عيد ذكرى الأموات ، ولقد بلغ عدد تلك الحوادث ما يزيد عن الثلاثين ، مابين الحدود التونسية وشرقي عمالة وهران ، الا أن عمالة قسنطينة وخاصة جهاتها الجنوبية ، كانت صاحبة المقام الأول فيها وكادت تتركز الحوادث فى جهات جبال أوراس ، فى خط يسير من باتنة الى خنشلة ، ثم يشمل الجنوب .

وتلى عمالة قسنطينة بعض جهات العمالة الجزائرية ، كبلاد القبائل والعاصمة الجزائرية وبوفاريك .

اننا الى حد هذه الساعة لا نملك التفاصيل المقنعة عن هذه الحوادث وأسبابها ، وليس بين أيدينا الا ماتناقلته الصحف وشركات الأخبار ، فلا نستطيع أن نعلق عليها أدنى تعليق ، الى أن تتبين لنا طرق الصواب ، فليس من شأن «البصائر» أن تتسرّع فى مثل هذه المواطن .

لكننا من جهة أخرى ، رأينا أنه لايمكن أن يخلو هذا العدد من جريدتنا من ذكر هذه الحوادث التى تناقلت صحف العالم باسره تفاصيلها ، فقررنا الاكتفاء بذكر أهمها ، تاركين للزمن كشف الحقائق عن أسرارها ، ولسوف نتتبّع ذلك بغاية الدقة والاهتمام .

- **مدينة الجزائر :** انفجرت قنبلة من الصنع المحلي أمام بوابة راديو الجزائر فأحدثت به أضرارا ، وقد وجدت قنبلتان لم تنفجرا .

ووقعت محاولة إحراق مستودع زيت الوقود الذى يملكه مسيو مورى والذى يخزن ثمانية أطنان من البترول فى شارع دينان ولقد تنبه الحرس وأطفئت النيران ولم تقع الكارثة .

- **فى مدينة بوفاريك :** انفجرت قنبلة فى مستودع خزن الفواكه ، فاحترق المستودع الذى تبلغ قيمته خمسة ملايين ، وأحرقت الصناديق الخشبية المعدة للتصدير وقيمتها خمسة وعشرون (25) مليونا .

- **فى بابا علي :** (قرب العاصمة) وقع احراق معمل الورق وتمكنت فرق المطافئ بعد جهد جهيد من إخماد النيران .

- **فى مدينة العزازقة :** وقعت مهاجمة دار الجندرمة ورميت بسبعة وأربعين رصاصة تبين أنها من رصاص البنادق الطليانية صنع سنة 1946م وفى الوقت نفسه وقع اشعال النار فى مستودع البهش (قشر الفرنان) الذى تملكه ادارة الغابات والمياه فكانت الخسائر به عظيمة جدّا ، والتهمته النيران ، وبلغت قيمة الخسائر نحو الخمسين مليونا .

ولقد حطمت فى ذلك الوقت أعمدة الأسلاك التابعة لادارة البريد ، فأصبحت المدينة فى عزلة تامة .

- **فى بقية بلاد القبائل الكبرى ،** وحول مدن وقرى : بوغنى - دلس - بوبراك - برج منايل - أبو - وغيرها وقع تحطيم واتلاف أعمدة الأسلاك التلفونية .

- **فى ذراع الميزان :** وقع التحام قتل فيه أحد حراس الغابة .

- **فى تيزى نتليتة :** قتل أحد حراس الغابة أيضا ، الى غير ذلك من مثل هذه الحوادث فى عدة قرى ببلاد القبائل .

- **فى عمالة وهران :** وقعت محاولة تحطيم المولد الكهربائى فى ولّيس ، لكن العملية لم تسفر عن خسائر .

- **فى جهة كسان :** وقعت مهاجمة ضيعة أحد المستعمرين ، وجرح أحد الحراس والتجأ أحد أصحاب الضيعة الى دار الجندرمة ، لكنه لم يكد يصلها حتى أصابته رصاصة أردته قتيلا .

ووقعت مهاجمة دار الجندرمة فجرح أحد حراسها الليلين .

فى عمالة قسنطينة : كانت الحوادث كثيرة ، وخاصة فى شرقها وجنوبها.

- **وفى خنشلة :** وقعت مهاجمة ادارة الحوز الممتزج ، وكوميسارية البوليس ، كما وقعت مهاجمة رجال العسكرية ، ووقع تحطيم الخزان الكهربائي ، وقتل ثلاثة من رجال الجيش .

وسحبت السلطة من المنطقة حراس الغابة والسواحين ، ثم احتلت فرقتان عسكريتان أريس ورفعت عنها الحصار ، وأعلنت حالة الحصار فى كامل تلك الجهة وباتنة وبسكرة وخنشلة ومنع التجول ابتداء من الساعة الثامنة ، وقطعت الأسلاك البرقية على طريق أريس .

— **فى بسكرة :** وقع تفجير قنبلة أمام المعمل الكهربائي ، كما انفجرت قنابل أخرى أمام الثكنة العسكرية ، وأمام (الكوميسارية) وفى محطة السكة الحديدية ولقد جرح أحد رجال البوليس كما جرح أحد الحراس .

أما الطريق بين بسكرة وأريس فقد منع التجول بها ، وأخذت طائرة عسكرية تحوم حول كامل تلك الجهات . ولقد أرغم رجال مسلحون عربة نقل كبيرة على الوقوف وأنزلوا ركابها واختاروا منهم ثلاثة ، ثم أمروا الباقين بالرجوع الى مقاعدهم .

أما الثلاثة فهم قائد مشنوش ، ومعلم فرنسي وزوجه ولما يمض على زواجهما أكثر من شهرين فقد أطلقوا عليهم الرصاص ، فمات القائد والمعلم وجرحت زوجه جراحا خطيرة ، وهي الآن فى مستشفى أريس .

- **فى الأوراس :** وهي المنطقة الجبلية الوعرة الشاسعة ، وقعت عدة حوادث فى شتى الجهات وكان الرجال المسلحون يباشرون العمليات ثم ينسحبون الى الجبال ويدمرون وراءهم الجسور ولقد قتل واحد منهم وجرح آخرون ، وحاولوا الاستيلاء على منجم إيشمول ، لكنهم انسحبوا بعد معركة عنيفة أطلقت خلالها ستمائة طلقة نارية .

وحوصرت مدينة (أريس) المركزية فى الأوراس من طرف الرجال المسلحين .
- **فى باتنة :** وقع اطلاق الرصاص بقوة مدة ساعة من الزمن ، كان يسمع على مسافة كيلومترين من المدينة ، وهوجمت ثكنة فرقة (الشّاسور) فقتل بها جنديان ، واكتشفت قنبلة فى مستودع الثكنات ، لكنها لم تنفجر .

ـ **فى الخروب** : وقع اطلاق القذائف النارية على حارس مستودع الوقود العسكري لكنه لم يصب بسوء .
ـ **فى السمندو** : وقعت مهاجمة دار الجندرمة وكسر بابها الخارجي ، وأطلق الرصاص على داخلها .

وأسفرت كامل هذه الحوادث عن سبعة من القتلى ، وعدد من الجرحى لم يعرف بعد .
هذه خلاصة وجيزة من الأعمال التى وقعت يوم الاثنين لخصناها بغاية الدقة عن الصحف الفرنسية ، ولربما عدنا اليها فى مستقبل الأيام بشيء من الاطناب ، ان اقتضى الحال ذلك .

ولقد قابلت الحكومة هذه الحوادث بتجهيز كامل قواها العسكرية ، واستنجدت فرنسا فأمدتها سريعا بثلاثة من فرق المظلات ، وسلحت البوليس ، وشدّدت الحراسة فى المدن والقرى حول الادارات والجسور وغيرها ، ثم ألقت القبض يومي الأثنين والثلاثاء على جماعات مختلفة فى عدة مدن .

ولقد عقد الوالي العام ندوة صحفية تكلم فيها عن هذه الحوادث ، فقال : انها حوادث أمليت املاء من الخارج واستشهد طويلا بأقوال مذياع (صوت العرب) من القاهرة ، وقال ان الذين دبّروا هذه الحوادث ونفذوها ، يريدون أن يتخذوا منها حجة لدى هيئة الأمم المتحدة لتفنيد ماتقوله فرنسا من أن الأمن مستتب بالقطر الجزائري.

أما الصحف الفرنسية فقد انقسمت الى قسمين ، سواء بالجزائر أو بالبلاد الفرنسية فالقسم الملّي المتطرف ينادى بوجوب الزجر والبطش ، واستعمال الشدة لاستئصال جذور هذه الحركات ، أما الصحافة الحرة والتقدمية والمنصفة ، فتنادى بوجوب استئصال الدّاء بواسطة دراسة عادلة للوضعية الجزائرية، وتحقيق العدل والانصاف فى سائر الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، فالمشاكل الكبرى لا تحل بالعنف والبطش والارهاب انما تحل بالدراسة والمفاهمة الصريحة والرجوع الى الحق . (1)

---
(1) البصائر عدد 292 من السلسلة الثانية

ـ في **الخروب** : وقع اطلاق القذائف النارية على حارس مستودع الوقود العسكري لكنه لم يصب بسوء .

ـ في **السمندو** : وقعت مهاجمة دار الجندرمة وكسر بابها الخارجي ، وأطلق الرصاص على داخلها .

وأسفرت كامل هذه الحوادث عن سبعة من القتلى ، وعدد من الجرحى لم يعرف بعد .

هذه خلاصة وجيزة من الأعمال التى وقعت يوم الاثنين لخصناها بغاية الدقة عن الصحف الفرنسية ، ولربما عدنا اليها فى مستقبل الأيام بشيء من الاطناب ، ان اقتضى الحال ذلك .

ولقد قابلت الحكومة هذه الحوادث بتجهيز كامل قواها العسكرية ، واستنجدت فرنسا فأمدتها سريعا بثلاثة من فرق المظلات ، وسلحت البوليس ، وشدّدت الحراسة فى المدن والقرى حول الادارات والجسور وغيرها ، ثم ألقت القبض يومي الأثنين والثلاثاء على جماعات مختلفة فى عدة مدن .

ولقد عقد الوالي العام ندوة صحفية تكلم فيها عن هذه الحوادث ، فقال : انها حوادث أمليت املاء من الخارج واستشهد طويلا بأقوال مذياع (صوت العرب) من القاهرة ، وقال ان الذين دبّروا هذه الحوادث ونفذوها ، يريدون أن يتخذوا منها حجة لدى هيئة الأمم المتحدة لتفنيد ماتقوله فرنسا من أن الأمن مستتب بالقطر الجزائري.

أما الصحف الفرنسية فقد انقسمت الى قسمين ، سواء بالجزائر أو بالبلاد الفرنسية فالقسم الملّي المتطرف ينادى بوجوب الزجر والبطش ، واستعمال الشدة لاستئصال جذور هذه الحركات ، أما الصحافة الحرة والتقدمية والمنصفة ، فتنادى بوجوب استئصال الدّاء بواسطة دراسة عادلة للوضعية الجزائرية، وتحقيق العدل والانصاف فى سائر الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، فالمشاكل الكبرى لا تحل بالعنف والبطش والارهاب انما تحل بالدراسة والمفاهمة الصريحة والرجوع الى الحق . (1)

---

(1) البصائر عدد 292 من السلسلة الثانية

نداء الى الضمير الفرنسي
بعد ثلاثة شهور ونصف من بداية الحوادث

هذا نداء قيم جليل ، اصدرته نخبة من رجال سلك التعليم العربي الحر التابع لجمعية العلماء بقطر الجزائر ، وأرسلت به الى سائر ممثلى الفكر العام الفرنسي من رجال الصحافة والسياسة والعلم والادب ، وقد ايدت به نداء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وآزرت به الحملة التى حملتها (البصائر) على البغي والعدوان ، وبلغت بها صوت الامة على حقيقته لسائر من يريد ان يعرف حقيقة الوضع ويسمع صوت الحق ، ونحن ننشر هذا النداء الصادق ، مؤملين ان يكون له نصيب فى فتح القلوب المغلقة .

ان الانباء الرهيبة التى تذاع علينا كل يوم ، صادرة من اعماق البلاد الجزائرية ومن جهتي الاوراس وبلاد القبائل الكبر على الاخص ، لايستطيع أي ضمير جزائرى شريف أن يقابلها بعدم الاكتراث .

فهذه الاخبار المحيرة المزعجة ، ذات الاثر الادبي العظيم ، والتى تحز فى القلب حزا مؤلما ، تحطم كل أمل فى بناء مستقبل أخوي بهذه الديار وتقضى على كل ثقة بالقائمين بالامر .

تجرى عمليات (التطهير) وتباشر عمليات القمع الزاجرة ، وتحرق المنازل والديار ويلقى القبض على الجموع الغفيرة لأدنى شبهة ، وتصدر الاحكام الزاجرة على المتهمين وينقل من مكان الى مكان سكان الجهات الكثيرة الآهلة دون ميز ودون مراعاة أدنى شروط العدالة اذ تنال أعمال التنكيل قبائل بأجمعها .

وهل هناك من يعجب من عمق الاستياء الذى عم سائر البلاد الجزائرية اذا علم حقيقة الحالة الكئيبة التى أصبحت عليها البلاد من جراء الاعمال السالفة الذكر ، واذا مافكر الانسان فى مال الصبيان البائسين الذين قضى آباؤهم اعداما تحت رمي البنادق ، أو زج بهم فى غيابات السجون دون أدنى مبرر ، أو العائلات التى انتهك حرمتها وسلب شرفها جماعة من الهمج الذين تحرروا من كل قيد ، أو المنازل التى

أصبحت خالية من قطعة رغيف ، لان مؤونتها قد اتلفت ، ولان مؤونة مواشيها قد اخذت او الدور التى ذهبت طعاما للنيران ، او دموع الزوجات والامهات .

اننا نعتقد معشر الجزائريين ان الضمير الفرنسي تمثله شخصيات ذات قيمة عالمية عظيمة ، وتشمل أوساط الدين ، والعلم ، والشغل ، والسياسة ، والأدب ، ذلك الضمير لا يمكنه أن يبقى جاهلا هذه الويلات وهذه الجرائم المنكرة التى تقترف باسمه ويرتكبها نظام استعماري جائر فظيع .

فهذا النظام الاستعماري الذى صدر عليه حكم العالم ، قد عمد الى ارتكاب الجرائم والموبقات خارجة عن اطار الانسانية ، فى سائر البلاد الجزائرية سواء أكان ذلك ببلاد الاوراس او بلاد القبائل الكبرى ، او فى جهات أخرى نائية هادئة مطمئنة ، وما ذلك الا لكي يخلد سلطانه على هذا الشعب الذى اشتهر بحسن المعاشرة والذى لا يصبو الا الى حياة حرة شريفة فوق اديم ارضه مع احترام الجميع ، أسوة ببقية أمم الدنيا .

واننا لا نستطيع ابدا ان نصدق بأن هذه الجرائم وهذه المنكرات قد علمها الشعب الفرنسى فصادق عليها وأقرها .

بل اننا نعتقد عميق الاعتقاد انه لم يقدم على ارتكاب هذه الفظائع والموبقات الا رجال من ذوى السلطة والنفوذ المطلق ، يحدوهم الحقد والضغينة ، وتقود خطاهم المنافع الذاتية ، ويسيرون وراء رغبة حب البقاء ضمن دائرة الرجعية الضيقة .

فهذه الاعمال التى جرت والتى تجرى فى بلادنا ، لا تبشر بمستقبل سعيد فى البلاد تحت شعار المودة والسلام بل تبشر بعكس ذلك ، وانها زيادة على كل ذلك ، تحدث فى الانفس أثرا عميقا جدا ، ودائم المفعول مما يؤثر فى الداخل اسوأ التأثير على الصداقة بين الشعبين الجزائري والفرنسي ومما يلطخ فى الخارج اسم فرنسا وسمعتها .

فهؤلاء القوم الذين يقومون بمثل هذه الاعمال ، ويسعون لسيادة عدم التفهم وعدم الاتفاق انما يهيئون للقطر الجزائري مستقبل خصام فظيع .

انه لمن أقدس واجبات الضمير الوطني فى فرنسا ان يصلح فى الميدان الادبى هذه الحالة التى تزداد تعكرا يوما اثر يوم ، لان النظام الاستعماري الذى نشأ فى حمأة الانانية والبغضاء واحتقار العنصر الوطني ، وأسكرته خمرة السلطة واعمت أعينه الميزة العنصرية ، قد فقد كل احترام للغير ، وأصبح لا يريد الا ارواء غلته واطفاء شهوته السافلة ، بين الحديد والدم .

وهذا الاستعمار الجائر يملك بين يديه زمام السلطة ، وبواسطة ماله من سيطرة على الصحافة وعلى الاموال ، وبواسطة الاغلبية التى يملكها فى سلك التمثيل النيابى المحلي وبواسطة نوابه فى المجلس الوطني الذين يتخللون مختلف الاحزاب السياسية الفرنسية ، وهو يجهز كل ذلك تجهيزا منظما للحيلولة دون أي اصلاح تحريرى فى هذه البلاد .

فاذا كان المستعمرون يرفعون عقيرتهم بأصوات الانزعاج والنكير العالية ، فانهم يخفون وراء ذلك مطامعهم ومصالحهم الخاصة التى يريدون أن يؤيدوا سلطانها بواسطة الحراب والترايات .

وليس للاستعمار من مثل اعلى الا السيطرة والسيادة بواسطة القوة ، فعمله لا يعتمد على أي ضمير ، وعاطفته انما هي الجنون والمغامرة .

ان الشعب الفرنسى قد حطم فى ثورته (باستيلا) واحدا ، لكن الاستعمار قد أقام فى القطر الجزائري عددا من (الباستيلات) يصعب حصره ، واذا كان تحطيم (الباستيل) فى فرنسا معناه الحرية والعدل والاخاء ، فان (باستيلات) القطر الجزائري هي محق حرية الامة وحرمان الجماعة من الشرف الانسانى .

لكن (الباستيلات) المقامة هاهنا ، ستسقط لا محالة كما سقطت كل (الباستيلات) التى سبقتها ، لان الضمير الانسانى قد استيقظ فى كل مكان ، واذا ما استيقظ الضمير فقد انتصر .

لا ريب عندنا أن الضمير الفرنسي ، وقد علم كل هذه المساوئ والمظالم والآفات سيكون واقفا الموقف الذى يوجبه عليه ماضيه ، ولقد دقت الساعة التى توجب عليه أن يرفع صوته عاليا وان يقوم بمهمته ، فاذا ما توجه الضمير الجزائري للضمير الفرنسي ، بنداء عميق ، فانه يريد من وراء ندائه هذا ان يهيئ للعلاقات الفرنسية الجزائرية جوا حسنا ، لإيجاد الحلول العادلة الحرة بواسطة المذاكرة والمفاهمة .

ان هذه المذكرة التى يجب ان تقع بين ايدى ممثلى الفكرة الشعبية الحقيقيين ، والتى يجب أن تكون متغلبة على مركبي النقص والكمال ، بما تقرره مبادئ التساوى والاخوة ، ستفتح عهدا جديدا من الديمقراطية والصداقة .

وبواسطة هذه المذكرة سيعلم الجميع حقيقة الرغبات الشعبية التى حاول كثير من الناس لا مسؤولية ولا ضمير لهم ، ان يخفوها وأن يدلسوها ، مصادمة للتاريخ وللنهضة العالمية .

قسنطينـــة فى 16 فيفـــرى 1955م

امضا المعلمون والمعلمات الآتية اسماؤهم ونيابة عن أكثر من ثلاثمئائة معلم ومعلمة فى سلك التعليم العربي الحر بمدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

- العباس بن الشيخ الحسين
- عبد الرحمن شيبان
- أحمد حسين
- ابراهيم مزهودى
- الصادق حمانى
- محمد كحلوش
- السعيد الزموشى
- احمد حمانى
- الطاهر سعدى
- نعيم النعيمى
- احمد بوروح
- عمر جغرى
- محمد العدوى
- محمد براهيمى
- محمد الزاهى
- محمد الصالح رمضان
- مصطفى بوغابة
- علي الساسى
- أحمد زوزو
- محمد الحفناوى
- احمد بن ذياب
- عبد العزيز قروف
- احمد الجموعى
- صالح ميمش
- صالح بوذراع
- عبد الحفيظ عشى
- الصادق عبد الوهاب
- احمد الغوالمى
- سليمان الصيد
- عبد المجيد عبد الحق
- عربية حورية
- كنوش عقيلة

البصائـــر العدد 307 من السلسلـــة الثانيـــة

ان هذه المذكرة التى يجب ان تقع بين ايدى ممثلى الفكرة الشعبية الحقيقيين ، والتى يجب أن تكون متغلبة على مركبي النقص والكمال ، بما تقرره مبادئ التساوى والاخوة ، ستفتح عهدا جديدا من الديمقراطية والصداقة .

وبواسطة هذه المذكرة سيعلم الجميع حقيقة الرغبات الشعبية التى حاول كثير من الناس لا مسؤولية ولا ضمير لهم ، ان يخفوها وأن يدلسوها ، مصادمة للتاريخ وللنهضة العالمية .

قسنطينـــة فى 16 فيفـــرى 1955م

امضا المعلمون والمعلمات الآتية اسماؤهم ونيابة عن أكثر من ثلاثمئائة معلم ومعلمة فى سلك التعليم العربي الحر بمدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

- العباس بن الشيخ الحسين
- عبد الرحمن شيبان
- أحمد حسين
- ابراهيم مزهودى
- الصادق حمانى
- محمد كحلوش
- السعيد الزموشى
- احمد حمانى
- الطاهر سعدى
- نعيم النعيمى
- احمد بوروح
- عمر جغرى
- محمد العدوى
- محمد براهيمى
- محمد الزاهى
- محمد الصالح رمضان
- مصطفى بوغابة
- علي الساسى
- أحمد زوزو
- محمد الحفناوى
- احمد بن ذياب
- عبد العزيز قروف
- احمد الجموعى
- صالح ميمش
- صالح بوذراع
- عبد الحفيظ عشى
- الصادق عبد الوهاب
- احمد الغوالمى
- سليمان الصيد
- عبد المجيد عبد الحق
- عربية حورية
- كنوش عقيلة

البصائـــر العدد 307 من السلسلـــة الثانيـــة

صدى جمعية العلمـاء فى الخـارج

كان ولا يزال لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين صدى فى الشرق والغرب ، وذكر طيب ، وثناء عاطر ممن عرفوا قدرها ولمسوا مكانتها ، أو شاهدوا آثارها ، فلم يملكوا الا الاعراب عما يشعرون به إزاءها . وبعضهم تأثر بها وسار على منوالها فى بلده .

وفيما يلى نماذج وأمثلة قليلة من ذلك ، نقدمها على سبيل المثال :

1) فى المغـــرب .
2) فى السنغال وفى افريقيا الغربية عموما
3) فى فرنســـا .
4) فى مصـــر .

1) فى المغـرب الشقيـق :

(تحيـة لجمعيـة العلمـاء المسلمـين)

الا فى انتظـار الفتح تلـك البشـائر ... وفى السرمـا تنبيك عنـه (البصـائر)
وللقلب إيمـاء الى الغيـب قلمـا ... يخيب وقلـب المغـربين الجزائـر
هو الحـق لا يعلى عليـه ودونـه ... شعور وإيمـان وعـزم مثـابر
يـراد على النـوم المبرح أهلـه ... فتـوقظهم فى النـازلات الضمائـر
فيا مرحبـا بـالقمع والضغط انـه ... على قدر ضعف الزاد تنمو المشاعر
وان امرءا صينت من الشر روحـه ... لقـد تفهت آلامـه والخسـائر
وما هـان من يستعبد الخصم جسمـه ... وفى جنبـه قلب من الصخـر آمـر
اذا لم يكـن فى منزع المـرء خـاذل ... فليس لـه حتى من السيـف قـاهر
فهـا هي ذي (جمعيـة العلمـاء) كم ... تقلب عنهـا للعـدو المصائر
تنكرت الدنيـا وبـادت رسومهـا ... وعض بنـان النـادمين المقـامر

صدى جمعية العلماء فى الخارج

كان ولا يزال لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين صدى فى الشرق والغرب ، وذكر طيب ، وثناء عاطر ممن عرفوا قدرها ولمسوا مكانتها ، أو شاهدوا آثارها ، فلم يملكوا الا الاعراب عما يشعرون به إزاءها . وبعضهم تأثر بها وسار على منوالها فى بلده .

وفيما يلى نماذج وأمثلة قليلة من ذلك ، نقدمها على سبيل المثال :

1) فى المغرب .
2) فى السنغال وفى افريقيا الغربية عموما
3) فى فرنسا .
4) فى مصر .

1) فى المغرب الشقيق :

(تحية لجمعية العلماء المسلمين)

الا فى انتظار الفتح تلك البشائر — وفى السرما تنبيك عنه (البصائر)
وللقلب ايماء الى الغيب قلما — يخيب وقلب المغربين الجزائر
هو الحق لا يعلى عليه ودونه — شعور وايمان وعزم مثابر
يراد على النوم المبرح أهله — فتوقظهم فى النازلات الضمائر
فيا مرحبا بالقمع والضغط انه — على قدر ضعف الزاد تنمو المشاعر
وان امرءا صينت من الشر روحه — لقد تفهت آلامه والخسائر
وما هان من يستعبد الخصم جسمه — وفى جنبه قلب من الصخر آمر
اذا لم يكن فى منزع المرء خاذل — فليس له حتى من السيف قاهر
فها هي ذي (جمعية العلماء) كم — تقلب عنها للعدو المصائر
تنكرت الدنيا وبادت رسومها — وعض بنان النادمين المقامر

وهي كما كـانت حفاظـا ومنعـة فيـا ويل من دارت عليـه الـدوائر
أحاميـة الاسلام حقـك قـائم وخصمك مـدموغ وسيفـك بـاتر
تبنيـت آلام الجزائـر كلهـا وليـس لآلام الجزائـر آخـر

***

ولكن دينـا قـد حفظت حقوقـه لكـل كسير فى هـداه جبـائر
ولـو حفظ الاسـلام حفظـك معشر معاهـدهم فى المسلمين متـاجر
لما كـان من غير المعابـد سـائس ولا داس أوطـان الحنيفـة كـافر
أولائك عبـاد البطـون شعـارهم : تمـوت مبادينـا وتحيى الفطـائر
فضحتهـم بالشـاردات وانني على قتلهـم بالشـاردات لقـادر
ولكن ايثـارى الحيـاة عفيفـة يهجن قتل الصيـد والصيـد ضـامر
وما تركت أيـدى الهـداة خفيـة ليجلو نقـاد وينقـد شـاعر
سق الله ابطـال (الشمال) مـواردا من النصر لا تخبـو لهـن مصـادر
لقـد برهنوا فى حومـة المجـد انهم كنوز المعـالي يـوم تبلى السرائـر
هم الأسـد الا أن فى الأسـد نعـرة وحقهـم كالعبقريـة ظـاهر
بـرزت بهم شم الجبـال ولـم أزل أكـائر أوطانـا بهم وأفـاخر
ولـو شئت إفحـام السماء مفـاخرا بهـم لكفـانى فى (البشير) منـاصر
فمـا ضـارعت عزم (البشير) عـزائم ولا نـافست نطـق (البشير) منـابر
فلو لم يكـن بـرا لقلت : أفـاتن ؟ ولو لم يكن حرا لقلت : أساحر ؟
تنـاهى اليـه كل فضل فلن يـرى لساحتـه من رائع الشعـر حـاصر
وما أنـا الا شـاكر بعض فضلـه اذا كان فى هـذى البسيطـة شـاكر
عليـه سلام الله مـا سـار ذكره وما خلدت ذكرى الرجـال المـآثر

طنجـة **أبو بكر حسن اللمتونـى**

2) فى السنغــال وافريقيــا الغربيــة

نهضة افريقيا الغربية وجمعية العلماء المسلميـــــن الجزائريـــــن (1)

كانت افريقيا الغربية - قبل الحرب العالمية الثانية - فى انقطاع تام عن البلاد العربية الشقيقة ولم يكن بينها وبينهن اتصال وان كان بعض الأفراد من ابنائها يتصل ببعض الكتبيين فى تونس والجزائر والمغرب ولكنه كان اتصالا تجاريا فقط .

ولما وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها ومني فيها الاستعمار الفرنسي بتلك الهزيمة الشنعاء التى هددت كيانه وزعزعت اركانه أخذت الشعوب الضعيفة تستيقظ من سباتها وتكسر قيود العبودية التى قيدها بها الاستعمار البغيض .

فى هذه الفترة أخذت افريقيا الغربية تتصل باخواتها الاسلامية عموما وبشمال افريقيا خصوصا باقطاره الثلاثة (تونس - الجزائر - المغرب) .

وكان هذا الاتصال فى أوله تجاريا ولكنه بصفة أقوى وأعمق مما كان قبل الحرب العالمية الثانية ، ورأت افريقيا فى الكتب والمجلات والجرائد التى أخذت تتسلل اليها من الشمال افكارا جديدة ومعلومات كثيرة عن نهضات تلك البلاد الشقيقة التى توحد بينها وبين افريقيا الغربية العقيدة الاسلامية والمواقع الاستراتيجية .

والحق أن افريقيا الغربية مدينة فى نهضتها الاسلامية الحاضرة (لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين) التى حملت اليها بواسطة جريدتها (البصائر) هداية الاسلام الصحيح ، فأيقظت الاذهان الكليلة ونبهت القلوب الراقدة ، وبعثت فى الشباب روح التضحية والاستماتة فى سبيل الدفاع عن بيضة الاسلام .

فسافر بعض الشبان الى مصر وبعضهم الآخر الى معهد ابن باديس بقسنطينة حياه الله وبياه ، وقد رجع فريق منهم للبلاد ، وبثوا روح (جمعية العلماء) فيها وسيكون لهم فى نهضة افريقيا مقام معلوم ، ولا يزال كثيرون من الشباب يريدون السفر الى تلك الاقطار الشقيقة ، ولكن الاستعمار يقف فى طريقهم ويمنعهم .

ان (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) قوة كبيرة فى الاسلام لا يستهان بها ، ومن العجيب ان يدرك اعداء الاسلام هذه الحقيقة ويحسبوا لها الف حساب ، ثم يغفل عنها أبناء الاسلام الذين تعمل لهم (جمعية العلماء) وتذود عن عقائدهم ودينهم دسائس الاستعمار ومكر الماكرين .

التجـــانى الســـفوق

(3) فى فرنســـا

كيف اعتنق الدكتور بنوة الاسلام

(ارسل الينا الدكتور بنوه وهو شخصية باريسية معروفة فى كل الاوساط ، كتابا يطيب لنا أن ننشره حتى يتعرف قراؤنا على هذا المسلم الجديد) :

كثيرا ما طلب الي بعض الاصدقاء أن أشرح على الملأ الأسباب التى حملتنى على اعتناق الاسلام وبما أنه أصبح يسعى تبيان ذلك على صفحات هذه الجريدة ، فانه يسرنى ان أقدم لها علامات الشكر والامتنان :

انى طبيب مهنة وسليل عائلة فرنسية تنتسب الى الكاثوليكية ، هذا وقد سبقت لى بسبب مهنتى ثقافة علمية متينة لم يكن من جوهرها ان توجهنى الى الحياة الدينية ، والسبب فى ذلك ليس راجعا لعدم ايمانى بوجود الله اذ لم أكن كافرا ، وانما لعقائد المسيحية ، وخصوصا لمذاهب الكاثوليكية غير المقبولة عندى ، والتى لم تثبت لى وجود الله .

ومن ثم كان شعورى بوحدانية الله يمنع علي قبول مبدأ (ثالث ثلاثة) ، كما أنه كان بطريق التبعية يحول بينى وبين الاقرار بألوهية المسيح .

وبهذا كنت على اتفاق من حيث لا اشعر مع ما يتضمنه الشطر الاول من شهادتنا الاسلامية : « لا إله الا الله » ومع روح سورة الاخلاص (قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفؤا احد) .

وعليه يتبين ان اعتناقى الاسلام كان راجعا أول مرة الى أسباب روحية بحتة ، الا أن أسبابا أخرى حملتنى على دخول هذا الدين ، ومن بينها عدم الرضى بالرهبانية التى يجترئ أصحابها على نيل سلطة يعتقدون من ورائها أنها تمكنهم محو السيئات البشرية ، وما كانت ترضينى كذلك (طريقة التعميد) المتبعة عند الكاثوليكيين، وهي تزعم ادماج روح المسيح فى الاطفال بواسطة تناول (القربان) المتمثل فيه بدن المسيح ، حسب هذه العقيدة التى لا تختلف فى نظرى عن مذهب الشرى عند الفطريين ، حيث كان جسد (المعبود) مقدسا زمن حياته ويستهلك بعد وفاته ليتم الاندماج فيه ، كما أن هناك أمرا آخر ابعدنى عن المسيحية ، الا وهو التغافل التام عن النظافة البدنية وخصوصا قبل مباشرة الصلاة ، الامر الذى تراءى لى بصفة

الطعن فى الخالق الذى ان كان رزقنا روحا لنحافظ على طهارتها ، فانه منحنا كذلك جسدا يجب ألا يستهان به من ناحية النظافة ، وهذا الاهمال متكرر ، ونعثر عليه هذه المرة ممتزجا بنوع من مخالفة ما تصبو اليه المشاعر البشرية عند المرء ، بينما الاسلام يظهر لى فى هذا الباب الدين الاوحد الذى يتفق تماما والطبيعة الانسانية .

والآن أصل الى الامر الرئيسي والحاسم الذى ابدى لى عظمة الاسلام ، فدفعنى الى اعتناقه الا وهو القرآن ، لقد كنت تصفحته قبل اسلامى بروح النقد الموجودة عند كل مثقف غربى ، وكان قد ساعدنى على ادراك معناه كتاب مالك بن نبي القيم (الظاهرة القرآنية) الذى زادنى يقينا بنزول قرآننا على رسول الله (ص).

ويتضمن هذا الكتاب صفحات من بينها تلك التى تتناول موضوع (المناسبات)، حيث بيّن المؤلف أن نصوص بعض آي الكتاب الموحى به على نبينا منذ ما يزيد على ثلاثة عشر قرنا تتناسب وأحدث مبادئ العلوم العصرية ، وكان من جراء هذه الملاحظات أن آمنت نهائيا فأصبحت بهذا وفق الشطر الثانى من شهادتنا (محمد رسول الله) صلى الله عليه وسلم .

ومن أجل كل هذا كان حدث فى العشرين فيفرى سنة 1953 بجامع باريس دخولى الاسلام بصفة رسمية بمحضر صديقين تلقيا شهادتى وهما : الشيخ صبحى الصالح اللبنانى خريج جامع الازهر ، ومحمد بركانى الجزائري ، وذلك لدى المفتى الذى قيد فى سجل الجامع الاسلامي اسمى تحت عدد 50 وباسم (علي سلمان).

اكتفى بما ذكرت الآن عن سبب اسلامى ، ويسرنى وقد أصبح فى وسعى شرح أسباب اسلامى على صفحات هذه الجريدة أن أصرح من جديد بايمانى على الملأ من اخوانى المسلمين مشهدا اياهم على قولى :

(أشهد ان لا اله الا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله)

كما أبلغ هذه الشهادة لجريدة البصائر بواسطة مندوب جمعية العلماء بباريس الشيخ السعيد البيبانى .

الدكـتور بنوة (علي سلمان)

جرر بباريس يوم 24 فيفرى 1954

تعريبا عن جريدة (الشاب المسلم)

كفـــاح مـــريـــر

بقلم الأستاذ الكبير سيد قطب .

تمتزج فكرة الوطن الاسلامي الأكبر بنفس الأستاذ الكبير سيد قطب امتزاج الروح بالجسد ، والعقيدة بالعقل فهو حفظه الله لم يفتأ يدعو المسلمين فى الشرق والغرب بكتاباته الضافية ، الى السير على ضوء هذه الفكرة فى حركاتهم التحريرية وكفاحهم العام ، والاعتصام بأخوتهم الاسلامية التى هي المهيع الأمين لتحقيق أمانيهم وآمالهم فى الحياة كمسلمين لهم من تعاليم دينهم ومجد تاريخهم كل مايهديهم سواء السبيل ، اذا غشيتهم الظلمات وألمت بساحتهم الخطوب والملمات .

وقد وجد الأستاذ فى صحيفة البصائر التى هي اللسان المعبر عن كفاح الجزائر فى سبيل المحافظة على اسلامها وعروبتها وربط نهضتها بالعالم الاسلامي صدى دعوته الصارخة فأحبها ، وبادر بارسال هذه الكلمة البليغة الجامعة اليها وهي اذ تحلى صدرها بها ، انما تنشر صفحة من جهاد أحد العلماء العاملين من أعلام هذه النهضة التى لن تقف دون أن تصل بالاسلام والمسلمين الى أهدافهم السامية فى طريق كفاحهم من أجل الوحدة والحرية والاستقلال : (البصائر)

كفاح الجزائر فى سبيل البقاء ، كفاحها فى أن تظل عربية وأن تظل مسلمة . هذا الكفاح له فى نفسى دلالة خاصة قد لا تخلص لى من كفاح أي بلد آخر من البلاد العربية أو البلاد الاسلامية .

لقد أريد بالجزائر أن تكون أندلسا جديدة . أريد بها أن تنسلخ من جسم الوطن العربي الاسلامي ، وأن تبتلعها الصليبية الأروبية الجديدة . ومضى أكثر من قرن والمحاولات الجبارة لا تنى لحظة ولا تكف ، واستخدمت كل الوسائل التى لاتعرف البشرية أقسا منها ولا أمكر منها ولا أفتك منها .

(4) فى مصـــر الشقيقـــة

كفـــــاح مـــــريـــــر

بقلم الأستاذ الكبير سيد قطب .

تمتزج فكرة الوطن الاسلامي الأكبر بنفس الأستاذ الكبير سيد قطب امتزاج الروح بالجسد ، والعقيدة بالعقل فهو حفظه الله لم يفتأ يدعو المسلمين فى الشرق والغرب بكتاباته الضافية ، الى السير على ضوء هذه الفكرة فى حركاتهم التحريرية وكفاحهم العام ، والاعتصام بأخوتهم الاسلامية التى هي المهيع الأمين لتحقيق أمانيهم وآمالهم فى الحياة كمسلمين لهم من تعاليم دينهم ومجد تاريخهم كل مايهديهم سواء السبيل ، اذا غشيتهم الظلمات وألمت بساحتهم الخطوب والملمات .

وقد وجد الأستاذ فى صحيفة البصائر التى هي اللسان المعبر عن كفاح الجزائر فى سبيل المحافظة على اسلامها وعروبتها وربط نهضتها بالعالم الاسلامي صدى دعوته الصارخة فأحبها ، وبادر بارسال هذه الكلمة البليغة الجامعة اليها وهي اذ تحلى صدرها بها ، انما تنشر صفحة من جهاد أحد العلماء العاملين من أعلام هذه النهضة التى لن تقف دون أن تصل بالاسلام والمسلمين الى أهدافهم السامية فى طريق كفاحهم من أجل الوحدة والحرية والاستقلال : (البصائر)

كفاح الجزائر فى سبيل البقاء ، كفاحها فى أن تظل عربية وأن تظل مسلمة . هذا الكفاح له فى نفسى دلالة خاصة قد لا تخلص لى من كفاح أي بلد آخر من البلاد العربية أو البلاد الاسلامية .

لقد أريد بالجزائر أن تكون أندلسا جديدة . أريد بها أن تنسلخ من جسم الوطن العربي الاسلامي ، وأن تبتلعها الصليبية الأروبية الجديدة . ومضى أكثر من قرن والمحاولات الجبارة لا تنى لحظة ولا تكف ، واستخدمت كل الوسائل التى لاتعرف البشرية أقسا منها ولا أمكر منها ولا أفتك منها .

ولكن الجزائر بدلا من أن تموت انتفضت حية بدلا من أن تنهار ، تماسكت وتجمعت وأعلنت عن وجودها بدلا من أن تبتلعها الصليبية ، وقفت شوكة فى حلق الصليبية ، ولم يعرف بلد آخر فى الشرق أو فى الغرب ماعرفته الجزائر من أساليب الصليبية حتى الأندلس وحتى فلسطين لم تعرفا هذه الأساليب ، لقد امتدت هذه الأساليب الى تفتيت التماسك العنصري والعائلي ، وامتدت الى تخليط الأنساب وتحطيم الأخلاق ، امتدت الى ازالة الصبغة العربية والصبغة الدينية ، وتم هذا فى غفلة من العالم الاسلامي والأمة العربية فى القرن الماضي ، وكانت الجزائر وحدها فى الميدان فلم يكن بجوارها أحدكما هو الحال الآن .

لهذا كله تخلص لي من كفاح الجزائر دلالة لاتخلص لي من كفاح أي بلد آخر، دلالة مطمئنة تدعو الى الثقة والى التفاؤل ان هذا العالم الاسلامي لن يموت ولن يفنى، ولو كان يراد له الموت لمات ، ولو كان قد كتب له الفناء لفنى ... ان المحنة التى عاناها فى الجزائر لن يعاني مثلها اليوم لأن الاستعمار لايملك مثلها اليوم وبعد اليوم، ولأن الأساليب التى جربها فى الجزائر لايعرف العالم لها نظيرا .

ان فى الوطن الاسلامي حيوية كامنة لايغلبها شيء ... هذا هو الخاطر الذى يخالج نفسى كلما نظرت فى كفاح الجزائر ونظرت فى تاريخ هذا الكفاح .. ان العالم الاسلامي لايكاد يعرف شيئا عن هذا الكفاح ان تاريخه لم يكتب بعد بالتفصيل ولم تعرضه أقلام أمينة نزيهة عالمة ببواطن الأمور ، وأنا أقترح على (جمعية علماء الجزائر) ان تعرض تاريخ هذا الكفاح على الناس باللغة العربية وبجميع اللغات ، ان هذا التاريخ سيكون له وقع عظيم ، لأنه سيطلع اليائسين والمترددين والضعاف فى العالم الاسلامي كله على أن الحيوية الكامنة فى جسم الوطن الاسلامي لاغالب لها ، وأن هذا الجسم يحمل بذرة الحياة التى لا تموت أبدا ، انه سيد المكافحين فى الأرض كلها بدفعة قوية من الرجاء الحار فى الخلاص ، ونحن محتاجون الى هذه الدفعة القوية فى معاركنا الفاصلة التى ستتشب يوما فى كل أجزاء العالم الاسلامي .

ان الأفق أفق المستقبل يتكشف شيئا فشيئا عن تجمعات المعركة الأخيرة ، ففي كل أرض ثورة مكتومة أو مشبوبة ، لقد عاش الاستعمار بعد أوانه ، عاش أكثر من عمره الطبيعي ، عاش ضد طبائع الأشياء ، ولم يعد له بد من أن يصطدم بالحياة ،

وأن يصطدم بالشعوب ، وأن يلتقي فى معركة فاصلة مع الزمن والحياة والناس ، وهيهات أن يبقى نظام يصطدم بالزمن والحياة والناس .

ومع يقيني بالمستقبل فانني لأحب أن نستسلم الى أمل مخدر لذيذ ، والى أحلام وضيئة ، إن النصر لابد له من ثمن ، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ، ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ، مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه : متى نصر الله ؟ الا إن نصر الله قريب) .

وكان الله قادرا على أن يحمي الرسول والذين آمنوا من الزلزلة ومن البأساء والضراء ... ولكن النصر الهين رخيص لايتبناه أحد ، ولا يحتفظ به أحد ، ولا يدافع عنه أحد ، انما يدافع الناس على النصر الذى أدوا ثمنه ، ويعتز الناس بالنتائج التى كان ثمنها غاليا .

والعقيدة الرخوة المائعة التى لم تصطدم بالعقاب ولم تخض الشوك الى النصر عقيدة لاتعيش ... لذلك يترك الله رسوله والذين آمنوا معه يزلزلون وتمسهم البأساء والضراء ويبذلون غاية الجهد ويكافحون أمر الكفاح ، وحينئذ فقط يحق لهم النصر « ألا إن نصر الله قريب » .

لذلك كله أحب أن يعرض كفاح الجزائر على أنظار البشرية جمعاء وأن تعرض آلام الجزائر على المكافحين الذين تصب عليهم الآلام اليوم ، لكي يدرك الجميع أن آلام الأرض كلها لاتقتل أمة تريد الحياة ، ولا تعوق شعبا يعتزم الكفاح .

ثم لكي يعرف المكافحون فى العالم الاسلامي حقيقة العنصر الذى يحميهم من الانهيار ، ويمسك بهم من التفكك والتفتت ، وسيجدون هذا العنصر بارزا فى كفاح الجزائر ، انه العقيدة وانه اللغة التى نزلت بها هذه العقيدة .

لقد وجه الاستعمار همه كله الى سحق العقيدة وسحق اللغة .. وعن هذا الطريق كاد يصل الى غايته ، فلما انتفضت الجزائر بالحياة كانت العقيدة هي المشعل الذى أضاء لها الطريق ، وكانت اللغة هي الحبل الذى تتماسك به الجموع الشاردة فى الظلام .

ولقد عرفت جمعية علماء الجزائر كيف توثق هذا الحبل ، وكيف ترفع ذلك المشعل ، فعرفت كيف تجمع الشاردين وكيف تؤمن أمامهم الطريق ، وكيف تخلق ذلك البعث الذى لن تموت الجزائر بعده ولن تهين ولن تستسلم ، والعالم كله قد صحا من سباته العميق .

وانني لأكتفي اليوم بهذه الكلمات القلائل تحية لجمعية علماء الجزائر وشيخها الجليل الذى يجاورنا اليوم ، فيبعث فينا من روحه القوي شعاعا حارا ، ويشعرنا بأن فى العالم الاسلامي رجالا ... رجالا من طراز فريد ولن يموت هذا العالم وهو يبعث من أعماقه بمثل هؤلاء الرجـــال (1).

حلوان ـ القاهرة

(سيـــد قطـــب)

(1) البصائر العدد 214 السـنـة 5

(5) ومن المغرب ايضـــا:

واجب الأمة نحو تاريخها وأبطالها

وردت هذه الكلمة القيمة فى رسالة شخصية الى صاحب هذه المذكرات محمد خير الدين من أحد علماء المغرب الاوفياء، وحضرته ركن من اركان الحركة الوطنية الاستقلالية بالمغرب الشقيق، وهو أخونا الأستاذ ابراهيم الكتانى ، تحمل تعزية لعلماء الجزائر اثر وفاة الامام محمد البشير الابراهيمي ، رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

لم يكن الشيخ محمد البشير الابراهيمى رحمه الله شخصية عادية وانما كان مجموعة من المواهب والعبقريات .

كان آية فى علمه الواسع وأدبه الرفيع وخلقه النبيل ودينه المتين واخلاصه وسعة أفق تفكيره وبعد نظره ، وانكاره لذاته وتفانيه فى خدمة أمته وتوفيقه فى اعماله وأقواله وحسن تربيته لطلبته ومريديه وللجماهير المتصلة به وتسخيره كلمه العزيز فى تعليم امته ورفع مستواها ، واستغراق أوقاته فى مواجهة المشاكل الوقتية ، وتضحيته بحظ نفسه فى القراءة والمطالعة والتأليف ، ووفائه العديم النظير لاصدقائه وأحبابه وياما أكثرهم ، ونجاحه فى أن يحول الجزائر - مع أصدقائه ورفقائه وتلامذته وأعوانه من الحالة التى كانت عليها فى اعقاب الحرب العالمية الاولى - الى جزائر الثورة المباركة معجزة الاسلام الكبرى فى العصر الحديث .

واذا كان الفضل العظيم فى نجاح الثورة المباركة يرجع قبل كل شيء للجندي الذى حمل السلاح وتقدم للاستشهاد مختارا راضيا ، وللشعب الذى حمى ظهره وقاسمه أعباء الجهاد والتضحية الغالية ، فان المؤرخ المنصف لايسعه تجاهل جهود الذين فكروا فى هذه الثورة قبل وقوعها بأزيد من ربع قرن . فوقفوا حياتهم على الاعداد لها وتربية الأفراد والجماعات والأمة جمعاء على مايؤهل للعبء الخطير وتحقيق المعجزة الكبرى .

لقد كان الملاحظ عن بعد لحركة الاصلاح بالجزائر أنها حركة محلية تخوض صراعا حادا بين المصلحين وأصحاب الزوايا . وربما سمع من تصريحات بعض المصلحين ما يفيد أنهم ليس لهم وراء عملهم الظاهر هدف سعيد يهدفون اليه .

ولكن بعض الذين اتصلوا مباشرة بمؤسسى الحركة وقادتها قد استطاعوا أن يعرفوا عن هدف الحركة البعيد مالم تتيسر معرفته لكثير من الناس .

كانت أول صلة مباشرة لى بالشيخ البشير الابراهيمي رحمه الله فى خريف سنة 1935 عندما حضرت مؤتمر طلبة شمال افريقيا المسلمين بتلمسان موفدا من قبل زملائى فى كتلة العمل الوطنى بالمغرب ، وفى حفلة الافتتاح بالبلدية خطب الشيخ رحمه الله خطابا رائعا كعادته دائما ـ وخطب رئيس البلدية الفرنسي منوها بفضل فرنسا على الجزائر فى معرض تنديد بما ورد فى خطاب رئيس المؤتمر المرحوم الحبيب ثامر التونسي الاشارة الى وحدة الأقطار المغربية ، وكان المرحوم علال البلهوان التونسي يتولى ترجمة خطاب رئيس البلدية للعربية ، ويتولى فى نفس الوقت التعليق على الخطاب والتنديد بسياسة التجهيل المقصودة التى تتبعها فرنسا فى الجزائر ، الأمر الذى أغضب الرئيس الفرنسي ودفع الادارة لمضايقة المؤتمر ومحاولة عرقلته فتنكر له كثير من الوصوليين والمتفرنسين والجبناء ، ولكن الشيخ رحمه الله بقي مستمرا فى رعاية المؤتمر وتأييده ، الى أن أتم أعماله حسب ماكان مقرّرا .

ثم استدعانى الشيخ رحمه الله لحضور الاجتماع العام لجمعية العلماء بالعاصمة ، وكان أهم ماعرفته بالعاصمة أن لجمعية العلماء قرارا سريا يقضى بمنع مقاومة الزوايا والمرابطين فى بلاد القبائل التى كان للكنيسة بها نشاط تخريبي هدام منظم فني .

وكان أبناء الزوايا والمرابطون هناك يخوضون معركة لا تتعادل فيها القوى للدفاع عن وجودهم ، والمحافظة على نفوذهم .

وحدثنى الشيخ عبد الحميد رحمه الله ، عن مقاومته لبرنامج (فيوليت) القاضى بمنح الجنسية الفرنسية للنخبة الجزائرية المتعلمة بالفرنسية .

وفى ربيع سنة 1936 كنت ضيفا على الشيخ البشير رحمه الله بمنزله فى تلمسان ، وكنا نقضى الأوقات الطويلة فى الأحاديث المختلفة ، وكان يطرب كثيرا لأخبار ثورة التحرير الريفية التى قادها البطل عبد الكريم الخطابي رحمه الله ، وعندما ذكرت له مرة ماقام به فى هذه الثورة ، الجنود الريفيون الذين سبق لهم العمل فى الجيش الاسباني قال لى رحمه الله **(وكذلك نحن فى الجزائر نعلق أملا كبيرا على شبابنا الذين يؤدون الخدمة العسكرية فى الجيش الفرنسي عندما يحين الوقت لحمل السلاح فى وجه المستعمر المغتصب .**

وفى خريف سنة 1937 كنت فى تلمسان بمناسبة تدشين مدرسة دار الحديث بها ، وفى عشية وصولى رافقنا المرحوم الشيخ عبد الحميد لأطلال مسجد المنصورة حيث حرر رحمه الله نداءا يدعو فيه الأمة الجزائرية للصيام وملازمة المساجد بمناسبة ذكرى مرور مائة سنة على احتلال قسنطينة ، ولما قرأه علينا جعل أحد تلامذته يثبط عزيمته ويحذره مغبة نشره ، فغضب الشيخ رحمه الله وقال : ياأبنائى انكم تعلمون أنى لم أطلب أي شيء لنفسى ولكنى اليوم أطلب لنفسى شيئا واحدا هو أن تسمحوا لى أن أكون أول ضحية فى سبيل الجزائر عندما يحين الوقت للتضحية فى سبيلها ثم التفت الي وقال لي : (هنيئا لكم أنكم تجدون فى المغرب السبيل للتضحية فى سبيل بلادكم . أما نحن فى الجزائر فاننا نتحرق على التضحية فى سبيلها ولا نجد للتضحية سبيلا).

وفى خريف سنة 1950 عندما كنا نتأهب للاصطدام مع المستعمر فى المغرب وجهنى اخوانى فى حزب الاستقلال المغربي للجزائر لاطلاع أصدقائى بها على خطتنا، وقد اغتنمنا هذه الفرصة لنتحدث لبعضنا عن أخبارنا وأحوالنا منذ سنة 1937 وما تعرض له كل واحد منا من اضطهاد أثناء هذه المدة ، **فحدثنى الشيخ البشير رحمه الله عن محاولة الادارة الفرنسية حمل جمعية العلماء على اعلان تضامنها مع فرنسا فى الحرب ، وامتناع الجماعة من الاستجابة لهذه الرغبة مما أدى إلى نفي الشيخ رحمه الله الى آفلو كما هو معلوم ، كما حدثنى عن الجهود الحميدة التى بذلها لنجاح التوقيع على وثيقة الاستقلال وما أعقبها من حوادث ماي 1945 والاضطهادات الوحشية التى تعرض لها الشيخ رحمه الله وكثير من العلماء ، وحدثني كثير من العلماء عما تعرضوا له أثناء الحرب من اضطهـــاد .**

وقد حدثنى الشيخ خير الدين عن التفكير فى حرب العصابات فى الجبال بعد أن تحققت جميع الوسائل السلمية التى اتبعتها الأمة الجزائرية لحمل فرنسا على تغيير سياستها إزاء الجزائر فلما علمت بعد ذلك بأربع سنوات وأنا معتقل (بأغبالو نكر دوس) بالجنوب الشرقي المغربي ، نبأ اندلاع الثورة الجزائرية لم يكن مفاجأة كبيرة بالنسبة لى فقد خامرنى شعور الفرحة بحلول الساعة الحاسمة التى طالما انتظر حلولها المخلصون ، وعملوا السنين الطويلة فى سبيل الوصول إليها .

واذا كانت هذه الفترة الحاسمة من تاريخ الجزائر قد دخلت فى حكم التاريخ بما لها وما عليها واذا كان الذين ساهموا فى أحداثها والذين تتبعوا هذه الأحداث عن كثب يعرفون فضل هؤلاء الرواد حق المعرفة ، فان البعيدين والأجيال الناشئة لاتكاد تعرف عن ذلك شيئا .

ثم إن التجربة الجزائرية فى هذا الميدان كانت تجربة فريدة من نوعها ، فمن حق الأمم الاسلامية الأخرى ، والدارسين للتاريخ الحديث على العموم ، أن يتعرفوا الى حقيقة هذه التجربة بأقلام الذين - ساهموا بأنفسهم فى أحداثها والذين عاصروها وتتبعوا هذه الأحداث عن كثب ، وذلك مايحتمه أولا الا خلاص للمبادئ المقدسة والأهداف النبيلة التى عملوا لها واستشهدوا فى سبيلها ، يحتمه الوفاء لهم وأداء واجبهم ، ويوجبه أكثر من ذلك الوفاء لتاريخ الأمة التى أنجبتهم وكونتهم وحمّلتهم أمانة اعادة شخصيتها الاسلامية العربية التى جهد الاستعمار جهده لمحوها ومسخها ، ووقفت الى جانبهم تؤيدهم بكل ماتملكه من الوسائل التى تمكنهم من أداء رسالتهم التى انتدبوا أنفسهم لأدائها .

ومن المؤسف أنه قد وقع لحد الآن الإخلال بهذا الواجب الأكيد إخلالاً شائنا فبقيت المكتبة العربية خالية من كتاب - فأحرى كتب - تتضمن تاريخ هذه الحقبة وماتم فيها من أعمال وما خاضه رجالها المخلصون من معارك وصراعات مختلفة متنوعة ، تتضمن تراجم مفصلة لرجالاتها البارزين مثل المرحومين المشائخ : عبد الحميد بن باديس والعربي التبسي ، والبشير الابراهيمي ، فتتحدث عن نشأتهم وتربيتهم وعلمهم وأخلاقهم وأعمالهم التى قاموا بها وأهدافها التى استشهدوا فى سبيلها.

هؤلاء الأبطال كانوا فى شغل شاغل بأحداث كفاحهم اليومي المرير المتواصل عن التفرغ لتسجيل مذكراتهم والتاريخ لحياتهم ، وما نشروه من مقالات ورسائل صغيرة أثناء هذا الكفاح كان الكثير منه منطبعا بطابع المرحلة التى نشأ فيها ، ثم هو قد بقي دفين هذه الصحف المحلية التى لم يكن يتيسر الحصول عليها الا لقليلين خارج الجزائر ، ثم هي الآن لاوجود لها فى المكتبات العامة فى مختلف البلاد ، بحيث اذا أراد الباحث الرجوع اليها لم يجد اليها سبيلا ، فاذا استثنينا مجموعة (عيون البصائر) التى وقف الامام الابراهيمي رحمه الله لنشرها بالقاهرة ، وطالما ندبت الكثيرين من تلامذتى وأصدقائى للقيام بهذا الواجب الأكيد فلم أجد استجابة ممن ندبتهم لملء هذا الفراغ وكثيرا ماكان يحول بينهم وبين ذلك عدم وجود مجموعة (الشهاب) ومجموعات الصحف الأخرى بين أيديهم ، على أن هذا الأمر لاتكفى فيه المجلات والصحف على أهميتها القصوى - بل لاغنى عن مساهمة الرجال الذين عاشوا الأحداث من تسجيل ماخفي عن الناس من ملابساتها وشؤونها (1)، ولعل إحياء ذكرى مرور سنة على وفاة الامام الابراهيمى رحمه الله ، خير مناسبة لتوجيه الدعوة لأصدقائه وزملائه وتلامذته ومحبيه ليتعاونوا جميعا - كل فيما يخصه على القيام بهذا الواجب الأكيد ، الذى يعتبر الاخلال به عقوقا للأمة ولكفاحها المقدس المرير ، فيضعوا مخططا علميا لهذا العمل ويوزعوه بينهم حتى اذا تم قاموا بطبعه فى القاهرة وبيروت ، وعملوا على نشره فى سائر الأنحاء على نطاق واسع ، تعريفا للعالم بمجهود جبار متواصل استمر أزيد من ربع قرن ، وبشخصيات فريدة فى بابها ، قل أن يجود الزمان على الأمم بأمثالها ، ولا تعرف المكتبة العربية عنها ، مع ذلك إلا القليل .

إبراهيـــم الكتـــانى

(1) أرجو أن تلبي هذه المذكرات بعضا من رغبات أخينا إبراهيم الكتانى

البيـــان التاريخـــي

نشر هذا البيان الشيخ الإبراهيمى قبل وفاته

بســـم الله الرحمـــن الرحـــيم

كتب لى أن أعيش حتى استقلال الجزائر ، ويومئذ كنت استطيع أن أواجه المنية مرتاح الضمير ، اذ تراءى انى سلمت مشعل الجهاد فى سبيل الدفاع عن الاسلام الحق والنهوض باللغة العربية ذلك الجهاد الذى كنت اعيش من اجله الى الذين اخذوا زمام الحكم فى الوطن ، ولذلك قررت أن ألتزم الصمت .

غير أنى اشعر أمام خطورة الساعة ، وفى هذا اليوم الذى يصادف الذكرى الرابعة والعشرين لوفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله ، أنه يجب علي أن اقطع ذلك الصمت ، ان وطننا يتدحرج نحو حرب اهلية ويتخبط فى أزمة روحية لانظير لها ، ويواجه مشاكل اقتصادية عسيرة الحل .

ولكن المسؤولين فيما يبدو لايدركون أن شعبنا يطمح قبل كل شيء الى الوحدة والسلام والرفاهية ، وأن الأسس النظرية التى يقيمون عليها اعمالهم يجب أن تنبعث من صميم جذورنا العربية الاسلامية لا من مذاهب أجنبية .

لقد آن للمسؤولين أن يضربوا المثل فى النزاهة وألاّ يقيموا وزنا الا للتضحية والكفاءة ، وان تكون المصلحة العامة هي أساس الاعتبار عندهم ، وقد آن أن نرجع لكلمة (الأخوة) التى ابتذل معناها الحق ، وأن نعود الى (الشورى) التى حرص عليها النبي (صلى الله عليه وسلم) .

وقد آن أن يحتشد أبناء الجزائر كي يشيدوا جميعا (مدنية) تسودها العدالة والحرية (مدنية) تقوم على تقوى من الله ورضوان .

الجزائر فى 16 افريل 1964 .

الحفـــل الرهيـــب (1)

دوى الهتاف بالتكبير حينما وضع النعش فى ساحة المقبرة قرب الجامع ، وتجاوبت اصداء الهتاف فى المقبرة ، ورردده الجميع خارجها فى صوت واحد ملأ قلوب الناس رهبة ولوعـــة .

واصطفت الصفوف ، صفوف الشعب بكامل طبقاته ، وتطلع الجميع فى هذه اللحظة الرهيبة الى نعش الامام البطل الرائد ، وقد حبست أنفاسهم من هول الاسى وجلال الموقف ، وتقدم أحد تلامذة الاستاذ الامام الشيخ عبد الرحمن شيبان فى جمع من أبنائه البررة ، وأعلن :

من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ، ثم تقدم الخطيب لحفل التأبين . الأستاذ الشيخ محمد خير الدين ، وهو رفيق الاستاذ الامام فى كل مراحل جهاده الوطني تحت لواء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

وتقدم بعده الشاعر الوحيد لحفل التأبين ، شاعر العروبة والاسلام فى الجزائر، الاستاذ محمد العيد آل خليفة ، وهو الشاعر الذى واكب كل أيام النهضة التى اضطلع بها الاستاذ وسجل مآثرها ومفاخرها فى شعره . فكان هذا الخطاب وكان هذا القصيد فى التأبين ، أبلغ أثر من آثار معجزات الامام الشيخ محمد البشير الابراهيمي عليه رحمة الله ورضوانه :

---

(1) كتاب أعلام الجزائر : لمحمد الطاهر فضلاء

نص الخطاب الجامع الذى ألقاه الشيخ محمد خير الدين فى تأبين فقيد العروبة والاسلام الامام السلفي ـ الشيخ

محمـــد البشيـــر الابراهيمـــي

رئيس جمعية العلماء بمقبرة سيدى امحمد بالعاصمة يوم الجمعة 20 محرم 1385 هجرية الموافق ليوم 20 مايو 1965 م

اللـــه أكبـــر :

هوى نجم البشير ، وسكت ذلكم الصوت الجهير ـ وسكن ذلكم القلب الكبير ، وجف ذلكم القلم السيال الخطير ، وأصبح كل ذلك فى حكم التاريخ . فإنا لله وانا اليه راجعون .

اللـــه أكبـــر :

مات محمد البشير الابراهيمي العالم المحقق الأجل ، والكاتب المبدع المفتن، والخطيب الأشدق المصقع ، والمصلح الديني والاجتماعي الموفق ، والمفكر الحر الجريئ، والامام السلفي الأكبر ، والمؤمن المطمئن النفس الصادق الايمان .

اللـــه أكبـــر :

مات محمد البشير الابراهيمي القائد المظفر ، وخليفة عبد الحميد بن باديس القائد الملهم لمعركة الكفاح الوطني المستبسل فى سبيل المحافظة على الشخصية الجزائرية بكل مقوماتها من تاريخ ولغة ودين وأخلاق،أثناء فترة طويلة من الزمن كانت الأصوات فيها ـ الا أقلها ـ خافتة والقلوب واجفة ؟ والنفوس يائسة ، والعزائم

مضعضعة . والشك يساور النفوس فيأتيها من بين يديها ومن خلفها وعن يمينها وشمالها فينال منها ، ويدفعها إما الى الفشل والخور ، وإما الى الإعراض والتنكر . وإما إلى الاستسلام والتقهقر .

مات عبد الحميد بالأمس البعيد ، ولحقه بالقرب تلميذه مبارك الميلي واغتالت يد الطغيان من بعد هما العربي التبسي ، وها هو اليوم البشير يلحق بالركب ويسقط شهيدا ، وأولائك لعمري الصيد الياميس ، ونجوم الهدى ، وقادة الجهاد المقدس فى معركة القومية العربية والوطنية الجزائرية والاسلام الصحيح .

وانه ليعز على هذا العبد الضعيف أن يقف مثل هذا الموقف الرهيب ليذكر هؤلاء الرفاق الذين صاحبهم فى الكفاح مدة طويلة وليلقي كلمة الوداع الأخير على الراحل الأخير محمد البشير . لقد كان الفقيد يكفينى مثل هذه المواقف فى اخوانه الراحلين، أو أبنائه الروحيين الذين يسقطون فى الميدان شهداء المبدأ المقدس فيبكيهم بعاطفة الأخوة الصادقة . أو حنو الأبوة الحادبة فتسيل عليهم دموع السامعين المشيعين عبرات وتتصاعد عليهم من الأفواه الزفرات والحسرات ، ولـكنه اليوم لايستطيع . إنه هو المسجى أمامنا عاجز عن كل حركة . ينتظر منا أن نوفيه حقه ولكن أنى لنا لسان البشير ، وقلب البشير ، وعاطفة البشير .

انه ليعسر علينا أن نوفي البشير حقه فى مثل هذه المواقف الجليلة ، فان حياته الطويلة المشرقة المملوءة بجلائل الأعمال لايمكن أن تختزل فى وقت قصير ، غير أن الوفاء للحق والتاريخ والمبدأ وللصحبة والأخوة التى ربطت بيننا مايزيد عن أربعين سنة كل ذلك يوجب أن نستعرض شيئا وجيزا من تاريخ حياته . وذلك حق الميت على الحي ، ولرجل خدم الشعب كل الشعب . ومن حاول أن يشوه أو يطمس التاريخ استحق عن جدارة أن يشوهه أو يطمسه التاريخ .

ولد الفقيد ونشأ بدائرة سطيف فى قبيلة ريغة الشهيرة بأولاد ابراهم ، قرب بلدة رأس الوادى ، وهناك تلق دروسه الأولى - حيث كان بيته بيت علم - عن أبيه وعمه،

وكان عمه علامة جليلا ، بقية من مدرسة الأمير عبد القادر الوطنية ومن تأثير هذه المدرسة نشأ نشأة عربية اسلامية وطنية . وارتحل الى الشرق سنة 1911 حيث استقر بالمدينة المنورة ، فأتم دراسته العالية ولزم ثلاثة من فطاحل العلم والمعرفة .

وهم : الشيخ عبد العزيز الوزير أحد أفذاذ الجامعة الزيتونية ، والشيخ محمود الشنقيطي اللغوي الشهير ، والشيخ حمدان الونيسي القسنطيني ، وكان الفقيد شعلة من الذكاء والالمعية ، ونادرة فى جودة الفهم ، فلازم مطالعة الكتب العلمية واتصل بالنهضة الحديثة بواسطة الجرائد والمجلات والنشريات ، مما كان له الأثر الأكبر فى تكوين شخصيته . واتخذ مدرسة الكواكبي ، والأفغاني ، ومحمد عبده ، مبدأ له فى الإصلاح الديني والاجتماعي ، واتخذ مدرسة عرابى ومصطفى كامل مبدأ له فى الوطنية، ومن المدينة المنورة انتقل الى دمشق وكان من أكبر زعماء العرب ومفكريهم الذين التفوا حول الأمير فيصل وبايعوه زعيما للثورة العربية اثر فضائع جمال باشا ، وشارك فى تكوين هيئة علمية لتعريب الادارات الحكومية،وتكوين الاطارات الوطنية لتسيير شؤون الدولة العربية الناشئة،وكلف بإلقاء المحاضرات بالنادى العربي لطلاب التعليم العالي .

وفى سنة 1921 ـ عاد الى الجزائر مقتنعا بما اقتنع به عبد الحميد من قبل من أن العمل المنتظر منه انما ميدانه الجزائر ، وموضوعه النهوض بالشعب وخدمة الدين واللغة والوطن ، وغايته المحافظة على كيان الأمة الجزائرية .

واتصل فور رجوعه برائد النهضة ابن باديس وباخوانه ، وعملوا بكل جد واجتهاد متكاتفين .

وفى سنة 1931 تأسست جمعية العلماء وكان تأسيسها جوابا عمليا لفرنسا على احتفالها المئوى باحتلال الجزائر . وقد زعمت أن الجزائر أصبحت فرنسية نهائيا عن طواعية واختيار . لغة وجنسا وأرضا وأخلاقا ، وكان شعار هذه الحركة الاصلاحية من بدايتها . (الاسلام ديننا ـ العربية لغتنا ـ الجزائر وطننا) .
دستور خلاصته أننا لانريد بديننا بديلا ولا عن وطننا عوضا ولا عن لغتنا تحويلا .

وقد انتصب الابراهيمي فى تلمسان ، كما انتصب كل واحد من رجال الجمعية بالمركز المعين له . ولم يلبث الفقيد أن عمّم الحركة الوطنية العربية فى سائر عمالة وهران ، ونبتت المدارس والمساجد والنوادى فى كل مكان . غير أن المستعمرين قابلوا ذلك بالمقاومة فأغلقوا المدارس والنوادي وسجنوا العلماء والمعلمين ، فلم ينالوا من عزائمهم منالا .

ولقي الابراهيمي من مكائدهم وعنتهم ماتهن أمامه أقوى العزائم فلم يزدد الا صلابة وقوة وثباتا .

وفى سنة 1936 هدّد الجزائر خطر جديد على قوميتها ببرنامج (فيوليت القاضى بالادماج التدريجي للشعب الجزائري العربى لبعض النخبة المثقفة بالفرنسية . فاضطر العلماء للمشاركة فى المؤتمر الاسلامي الجزائري لفرض مبادئهم على المؤتمرين وهي المحافظة التامة على الشخصية الجزائرية ورفض كل مساس بها .

وكان الفقيد من أبرز ممثلى الجمعية،وأعان على إحباط ذلك البرنامج وأنشأ فى تلك الأيام ابن باديس نشيده الوطني الذي أصبح يردده الشعب الجزائري كلـه :

شعب الجزائر مسلم	والى العروبة ينتسب
من قال حاد عن اصله	أو قال مات فقد كذب
أو رام إدماجا له	رام المحال من الطلب

ولما أعلنت الحرب العالمية الثانية ساوم المستعمرون رجال الجمعية على التعاون معهم بابقاء صحفهم لينشروا فيها ما يؤيدهم . ولكن العلماء قرروا ايقاف صحفهم حتى لا يجبروا على نشر ما لا يريدون ، لأنهم لايستطيعون أن يقولوا ما يريدون .

وتعرض الفقيد للضغط الشديد فقد كانوا يريدون منه المشاركة فى تحرير صحف أنشأوها . وفى كتابة محاضرات تسجل للاذاعة مقابل منح مغرية ، فخيب ظنهم ورفض كل تعاون معهم .

فقرروا اعتقاله ونفيه الى الجنوب ، وفى معتقل آفلو الرهيب بقي تحت الضغط والارهاق ما يزيد على ثلاث سنوات .

وفى أوائل أيام المنفى توفي ابن باديس ، فانتخبه إخوانه لخلافته ثقة فيه وتحديا للمستعمر . فاضطلع بمهمته وقام بها خير قيام .

وبعد الافراج عنه تأسست (حركة أحباب البيان والحرية)، فوحدت تحت لوائها كل المنظمات الوطنية وزعمائها ، واتحد الشعب اتحادا كاملا ، وكانت هذه الحركة المؤسسة سنة 1944 تعد الأمة - وقد رأت نهاية الحرب على الأبواب - للمطالبة بحريتها واستقلالها اما بالمفاوضة واما بالثورة المسلحة ، وأخذ الشعب يتسلح ويستعد .

وكانت حوادث 8 ماي 1945 التى اغتال فيها المستعمرون 45 ألف شهيد ، فاعتبر الفقيد بصفته رئيسا للجمعية أحد المسؤولين الأساسيين على الثورة المسلحة ، وزج به فى السجن العسكري بتهمة تؤدى به الى الاعدام . وعذب فى سجنه مما أورثه أمراضا مزمنة بقيت معه الى آخر حياته .

وبعد خروجه من السجن استأنف عمله بكل جد ونشاط ، فأمر رحمه الله بفتح المدارس التى كانت مغلقة ، وأخذ يقوم بجولات فى سائر أنحاء الوطن ، يذكى الروح الوطنية ، ويؤسس المدارس والنوادي والمساجد .

وفى هذه الفترة تم توحيد التعليم الحر بانشاء لجنة التعليم العليا ، التى كانت تقوم بكل مايتعلق بشؤون التعليم العربي الحر فى سائر أنحاء الوطن .

كما أسس معهد (عبد الحميد بن باديس) الثانوي بقسنطينة ليتابع فيه تلاميذ المدارس الابتدائية دراستهم ، ومنه يمكن أن يلتحقوا بالمعاهد العليا فى الشرق لمواصلة تعلمهم أو يقوموا بالتعليم فى المدارس الحرة التى تشرف عليها جمعية العلماء .

وفى هذه الفترة أيضا تولى مسؤولية جريدة (البصائر) ، فأبرزها كأقوى صحف العالم العربي فى مبدئها وتحريرها ومواقفها الوطنية الرائعة فى القضايا العربية والاسلامية ، ومن يطالع ماكتبه الفقيد فى : القضية الجزائرية والقضية الفلسطينية أو القضية المغربية أو القضية التونسية أو القضية المصرية أو القضية الليبية .و كل قضية اسلامية . يتيقن أن هذا الرجل كان جنديا شجاعا وقائدا حكيما يسعرها نارا على الظلم والظالمين فى كل مكان .

وقد أولى الفقيد معظم اهتمامه بالعمال الجزائريين النازحين الى فرنسا والخطر الذى يتهددهم فى دينهم وأخلاقهم وجنسيتهم بدعم مؤسسات الجمعية هناك ، وانتخب لها أقدر الرجال لتسييرها . ثم سافر بنفسه مرتين الى فرنسا وأشرف على تسيير الحركة ، وأتاحت له الفرصة الاتصال بوفود الدول العربية لدى الأمم المتحدة ، وتوصل الى اتفاق معهم على قبول بعثات علمية من أبنائنا فى جامعاتهم ومعاهدهم العليا، وهكذا تمكنت الجزائر بفضل هذا الرجل من ارسال أفواج تابعوا دراستهم بالشرق ، ومنهم من انتقل الى جامعات أوروبا وأمريكا . وصار منهم اليوم أساتذة ومهندسون ودكاترة يشغلون وظائف عليا فى الدولة الجزائرية الفتية .

وفى ربيع سنة 1952 أوفدته الجمعية الى الشرق للاشراف على البعثات الثقافية وتنظيمها،وليشرح ماتلاقيه العربية والقومية الجزائرية والاسلام من عنت الاستعمار، فاتخذ القاهرة مركزا وجال فى كل أقطار الشرق العربى والاسلامى حيث كان يلقى كل حفاوة وتقدير من حكوماتها وشعوبها .

ولما قامت الثورة المصرية وجد من الرئيس جمال عبد الناصر وحكومته كل تقدير وتأييد وقبلت المعاهد المصرية المئات من طلبتنا .

ولما اندلعت الثورة الجزائرية لم يكن الفقيد كاخوانه بالوطن ، فاخوانه الموجودون بالجزائر كانوا ازاء الثورة كما قال فيهم مؤتمر الصومام (أما العلماء فقد تقدموا بكل شجاعة الى الميدان من أول لحظة) .

وأما الفقيد فقد أخذ من القاهرة ينشر ويذيع البيانات ، يدعو الشعب الى مؤازرة الثورة والالتفاف حولها ، ويدعو الشعب والدول العربية الى مؤازرتها ومدها بالمال والسلاح ، ثم انتدبته الثورة للقيام بمهمات لدى الدول العربية والاسلامية فقام بها أحسن قيام .

وأثناء إقامته بالقاهرة انتخب عضوا فى مجمع البحوث الاسلامية، وبمجمع اللغة العربية الذى يضم صفوة علماء العربية وأدبائها فى العالم أجمع ، بعد أن كان عضوا مراسلا له قبل رحلته الى الشرق العربي . وكان عضوا مراسلا بالمجمع العلمي بدمشق ، والمجمع العلمي ببغداد ،

وليس انتخاب الفقيد لهذه المجامع مجرد مجاملة له أو للجزائر ، بل أن الفقيد جدير بكل ذلك . فانه لما ألقى كلمته الأولى فى المجمع اللغوي بالقاهرة أثار اعجاب وتقدير كل أعضائه من فطاحل العلماء الشرقيين والمستشرقين .

فان مكانة الابراهيمي فى العربية وفقهها ، وتضلعه فى آدابها وفنونها مكانة لا يدانيه فيها أحد فى العصر الحديث .

وعلمه بتفسير القرآن وأسرار التنزيل ، وبالحديث وعلومه ، وبالفقه وأصوله وباللغة العربية وآدابها ، يجعله فى مصاف الأئمة الأعلام .

أما فنه فى الخطابة والكتابة ، فيعد مدرسة قائمة بذاتها ، فريدة من نوعها ، تذكر بمجد العربية فى أزهر عهودها ،

واثر استقلال الجزائر ، عاد اليها بعد غيبة دامت عشر سنوات، فوجدها تنعم بالحرية، وأمّ شعبه فى أول صلاة جمعة بمسجد كشاوة بعد أن عطلت الصلاة فيه 132 سنة وحضر هذه الصلاة الوفد المصري برئاسة جمال عبد الناصر .

لقد كان غائبا عن الجزائر بجسمه لا بروحه وفكره ، فقد كان شديد الحنين والشوق اليها ، لاتغيب عن روحه وفكره دقيقة .

قـــال يخاطبها من القاهرة كما يخاطـــب الابن أمه الرؤوم :

« لاتنسي أنى كنت لك من عهد التمائم ، الى عهد العمائم . ماشغلت عنك إلابك ولا خرجت عنك إلا عائدا اليك .

خطت الأقدار فى صحيفتى أن أفتح عيني وأنت موثقة ، فهل فى غيب الأقدار أن أغمض عيني فيك وأنت مطلقة ، وكتبت الأقدار علي ألا أملك من أرضك شبرا ، فهل تكتب لي أن أحوز فى ثراك قبـــــرا ؟..... » .

نعم لقد خطت الأقدار ، أيها الراحل العزيز ، أن تغمض عينيك فى الجزائر وهي حرة مستقلة مطلقة . ولكن لم تكتب الأقدار أن تحوز فيها قبرا واحدا بل إن لك فى الجزائر قبرا فى كل قلب يخفق بحبها ، ويحن لذكرى شهدائنا .

نـــم أيها الراحل العزيـــز هادئا مطمئنـــا كما قال الله تعالى : (ياأيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتــــى) .

وعزاء أيتها الأمة وصبرا فمهما اشتد البلاء وعظمت المصيبة وفدح الخطب فالصبر الجميل خير دواء .

واذا كانت الأشخاص تفنى وتزول . والمبادئ تخلد ولا تحول . فان فى ذلك خيـــر عـــزاء .

بلغ أيها الراحل العزيز شهداء الجزائر العربية المسلمة من عبد القادر الى عبد الحميد وابن بولعيد أن الجزائر باقية على المبدأ محافظة على العهد . عربية مسلمة الى يوم الديـــــن .

رحمك الله أيها الفقيد العزيز وأسكنك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولائك رفيقا .

والحمد لله رب العالميــــن .

قصيـــــدة التأبيـــن

حـــول قـــبر الابراهيمـــي

لســـت انســـى

اي خطب هــز البــلاد عــويلا ودهاهـــا فمـــا تفيق ذهـــولا ؟
اي رزء اصابنـــا منـــه ماكـــاد يـــدك الجبـــال دكـــا مهولا
اي خسف طوى البلاغة والسوء دد والمجـــد والكفـــاح الطـــويلا ؟
أي هـــول تشيب منـــه النـــواصي يوم شـــاء البشيرعنـــا الـــرحيلا ؟
يوم شاء البشير ان يترك الدنيـــا ويمضى لربـــه مستقيـــلا

حين همت بـــه دعتـــه اليهـــا وبمجـــد مؤثـــل تـــأثيلا
فحنى الشعب من بكـــاه رؤوســـا وتـــداعت لـــه العيون همـــولا
ورأيـــت الرجـــال تكسى حـــدادا وتســـام الصـــدور همـــا وبيلا
وتبـــدّت على الوجـــوه معـــان ملؤهـــا الحـــــزن حسرة وذبـــولا
كلنـــا ثـــاكل يعزى اخـــاه كلنـــا يســـال العـــزاء الجميلا
زمزمـــات وهمهمـــات تـــوالى كـــل نفس تتلـــو الأسى إنجيـــلا
فى مصـــاب الجزائـــر المتفـــادى وبلايـــا تغشى الحمـــى تطفيـــلا

أيهـــذا البشير انـــت بشير ؟ ام نـــذير قتلتنـــا تقتيـــلا
أترانـــا ـ وأنت قائدنـــا الشهـــم قعدنـــا على النهـــوض فتيـــلا ؟
أم خشيت الجحود من فئة قـالت أقـــاويل اولـــت تـــأويلا ؟
أم مللت الحيـــاة ؟ أم مـــل فيهـــا عزمك الرائد الطمـــوح النزولا ؟
أم سئمـــت الجسم المثقـــل بـــالضرر ـ وقـــد كنـــت للجسيم حمـــولا ـ؟
أم أعـــدت لـــك السماء قصـــورا مـــن نضـــار معمـــورة تبجيلا ؟
أم دعاك الاخوان باديس والتبسى وحفلا مـــن الكـــرام حفيـــلا ؟
أنـــا لا اعلم الحقيقـــة لكـــن فى اعتقـادى أن حققـوا لك سولا

لست انسى غـــداة أســـس للعلـــم كيـــان يطـــاول المستحيـــلا
فى اتحـــاد سعيتم ووئـــام ونهضتم تجمعـــون الفلـــولا
بشعـار الاسـلام والعلـم والفصحى ركبتم الى الجهـــاد خيـــولا

تبعثون الرجال بعثا جديدا   وتعدون للنضال رعيلا
فى سبيل التحرير لكن تعمون   (بأنا نحارب التجهيلا)
تنشرون الاصلاح فى كل فج   وتنادون : (قتلوا التدجيلا)
بينما يعلن العدو رضاه   ونواياه قاهرا مستطيلا
اذ نذرتم به وصحتم عليه   صيحة كانت النذير الفعولا
ثم خضتم غمار حرب ضروس   وحلفتم : لتأخذن (الذحولا)
تحشرون الطغيان حشرا الى الحق   صراحا وترهقون العميلا
وتروضون للسياسة نهجا   يجمع الشعب قائلا ومقولا

لست انسى انعقاد مؤتمرات   تتوخى الى النجاح سبيلا
وتلاقى بين الفطاحل فى شتى   المرامى احاطة وشمولا
فالتقارير واللجان وتاليف   وفود (مندوبة) ان تنيلا
بعض حق وان تخفف ظلما   وتجىء الردود (وعدا هزيلا)
لفرنسا ذهبتم خير رسل   لو درى مرسل اليه (الرسولا)
غيران الكفاح لا يعرف اليأس   ولا يصحب الرجاء الملولا
فى سبيل الاوطان قاسيتم المر   فلم تفشلوا وتلقوا الحمولا
بل سننتم للشعب سنة ابطال   أباة للضيم اي كبيلا
لست انسى مساء اعلنت الحرب   وساق الالمان جيشا اكولا
يملأون البلاد فى كل صوب   ويخوضون للدماء سيولا
وفرنسا ترى الجزائر (حصنا)   فاتت تخطب المودة (قيلا)
فرفضتم ان تسلفوها ولاء   باسم شعب كنتم عليه الحميلا ؟
واتخذتم قرار ايقاف صحف   ووقفتم على الحياد عدولا
وصممتم عن العدو يدارى   ويمارى مهولا تهويلا
تتسامون ان تكونوا دعاة   لفريق على فريق - ذيولا
فاذا النفي والسجون سلاح   فى وجوه الاحرار يشهر غولا
فابن باديس مات منكم شهيدا   وتبقى الزمان منكم صئولا ؟
حكمة الله فى الجزائر تجرى   بقضاء معجل تعجيلا
وتسير الايام قافلة تعدو   - وانتم تضايقون الدخيلا

لست انسى وهل صنيعك ينسى ... والليالى تأبى عليه الأفولا
حين جددت لابن باديس ميثاقا ... فظل الوفاء صنوا نبيلا
حين اسست معهدا باسمه الخالد ... تسدى له الثناء الجزيلا
لتسير البعوث منه الى الشرق ... شبابا - على الهدى - مسئولا
يجمعون الآداب من كل روض ... ويزينون - كالطيور - الخميلا
ويعودون حاملين من العلم ... سراجا به نوقى الوحولا

لست أنسى مآثرا لك فى الشرق ... اضيفت الى مآثر اولى
اذ تباهى بك الجزائر عملاق ... بحوث محلّلا تحليلا
فى قضايا الاسلام شع بك الافق ... ومدت لك الايادى الطولى
أينما كنت كان لك الفضل ... سباقا - للمكرمات - مخيلا
أي أبي - والابوة الصدق عهد ... يتقاضى الابناء عبئا ثقيلا
كي يصونوا التراث صونا ويحيوا ... بالمبادى مشاعرا وعقولا
هاهنا فى الجزائر اليوم جيل ... من بينكم يحمى الحمى ماهولا
و(عيون البصائر) - الدهر - اعلام ... فخار مؤصل تأصيلا
يتخايلن كالغوانى رواء ... يستبين الشباب حتى الكهولا
يتجددن للحياة ربيعا ... ينعش الروح بالنسيم بليلا
ويشققن للبلاغة افواها ... ويخرجن للبيان فحولا

لم تمت يابشير لكن فقدنا ... منك ظلا - على الربوع - ظليلا
لم تمت يابشير - والشعب طرا ... لو تأتى الفدا لكان كفيلا
لم تمت والعروبة الام تقفو ... شبه وحي منزل تنزيلا
لم تمت يابشير لكن تلق ... منك اهل الجنان ضيفا نزيلا
لم تمت والثقافة اللّب تبكيك ... بكاء البخيل كنزا أثيلا
فى حنايا الضلوع من كل قلب ... انت حي وهل نرجى البديلا ؟
لا الشباب المجد ينسى وصاياك ... ولا الشعب يرتضى ان تحولا
ان هلك البشير ياقوم هلك ... يتحدى التقدير والتمثيلا
ما عسى أن أقول ؟ أو اتغنى ؟ ... بل عسى الله يوفى الجميلا
فالى عالم السعادة والخلد ... لتلق جزاءك المأمولا

لست انسى بيانك الجزل تمليه ... علينا نماذجا وفصولا
لست انسى هديرك الفحل ... تلقيه خطابا مفصلا تفصيلا
لست أنسى المقال فى الصحف انهار ... مداد نسق بها سلسبيلا
فى الاراجيز لا تطاق وفى الشعر ... وفى العلم لست تلقى العديلا
يوم كانت مدارس الشعب فتحا ... وانتصارا وكنت انت الدليلا
كنت انت الذى تبارك فيها ... لغة الضاد بكرة واصيلا
مستهاما تبنى بناها وتعلى ... وتنشى الاعلام جيلا فجيلا
انت سددت للشباب خطاه ... حين زاغت به الصوى تضليلا
انت اعليت للجزائر شأنا ... حين اغروا باقدسيها الخمولا
كنت سم العداة لا تعرف اللين ... وتمضى فى الحق سيفا صقيلا
فاذا ماأراد قوم بك النصح ... وهبوا يراودون الخليلا
انت كالصقر كالعقاب تبارى ... كل ريح مؤهلا تأهيلا
لكن الناس مايزالون ناسا ... هل تخال الجواد دوما اصيلا؟
يا أخا العرب والجزائر والاسلام ... أوغلت فلتمهل قليلا ...
ريثما يلحق الرفاق ونسرى ... نستحث الخطا نروم الوصولا
قلت : (انى اسابق العمر للنصر ... مجدا أهوى العظيم الجليلا)
ان ايامك المليئة بالجد قصار ... فهل شفيت الغليلا ؟
كلما رام شانئوك مراما ... ليكيدوا ألفوك أمنع غيلا
عشت فى الحبس فى المنافى وفى ... الغربة تشق معذبا مكبولا
لا تبالى الردى ولا ترهب الذعر ... ولا تعرف الشكاة عليلا
وتبوأت للمعارف عرشا ... ظلت فيه متوجا اكليلا
ملحمات حييتها حافلات ... بالمعالى ، فهل قصرت السبيلا ؟

وهكذا هيأت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعض الظروف الملائمة لحرب التحرير ، وأعلنت عن إنهاء دورها كمنظمة تطالب بالاصلاح الديني فى البلاغ السابق عرضه (1)، وانظمت الى الأمة فى ثورتها المجيدة .

وسوف نوضح دور العلماء مفصلا فى الجزء الثانى من مذكراتنا الخاصة بجبهة التحرير ، وحرب التحرير الجزائرية إن شاء الله.

(1) انظر صفحة 348 من هذه المذكرات .

في تأبين الشاعر محمد العيد

انا لله وانـــا اليـــه راجعـــون

أخي ورفيقي العزيز : محمد العيد ، اننا نودعك اليوم الوداع الأخير ، بقلوب خاشعة وعيون دامعة ، نودع فيك علما من أعلام نهضة الأمة الجزائرية ، وابنا من أبنائها البررة ، وجنديا من جنود قضيتنا المقدسة الذين آثروا العطاء على الكسب والتعب على الراحة ، وآثروا المجتمع على النفس ، فكنت من الذين قال الله تعالى فى شأنهم « رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا ».

أخي ورفيقي محمد العيد : لقد عرفتك فى حلقات الدرس أيام الشباب بتونس فتى عربيا مسلما ، محبا للعلم متفانيا فى تحصيله ، وزميلا أمينا عفيف الجنان واللسان مستقيم السلوك ، عبقري الملامح ، شريف الآمال والمطامح تتأجج فى نفسك الغيرة على الدين والعربية والجزائر ، وبعد العودة الى أرض الوطن ، كنت واياك بهذه المدينة - بسكرة - التى تحتضن اليوم جثمانك الطاهر - ضمن عصبة يعد أفرادها من طلائع الاصلاح الديني والاجتماعي فى الجزائر ، أذكر منهم المغفور لهم : الشيخ الطيب العقبي ، والأمين العمودي ، والسعيد الزاهري .. جمعنا هدف واحد النهوض بالمجتمع الجزائري فى جميع الميادين ، بواسطة الصحافة ، والوعظ والارشاد ، والتربية والتعليم ، ولما برزت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فى ميدان الكفاح ، كانت هذه العصبة من جنودها العاملين لتحقيق ما يصبو اليه الشعب الجزائري ، العربي المسلم ، من حرية وكرامة واستقلال ، فى اطار المبادئ الاسلامية القائمة على العدل والاحسان والأخوة والتكافل الاجتماعي والتضحية والايثار ، وكان الاصلاح الديني وسيلة جمعية العلماء لتحقيق هذه المطالب الكبرى باعتباره يوقظ العقول ، ويطلق الألسنة ويحي الضمائر ، ويثير فى النفوس الاعتزاز بمقومات الشخصية الجزائرية الأصيلة ، ويشحذ العزائم ويعبئ الجهود ، ويوحد الصفوف نحو الغاية المنشودة التى هي حرية الجزائر واستقلالها وازدهارها . وكنت - أخى محمد العيد - لسان جمعية العلماء فى دعوتها الاصلاحية هذه ، تبشر بمبادئها وتنافح عنها مكائد

الكائدين لها ، كما كان حسان ابن ثابت لسان الدعوة الاسلامية الأولى على صاحبها محمد أفضل الصلوات وأزكى التسليم .

فقد واكبت حركة جمعية العلماء بصدق وثبات وناصرت رئيسها الأول الأستاذ الامام عبد الحميد بن باديس فى جهاده ومواقفه الحاسمة ، وخلدت أعماله الجليلة وفى طليعتها ختمه تفسير القرآن الكريم تدريسا ، ووقفت الى جانب خليفته الأستاذ الشيخ البشير الابراهيمي الرئيس الثانى لجمعية العلماء ، وظللت تسجل نضاله من أجل الجزائر - داخل الوطن وخارجه - حتى ودّعته الوداع الأخير بقصيدة تاريخية كانت عنوانا صادقا لقيمتك الخلقية والأدبية ، التى وصفها الشيخ البشير نفسه فى مقدمة ديوانك بقوله « من يعرف محمد العيد ، ويعرف ايمانه وتقواه وتدينه وتخلقه بالفضائل الاسلامية ، يعرف أن روح الصدق المتفشية فى شعره انما هي من آثار صدق الايمان وصحة التخلق ، ويعلم أنه من هذه الناحية بدع فى الشعراء . رافق شعره النهضة الجزائرية فى جميع مراحلها وله فى كل ناحية من نواحيها ، وفى كل طور من أطوارها ، وفى كل أثر من آثارها القصائد الغر والمقاطع الخالدة ، فشعره سجل صادق لهذه النهضة وعرض رائع لأطوارها » .

وعند بزوغ فجر الثورة التحريرية ، ثورة نوفمبر 1954 - التى ساهمت فى اندلاعها بشعرك - وجهادك التعليمي والتربوي معلما ومديرا ، كنت مع الشعب فى كفاحه ومحنته ، واقتحمت قضبان السجن بشجاعة وايمان مصداقا لقولك :

فيا شعب لا يحزنك أنك تبتلى	وأنك تقصى عن علاك وتقصر
فنحن الأساطين التى بك تعتلى	ونحن الأساطيل التى بك تمخر
ونحن الرجال الثابتون عقيدة	على المبدأ الأسمى الى حين نقبر
وكن مستميتا فى جهادك ثابتا	وان كنت بالجلى الرصيدة تنذر
وان تكن الجلى عليك كبيرة	فحسبك فيها الله ، والله أكبر

وبقيت ملتحما بالثورة الجزائرية تخلد انتصاراتها الرائعة ، وبطولات شهدائها ، ودعوت الى الاقتداء بهم والوفاء بعهودهم ، أخى الراحل محمد العيد : هذا بعض من جهادك للجزائر فى الجزائر ، أما فى الخارج فقد اخترق صوتك المدوي الآفاق ،فى

المشرق وفى المغرب ، ورفعت لبلدك لواءا عاليا فى عالم الشعر والأدب ، لايقل شأنا عما عرفت به الجزائر المجاهدة فى ميدان البطولة والحرب ، وبوأت الجزائر مكانتها اللائقة بها بين شقيقاتها العربيات ، بالرغم من محاولات الاستعمار الرامية الى فصلها عن أصلها العربي الاسلامي ليسهل عليه إلحاقها بترابه ، وتسخيرها لمصالحه مما جعل أمير البيان ، مجاهد العروبة والاسلام : شكيب أرسلان ، يشيد بمالك من مكانة شعرية سامقة بين الشعراء فيقول : « كان يظن أن القطر الجزائري تأخر عن اخوته سائر الأقطار العربية فى ميدان الأدب ، ولا سيما فى الشعر ، ولعله بعد الآن سيعوض الفرق ، بل سيسبق غيره بمحمد العيد » رحمك الله أيها الشاعر الثائر ، والتقي العابد الذى سلم الناس من لسانه ويده ، والمعلم المربي ، وجازاك أحسن الجزاء على ماقدمت فى سبيل دينك ، ووطنك ولغتك ، من أعمال ستبقى بعدك صفحات مشرقة خالدة فى تاريخها الوطني الحديث .

هذا ونسأل الله تعالى أن يجعل مقامك عنده فى عليين ، مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . وأن يرزق أهلك وأصحابك ، والشعب الجزائري كله صبرا جميلا فى فقدك ، ويلهم شبابنا الصاعد عموما ، والأدباء منهم خصوصا أن ينهجوا نهجك فى خدمة شعبهم ، والسير به نحو التقدم والازدهار ، على المبادئ التى رسمتها لهم بقولك :

وجّهوا وجه شعبكم للمعالي ... فهي أهدافه ، ونحن السهام
واجعلوا الدين رائدا واماما ... ليس كالدين رائد و امام
كل مايشرع ابن آدم يفنى ... ولما يشرع الاله الدوام
سوف تهوى مبادئ الكفر صرعى ... فانيات ، ويخلد الاسلام

والسلام عليك ورحمة الله .

محمد خير الدين
نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

« انتهى الجزء الأول ويليه الجزء الثاني إن شاء الله تعالى »

ملــحــق

أبو عنـــان ولـــي عهـــد السلطـــان أبي الحســـن

انتهز الفرصة أبو عنان فعزل أباه ونصّب نفسه ملكا ، على المغرب الأقصى ، وفى عام 758 هـ جهّز جيشا بريا عظيما وأسطولا بحريا ودخل لفتح (1) الجزائر عن طريق تلمسان وبجاية وقسنطينة ، وأشيرهنا أن ليس من غرضي كتابة تاريخ مسيرة هذه الجيوش وما حقّقته من انتصارات أو هزائم ذلك أني بصدد كتابة مذكرات خاصة بمسيرة قومي العرب والأحداث التى وقعت بينهم وبين الملوك والرؤساء فى الساحة الإفريقية منذ دخول الهلاليين عام 440 هـ تحت قيادة أمير بني هلال مؤنس بن يحي صاحب المعزّ بن باديس وصهره .

وسأكتفي بتلخيص بعض الأحداث فى كتاب « فيض العباب فى الحركة السعيدة الى قسنطينة والزاب »، بقلم كاتب السلطان أبي عنان المريني الشيخ ابن الحاج النميرى المرافق له فى هذه الرحلة .

قـدوم الوفـود من عـرب ريـاح ووفادتهـم

ولما حل السلطان أبو عنان منازل مدينة المدية ، وصل اليها يعقوب بن علي بن أحمد بن عمر بن محمد بن مسعود بن سلطان شيخ رياح المخصوص بالوجاهة والاعتناء ، المقدم على الخاصة من عشائره والدّهمـــاء .

وقدم معه وجوه القبائل ، وزعماء الفصائل ، وأشراف العرب وسادتهم ، وأمراء اولاد هلال ابن عامر وقادتهم ، ومعهم حواشيهم وغواشيهم ، وطوائف من لفيف الأعراب المنتمين الى بواديهم المتحالفين على دفاع أعاديهم المتعاقدين على اقامة عزهم ، وعمارة نواديهم فتقدموا الى مقامه الكريم بوسائل التحية والتعظيم والتشيع المحمود الانتجاع .

وكان يعقوب بن علي المذكور ممن كانت له السوابق الحسنى مع ملوك المرينيين ، وممن عرفت أولويته التي لم تزل أخبارها تنمى ، وأناف على نظائره

فى المناصة لهذه الدولة العظمى ، ففاز من الحظوة بالقدح المعّلى .
ولم يزل مشكورا السّعي ، مرضي التصرفات محمود الرأي ، الى أن ظهرت منه في هذه الوفادة أحوال دلّت على نزارة عقلـــــه .

ومن ذلك أنه أعطاه مولانا أمير المؤمنين كسوة فاخرة من الكسوات التي باشرت جسمه الطاهر ولابست شرفه الباهر ، وجال فى جنباتها الند والعنبر وسائر الطيوب .

فاقتضى نظرا ذلك العربي الجلف أن أعطاها لابن أخيه محبوب بن دينار ، ولم يقدّر حق ذلك التشريف الذي يبقى كل فخار ، فكان ذلك أول مانقم عليه ، ومفتح الأراء الفائلة المنسوبة اليه (2)

قـــال النـمـيـري :

فكر ابو عنان فى حيلة دبرها تدبيرا وشرع فى تطبيقها رغم خطورتها وما ينشأ عنها من أحقاد وضغائن وردود فعل نفسية عساه فى الأخير أن يجد حلانا جعا لضمان انضباط العرب وطاعتهم فطالبهم باحضار رهائنهم من أبنائهم لتوضع تحت السلطة الملكية كضمان لاخلاصهم .

كان رد فعل أمير العرب يعقوب بن علي أن جمع أمراء قبائل العرب من رياح وهم أولاد محمد بن مسعود بن سلطان وأولاد يحي بن دريد بن مسعود بن سلطان وأولاد عساكر بن سلطان وكل من تفرع من جذم رياح من أولاد سواق وأولاد سباع وأولاد توبة من قبائل الاثبج ، وبني وشاح وكل من أتصل بهم من العرب وأمر الجميع باخلاء منازلهم ونقل عائلاتهم وأسلحتهم ثم يتفرقوا فى الصحراء طولا وعرضا وشمالا وجنوبا لكن ليجتمعوا من جديد ويوحدوا صفوفهم ضد القوات الغازية .

---

2) ونحن نرى معاملة أبي عنان لأمير عربي كمعاملة أحد خدمه ونعدها هفوة بسيطة بالنسبة الى ماسيمر بك من هفواته ونتائجها فى هذه الرحلة .

1) وعبارة الفتح يكرّرها عند دخول كل بلد .

مسيـــرة أبـــي عنـــان من قسنطينـــة إلى الـــزاب (1)

قال النّميري (وفى يوم عاشر شعبان عام 758 هـ وصل الركب السلطاني الى تيجانين بسفوح جبال الأوراس وكان هذا اليوم لم يملك الغيث فيه دمعة ولا ترك لقوس البرق الرامي بها المحبة نزعة .

فلما حلّ الصباح بنسيمه الرطب ركب السلطان أبو عنان الى القصر الذي بناه عثمان بن علي بن أحمد أخ يعقوب بن علي الرياحي فرأى قصرا بديعا ظهرت عجائبه ، وآثاره كما تذكر أحاديثه وأخباره .

وكان قصرا منفسح الساحة منخرق المساحة ، قد ارتفعت حيطانه من جهاته الأربع بالحجر المنجور المعروف بالعيسوى ، فى قديم الدهور ، من حجر كالضّرب راس ، يذكر حلم احنف ويروى صنعته بذكاء إياس ، دافع فى صدور المقاتلة ولا غرو فهو ذو قلب قاس ، عارف بمرأى ومراس ، لاترميه المجانيق الا كاد يعد وعليها شرره ، ويضحك من يفتت حجارتها تأثيره وأثره .

وكان بكل ركن من أركان هذا القصر برج لا يصلح أن يكون به أوج الا للنسر وارتفع على بابه برج خامس ظاهر المسح ، أبيض منير كعمود الصبح ، قد لصقت به خراجة مشرقة على الباب ، معدة لدمغ من رام ولوجه بالغلاب .

وكانت بداخل القصر ديار محكمة البناء ، متناسقة السكك ومتسعة الأذراء أجلها دار عثمان بن أحمد وكانت بديعة الاختطاط معجبة الا ستنباط ، قد قامت من جهاتها الأربع على السواري السامية من الرخام ، مما اخترعته ملوك الروم قبل الاسلام وخلفته بلميس وغيرها عبرة لاولى النّهى والأحلام .

وحفت بهذا القصر جنات تعرف وجوهها نضرة النعيم وحدائق تسهّل الفات غصونها السنة النسيم ، من كل ناضرة تبدي محاسنها الفائقة ، وتنسى حمائم

---

(1) خليلي أين الزاب مني وجعفر وجنات عدن بنت عنها وكوثر

(ابن هانـــي الاندلســـي

شجراتها الزائقة غناء رائقا ، وخصلة تتخذ ذر السحاب من ذر السحاب ، وتلهى ورقها غب الرباب غناء الرباب تسبى بالأنفاس العطرية وتنعم بالعين وتمكن من طبقتها الغنية .

وكان عثمان بن علي أخ يعقوب بن علي قد اختص من تلك الجنات بأوسعها جنابا وأكرمها انتسابا وأبدعها شبابا ، وأحسنها غب الغيث قلائد او ملابسا ولم يزل به جديد الانس ناعم البال ، جانيا قبل ثمرات الحدائق ثمرات الأمال ، وتظاهرا بالرباط ، نازعا فيما يزعم من الهياط والمياط .

واتصل حاله على الدعة والأمان وجرّ أذيال النعيم بتلك الأوطان حتى جاهر أخوه يعقوب بن علي بالخلاف ، وأشرف على مساعي غير الأشراف فأمر مولانا بهدمه وصدر عهده الكريم باذهاب رسمه واستمر العمل على ذلك جل زمان ذلك اليوم حتى لصقت أعاليه بالأرض ، وحكمت حروف القوس على مرفوعه بالخفض ثم عمد الجموع المعروفون بأبادين الى الجنّات فعموا شجرها قطعا وأعد موها أصلا وفرعا وقرعوا كيد أرضها قرعا ، وأبقوا بترائب ترابها لذعاء ، وخرت حيطانها الى الأذقان ، وانسلت أرضها من ربقة الغصب والعدوان .

قصـــر بايـنـــة (تازولـت)

ثم انتهى الركاب الى قصر باينة فنزلت المحلات المنصورة بأرجائه وحطت ركائب الفناء بفنائه وأوردت سؤال النقض لكن على بنائه ، وهذا القصر بناه سعيد بن أحمد الرياحي ابن عم يعقوب علي حرصا على الادّخـــار .

وكان سعيد هذا ممن تظاهر بالرباط فكان لمن ظفر به ، فأمر مولانا أن يلحق قصره بقصر بن عمه جدنا أبي دينار سليمان بن علي ويتناول بالهدم المسيء لأهل ثمه ورمـــه .

ولما قضى فى مشاهدة تلك الرسوم البلاقع غرضة ، وشكر الله تعالى على نعمه العميمة شكرا أدى مفترضة ، عطف على القصور التى اعتادها المعتدون والقلاع التي شيدها بلمبيس العرب وبنوها ضرارا وبلأوطان التي فى اقتحامها يجهدون ، ولسرعان ماصدر الأمر الكريم باضرام تلك القصور والقلاع نارا واستئصالها

شجراتها الزائقة غناء رائقا ، وخصلة تتخذ ذر السحاب من ذر السحاب ، وتلهى ورقها غب الرباب غناء الرباب تسبى بالأنفاس العطرية وتنعم بالعين وتمكن من طبقتها الغنية .

وكان عثمان بن علي أخ يعقوب بن علي قد اختص من تلك الجنات بأوسعها جنابا وأكرمها انتسابا وأبدعها شبابا ، وأحسنها غب الغيث قلائد او ملابسا ولم يزل به جديد الانس ناعم البال ، جانيا قبل ثمرات الحدائق ثمرات الآمال ، وتظاهرا بالرباط ، نازعا فيما يزعم من الهياط والمياط .

واتصل حاله على الدعة والأمان وجرّ أذيال النعيم بتلك الأوطان حتى جاهر أخوه يعقوب بن علي بالخلاف ، وأشرف على مساعي غير الأشراف فأمر مولانا بهدمه وصدر عهده الكريم باذهاب رسمه واستمر العمل على ذلك جل زمان ذلك اليوم حتى لصقت أعاليه بالأرض ، وحكمت حروف القوس على مرفوعه بالخفض ثم عمد الجموع المعروفون بأبادين الى الجنّات فعموا شجرها قطعا وأعد موها أصلا وفرعا وقرعوا كيد أرضها قرعا ، وأبقوا بترائب ترابها لذعاء ، وخرت حيطانها الى الأذقان ، وانسلت أرضها من ربقة الغصب والعدوان .

قصــــر بايـــنــــة (تازولــت)

ثم انتهى الركاب الى قصر باينة فنزلت المحلات المنصورة بأرجائه وحطت ركائب الفناء بفنائه وأوردت سؤال النقض لكن على بنائه ، وهذا القصر بناه سعيد بن أحمد الرياحي ابن عم يعقوب علي حرصا على الادّخـــار .

وكان سعيد هذا ممن تظاهر بالرباط فكان لمن ظفر به ، فأمر مولانا أن يلحق قصره بقصر بن عمه جدنا أبي دينار سليمان بن علي ويتناول بالهدم المسيء لأهل ثمه ورمــــه .

ولما قضى فى مشاهدة تلك الرسوم البلاقع غرضة ، وشكر الله تعالى على نعمه العميمة شكرا أدى مفترضة ، عطف على القصور التى اعتادها المعتدون والقلاع التي شيدها بلمبيس العرب وبنوها ضرارا وبلأوطان التي فى اقتحامها يجهدون ، ولسرعان ماصدر الأمر الكريم باضرام تلك القصور والقلاع نارا واستئصالها

بالانتساف جهارا وجمع الأيدي على هدمها انهاضا للدين والنتصارا وماسار الركاب العلي عن تلك الأقطار حتى تبوأ كل قصر مقعده من النار . وتتركهم وقد سالت بهم أودية الأسل وغشيهم من المنايا موج كالظلل وأمر بتعفية مابقى من رسوم القصور اللمبيسية والقلاع التي عطفت عليها وجوه الخيول الجيهية فتحكمت الفؤوس فى أساسها ومحيت محو الخطوط من أطراسها وجدّ فى استئصالها اليوم والأمس .

الوصـــول الى القنطـــرة :

اختطّ يعقوب بن علي قصرا بأزاء النهر الذي ارتفعت سواقيه محبسا كل روض لاحت أقمارها وغنت قماريه فلا ترى ببسائطه الا نخيلا دانية ثمراته وزرعا يعجب نباته ومراعي لاهمود لأزهارها المرتضعة ثدي الديمة ولا عيب فى نسيمها الا أنه يمشي بين الرياض بالنميمـــة .

وكان يعقوب بن علي قد قصر على هذا القصر هواه وأسكن به صهره عليا الحكيم وكرم به مثواه ، وأمره بتشييده على ربة حجايه ، وأقر جنب آماله على جنابه وجعله مستودع ذخائره وأحله من الغبطة محل السر من خواطـــره .

فلما نزع يده من طاعة الخليفة وحظر عليه الوصول الى الحضرة العالية المنيفة ظـــنّ أن ذلك القصر ينجيه من جيوش بني مرين وانهم لن تصل أسدهم منه الى عرين ، فترك به ماعزّ عليه واستنام الى كفاية صهره المذكور واستند اليـــه .

فلما قارب مولانا القصر بالمنازل وطمت عساكره على الأطم والمعاقل علم على بن الحكيم مالم يكن يعلم أيقن بالتي هي أدهى وأعظم ، فوادع مسكنه وداع الأبد وفارق القصر مفارقة الروح للجسد ، ولحق بالعرب المصحرين وكان لروعه من المظهرين ولبقاء روعه من المشركيـــن .

فأمر مولانا بهدم القصر المشيد والحصن الذي ألقى اليه بالاقليد فقطعت أواصر أسواره وتردّد الاستئصال لواده واستوسع الفتك بأغواره وانجاده ، وتحكم القطع بنخيله وأحيط بثمره .

الا أنه بقيت بأرجائه نخيلات ضاق وقت النهار عن قطعها وولت الجيوش قبل أن تصدع الآراء بصدعها ، وبتنا بمنزل القنطرة فى سرور جلب بالساعد الأسد ، فلما سلّ الصبح سيفه من غمد الدياجي وفضح سر البقعة المعطار نسيمها المناجي، أمر مولانا بالرحيل وأوعز بأعمال الوخذ والذميل ، ووجه وزيره الشهير الغناء الشيخ أبا علي الحسنى بن عمز الفود ودي فى خلق كبير استنهضوا لقطع مابقي بقصر القنطرة من ذوات الضلال والانحاء على بواسقها بالاستئصال ، وتعفية كل قائم له فى الروض استصلاح ، ولما شوهد طفل ذلك اليوم حتى عدم الشجر والنجم ، ومحي الأثر واذهب الرسم ، وقيل هنا كان القصر وسوداه ، وعدد الشقي واعداده .

الـــوصـــــول الى الـــوطـايـــــة

وركب مولانا الى الوطاية الشهيرة المزارع ، المتناسبة المذانب المفعمة المشارع ، واعتام بخيله ورجله الحصن المعروف بالجديد الذي اشتمل بالخصب وراقت جوانبه بالحدائق الغلب .

وهذا الحصن كان قرة عين ليعقوب بن علي ، وأعظم ذخر لوال له وولي ، ومنه كانت أقواته المرغدة ومراقده المسعفة المسعدة ، ومرافقه المنتخبة المنجدة وبجراية مياهه عظمت جرايته ، وبرعي حميمه كرمت رعايته وبأقواته أطاعت العرب الجهلاء وبحسنات سوداه ، كانت له على قومه اليد البيضاء .

أمر مولانا بهدمه واعدامه ، وأوعز بنسخ أحكام إحكامه ومحو سرور أسواره وتقطير المواثل من أقطاره ، والصق الخسف بدياره وأثمار الاستقصاء لاثاره .

فتقسمت الجيوش مسافاته الراكبة صهوات الأرض وترزعت جنباته التي حكم على نية بقائها بالرفض فاندفعت الهدمة لنقضه وفضت بعضه على بعضه وغصبت البث بمحاسنه المبثوثة وصيّرت أبراجه قطميرا للسنبلة لكن المحروثة .

وأعدمت حفائرها المعمقة ظهورا ، وردمتها بسائر الأسوار فكأنما كانت لها قبورا ، وأحاطت النيران بخشب السقف فضمتها ضمّا وأكلتها أكلا لما ورمت بدخانها فألبست جوّها حدادا .

ولما اشتغل الجيش بالهدم واعتمدت المياه بالردع والحفائر بالردم أمر الخليفة بأن يضرب له خباء بأحد البساتين .

ولم ينشب وأمر أن تقطع النخيل التي قامت على رؤوس الرياض فكأنها ملوك ، وتحلت بانداء السحائب فكأنها أجياد وتلك الأنداء ملوك ، فكشفت عن سوقها لوافد النسيم وزانت الجديد حتى يعرجونها القديم .

الى غيرها من الشجرات التي اتسقت بكل منبت ممطور فلم يكن بأسرع من خرور النخيل بكل مكان ، وتراميها عن شمائل وايمان ، واعترضت الطرق التي غشيتها الهزاهز فظلت على حيطانها محمولة كأنها الجنائز .

ولما سوي النخيل من الشجرات فلم تقنع السيوف بأحفاء شوارب غصونها ، ورمي أفنانها التى اغتدت وهي المفروضة بمسنونها ، حتى اسلمت أصولها لكل ذي هراوة ماضي الشباة وقامت دونها رجال زاحفة زحف الدّبى ماحقة اثارها محق الرّبا .

الحصن المسمى (فلق)

وهذا الحصن كان من حصون العرب التى نحى اليهم ضرابها وقصورهم الشامخة التى تحمي بالطعان والضراب جوانبها وكان عالي البناء ذاهبا كل مذهب من الأباء متناسق الأسوار مستوسع بمجاثم الجدار .

وقد عمقت حفائره قدر مارفعت أبراجه وضيقت موالجه قدر ماوسعت فجاجه واستوى أحسن مااستوى معقل أثب ، ومعتصر على أهل عصر ، حدب واحتوى على دور حسنت بها المواقف والمرافق ، ولزمت أياديها الاصباع فلم تخرج أيمنها المرافق .

فلما ركب مولانا لاستئصال القصر الجديد مستظهرا بالعزم العتيد وجّه بطائفة من أهل محلاته وأوعز بهدم (فلق) وازاحة علاته ، فلما أمسى مساء ذلك اليوم الا وقد عفى الانساف أساريره وطوى طواميره ومحا محاديره واصار حضيضا مراقيه وفرى فرائضه وكومى كواثبه وغير منه ربعا قرى قرائبه وحبا حبائبه .

وبقي ملاعب للضبع الضابحة والسّراحين السارحة والرياح المتناوحة ، ولم يبق من معانيه الا رسوم كخط زبور فى مصاحف وباقي الوشم فى ظواهرا يد عواطف.

ابن خلدون فى بلد فرفار :

عام 780 هـ قال وكان الخفوف لرحلته فضعنت مع عرب الأخضر من بادية رياح كانوا هناك لينتجعوا الميرة من منداس (تيهرت) ارتحلنا فى رجب عام 780 هـ وسلكنا الفجر الى الدوسن من أطراف الزاب ثم صعدت الى التل مع حاشية يعقوب بن علي وجدتهم بفرفار (1) الضيعة التي اخططها بالزاب وحملتهم معي الى أن نزلنا عليه بعاصمة قسنطينة ومعه صاحبها الأمير ابراهيم بن السلطان ابى العباس فبعث يعقوب بن علي ابن أخي ابن دينار سليمان بن علي فى جماعة من قومه الذواودة الى السلطان ابى العباس بتونس «كتاب التعريف ابن خلدون ورحلته شرقا وغربا صفحة 230 هـ».

حصن فرفار :

فلما نصل خصاب الظلام وابتسم ثغر الصبح أمر بتخريب حصن فرفار وانتسافه والا ستيلاء بالقطع والحرق على أوساطه وأطرافه ، ونادى بمن فى المحلات المنصورة من فارس وراجل وعال وسافل ، وحاف وناعل ، وأمر بحمل الفؤوس والمساحي ، والمعاول والعتلات والمداحي ومقامع الحديد التى تقيم نوائح النواحي .

وركب مولانا الخليفة اليه ولو كان ماقدم محتشدا عليه ، فلم ننشب أن أخذنا بأفواه مسالكه ، وتوغلنا فى بسائط قد امتدت واترعت بالنعم التى لاتحصى اذا عدت وتولجنا ملء تلك الأرض العريضة بساتين قد تمنطقت بالأنهار والمذانب ، ونسقت النخل العادية بترابها نسق العقود على الترائب .

قال فى القاموس المحيط : فرفار اسم عشب اذا أكله الجمل اجتره ـ وفرفار اسم بلدة فى جنوب العراق كثيرة العيون والأنهار .

بواسق فاض على اعطافها التزيين ، واشبهت الالفات لكن لظلها المد ولثراها اللين ، وقصرت على طموحها أنواع الأشجار التى أعربت عن فضلها ، وحملت أغصانها المضاجعة لرباها فكان على يد القابلة لكن للنمو وضع حملها .

نواطر شنفت آذان ورقها بدرر الندى أحسن التشنيف ، ورأت فى كل بقعة عين الخليل فادخلت نسيمها المعتل فى اللفيف ، ذات ترتيب أبدت به انتخاء وزهوا ، وظنت أن الغيث لو عرف فضل صفوفها لاتاها ولوحبوا .

وافضى بنا التوغل فى تلك البساتين الى الحصن الذى اكتنفه الاستعصاب واعمقت حفائره فلم شبع بطونها الا التراب ، ونظرنا الى ابراجه التى شمخت بأنوفها واسراره التى لم ترض غير دم الاعراب ، خضابا لكفوفها وجال الناس خلفها فى دور قائمة البناء ، حافظة لودائع النعماء قد وسعت ساحاتها ماشاءت ، وأتت فى اختطاطها على حسب المرغوب وجاءت .

وهذا الحصن كان ليعقوب بن علي وجماهير أولا محمد الذخر الأعظم والمجأ الأكرم والعتاد الأفخر لأفخم ، والمعقل الذى لاعقل لجنايته والمعتصر الذى لا معتصر لإبايته ، معدن أحسابهم وفذ لكة حسابهم ونكتة استعدادهم ، ومطية استرفادهم ، ومجمع منتفعاتهم ، ومأمن مسترضعاتهم ، وملاذهم اذا امحلت البلاد ، وركنهم التشديد اذا اقشعرت التلاد ، وأوعزت احلامهم الجلاد ، وافتقروا الى الازواد ، ومقرهم اذا اخلفت النجوم وضنت بحل عقود عزاليها الغيوم .

ومأوامهم اذا نابت النوائب ، وصوح النبت وترنقت المشارب ، ومثواهم اذا جف الثرى وبرى نجمه وشجره البرى وخالج الجدب قراءة القرى .

ومسكنهم اذا سكنت الرياح اللوافح ، وغرست بقيامهم النجدات الفوادح وضعفت عن مشيها السوابح والبوارح ، ودارهم المسلية اذا كلب الزمان ، واخلبت الاعطان ورحل القطان ، ووعدهم الفقر الشيطان ، وعمهم اليأس الذى امتلات دلاؤه واسعدت الاشطـــان .

ولم يزالوا يعرفون مكانه من اعزازهم ، ويقدرون قدره التفاتا ليوم اعوازهم حتى

انتحت له الدواهم الدواهى ، وأناخت عليه النوائب النواهى فاضحى وهو الواهن ، ساجدا على اراب حيطانه ولا غرو فهو الساهــى .

ولم يكن الا ان امر مولانا الخليفة باذهاب مينه ، وازالة زينة واشهاد انطفائه على عينه ، واتصل العمل فى ذلك هدما وحرقا واجتمعت عليه الايدى محوا ومحقا حتى عرفت ابنيته الخط بالغبار بعد التجميل وسقفه الكسر وكسر الكسر لكن بالتنقيل ، وعفرت بأخاديد خدود الصخور ولم تطمع بطون حفائره فى الظهور .

وأمر مولانا الخليفة ان يستأصل بالقطع جميع ماحوته بسائط فرفار من النخيل النضيد طلعها ، وسائر الاشجار التى حسن اصلها وفرعها وأن يمات منها كل بستان اتاه بالانسان باعث حينه ، ولطا لما اقام مقتضبا لدينه ، لا يدرئ اين ملابس زينه ، وطفق يبصر عيون السحاب ولا يبصر الخدع فى عينيه ، فانتهضت الجيوش كلها بمن تبعها من الخدمة على اختلافهم ، وتباين اصنافهم ومن انضاف اليهم .

مستقدمين بدعم العمل المواصل الاستبباب ، مبتديرين للامتثال الظاهر النفع منتدبين بالاتهم التى عرف حكمها لكن بالقطع .

وقطعت الوف النخيل ، وصودم وصلها مصارمة حبل النخيل ، والحقت بها اصناف الشجر ، مفضوضة بها افواه الثمر ، وتراكم البعض على البعض حتى انقطعت الطرق والمسالك ، وعميت السبل وخفيت المبارك .

وامر مولانا الخليفة فضرب له خباء فى بعض تلك الخوانق ، وجعل ينفذ أوامره منه الى المغارب والمشارق ، ويشرف على عمل جيوشه ورعاياه ، وينيلهم من عدوهم الذى مني بالشكل قبل مناياه ، وأحيانا يركب حتى يرى ماانتهى اليه العمل فيما بعد من مجلسه الكريم ، وينظر الى تلك الجنات التى اصبحت كالصريم .

واتصل التجديد لذلكم العمل مدة ستة أيام حتى لم يبق بمساكن أهل الظلال ماله ظل ، ولا طلل مطل ، ولا مقيل مقل ، ولا مسرح لناظر يناظر ولا مبد لخاطر مسلي خاطر ، ولا عرجون يسند عن جبر ، ويروى حديث الفضل عن يسر ، ولا

زرع يرقص فى الروض باكمامه ، ولا زهر يروى عن السائب لكن من غمامه .

واصبحت فرفار أوحش من الرمس ، وأكره من الجسم بعد فراق النفس كأن لم تغن بالامس ، ولا طلعت زهر أزهارها على رغم انف الشمس ولا وقف النسيم على غصونها فقدّ قميصه من قبل ، ولا ضربت خيام الغيوم من ظلالها فى افسح سبل ، ولا امست الطير من شق ستائر أوراقها فى شغل ولا حفت مجرة نهرها بكواكب السعد ، ولا راع حصاه حالية الغوانى فلمست جانب العقد .

ولعمرى ماكان استئصالها الا بالكثير من الشهور وكيف بالايام ، وماكان الاستبلاغ فى انتسافها ليأتى الا بمضي السنين والاعوام .

طولقة :

نفى الأيام التى قعد فيها مولانا الخليفة لمحو اثار فرفار واطفاء نور نورها الذى ازهر ، انحازت طوائف من جيشه لا ستئصلل قصبة طولقة الرفيعة الجناب ، واتصل عملهم فى ادامة اعوالها بالمعاول ، وتغيير مساحاتها بالمساحى العوامل والفؤوس التى الحقت الاعالب بالاسافل .

ووقع نظره الكريم فيما ذكر به على ارماق العرب ويجعله عنوانا لصحيفة الغلب فلم ير أوفى بالقصد من اعدام الطعام بكل موضع يهيأ لهم انتهابه ، أو اشتراؤه كما يرتضيه اربابه .

وتفقد احوال بلاد الزاب فاذا مخازنتها مملوءة بالاطعمة ، مترعة بالحبوب المستكرمة والزروع المحسبة اعواما ، الكافية معنا ، ومقاما ، المرغدة عيش أهلها الذين أضحت لهم السعادة لزاما الىّ ما اذخروه من التمر المختلف الانواع وسائر الدائمة الاتباع .

فأمر برفع الحراثة عن مزارع صحاريها والاقتصار على ما يبذر بغاباتها الممنوعة عن اعاديها ، وفرضت الوعيد على من خالف الامر ، ووضع البذر بالمواضع التى

عرفت الخطر ، حيث يتأتى للعربان ان يعملوا الغدر ، ويوفوا فى شن الغارة النذر ويملا الجائع منهم البطن ويشفى الصدر .

واوعز لشيخ الدوسن أن يثقف جميع ما بتلك البلدان من خزين العربان وتقدم اليه بالوعيد على اضاعة الحزم فى ذلك الشأن .

وكذلك صدرت المراسم لاهل بلاد الزاب ، بتثقيف مايكون بكل بلد منها على املاك الاعراب ، واعتصارها مدى الاحقاب ، ورفع غلاتها فى جملة المجابى السلطانية ، واضافة رسومها الى المختص المنوط بالدولة العنانية .

الرحلـة من فرفـار الى نقـاوس فى 28 رمضان 758 هـ :

كانت نقاوس هذه على اتساع سوداها وعظيم ارفادها وماخصت به من كرم التربة وتمنطقها بالأنهار وتوشحها بالأشجار ومحافتها للخصب وجمعها لاشتات المحاسن وتسيير مرافقها للقطان والسكان وكثرة جبايتها قد اعطاها الملوك الموحدون منذ زمن بعيد ليعقوب بن على أمير العرب وقومه .

ولم تزل مترعة بزروع العرب مملوءة بما كان لهم من المال والنشب وديار مشيدة البيان ومساكن كانت أيامها كالأعياد للأعيان الى ماكان لهم بخارجها من جنات ذللت قطوفها ، وبساتين اختلفت ثمارها كما اختلفت صفوفها ، وانهار ومزارع يعجز اللسان عن وصفها .

وكانت قبائل رياح منتشرة فى بلاد سفيان ومقرة وريغة وجبل عياض . فأمر الخليفة جيوشه بالهجوم على هذه المراكز وهدم مابها من حصون وأشجار وكان رد فعل سكان رياح العرب اخلاء هذه الأماكن ونقل عائلاتهم الى الصحراء قبل وصول المغيرين ثم عادوا لشن حرب العصابات ضد الجيوش المغير.

فأقتضى ذلك كله من أبي عنان جهودا جبارة منهكة واستنزافية ذهب ضحيتها عدد لا يحصى من جنوده المجندة وكانت وبالا على الجيش المريني الذى فقد اثناءها عددا كبيرا من أسلحته ورجاله وقواده بالاضافة الى الأموال الضائعة وخطر آخر معنوى ، فقد دب الى النفوس الكلل والملل وسيطر عليها

الذعر والخبل واستحوذ عليها الخوف والفزع وفقدت الهداية وتمنت أن لو كانت في أمن من هذه الحركة التى أصابتها فى الصميم ورجعت الى المغرب بلدها الأمين .

ورغم ذلك كله فقد تمادى أبو عنان يتتبع أثار العرب الى أن دقت ساعة الخطر وكاد جيشه أن يصاب كله بالخلل ويلوذ بالفرار وخاف على نفسه أن يموت فى تلك المفاوز وعلى عرشه فى المغرب بالأنهيار من سوء تدبير وزرائه وكيد حاشيته ذلك ان الحاجب عمر بن ميمون مستشاره الخاص ابلغه ان الوزير الفقيه ابن ورداد عول على غدر السلطان ابى عنان وانه تحدث فى ذلك مع عمدة شيوخ بنى مرين ولم يبق الا ان يرتكبوها شنعاء .

فتراجع ابو عنان وامر فى الحال جيشه بالرحيل والرجوع الى عاصمة ملكه فاس فوصلها يوم اول ذي الحجـــة عام 758 هـ .

ثم شرع فى تصفية خصومه ابتداء بوزيره شيخ الفقهاء ابن وردار ورؤساء العشائر المناوئين من بني مرين فقضى عليهم جميعا وبعد القضاء عليهم ادركه المرض فمات به من يوم الخامس عشر من نفس الشهر والسنة .

ويبقى العرب متوغلين فى الصحراء ساخطين جادين فى جمع شملهم لاعادة الكرة على جيش ابى عنان الى ان بلغهم نبأ رحيل ابى عنان وجيشه الى المغرب فامر يعقوب بن علي جميع العرب للعودة الى ديارهم واملاكهم ونضام قبائلهم الذى درجوا عليه منذ حكم الفاطميين والحفصيين والمريين .

وهذه وثيقة ابرمت بين السخر بن عيسى بن محمد بن مسعود بن سلطان امير الرياح وبين خير الدين باشا ممثل السلطان سليم العثمان بتونس والجزائر .

وثيقـة من عهـد السخـري ودخـول الأتـراك إلـى الجزائـر .

فى عهد السخرى دخل الجيش التركى تحت قيادة بربوس خير الدين باشا البلاد التونسية بعد طرد الأسبان منها عام 936 هـ – 1529 م ثم أصدر مرسوما

عاما ، دعا فيه كافة أئمة المساجد فى الأوطان التى تحت سلطته الى أن يقيموا الدعاء فى خطبهم أثناء صلاة الجمعة فى المساجد لخليفة المسلمين السلطان سليم العثمانى كما جرت العادة فى كافة البلاد الاسلامية ، ثم وجه نداء آخر باسم السلطان سليم الى كافة القبائل العربية من رياح وبني هلال فى مواطنهم بالجزائر يدعوهم الى طاعة خليفة المسلمين باسطنبول والانظواء تحت لوائه فأجاب العرب بالقبول مشترطين ـ أولا ـ عدم المساس بما تحت أيديهم من الحقوق والامتيازات التى مكنتهم منها الحكومات الاسلامية السابقة من يوم دخولهم افريقيا عام 440هـ الى هذا العهـــد .

ثانيـــا : احترام اختيارهم بأنفسهم أمراءهم واحترام كل مادرجوا عليه من نظمهم القبلية .

فقبل خير الدين باشا شروطهم وأقرهم عليها ثم أصدر أمرا آخر يلزم بموجبه أن أمير الذواودة فى المستقبل من طرف باشا الجزائر العثماني بعد اتفاق القبيلة على اختياره ، ثم يطلق عليه لقب « شيخ العرب » بدل الأمير ويخلع عليه لباسا شرفيا يدعي (القفطان) ويتم هذا الاجراء فى احتفال رسمي ترفع فيه الاعلام التركية وتصدح الموسيقى العسكرية وتدق فيه الطبول أمام الجماهير على غرار ما يقام عندما ينصب بايات العمالات فى وطن الجزائر وهذه الاجراءات كلها تشير الى المكانة التى كان يتمتع بها الذواودة رؤساء رياح فى العهد التركي .

فهـــــرس

إداع شرعي
الثلاثي الثالث
عـــام 1985

مطبعة دحلب
108 شارع طرابلس حسين داي
الجـزائـر